هذه المادة هي تفريغ صوتي للمحاضرات ولم تُراجَع من قِبَل الشيخ

وهي للمدارسة فقط

الجزء الثالث

من باب (47)

التَّصْدِيق بِالنَّظَرِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

إلى باب: (78)

ذِكْر الْإِيمَان بِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ خَالِدُونَ فِيهَا أَبَدًا وَأَنَّ أَهْلَ النَّارِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ خَالِدُونَ فِيهَا أَبَدًا

فهرس الموضوعات

47- كِتَابُ التَّصْدِيقِ بِالنَّظَرِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ 4

48- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَضْحَكُ 51

49- بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ مَذَاهِبِ الْحُلُولِيَّةِ 81

50- بَابُ ذِكْرِ السُّنَنِ الَّتِي دَلَّتِ الْعُقَلَاءَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ , لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ 87

51- كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ 135

52- بَابُ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ 156

53- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ بِلَا كَيْفٍ 173

54- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ قُلُوبَ الْخَلَائِقِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ بِلَا كَيْفٍ 183

55- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصبع وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصبع , وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصبع , وَالْخَلَائِقَ كُلَّهَا عَلَى إِصبع , وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصبع 196

56- بَابُ مَا رُوِيَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبِضُ الْأَرْضَ بِيَدِهِ , وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ 204

57- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ بِيَمِينِهِ , فَيُرَبِّيهَا لِلْمُؤْمِنِ 206

58- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَدَيْنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ 214

59- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ وَخَطَّ التَّوْرَاةَ لِمُوسَى بِيَدِهِ , وَخَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ , وَقَدْ قِيلَ: الْعَرْشُ , وَالْقَلَمُ , وَقَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُنْ فَكَانَ , فَسُبْحَانَهُ 227

60- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ 237

61- بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ مَذَاهِبِ أَقْوَامٍ يُكَذِّبُونَ بِشَرَائِعَ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ التَّصْدِيقُ بِهَا 253

62- بَابُ وجُوبِ الْإِيمَانِ بِالشَّفَاعَةِ 273

63- بَابُ مَا رُوِيَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ إِنَّمَا هِيَ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ 284

64- بَابُ مَا رُوِيَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ تَعَالَى 286

65- بَابُ ذِكْرِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا , وَاخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي» 287

66- بَابُ ذِكْرِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ أَوِ الشَّفَاعَةَ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ» 291

67- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ أَقْوَامًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَشَفَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ 294

68- بَابُ ذِكْرِ شَفَاعَةِ الْعُلَمَاءِ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ 304

69- كِتَابُ الْإِيمَانِ بِالْحَوْضِ الَّذِي أُعْطِيَ النَّبِيُّ ﷺ 312

70- بَابُ التَّصْدِيقِ وَالْإِيمَانِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ 333

71- بَابُ ذِكْرِ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِمَسْأَلَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ 338

72- كِتَابُ التَّصْدِيقِ بِالدَّجَّالِ , وَأَنَّهُ خَارِجٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ 364

73- بَابُ اسْتِعَاذَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَتَعْلِيمِهِ لِأُمَّتِهِ أَنْ يَسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ 364

74- بَابُ الْإِيمَانِ بِنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام حَكَمًا عَدْلًا فَيُقِيمُ الْحَقَّ وَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ 383

75- كِتَابُ الْإِيمَانِ بِالْمِيزَانِ: أَنَّهُ حَقٌّ تُوزَنُ بِهِ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ 393

76- كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ وَأَنَّ نَعِيمَ الْجَنَّةِ لَا يَنْقَطِعُ عَنْ أَهْلِهَا أَبَدًا وَأَنَّ عَذَابَ النَّارِ لَا يَنْقَطِعُ عَنْ أَهْلِهَا أَبَدًا 402

77- بَابُ دُخُولِ النَّبِيِّ ﷺ الْجَنَّةَ 421

78- بَابُ ذِكْرِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ خَالِدُونَ فِيهَا أَبَدًا وَأَنَّ أَهْلَ النَّارِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ خَالِدُونَ فِيهَا أَبَدًا 425

المحاضرة الحادية والخمسون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – واليوم ندخل إن شاء الله في الجزء الثاني عند بعض الطبعات، وفي طبعة أخرى الجزء السابع، سندخل في مجموعة من المسائل والمباحث التي تختص بمسألة صفات الله عز وجل، وأيضًا سيكون فيه تأصيل لعقيدة أهل السنة والجماعة في الصفات، وبعض المسائل كرؤية الله عز وجل وغير ذلك من المسائل التي يظهر فيها عقيدة أهل السنة والجماعة، وفيها الرد أيضًا على المخالف من المبتدعة الذين أنكروا بعض هذه المسائل كالرؤية، وأيضًا بعض الصفات، بعد أن انتهى الشيخ في الأجزاء السابقة من الكلام عن عدة طوائف قد تكلم عنها، تكلم طبعًا بداية بعد أن أصَّل عقيدة أهل السنة والجماعة في أكثر من فصل تعرض للخوارج كأول طائفة من طوائف المبتدعة، وتكلم عن أصولهم والرد عليهم، ثم تكلم عن الإيمان؛ فتعرض في الإيمان إلى المرجئة والرد عليهم، وإلى أيضًا المعتزلة في الإيمان، ثم تكلم عن

القدر أيضًا فتكلم عن الجبرية، وتكلم عن القدرية النفاة، وهذه كلها تأصيلًا لعقيدة أهل السنة والجماعة في هذه المباحث والرد على المخالف والتعرض فيها للفرق المخالفة.

وقد بينا بأن كتاب الإمام الآجري من أمتع الكتب في تأصيل عقيدة أهل السنة والجماعة والرد فيها على المخالف، لأنه ما كان يترك في الرد شيئًا إلا قد أتى به، حتى وإن كنا نقول أن بعض الآثار والأحاديث فيها من الضعف لكن الصحيح فيها أيضًا كثير وفيه الغُنية، لكنه أخذ بطريقة السلف في الرد؛ فهو يرد من الكتاب، ثم يرد من السنة، ثم يرد من التابعين، ثم يرد من أقوال السلف تابعي التابعين، ثم من أقوال الأئمة المعتبرة إلى غير ذلك والمذاهب، وهذا ترتيب حسن وهو تأصيل لطالب العلم الذي أراد أن يؤصل المسألة فيأتي بهذا الترتيب ويرد على المخالف أيضًا بهذه الطريقة.

اليوم ندخل إن شاء الله في باب جديد وهو من أمتع وأعظم النعائم التي ينعم بها الله عز وجل على العباد يوم القيامة؛ وهو أن ينظروا إلى وجه الله عز وجل، وهذه أقول من أنعم وأعظم نعائم الله عز وجل على عباده بعد أن يدخلهم الجنة، وأيضًا قبل أن يدخلهم الجنة، لكن لو كنا نقول بأن الجنة هي أعظم النعائم التي ينتظرها المرء أن يتلذذ بالجنة وما فيها، ولكن أعلى نعيم أهل الجنة الذي يتنعمون به أهل الجنة بعد دخولهم الجنة – نسأل الله عز وجل أن نكون جميعًا من هؤلاء – هو رؤية وجه الله عز وجل، هذه أنعم النعائم، وأعظم النعائم التي ينعم بها الله عز وجل على عباده لأن هذا منتهى الجمال، والنظر إلى وجه الله عز وجل أعظم ما يراه المرء هو الله عز وجل، وفيه أولًا الجمال لأن الله جميل يحب الجمال سبحانه وتعالى، وفيه الرضا لأن هذه رؤية رضا؛ فالله عز وجل يرضى على عباده من أهل الجنة بعد أن يدخلهم الجنة فيرضى عنهم فيكرمهم، فهذه رؤية إكرام أيضًا من الله عز وجل، هذه رؤية ينصلح القلب فيها والله، لأن المرء في الدنيا إن أحب أحد فهو ينشرح صدره عندما يراه، هذا على سبيل محبوب الدنيا، وكذلك إن كنت تحب مثلًا أهل الفضل وأهل العلم وأهل الصلاح لما تراهم تشعر بقلبك فيه شيء من الصلاح، وفيه من السكينة والخشية لأنك تحب هؤلاء على طاعتهم، فتحب أن تلقاهم، فكيف إذًا وأنت تنظر إلى الله عز وجل الذي أكرمك ونعمك ورضي عنك وأدخلك الجنة، وبعد أن فعل كل ذلك معك فينعم عليك بأنك ترى وجه الله عز وجل!

وكل منا لما يقرأ هذه الآيات والأحاديث ويعلم بأن الله عز وجل يجازي أهل جنته، وأهل طاعته، وأهل الإيمان بأن يجعلهم يرونه رؤية الرضا بعد دخولهم الجنة، وكذلك سيأتي معنا الرؤية عند الموقف؛ الذي هو على الصراط، فلا شك بأن أهل الإيمان وأهل الطاعة الرؤية

هذه لهم رؤية نعيم، بخلاف الكفار وبخلاف المنافقين؛ وإن كان الكفار لن يروا، والخلاف في المنافقين سيروا أم لا يروا سنفصل إن شاء الله.

لكن نقول كما قال علماؤنا وسلفنا الصالح أن الغاية التي يشمر اليها المشمرون هي رؤية وجه الله عز وجل يوم القيامة، إن كانت غايتك الجنة فأعظم ما في الجنة هو رؤية وجه الله عز وجل، قال سبحانه وتعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22-23] ، إلى من؟ إلى الله عز وجل، نظرة بهاء وحسن وجمال تبارك الله سبحانه وتعالى.

وسيبين لنا الإمام في هذا الكتاب بأن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة رؤية حق، بل هي إجماع عند أهل السنة والجماعة، وإن خالف ما خالف من المبتدعة، وسبحان الله كيف لهؤلاء الذين خالفوا سواء الذين أنكروا الرؤية بالكلية – وهم المعتزلة – أو الذين من الجهل بمكان – الأشاعرة – الذين أثبتوا الرؤية لكن أثبتوها إلى غير جهة؛ كما سيأتي معنا، كأنك لا ترى إلى من تنظر، وجعلوها في الآخر هي رؤية ثواب وليس رؤية الذات، هؤلاء كيف يتنعمون! كيف يريدون النعائم من الله عز وجل وهم ينكرون أعظم نعمة للمرء وهي رؤية وجه الله عز وجل! أين العقول عندهم في أنك إذا كنت تهوي إلى الجنة فأعظم ما في الجنة هو رؤية وجه الله، ومع ذلك هؤلاء خابوا وضلوا وبعدوا عن الحق لما أنكروا رؤية المؤمنين لربهم في الجنة، أو حتى قالوا كما قال الأشاعرة أن الرؤية نثبتها لكنهم قالوا الرؤية إلى جهة، لأنهم عندهم إشكالية أصلًا في اثبات الجهة إلى أين، فلو قلت طيب أين ترى؟ أين تنظر؟ حتى بعض الأشاعرة نفسهم من علمائهم، لا أذكر الجويني أم الغزالي ما قَبِل ذلك، قال: "هذه من الأمور التي لا تُقبَل عندنا" أي كيف تثبت الرؤية ثم تقول رؤية بلا جهة! لأنه طبعًا لو قال إلى جهة فكأنه حد الله إلى جهة، وهم لا يقولون بأن الله عز وجل علوه فوق السماوات أو في وجهة.

فالمهم سنبين ذلك إن شاء الله، لكننا سنشرع في القراءة ونبين فيها الأدلة المتواترة على اثبات رؤية المؤمنين لربهم كما سيأتي بها المؤلف، وإن شاء الله سنرد على المخالف؛ سواء الذين أبطلوا الرؤية بالكلية وهم المعتزلة، أو حرفوا في اثباتها وهم الأشاعرة، والرد عليهم أيضًا فيما استشكلوا من استشكالات.

نبدأ إن شاء الله القراءة؛؛

قال المصنف – رحمه الله تعالى– :

47- كِتَابُ التَّصْدِيقِ بِالنَّظَرِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى جَمِيلِ إِحْسَانِهِ , وَدَوَامِ نِعَمِهِ حَمْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَوْلَاهُ الْكَرِيمَ يُحِبُّ الْحَمْدَ , فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى كُلِّ حَالٍ , وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ , وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ , أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَلَّ ذِكْرُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ , خَلَقَ خَلْقَهُ كَمَا أَرَادَ لِمَا أَرَادَ , فَجَعَلَهُمْ شَقِيًّا وَسَعِيدًا , فَأَمَّا أَهْلُ الشِّقْوَةِ فَكَفَرُوا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَعَبَدُوا غَيْرَهُ , وَعَصَوْا رُسُلَهُ , وَجَحَدُوا كُتُبَهُ , فَأَمَاتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ , فَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ يُعَذَّبُونَ وَفِي الْقِيَامَةِ عَنِ النَّظَرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَحْجُوبُونَ , وَإِلَى جَهَنَّمَ وَارِدُونَ , وَفِي أَنْوَاعِ الْعَذَابِ يَتَقَلَّبُونَ , وَلِلشَّيَاطِينِ مُقَارِبُونَ , وَهُمْ فِيهَا أَبَدًا خَالِدُونَ , وَأَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ: فَهُمُ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى, فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ , وَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا , وَصَدَّقُوا الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ , فَأَمَاتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ , فَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ يُنَعَّمُونَ , وَعِنْدَ الْمَحْشَرِ يُبَشَّرُونَ , وَفِي الْمَوْقِفِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَعْيُنِهِمْ يَنْظُرُونَ , وَإِلَى الْجَنَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ وَافِدُونَ , وَفِي نَعِيمِهَا يَتَفَكَّهُونَ , وَلِلْحُورِ الْعِينِ مُعَانِقُونَ , وَالْوِلْدَانُ لَهُمْ يَخْدُمُونَ , وَفِي جِوَارِ مَوْلَاهُمُ الْكَرِيمِ أَبَدًا خَالِدُونَ؛ وَلِرَبِّهِمْ تَعَالَى فِي دَارِهِ زَائِرُونَ , وَبِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ يَتَلَذَّذُونَ , وَلَهُ مُكَلِّمُونَ , وَبِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَالسَّلَامِ مِنْهُ عَلَيْهِمْ يُكَرَّمُونَ , {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد: ٢١] , فَإِنِ اعْتَرَضَ جَاهِلٌ مِمَّنْ لَا عِلْمَ مَعَهُ , أَوْ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ لَمْ يُوَفَّقُوا لِلرَّشَادِ , وَلَعِبَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ وَحُرِمُوا التَّوْفِيقَ فَقَالَ: الْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ , قِيلَ لَهُ: نَعَمْ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ , فَإِنْ قَالَ الْجَهْمِيُّ: أَنَا لَا أُؤْمِنُ بِهَذَا. قِيلَ لَهُ: كَفَرْتَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ. فَإِنْ قَالَ: وَمَا الْحُجَّةُ. قِيلَ: لِأَنَّكَ رَدَدْتَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ وَقَوْلَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ , وَقَوْلَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ , وَاتَّبَعْتَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ , وَكُنْتَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى , وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥] , فَأَمَّا نَصُّ الْقُرْآنِ فَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣] وَقَالَ تَعَالَى وَقَدْ أَخْبَرَنَا عَنِ الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ مَحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيَتِهِ فَقَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ

تُكَذِّبُونَ}[المطففين: ١٥] فَدُلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ , وَأَنَّهُمْ غَيْرُ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَتِهِ , كَرَامَةً مِنْهُ لَهُمْ , وَقَالَ تَعَالَى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] فَرُوِيَ أَنَّ الزِّيَادَةَ هِيَ النَّظَرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَقَالَ تَعَالَى: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا} [الأحزاب: ٤٣] وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ أَنَّ اللُّقَى هَاهُنَا لَا يَكُونُ إِلَا مُعَايَنَةً يَرَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَيَرَوْنَهُ , وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ , وَيُكَلِّمُهُمْ وَيُكَلِّمُونَهُ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤] , وَكَانَ مِمَّا بَيَّنَهُ لِأُمَّتِهِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ: أَنَّهُ أَعْلَمَهُمْ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ: «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ تَعَالَى» رَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ صَحَابَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ , وَقَبِلَهَا الْعُلَمَاءُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ الْقَبُولِ , كَمَا قَبِلُوا عَنْهُمْ عِلْمَ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ , وَعِلْمَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ , كَذَا قَبِلُوا مِنْهُمُ الْأَخْبَارَ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَشُكُّونَ فِي ذَلِكَ , ثُمَّ قَالُوا: مَنْ رَدَّ هَذِهِ الْأَخْبَارَ فَقَدْ كَفَرَ

571 - حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ قَالَ: نا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مُضَرُ الْقَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: «لَوْ عَلِمَ الْعَابِدُونَ أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ تَعَالَى لَذَابَتْ أَنْفُسُهُمْ فِي الدُّنْيَا»

572 - حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَطَشِيُّ قَالَ: نا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ مُدْرِكٍ الْقَاصُّ قَالَ: نا مَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: نا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ , عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَتَجَلَّى لِأَهْلِ الْجَنَّةِ , فَإِذَا رَآهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ نَسُوا نَعِيمَ الْجَنَّةِ»

573 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ قَالَ: نا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ قَالَ: نا جَرِيرٌ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ , عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ قَالَ: " مَا نَظَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْجَنَّةِ قَطُّ إِلَا قَالَ: طِيبِي لِأَهْلِكِ , فَزَادَتْ ضِعْفًا عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ , حَتَّى يَأْتِيَهَا أَهْلُهَا , وَمَا مِنْ يَوْمٍ كَانَ لَهُمْ عِيدًا فِي الدُّنْيَا إِلَا يَخْرُجُونَ فِي مِقْدَارِهِ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ , فَيَبْرُزُ لَهُمُ الرَّبُّ تَعَالَى , فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ , وَيُسْفِي عَلَيْهِمُ الرِّيحَ بِالْمِسْكِ وَالطِّيبِ , وَلَا يَسْأَلُونَ

رَبَّهُمْ تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُمْ , حَتَّى يَرْجِعُوا وَقَدِ ازْدَادُوا: عَلَى مَا كَانُوا مِنَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ سَبْعِينَ ضِعْفًا , ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى أَزْوَاجِهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا مِثْلَ ذَلِكَ"

بيَّن لنا المؤلف كما ذكرنا في المقدمة مسألة رؤية النظر إلى وجه الله عز وجل، وقلنا بأن هذا ثابت عند أهل السنة والجماعة؛ بأنهم يرون ربهم يوم القيامة بعد أن يدخلوا الجنة، وأيضًا سنبين الرؤية التي عند الصراط. ورؤية المؤمنين لربهم هي رؤية حق؛ الرؤية بالعين، كما قال الإمام مالك، فهي رؤية عينية لذات الله عز وجل، وهذه الرؤية كما – سيأتي – هي رؤية لا يلزمها الإحاطة ولا الادراك، لأنه لا يُدرَك الله عز وجل ولا يُحاط، لقوله تعالى:{ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ} [الأنعام: 103] ، وهذه سنرد بها على المخالفين الذين استشهدوا بذلك.

لكن نقول أولًا بأن الرؤية ثابتة عند أهل السنة والجماعة، والرؤية حق، والرؤية بالعينين، وهذا الذي تبينه الأدلة التي استشهد بها المؤلف وأهل السنة والجماعة. ونقول بأنها رؤية لا تستلزم الإحاطة، وسنبين معنى الإحاطة وغير ذلك. وأيضًا هذه الرؤية قد بلغت فيها الأدلة – كما قال المؤلف – من الكتاب؛ أي آيات مقطوعة في الرؤية، وأيضًا من سنة النبي ﷺ بعض السنن بلغ فيها التواتر، لكن هنا هو ما استدل بغير بالآيات، لعله سيأتي بعد ذلك إن شاء الله يستدل بالسنة، وإن كنا سنبين ذلك في حديث صحيح عن النبي ﷺ قال: [**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يوم القيامة كَمَا تَرَوْنَ البدر ليلة التمام لاَ تُضَامّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**]، وقال أيضًا لما سأل الصحابة النبي ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال:[**هل تُضارُّونَ في رؤيةِ الشَّمسِ في الظَّهيرةِ ليستَ في سحابةٍ ؟ قالوا: لا، قالَ: هل تُضارُّونَ في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البدرِ ليسَ في سَحابةٍ ؟ قالوا: لا، قالَ: والَّذي نَفسي بيدِهِ لا تضارُّونَ في رؤيتِهِ إلَّا كما تضارُّونَ في رؤيةِ أحدِهِما**].

لكن الأدلة التي بدأ بها المصنف الكتاب هذا الذي معنا في اثبات الرؤية عدة أدلة، ممكن نلخص الأدلة، طبعًا هو الأول أصَّل الحكم، دعونا نسير على الترتيب؛ فقد بيَّن بأن من أنعم النعائم كما قلنا أن يرى المؤمنين ربهم يوم القيامة، ثم استشكل على الجهمية الذين ينكرون الرؤية، وبدأ بالجهمي الذي نفى الرؤية، فقال له: (كَفَرْتَ)، لماذا كفر؟ قال لأن الأدلة من الكتاب ومن السنة متواترة، ومن إجماع أهل السنة، لأنه لم يخالف أحد أهل السنة والجماعة على الرؤية؛ فحتى الأشاعرة نقول أن عندهم أصل اثبات الرؤية وإن كان خالفوا طبعًا في كيفية الرؤية، لكن حتى وإن لم يكن من أهل السنة والجماعة، لكن نقول من الطوائف المسلمة،

لكن أهل السنة والجماعة لم يخالف فيهم أحد في اثبات الرؤية. لذلك هو أتى هنا بالإجماع {وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} [النساء: 115] ، وهذه الآية دليل على أن الإجماع حجة {غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} قال:{ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا} [النساء: 115] . فأراد أن يستدل عليه بالكتاب وبالسنة وبإجماع أهل السنة والجماعة، وهذا الكلام حق. لذلك لما تخالف الكتاب القطعي والسنة القطعية في الدلالة وتخالف إجماع أهل السنة والجماعة فأنت خرجت بذلك، لذلك هو جعلها في الجهم كفر في ذلك بإنكار الرؤية.

ثم استدل بالأدلة وعندنا عدة أدلة ممكن تعدوها وتضبطوها؛

- **الأدلة من الكتاب:**

الدليل الأول:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22-23] ، تكلمنا من قبل في هذه المسألة في (معارج القبول)، فمن حضر معنا ممكن يراجع، وتكلمنا أيضًا تقريبًا في (التوحيد) لابن خزيمة في هذه المسألة.

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22-23] ، أين وجه الشاهد والاستدلال على الرؤية من الآية؟

وجه الشاهد: { إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}

وجه الدلالة: جعل فعل النظر متعدي بـ (إلى)، وقد تكلمنا من قبل قلنا "النظر" إما أن يأتي غير متعدي كما قال سبحانه وتعالى:{ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ } [الحديد:13] ، فـ {ٱنظُرُونَا} هنا لم تأت متعدية، فتكون بمعنى الإنتظار، لأن هذا أصل الخلاف مع المخالف؛ قالوا {نَاظِرَة} أي منتظرة ثواب ربها – وسامحوني أعرج على المخالف وبعد ذلك سنتكلم عن المخالف تفصيلًا – لكن هنا {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22-23] ، قالوا الأصل عندنا في فعل النظر؛ إما يأتي متعدي بنفسه أي ليس معه حرف متعدي به، أو متعدي بـ (في)، أو متعدي بـ (إلى)، فلو جاء متعدي بنفسه فهنا النظر بمعنى الانتظار كما قال سبحانه وتعالى: { ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ } [الحديد:13] ، أي انتظرونا. أو يأتي النظر متعدي بـ (في) كما قال سبحانه وتعالى:{ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ } [العنكبوت: 20] ، فهنا جاءت تعدي بـ (في)، وهنا تفيد التفكر والتدبر. وقد يأتي النظر متعدي بـ (إلى)؛ وهذه التي معنا الآن {إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَة} هنا عند علماء اللغة التعدي بـ (إلى) مع النظر يفيد رؤية

العينين، أو البصر. فهذا وجه الدلالة من الآية {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22-23] ، بأن فعل النظر قد تعدى بـ (إلى)، واذا تعدى فعل النظر بـ (إلى) فهو يفيد الرؤية البصرية. هذا هو الدليل الأول الذي استدل به.

الدليل الثاني: قال عز وجل مخبرًا عن الكفار:{كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ} [المطففين:15-17] ، أين الاستدلال من {كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ؟ أن الكفار محجوبون عن الله يوم القيامة، فمفهوم المخالفة أن المؤمنين غير محجوبين، لماذا؟ لأنه قال: {عَن رَّبِّهِمْ} إذًا لن يروا ربهم، حُجِب عنهم الرؤية، فمفهوم المخالفة يقول بأن أهل الإيمان لن يُحجَبوا، فأثبت هنا رؤية المؤمنين لربهم بمفهوم المخالفة. وإن كان الترتيب هنا في الأدلة كان لابد أن نؤخر هذا الدليل لأنه من باب المفهوم وعندنا أدلة من باب المنطوق، لكن نسير على سرد الكتاب. وهذا الاستدال استدل به الإمام الشافعي لما قال: (لما حُجِب الكفار عن ربهم دل ذلك على أن المؤمنين لا يُحجبوا عن ربهم، فدل بهذه الآية أن المؤمنين ينظرون إلى الله عز وجل وأنهم غير محجوبين عن رؤيته كرامة لهم).

الدليل الثالث:{ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس:26] ، وهذه جاءت تفسيرات كثيرة في معنى{ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} ما هو الحسنى؟ وما هي الزيادة؟ جاء فيها أقوال عند أهل العلم لكن الراجح ما ورد عن النبي ﷺ قال:{ٱلْحُسْنَىٰ}: الجنة،{وَزِيَادَةٌ}: النظر إلى وجه الله عز وجل، وهذا الذي جاء من تفسير النبي ﷺ، وإلا الآية هكذا لا يُستَدل بها صراحة، لكن تكلم الصحابة أيضًا في معنى (الحسنى)؛ بعضهم قال الحسنة والزيادة عشر أمثالها،وبعضهم قال(الحسنى) الجنة، و(الزيادة) اللؤلؤ والياقوت كما جاء عن سيدنا عليّ، لكن الصحيح فيما جاء عن ابن مسعود وهو الموافق لما جاء عن النبي ﷺ بأن (الحسنى) هي الجنة، و(الزيادة) رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وإذا جاء التفسير من النبي ﷺ فلا تفسير بعد ذلك، ولا كلام غير كلام النبيﷺ، فرُوي أن (الزيادة) هي النظر إلى وجه الله عز وجل.

الدليل الرابع: قال عز وجل أيضًا:{ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا} [الأحزاب: 43-44] ، قال{يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ} وأهل اللغة يقولون اللقيا لابد أن يكون معها معاينة، فالإنسان عندما يلاقي أحد لابد من معاينة، وهذا يستلزم الرؤية، لأن الله عز وجل سيلقاهم ويسلم عليهم فيرونهم ويرونه، فهذا من باب اللزوم؛ بأن اللقيا عند أهل اللغة تفيد المعاينة وتفيد أيضًا الرؤية.

الدليل الخامس: من الأدلة على ذلك أيضًا قوله تعالى:{عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ} [المطففين: 35] ، كيف تستدل بها على رؤية الله؟ هي قاعدة لغوية في الأصول؛ **حذف المعمول يؤذن بالعموم** والمعمول هنا المفعول، لأنه قال:{عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ} إلى ماذا ينظرون؟ فلما حُذِف أفاد العموم؛ ينظرون إلى الجنة، ينظرون إلى الطيور، للحور العين، للأشجار، ينظرون إلى الله عز وجل، فقالوا إذًا حذف المعمول يفيد بالعموم، إذًا ينظرون لكل شيء، فهنا استدل أهل السنة من قوله تعالى:{ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ} على رؤية الله عز وجل. وكما قال سبحانه وتعالى:{ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ} [البقرة: 195] ، قال{ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ } فعل أمر وحذف إلى ماذا يحسنوا؟ أحسِن لنفسك، أحسن لوالديك، أحسن للخلق، أحسن إلى الله، أحسن إلى البهائم – أعزكم الله – في القتلى والذبح، كل هذا من باب العموم.

الدليل السادس: {لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٌ} [ق: 35] ، وهنا أيضًا قالوا في (المزيد) في تفسير عن النبي ﷺ لذة رؤية الله عز وجل.

- **الأدلة من السنة:**

الدليل الأول: لما سأل الصحابة النبي ﷺ هل نرى ربنا؟ فقال النبي ﷺ: **[إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يوم القيامة كَمَا تَرَوْنَ البدر ليلة التمام لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ]** وهذا الحديث عند البخاري في اثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

الدليل الثاني: لما وصف النبي ﷺ الجنة قال: **[جنتان من ذهب وما فيهما، وجنتان من فضة وما فيهما، وليس بين القوم وبين أن يروا ربهم إلا أن يُكشف الحجاب]** سبحانه وتعالى – يارب لا تحرمنا من ذلك، نسأل الله عز وجل أن يمن علينا، وأن يكرمنا برؤيته، وأن يغفر لنا ذنوبنا وآثامنا، وأن نلقاه وهو راض عنا سبحانه وتعالى.

فهذا من الآيات، ومن السنة، ومن إجماع السلف، حتى هو سينقل بعد ذلك الإمام لكن أنا لا أريد أن أعجل بالشرح كله لأنه سيأتي معنا في هذا الباب وينقل. وكما قال هنا الإمام الآجري أنه قال للذي ينكر أنه كافر، كذلك لما سُئل الإمام أحمد أن هناك من ينكر رؤية الله عز وجل، قال: كافر.. كافر. لأن المسألة لا تحتمل التأويل؛ المسألة ليس فيها تأويل ولا احتمال التأويل، وليس فيها ثَم شبهة أصالة، الآيات صريحة على ذلك.

طيب تكلمنا الآن عن الاثبات، نحن سنسير تدرجًا؛ نثبت الأصل واحفظوا هذه الأدلة لأهل السنة والجماعة في اثبات الرؤية ثم سيتعرض للمخالف بطريقته وسنبين.

فقلنا الرؤية حق لأهل الجنة والمؤمنين، والبعض تجد في الكتب يقولون: "الرؤية حق لأهل الجنة" – هذه متفق عليها التي كنا نتكلم عنها – "والمؤمنين في عرصات يوم القيامة" لأنه يوجد موقف في الرؤية في العرصات على الصراط – لو تذكروه – ويوجد موقف بعد دخول الجنة، فهذه نعمة تتنعم بها كل يوم جمعة أو على حسب ما يمن الله عز وجل به على المرء بالرؤية.

لكن هناك أيضًا رؤية للمؤمنين في عرصات يوم القيامة وهي للمؤمنين إجماعًا، لكن على خلاف هل المنافقين يرون أم لا؟ وأيضًا اتفاقًا بأن الكافر لن يرى، لأن الكافر في حديث الصراط سيسقط أولًا أول من يسقط الكلاليب التي تأخذ الكفار إلى أن يسقطوا وكل منهم يتبع معبوده؛ فمن كان يعبد الشمس، كان يعبد القمر، كان يعبد..، إلى آخر آلهته، فهل الرؤية للناس جميعًا في عرصات يوم القيامة؟ البعض قال الكفار يرون ولكن يرون رؤية عذاب، أو رؤية ندم، أو رؤية كذا، لكن الصحيح أن الكفار لن يروا ربهم لأنه قال الله عز وجل:{كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} [المطففين:15] .

فأهل السنة اختلفوا في الموقف حقيقة؛ البعض قال هي للمؤمنين وحدهم، والبعض قال للمؤمنين والمنافقين، والبعض قال الناس جميعًا، حتى تعلموا فقط أن هناك خلاف حتى بين أهل السنة في مسألة الموقف، حتى الإمام ابن تيمية نقل هذا الخلاف وهذه المسألة؛

- فجمهور أهل السنة والجماعة على أن الرؤية للمؤمنين في عرصات يوم القيامة؛
- وطائفة من أهل السنة والجماعة قالوا المؤمنين والمنافقين؛
- والقول الثالث بأن الرؤية للجميع؛ مؤمن، ومنافق، وكافر.

الذين استدلوا بأن الرؤية للكافر قالوا :{كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} [المطففين:15]، لكن هنا الإشكال هم كيف يستدلوا بهذا على رؤية الكافر؟ أنا قلت في الأول أن نستدل بها على عدم الرؤية.

فالذين قالوا أن الكافر دخل في الرؤية قالوا { إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} إذًا قبل الحجب هم كانوا سيرون، أي هم يريدوا أن يقولوا أنهم حُجبوا بعد أن لم يكن قد حُجبوا، أي سيرون ثم يُحجب عنهم بعد ذلك رؤية النعيم، فكونه حُجِب يدل على أنه قبل ذلك لم يكن محجوب. فهم قالوا في الدنيا الكل محجوب، فدلوا على أن المحجوبية هنا في يوم القيامة، إذًا قبل أن يُحجبوا لم يكونوا محجوبين، أصل لو كانت على الدنيا ففي الدنيا الكل محجوب، لكن لما قال:{كَلَّآ

{إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} فكأن قبل ذلك لم يكونوا يُحجبوا، وبعد ذلك سيُحجبوا لما يدخلوا النار، فيُحجبوا عن الله عز وجل. هذا استدلال عمومًا حتى ما نستفيض كثيرًا. لكن نقول حتى لو رؤية فلا يرون إلا رؤية تبكيت وعذاب، لو قلنا بذلك. لكن القول الأول وهو الاتفاق على أن المؤمنين هم الذين يرون الله عز وجل.

وطبعًا هو أصل الحديث الذي فيه الخلاف بين أهل السنة؛ هل المؤمن فقط الذي يرى، أم المؤمن والمنافق لما يقع الكافر في جهنم ويتبقى المؤمن والمنافق، فلما يأتيهم الله عز وجل في صورة لا يعرفونها فيقول أنا ربكم، فيقولوا أنت لست بربنا، فيقول الله عز وجل هل بينكم وبينه علامة؟ قالوا نعم، ثم يأتيهم في الصورة التي يعرفونها، فيكشف عن ساق فيخر المؤمن ساجدًا، فيأتي المنافق يريد أن يسجد فينقلب يجعل قفاه على ظهره فلا يستطيع فيسقط. فقالوا هنا الوقت هذا قد تجلى الله عز وجل ورأى المؤمنين ربهم والمنافق رأى. لذلك يستدل بذلك هؤلاء الذين يقولون بأن المنافق رأى لكنه لا يستطيع السجود ثم بعد ذلك يؤخذ به إلى العذاب، فقالوا هؤلاء إذًا المؤمن والمنافق يرى في هذا الموقف.

والبعض قال أن المؤمن فقط هو الذي يرى، وطبعًا رؤية المؤمن لله عز وجل في هذا الموقف هي رؤية إكرام ولذة ونعيم، رؤية سرور، لكن هذا في الجنة، لكن في العرصات الرؤية ستكون رؤية حساب وتقرير، إذًا الرؤية تختلف رؤية الجنة هذه التي فيها الإنعام والإكرام على أن يدخل الجنة، وقالوا رؤية يوم القيامة فيها رؤية الحساب والتقرير والتعريف أن الله عز وجل يقرره ويحاسبه ويُعرِّفه، يختلي بالمرء ويعرفه بذنوبه إلى غير ذلك، ثم إن شاء الله عز وجل غفر لهم وإن شاء لم يغفر لهم، هذا في الحديث الذي يأتيهم في الصورة غير التي كانوا يعرفونه فيه، ثم يأتيهم في الصورة التي يعرفونها فيسجد المؤمنون ويبقى من لم يكن مخلصًا في الدنيا يريد أن يسجد فلا يستطيع أن يسجد. ولكن على المؤمن الذي سيرى هنا في هذا الوقت سيرى التلذذ والتنعم استبشارًا وإن كان سيُعرَّف ويُحاسب لكنه سيكون فيها من التنعم والتلذذ في ذلك. وعلى اختلاف المؤمنين ودرجاتهم في المعاصي والذنوب ستختلف الرؤية؛ هل كلها تلذذ أم معها حساب وتعريف وغير ذلك، على حسب حال المؤمن سيكون. إذًا هذه رؤية المؤمنين. ورؤية المنافق أنه لن يستطيع أن يسجد، وأما عموم المسلمين قالوا بأن الكافر لا يرى كما قلنا واستدلوا بالآية: {كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} [المطففين:15] وأن هذه في الكفار عامة. والخلاف قلنا بين أهل السنة والجماعة. هذه مواطن الرؤية؛ إما رؤية في عرصات يوم القيامة في الحديث، أو رؤية الإنعام بعد ذلك؛ وهي رؤية النعيم في الجنة.

574 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْيُنِهِمْ»

وهذا يبين لك كما قلنا بأن الرؤية حتى للمؤمنين يوم القيامة رؤية بالعين، ليس كما سيأتي **الأشاعرة** يقولون ليست بالعين، بل يقولون رؤية الإنعام والثواب لكن أنت لن ترى! لأنهم لا يرون بإمكانية رؤية الله لأن طبعًا عندهم إشكالية في مسألة رؤية الله عز وجل والتحديد والجهة إلى غير ذلك. فالأشاعرة، وسيأتي التفصيل فيها، لكن هم يرون باثبات الرؤية لكن قالوا الرؤية ليست إلى جهة لأن الله عز وجل ليس في جهة، وقالوا أن الرؤية ليست بالبصر أي أنك ترى نعيم ليس بالعين، فهو أصلًا لو كنت سترى فسترى لأي جهة! كلام ما يعقل! حتى هم بيقولوا بالعقل فالعقل لا يتقبله عندهم، كيف تقول لا ترى لأن هو أصلًا لابد أن يقول ذلك على أصله، لأن أصله أن الله ليس في جهة، الله ليس فوق السماوات السبع مستوى على العرش، الله عنده لا نعلم داخل أم خارج، في أعلى أم أسفل! هو ما عنده تحديد أصالة، فبالتالي الرؤية عنده لا يمكن أن تكون محددة، فلا يستطيع أن يثبت الرؤية البصرية، طيب أين ستنظر؟! فهذا شيء أنا ما أدري كيف هم يقبلونه! حتى أن بعض العلماء مثل الجويني تقريبًا-لا أذكر- قال: "هذا أمر يصعب أن يصدق" أي أن نتصوره. مع أن طبعًا الذي نفى الرؤية فهذا كفر، لو قلنا بالنفي، لكن هو نفيه للرؤية على أصله الفاسد مطابق لأصوله، لكن الأشاعرة هم فقط يريدون أن يخالفوا المعتزلة ولا يريدون أن يوافقوا أهل السنة.

575- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: نا عَبْدُ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقُ قَالَ: قُلْتُ لِلْأَسْوَدِ بْنِ سَالِمٍ: "هَذِهِ الْآثَارُ الَّتِي تُرْوَى فِي مَعَانِي النَّظَرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَنَحْوُهَا مِنَ الْأَخْبَارِ؟ فَقَالَ: نَحْلِفُ عَلَيْهَا بِالطَّلَاقِ وَالْمَشْيِ قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ: مَعْنَاهُ تَصْدِيقًا بِهَا"

576- وَحَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ لُوَيْنٌ قَالَ: قِيلَ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ: هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تُرْوَى فِي الرُّؤْيَةِ؟ فَقَالَ: "حَقٌّ عَلَى مَا سَمِعْنَاهَا مِمَّنْ نَثِقُ بِهِ

577 - وَحَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: نا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ , وَبَلَغَهُ عَنْ رَجُلٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ , فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا ثُمَّ قَالَ: "مَنْ قَالَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ فَقَدْ كَفَرَ , عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ

وَغَضَبُهُ , مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ , أَلَيْسَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣] وَقَالَ تَعَالَى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين: ١٥] هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى

578- حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ قَالَ: نا حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ حَنْبَلٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: " قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ , وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين: ١٥] فَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرَى , وَقَالَ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣] فَهَذَا النَّظَرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى, وَالْأَحَادِيثُ الَّتِي رُوِيَتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ» بِرِوَايَةٍ صَحِيحَةٍ , وَأَسَانِيدَ غَيْرِ مَدْفُوعَةٍ , وَالْقُرْآنُ شَاهِدٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرَى فِي الْآخِرَةِ "

579 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْأَزْدِيُّ قَالَ: نا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: «إِنَّا لَنَحْكِي كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى , وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ»

580 - حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ قَالَ: نا أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ: وَذُكِرَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الرُّؤْيَةِ فَغَضِبَ وَقَالَ: " مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُرَى , فَهُوَ كَافِرٌ "

581 - حَدَّثَنَا أَبُو مُزَاحِمٍ مُوسَى بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدٍ الْقَاسِمَ بْنَ سَلَّامٍ يَقُولُ: " وَذُكِرَ عِنْدَهُ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ فِي الرُّؤْيَةِ فَقَالَ: هَذِهِ عِنْدَنَا حَقٌّ , نَقَلَهَا النَّاسُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ ".

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَمَنْ رَغِبَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ , وَخَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ , وَرَضِيَ بِقَوْلِ جَهْمٍ وَبِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ وَبِأَشْبَاهِهِمَا , فَهُوَ كَافِرٌ , فَأَمَّا مَا تَأَدَّى إِلَيْنَا مِنَ التَّفْسِيرِ فِي بَعْضِ مَا تَلَوْتُهُ , مِمَّا حَضَرَنِي ذِكْرُهُ: فَأَنَا أَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ , ثُمَّ أَذْكُرُ السُّنَنَ الثَّابِتَةَ فِي النَّظَرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى , مِمَّا يَقْوَى بِهِ قُلُوبُ أَهْلِ الْحَقِّ , وَتَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ , وَتُذَلُّ بِهِ نُفُوسُ أَهْلِ الزَّيْغِ , وَتَسْخُنُ بِهِ أَعْيُنُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

582 -حَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ قَالَ: أَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ الرَّبَذِيُّ , عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣] قَالَ: «نَضَّرَ اللَّهُ تِلْكَ الْوُجُوهَ وَحَسَّنَهَا لِلنَّظَرِ إِلَيْهِ»

583 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عُثْمَانَ قَالَ: نا أَبُو سَمُرَةَ قَالَ: عَنْ عَلِيِّ بْنِ ثَابِتٍ , عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ , عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣] قَالَ: «نَضَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّظَرِ إِلَيْهِ»

584 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ , وَدَاوُدُ بْنُ سُلَيْمَانَ , أَنَّ أَبَا نُعَيْمٍ الْفَضْلَ بْنَ دُكَيْنٍ حَدَّثَهُمْ , عَنْ سَلَمَةَ بْنِ سَابُورَ , عَنْ عَطِيَّةَ , عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} [القيامة: ٢٢] يَعْنِي «حُسْنَهَا» {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣] قَالَ: «نَظَرَتْ إِلَى الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ»

585 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ نا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ , وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَّادٍ قَالَا: نا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: نا مُبَارَكٌ , عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} [القيامة: ٢٢] قَالَ: "النَّضْرَةُ: الْحُسْنُ" {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣] قَالَ: «نَظَرَتْ إِلَى رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ فَنَضَرَتْ لِنُورِهِ»

586 - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: نا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَ: نا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: نا الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ , : أَنَا يَزِيدُ النَّحْوِيُّ , عَنْ عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} [القيامة: ٢٢] قَالَ: «مِنَ النَّعِيمِ» {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣] قَالَ: «تَنْظُرُ إِلَى رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ نَظَرًا»

587- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: نا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: نا الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ , عَنْ يَزِيدَ النَّحْوِيِّ , عَنْ عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣] قَالَ: «تَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى نَظَرًا»

588 -وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا أَحْمَدُ بْنُ الْأَزْهَرِ قَالَ: نا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَكَمِ قَالَ: نا أَبِي , عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "كُلُّ مَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ يَرَى اللَّهَ تَعَالَى؟ قَالَ: نَعَمْ"

589 - حَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: نا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدِينِيُّ قَالَ: نا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي زَكَرِيَّا , عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ , عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ الْبَجَلِيِّ , عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] قَالَ: «النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى»

590- وَحَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: نا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ: قَالَ: نا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى , عَنْ إِسْرَائِيلَ , عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ , عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ , عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] قَالَ: "الزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى"

591 - أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ ذَرِيحٍ الْعُكْبَرِيُّ قَالَ: نا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَ: نا وَكِيعٌ , عَنْ إِسْرَائِيلَ , عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ , عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ , عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ , عَنْ مُسْلِمِ بْنِ نَذِيرٍ , عَنْ حُذَيْفَةَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] قَالَا: «النَّظَرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى»

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: رَحْمَةُ اللَّهِ وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِ: وَأَمَّا السُّنَنُ فَإِنَّا سَنَذْكُرُ مَا رَوَى صَحَابِيٌّ صَحَابِيٌّ عَلَى الِانْفِرَادِ , لِيَكُونَ أَوْعَى لِمَنْ سَمِعَهُ , وَأَرَادَ حِفْظَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

بدأ هنا بقوله بحديث "الأسود بن سالم" لما قال من شدة اعتقاده وكثرة نقل هذه الآثار عن الصحابة وعن السلف الصالح فقال: (هَذِهِ الْآثَارُ الَّتِي تُرْوَى فِي مَعَانِي النَّظَرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَنَحْوُهَا مِنَ الْأَخْبَارِ؟ فَقَالَ: نَحْلِفُ عَلَيْهَا بِالطَّلَاقِ وَالْمَشْيِ قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ: مَعْنَاهُ تَصْدِيقًا بِهَا) هو فيما يظهر (نَحْلِفُ عَلَيْهَا بِالطَّلَاقِ) طبعًا فيها مسألة خلافية عند أهل العلم؛ هل هو يقصد هنا في مسألة الحلف هل هو الحلف المقصود به عقد اليمين؟ لأن طبعًا عقد اليمين بغير الله عز وجل واسمائه لا يصح، لكن في الغالب هنا يقصد أن يحلف عليها بالطلاق كأنه يريد أن يقول من تصديقها كأنه ينزل الطلاق مسألة النذر. وكذلك المشي، ويبدو هنا أن المشي يقصد به أنه ينذر أن يمشي إلى الكعبة مثلًا، ويمشي إلى الاعتمار، أو إلى الحج لأنه قال:(نَحْلِفُ عَلَيْهَا بِالطَّلَاقِ وَالْمَشْيِ) كأنه يريد أن يبين من شدة تصديقهم بأنه لن يحنث لو قال بأنه عليه الطلاق أن هذه الأخبار صحيحة أو ينذر بأن لو فيها شيء سيمشي إلى بيت الله الحرام، وهذا من باب التأكيد والتصديق على أنه لم يكن عندهم شك في ذلك فيمكن أن ينذر أو يجعله طلاقًا معلقًا.

طبعًا هنا (نَحْلِفُ عَلَيْهَا بِالطَّلَاقِ) يقصد نحلف على أنه لو كان في هذه الآثار مثلًا شيء غير ثابت أو المعنى غير ذلك يقع الطلاق، أو يكون نذرًا عليه أن يذهب ماشيًا إلى الحج أو إلى العمرة، وهذه من شدة التحري. وطبعًا لن نستفيض في المسألة الفقهية الخلاف بين أهل العلم هل يجوز الحلف بالطلاق أم لا؟ لأن البعض يجعله يمين فيمكن ذلك، والبعض قال أن هي ليست حلف بمعنى الحلف وعقد اليمين بل هي بمعنى مسألة الطلاق المعلق أو ينذر كأنه علق؛ فيقول عليه الطلاق مثلًا إذا دخل فلان للدار أو إذا حدث كذا وكذا، ولا يقصد به الحلف بمعنى الحلف، لذلك لا يجعلونه حلفًا.

لكن المهم حتى لا نطيل في هذه المسألة أن المقصود فيها هنا يبين على أنه من شدة تصديقهم لذلك وعدم شكهم في صدق هذه الأخبار بأنه ممكن أن يعلق طلاقًا على ذلك أو ينذر نذرًا إن لم يكن صحيحًا، وهذا لن يحنث فيه لأنه يعلم بأن الأخبار على ثقة، حتى أنه قال بعد ذلك سفيان بن عيينة: (هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تُرْوَى فِي الرُّؤْيَةِ؟ فَقَالَ:" حَقٌّ عَلَى مَا سَمِعْنَاهَا مِمَّنْ نَثِقُ بِهِ).

ثم ذكر بعد ذلك أيضًا نفس الأدلة التي تكلمنا عنها ونقل عن الإمام أحمد بن حنبل بأنه قال:(مَنْ قَالَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ فَقَدْ كَفَرَ , عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ)، ثم استدل بالآيات التي قد بيناها وذكرناها تفصيلًا.

أيضًا الذي يليه، ذكر أن: قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ , وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين:15] وهنا كأن الإمام يشير إلى مسألة انكار الجهمية أنها قالت: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ , وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين: 15] فَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرَى. ثم أيضًا بيَّن باقي الأدلة في ذلك.

ثم نقل عن عبد الله بن المبارك: (إِنَّا لَنَحْكِي كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى, وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ)، هو هنا أصَّل فقط وبيَّن لنا أيضًا بشر المريسي فقال هنا أيضًا لا ينقل كلامه وكل هذا تأصيل أو تثبيت لأن الجهمية قالوا بنفي الرؤية، وإن كان ما ذكر لنا أدلتهم في ذلك ولكن سنبينها إن شاء الله، لكن الأول نتدبر الآثار التي نُقلت.

ثم أيضًا نقل نفس الآيات:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22-23] إلى غير ذلك، كل هذا ينقل عن السلف في اثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة. ثم أتى أيضًا بـ {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس:26] ، وباقي هذه الأدلة على ذلك.

هو سيأتي نهاية بأدلة الجهمية في نفي الرؤية سيختم بها الكتاب آخر شيء، فحتى لا نسبق سيأتي في آخر الباب يبين أدلة الجهمية دعونا نسير مع النقل الذي نقله تأكيدًا ثم إن شاء الله عز وجل لو تبقى وقت سنذكر أدلة الجهمية، وإلا سنُرجئ أدلة الجهمية – التي سيذكرها – مع الأشاعرة والرد عليهم لأنها تحتاج لبيان تفنيد آرائهم. لكن نكمل القراءة في النقل الذي سينقله عن الصحابة ثم التابعين حتى نصل إن شاء الله إلى كلامه عن أدلة الجهمية ونحاول أن نبين فيها.

فَمِمَّا رَوَى جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ:

592 – حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحَوَّانِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ الدُّولَابِيُّ قَالَ: نا وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ قَالَ: نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ , عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ , عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ فَتَرَوْنَهُ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ, لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ , فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»

594 – وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ قَالَ: نا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ قَالَ: نا شُعْبَةُ وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ النَّيْسَابُورِيُّ قَالَ: نا أَبُو الْأَزْهَرِ قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحٌ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا} [طه: ١٣٠] قَالَ نا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي خَالِدٍ قَالَ: سَمِعْتُ قَيْسَ بْنَ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ , لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ , فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ} [ق: ٣٩] "

وَهَذَا لَفْظُ حَدِيثِ النَّيْسَابُورِيِّ

وَمِمَّا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

596 - أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ قَالَ: نا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ, عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ, عَنْ أَبِيهِ, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ, لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ, لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ, إِلَّا كَمَا لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا»

نتجاوز عن الذي يليه نفس الرواية تقريبًا وأيضًا الذي يليه، ثم رواية (599):

599 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصَفًّى قَالَ: حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ, عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ, عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سُوقِ الْجَنَّةِ, قُلْتُ: وَفِيهَا سُوقٌ؟ قَالَ: نَعَمْ, أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ, فَيُؤْذَنُ لَهُمْ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا, فَيَزُورُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ, فَيَبْرُزُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ عَنْ عَرْشِهِ, وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَيُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ, وَمَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ, وَمَنَابِرُ مِنْ يَاقُوتٍ, وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ, وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ, وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِيءٌ عَلَى كُثْبَانِ الْمِسْكِ وَالْكَافُورِ, وَمَا يَرَوْنَ أَصْحَابَ الْكَرَاسِيِّ بِأَفْضَلَ مِنْهُمْ مَجْلِسًا» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ, هَلْ نَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ؛ هَلْ تُمَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قُلْنَا: لَا, قَالَ: «فَكَذَلِكَ لَا تُمَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ

مِمَّا رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

600 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ حَمَّادٍ زُغْبَةُ قَالَ: أَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ, عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ, عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ, عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ, عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ, عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ, أَنَرَى رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَحْوٌ؟» قُلْنَا: لَا قَالَ: " هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ أَوْ قَالَ: صَحْوٌ؟ " قُلْنَا: لَا قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَئِذٍ, إِلَّا كَمَا لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا»

601- وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي دَاوُدَ أَيْضًا قَالَ: حَدَّثَنَا عَمِّي مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ , وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَصْبَهَانِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ , عَنِ الْأَعْمَشِ , عَنْ أَبِي صَالِحٍ , عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ , أَنَرَى رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ فِي غَيْرِ سَحَابٍ؟» قُلْنَا: لَا؛ قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فِي غَيْرِ سَحَابٍ؟» فَقُلْنَا: لَا قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ , كَمَا لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا»

وَمِمَّا رَوَاهُ صُهَيْبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

602 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ الْوَرَّاقُ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ , عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ , عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى , عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ نُودُوا: أَنْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ , إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَوْعِدًا لَمْ تَرَوْهُ"؛ قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ وَتُزَحْزِحْنَا عَنِ النَّارِ؟ وَتُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى , فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦]

انظروا هذا تفسير الحديث للآية، {لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ} [يونس:26] ، فسرها النبي ﷺ، وقلنا أن تفسير النبي ﷺ يُقدَّم على غيره من التفسيرات.

603 - حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ ذَرِيحٍ الْعُكْبَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ , عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ , عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى , عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] ثُمَّ قَالَ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ , وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ , نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ فَيَقُولُونَ: مَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَوَازِينَنَا , وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ , وَيُخْرِجْنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ قَالَ: «فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ , وَهِيَ الزِّيَادَةُ»

604 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ نا يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ قَالَ: نا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ قَالَ نا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ , عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ , عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى , عَنْ صُهَيْبٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مَوْعِدًا" فَيَقُولُونَ: مَا هُوَ؟ أَلَيْسَ قَدْ بَيَّضَ وُجُوهَنَا وَثَقَّلَ مَوَازِينَنَا وَأَدْخَلَنَا الْجَنَّةَ فَيُقَالُ: إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا (قَالَ) فَيَتَجَلَّى لَهُمْ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ"

وَمِمَّا رَوَى أَبُو رَزِينٍ الْعُقَيْلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

605 – حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ: قَالَ نا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَنَا عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ اللَّاحِقِيُّ قَالَ: نا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ: أَنَا يَعْلَى بْنُ عَطَاءٍ , عَنْ وَكِيعِ بْنِ عُدُسٍ , عَنْ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَكُلُّنَا يَرَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قَالَ: «يَا أَبَا رَزِينٍ أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَرَى الْقَمَرَ مُخْلِيًا بِهِ؟» قُلْتُ: بَلَى قَالَ: «فَاللَّهُ أَعْظَمُ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

هنا مهمة هذه الرواية مع الرواية الأولى التي كانت (سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ) هنا النبي ﷺ شبَّه رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة برؤية القمر ليلة البدر أو رؤية الشمس في النهار، هذا تشبيه الرؤية بالرؤية وليس المرئي بالمرئي، لأن البعض يظن خطأ يفهم أن الله سيُرى على هيئة القمر أو على هيئة الشمس! فهذا ليس تشبيه المرئي بالمرئي، النبي ﷺ قال: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ) فهنا تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح، لأنه قال:(يَا أَبَا رَزِينٍ أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَرَى الْقَمَرَ مُخْلِيًا بِهِ؟) أي أنت الآن لما بترى القمر هل بينك وبينه أحد؟ لا. فهو يريد أن يقول هنا كيفية الرؤية أنك مخليًا بك، كذلك الله عز وجل ستراه مخليًا به سبحانه وتعالى، وأيضًا وضوح الرؤية في القمر وفي الشمس كذلك سترى الله عز وجل بهذا الوضوح، أنت الآن لو القمر فوق 100 مليون واحد يريدون أن يشاهدوا القمر، فكأنك أنت الوحيد الذي يرى القمر، لذلك قال: (لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ) أي لا أحد يشارككم ولا ينازعكم، كذلك أنت سترى الله عز وجل لا ينازعك أحد كأنك مخليًا به سبحانه وتعالى، لكن المقصود هنا مهم جدًا التشبيه تشبيه الرؤية بالرؤية وليس المرئي بالمرئي حتى ما أحد يظن بأنه الرؤية فيها تجسيم أو تشبيه – حاشاه ذلك – لكن أردنا أن نبينها.

606 – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ قَالَ: نا أَبُو دَاوُدَ يَعْنِي الطَّيَالِسِيَّ قَالَ: نا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ , عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ , عَنْ وَكِيعِ بْنِ عُدُسٍ , عَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كُلُّنَا يَرَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: مَا آيَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَرَى

الْقَمَرَ مُخْلِيًا بِهِ؟» قُلْتُ: بَلَى قَالَ: «فَاللَّهُ أَعْظَمُ»

وَمِمَّا رَوَى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

607- حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: نا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ: نا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ, عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ, عَنْ عُمَارَةَ الْقُرَشِيِّ, عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى قَالَ: وَفَدْتُ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ, وَكَانَ الَّذِي يَعْمَلُ فِي حَوَائِجِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ, فَلَمَّا قَضَيْتُ حَوَائِجِي أَتَيْتُهُ فَوَدَّعْتُهُ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ, ثُمَّ مَضَيْتُ, فَذَكَرْتُ حَدِيثًا حَدَّثَنِي بِهِ أَبِي أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُحَدِّثَهُ بِهِ, لِمَا أَوْلَانِي مِنْ قَضَاءِ حَوَائِجِي, فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ, فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: لَقَدْ رَدَّ الشَّيْخَ حَاجَةٌ فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنْهُ قَالَ: مَا رَدَّكَ؟ أَلَيْسَ قَدْ قَضَيْتَ حَوَائِجَكَ؟ قُلْتُ بَلَى, وَلَكِنَّ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي, سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُحَدِّثَكَ بِهِ لِمَا أَوْلَيْتَنِي قَالَ: ...

انظر.. يكافئه بحديث النبي ﷺ، فهو ساعده في قضاء الحوائج فلما أراد أن يكافئه لم يكافئه بهدية أو بشيء من الدنيا، لا، بل كافئه بأعظم شيء بأن يحدثه بحديث سمعه عن أبيه أبو موسى؛ هو أبو بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عن أبي موسى ورحم الله أبو بردة، فأراد أن يكافئه بحديث النبي ﷺ، وهذه نعم المكافأة أنك تكافئ أحد فتعلمه شيئًا، تروي له شيئًا، أو تخبره عن مسألة من المسائل أعظم المكافأة تكون.

قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مُثِّلَ لِكُلِّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا, فَيَذْهَبُ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا, وَيَبْقَى أَهْلُ التَّوْحِيدِ, فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا تَنْتَظِرُونَ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: إِنَّ لَنَا رَبًّا كُنَّا نَعْبُدُهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ نَرَهُ قَالَ وَتَعْرِفُونَهُ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ, فَيُقَالُ: وَكَيْفَ تَعْرِفُونَهُ وَلَمْ تَرَوْهُ؟ قَالُوا: إِنَّهُ لَا شِبْهَ لَهُ فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ, فَيَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا, وَيَبْقَى قَوْمٌ فِي ظُهُورِهِمْ مِثْلُ صَيَاصِي الْبَقَرِ, فَيُرِيدُونَ السُّجُودَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ, فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ} [القلم: ٤٢] فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ, فَقَدْ جَعَلْتُ بَدَلَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ

وَالنَّصَارَى فِي النَّارِ " فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَحَدَّثَكَ أَبُوكَ هَذَا الْحَدِيثَ , سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَحَلَفت لَهُ ثَلَاثَةَ أَيْمَانٍ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَا سَمِعْتُ فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ حَدِيثًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ هَذَا

طبعًا هذا الحديث العظيم الذي قلناه في مسألة يوم القيامة في العُرصات يستدل به على أن المنافقين أيضًا بعضهم قال أنهم ينظرون، قال: **(فَيَنْظُرُونَ)**. هو هنا طبعًا الإشكال كله لما يرفع الله عز وجل الحجاب فالمؤمن سينظر فيعلم أنه الله فيسجد، والمنافق بعضهم قالوا أنه لا يستطيع أن يعلم لأنه لم يكن يعلم الله عز وجل، لأنه في أول الحديث قال أبينكم وبينه علامة؟ فمن الذي قال؟ أهل الإيمان، قالوا نعم نعرف ربنا، لذلك لما يُكشَف الحجاب سينظرون هم ويعلمون. لذلك استدل جمهور أهل العلم على أن الذي ينظر فقط أو يرى هم المؤمنون على هذه الدلالة؛ العلامة، لأنه لن يستطيع المنافق أن يعلم، فالمنافق لن يستطيع، لكن يجد أهل الإيمان يسجدون فيحاول أن يسجد، فلذلك قالوا لن يرى. والذين قالوا المنافق يرى قالوا مادام رُفِع الحجاب فالكل سيرى لكن الفرق طبعًا في متعة الرؤية، حتى نبين الخلاف في المسألة هنا.

لكن هنا طبعًا يوجد أمر يهمنا جدًا في مسألة الصفات؛ بأنه لما قرأ الحديث وطبعًا هو ذكر الرواية هذه لأبي نعيم في الحلية قال الآية: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ} [القلم: 42] ، فهنا كأنك تستدل بالحديث مع الآية على اثبات صفة الساق، لكن الآية المنفردة لا تساعدك، لماذا؟ لأن قوله: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ} لم تضاف إلى الله، لذلك كل كتب التفسير تراها يكشف عن الساق يوم الهول، يوم الفزع، ويوم كذا وكذا، قلنا نعم أثر الصفة لا نقول بها، ولن نستطيع أن نثبت الساق من الآية فقط، لكن بالأحاديث مع ذكر الآية دل ذلك على أن الحديث يفسر الآية، وأيضًا في الحديث أنه قال يكشف الله عن ساقه، تصريحًا في الحديث.

فبعض الطلبة يستدلوا بالآية مباشرة! وبعض الأشاعرة أوقف طالب وقال له صفة الساق، أراد أن يمتحنه، قال له نعم صفة الساق وأتى بالآية، قال طيب افتح الكتب ابن كثير والقرطبي وكله، فالولد جاء حتى وتغير لونه، وقال يا شيخ وجدت كل التفاسير بتقول أن الساق ليس المقصود بها الصفة، قلت له نعم الآية ليست فيها اثبات على الساق تصريحًا، لكن لابد ترجع للحديث لأن الساق ليست مضافة إلى الله هنا في الآية، فممكن تحتمل في المعنى بأن الساق هو ساق الله لكن لابد من تقييد من حديث أو دليل آخر، أو شدة الهول نعم والفزع والخوف في

هذا الموقف. فهم لو أرادوا أن يشكلوا على طالب علم غير مدقق فيزعجه بذلك، لكن طبعًا الذي أتقن فيستطيع أن يرد وبالحديث هذا الذي فيه الصفة.

608 - حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: نا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: نا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى قَالَ: نا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ , عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ , عَنْ عُمَارَةَ بْنِ مُوسَى الْقُرَشِيِّ , عَنْ أَبِي بُرْدَةَ , عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَجْمَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ , فَإِذَا بَدَا لَهُ أَنْ يَصْدَعَ بَيْنَ خَلْقِهِ مَثَّلَ لِكُلِّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ , فَيَتْبَعُونَهُمْ حَتَّى يُقْحِمُوهُمُ النَّارَ , ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَنَحْنُ عَلَى مَكَانٍ رَفِيعٍ , فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَنَقُولُ: نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ فَيَقُولُ: مَا تَنْتَظِرُونَ؟: قَالُوا: نَنْتَظِرُ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَهُ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ , فَيَقُولُ: كَيْفَ تَعْرِفُونَهُ وَلَمْ تَرَوْهُ؟ فَيَقُولُونَ: إِنَّهُ لَا عَدْلَ لَهُ , فَيَتَجَلَّى لَهُمْ ضَاحِكًا فَيَقُولُ: أَبْشِرُوا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ , فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا جَعَلْتُ مَكَانَهُ فِي النَّارِ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا"

609 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى بْنِ كَثِيرٍ الْعَنْبَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي يَحْيَى بْنُ كَثِيرٍ قَالَ: نا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ , عَنْ أَبِيهِ , عَنْ أَسْلَمَ الْعِجْلِيِّ , عَنْ أَبِي مُرَايَةَ , عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَيْنَا هُوَ يُعَلِّمُهُمْ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ: إِذْ شَخَصَتْ أَبْصَارُهُمْ فَقَالَ: «مَا أَشْخَصَ أَبْصَارَكُمْ؟» قَالُوا: نَظَرْنَا إِلَى الْقَمَرِ قَالَ: «فَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَهْرَةً»

وَمِمَّا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

610 - حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عَوْفٍ الْبُزُورِيُّ قَالَ: نا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَدَنِيُّ , عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ أَبِي الْمُسَاوِرِ , عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو , عَنْ قَيْسِ بْنِ سَكَنٍ , وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَجْمَعُ الْأُمَمَ , فَيَنْزِلُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَرْشِهِ إِلَى

كُرْسِيِّهِ, وَكُرْسِيُّهُ وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ , فَيَقُولُ لَهُمْ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَتَوَلَّى كُلُّ أُمَّةٍ مَا تَوَلَّوْا فِي الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ , فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعَدْلٌ ذَلِكَ مِنْ رَبِّكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: نَعَمْ قَالَ: فَيُمَثَّلُونَ لَهُمْ , فَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَمْسًا مُثِّلَتْ لَهُ , وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ مُثِّلَ لَهُ الْقَمَرُ , وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ النَّارَ مُثِّلَتْ لَهُ النَّارُ , وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ صَنَمًا مُثِّلَ لَهُ , وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عِيسَى مُثِّلَ لَهُ عِيسَى , وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عُزَيْرًا مُثِّلَ لَهُ عُزَيْرٌ ,...

طبعًا هنا مُثِّل له كعيسى، لأن هذا إشكال؛ فالمشركين قالوا لما ذكر لهم النبي ﷺ {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ} [الأنبياء:64] فجاء المشركون استشكلوا على النبي ﷺ طيب الذين يعبدون عيسى؟ فقال لهم {إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء: 101] ، فلا يمكن لعيسى وعزير ولا الملائكة حتى الذين عُبدوا، فالله يُمثِّل مثلهم ويجعله يُكوَّر وينزل في النار، حتى لا يظن أحد كما استشكل أهل الشرك على النبي ﷺ أن عيسى والعزير يمسهم شيء! لا، حاشاهم ذلك.

ثُمَّ يُقَالُ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مِنْكُمْ مَا تَوَلَّوْا فِي الدُّنْيَا , حَتَّى يُورِدُهُمُ النَّارَ قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: {ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ} [يونس: ٢٨] إِلَى قَوْلِهِ: {إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ} [يونس: ٢٩] وَتَبْقَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا تَنْتَظِرُونَ؟ قَالُوا: إِنَّ لَنَا رَبًّا لَمْ نَرَهُ بَعْدُ فَيُقَالُ لَهُمْ: أَتَعْرِفُونَهُ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ؟ فَيَقُولُونَ: بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ عَلَامَةٌ قَالَ: فَذَلِكَ حِينَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ قَالَ: فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجُودًا طَوِيلًا قَالَ: وَيَبْقَى قَوْمٌ ظُهُورُهُمْ كَصَيَاصِي الْبَقَرِ , يُرِيدُونَ السُّجُودَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ قَالَ: فَيُقَالُ لَهُمْ: ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ , وَخُذُوا نُورَكُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِكُمْ «وَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى آخِرِهِ»

وَمِمَّا رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

611 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا عَمِّي مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ قَالَ: نا حَسَنُ بْنُ حَسَنٍ قَالَ: نا أَبِي حَسَنٌ , عَنِ الْحَسَنِ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ , عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ فِي رِمَالِ الْكَافُورِ , وَأَقْرَبُهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا: أَسْرَعُهُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ , وَأَبْكَرُهُمْ غُدُوًّا "

وَمِمَّا رُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

612 - حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ زَاطِيَا قَالَ: نا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ النَّرْسِيُّ قَالَ: نا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ قَالَ: نا جَهْضَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو ظَبْيَةَ , عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عُمَيْرٍ , عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي كَفِّهِ مِرْآةٌ بَيْضَاءُ , فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ؛ فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ لِيَكُونَ لَكَ عِيدًا , وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ , تَكُونُ أَنْتَ الْأَوَّلَ , وَتَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ قَالَ: قُلْتُ: مَا لَنَا فِيهَا؟ قَالَ: لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ , لَكُمْ فِيهَا سَاعَةٌ: مَنْ دَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا بِخَيْرٍ هُوَ لَهُ قُسِمَ إِلَا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى , أَوْ لَيْسَ لَهُ قُسِمَ إِلَا ذُخِرَ لَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ , أَوْ تَعَوَّذَ فِيهَا مِنْ شَرِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ إِلَا أَعَاذَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَعْظَمَ مِنْهُ , قُلْتُ: مَا هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ فِيهَا؟ قَالَ: هِيَ السَّاعَةُ تَقُومُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ , وَهُوَ سَيِّدُ الْأَيَّامِ عِنْدَنَا , وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ: يَوْمَ الْمَزِيدِ قَالَ: قُلْتُ: وَلِمَ تَدْعُونَهُ يَوْمَ الْمَزِيدِ؟ قَالَ: إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أَفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ , فَإِذَا كَانَ الْجُمُعَةُ نَزَلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَى كُرْسِيِّهِ , ثُمَّ حَفَّ الْكُرْسِيَّ بِمَنَابِرَ مِنْ نُورٍ , ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّونَ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا ثُمَّ حَفَّ الْمَنَابِرَ بِكَرَاسِيَّ مِنْ ذَهَبٍ , ثُمَّ جَاءَ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا ثُمَّ يَجِيءُ أَهْلُ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَى الْكَثِيبِ ثُمَّ يَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ فَيَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِهِ عَزَّ وَجَلَّ , وَهُوَ يَقُولُ: أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعْدِي , وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي: وَهَذَا مَحِلُّ كَرَامَتِي , فَسَلُونِي , فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا, فَيَقُولُ: رِضَايَ عنكم أَحْلَلْتُكُمْ دَارِي , وَأَنَالَكُمْ كَرَامَتِي , فَسَلُونِي بِهِ , فَيَسْأَلُونَهُ , حَتَّى تَنْتَهِيَ رَغْبَتُهُمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ , وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ , وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ , إِلَى مِقْدَارِ مُنْصَرَفِ النَّاسِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ , ثُمَّ يَصْعَدُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُرْسِيِّهِ , وَيَصْعَدُ مَعَهُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ , وَيَرْجِعُ أَهْلُ الْغُرَفِ إِلَى غُرَفِهِمْ دُرَّةً بَيْضَاءَ , لَا فَصْمَ فِيهَا وَلَا فَصْلَ , أَوْ يَاقُوتَةً حَمْرَاءَ, أَوْ زَبَرْجَدَةً خَضْرَاءَ , فِيهَا ثِمَارُهَا , وَفِيهَا أَزْوَاجُهَا وَخَدَمُهَا , فَلَيْسُوا إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ , لِيَزْدَادُوا مِنْهُ كَرَامَةً , وَلِيَزْدَادُوا نَظَرًا إِلَى وَجْهِهِ عَزَّ وَجَلَّ , وَلِذَلِكَ يُسَمَّى يَوْمَ الْمَزِيدِ " أَوْ كَمَا قَالَ

نقف عند ما روى جابر رضي الله عنه.

قبل أن نختم سنذكر سريعًا الأدلة التي عند المخالف حتى إن شاء الله الأسبوع القادم نفصل فيها ونرد حتى ما أترككم هكذا.

نحن الآن بينا الأدلة عند أهل السنة والجماعة في اثبات الرؤية،،

لكن **المخالف على فريقين:**

المذهب الأول: فريق أنكر رؤية المؤمنين لربهم بالكلية وهم **المعتزلة**، وقبل المعتزلة الجهمية ومع المعتزلة الخوارج أيضًا قالوا بهذا القول؛ نفو الرؤية للمؤمنين، والإمامية الإثني العشرية والروافض أيضًا كلهم حتى الزيدية أيضًا أنكروا الرؤية كقول المعتزلة، وعندهم أدلة سأبينها.

المذهب الثاني: **الأشاعرة**؛ وهم الذين أثبتوا الرؤية ولكن قالوا الرؤية ليست إلى جهة؛ وانتبهوا.. **جعلوا الرؤية ادراكًا**، لذلك نحن قلنا من أول محاضرة اليوم أن الرؤية عند أهل السنة والجماعة رؤية بالعينين؛ رؤية إبصار، لكن الأشاعرة أثبتوا أن هناك رؤية، لم يستطيعوا أن ينكروا فالآيات موجودة لكن قالوا الرؤية رؤية ادراك، ماذا يعني ادراك؟ أي رؤية كأنها ليست بصر، ليس بعينيك تنظر، لا، بل تدرك فقط، وقالوا الرؤية ليست إلى جهة، وهذا طبعًا أضعف ما يكون ولن نستفيض معهم لأن ما عندهم أدلة أصلًا إلا أدلتهم الأصلية في عدم اثبات علو الله عز وجل فوق السبع سماوات وعلى العرش استوائه، فجعلوا أنه لا يمكن أن تكون الرؤية إلى جهة، فلو قلت إلى جهة ستكون جسَّمت إلى غير ذلك من الأمور الواهية جدًا. فأولًا جعلوا الرؤية ليست رؤية بصرية لأنك إن كنت لن ترى إلى جهة ولن ترى ذاتًا فتكون المسألة على ادراك! وهذا كلام باطل لا ينهض على قدميه.

لكن الأدلة التي عند المعتزلة سنلخص ثلاث أدلة الآن نذكرهم سردًا ونفصل إن شاء الله بعد ذلك:

الدليل الأول: قالوا بأن الله عز وجل نفى امكانية الرؤية على التأبيد في الدنيا والآخرة لما سأل موسى عليه السلام قال:{ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي} [الأعراف: 143] ، وقالوا (لن) تفيد التأبيد، و {لَن تَرَىٰنِي} أي لن تراني لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهذا دلالة على أن الله عز وجل لا يُرى في الدنيا ولا يُرى في الآخرة.

الدليل الثاني: قالوا بأن الأدلة التي عندكم :{وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ} [القيامة:22-23] قالوا أن هنا النظر هو الإنتظار؛ أي أن الوجوه منتظرة ثواب الله عز وجل، منتظرة نعيم الله عز وجل، منتظرة الفرج والفرح من الله عز وجل.

واستدلوا بقول الشاعر قال:

(وجوه يـــوم بدر ناظرات ..... إلى الرحمن يأتي بالفلاح)

فقالوا هنا "وجوه يومئذ ناظرات" أي منتظرات. ونحن نوصل فقط الأدلة وسنرد الأسبوع القادم.

الدليل الثالث: قالوا :{ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ} [الأنعام: 103] ، فنفى أن يُدرك الله عز وجل بالبصر، فقالوا هذا دلالة على نفي رؤية المؤمنين لربهم؛ سواء كانت رؤية في الدنيا أو رؤية في الآخرة.

هذه أدلة القول، وطبعًا الأدلة سيُرَد عليها، لكن نحن بينا الآن قول أهل السنة والجماعة بأدلتهم، ثم المخالف الذين قالوا بالإنكار المعتزلة بأدلتهم، والأشاعرة بينا على تأصيلهم أيضًا، سنرد إن شاء الله الأسبوع القادم، ونختم الباب الأسبوع القادم بما تبقى من آثار نقرأها ثم نرد على المخالف في مسألة الأدلة التي استدل بها، ونبين بعض المسائل ختامًا في مسألة الرؤية؛ هل الرؤية أصالة للناس جميعًا في الجنة؛ أي إنس وجن سيرون الله عز وجل؟ أم الرؤية خاصة بالإنس فقط؟ أيضًا لو كنا نتكلم عن رؤية الله عز وجل في الجنة، طيب في الدنيا هل الرؤية المنفية في الدنيا رؤية يقظة ومنامًا؟ وهل النبي ﷺ قد رأى ربه في المعراج أم لم يرى ربه؟ هذا الخلاف الذي ورد عند بعض الصحابة في ذلك، سنتعرض له إن شاء الله استكمالًا لمسائل الرؤية، ثم نختم بها الباب إن شاء الله.

نقف عند ذلك.

المحاضرة الثانية والخمسون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للآجري، وما زلنا في باب رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة – أسأل الله عز وجل أن يرينا جميعًا ربنا يوم القيامة رؤية الرضا والمحبة والإنعام والإكرام منه سبحانه وتعالى.

كنا قد بينا الأسبوع الماضي الأدلة على رؤية المؤمنين لربهم وهي متواترة من الكتاب ومن السنة، وبينا فيها وجوه الاستدلال، وأن هناك من خالف أهل السنة والجماعة في الرؤية؛ فمنهم الذين نفوا الرؤية بالكلية وهم المعتزلة والجهمية، ومنهم الذين أثبتوا الرؤية لكن أثبتوها على خلاف اثبات أهل السنة والجماعة وهم الأشاعرة الذين قالوا لا يُرى إلى جهة، ونفوا أن تكون الرؤية بصرية أي بالعينين، لأن الرؤية البصرية تستلزم الجهة، وهم ينفون عن الله عز وجل الجهة، لا يثبتون العلو، ولا يثبتون الجهة، فمع أنهم قالوا بالرؤية ظنًا منهم أنهم يخالفون المعتزلة لأن الآيات والأحاديث تدل على الرؤية، لكنهم لم يثبتون الرؤية البصرية للعينين،

وقالوا الرؤية لا تكون إلى جهة، وهذا كلام ضحك عليهم المعتزلة في هذا الكلام لأنه كلام لا يقبله العقل. لكن المعتزلة لهم أدلة – أو شبهات لأن كلمة" أدلة" ليست في محلها– على أنهم يقولون بعدم جواز الرؤية. وأنا أريد أن أراجع فقط أولا نقول الأدلة على جواز رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة حتى دائمًا ما نبين أصولنا ثم نبين أدلة المخالف.

أدلة أهل السنة والجماعة على جواز رؤية المؤمنين ربهم ذكرنا أربع أو خمس أدلة تقريبًا نريد سردها سريعًا حتى نستحضرها، ثم أدلة المخالف؛

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22-23] ، هذا الدليل الأول. وحديث رؤية المؤمنين لربهم كرؤية القمر في وضوحه لما سُئل النبي ﷺ هل سنرى ربنا؟ قال: **[هل تُضارُّونَ في رؤيةِ الشَّمسِ في الظَّهيرةِ ليسَت في سحابةٍ ؟ قالوا: لا ، قالَ: هل تُضارُّونَ في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البدرِ ليسَ في سَحابةٍ ؟ قالوا: لا ، قالَ: والَّذي نَفسي بيدِهِ لا تضارُّونَ في رؤيتِهِ إلَّا كما تضارُّونَ في رؤيةِ أحدِهِما]**. وعندنا أدلة أخرى من الكتاب:{ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس:26] ، هذا منطوق، وقلنا بأن تفسير النبي ﷺ أن (الزيادة) هي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، و(الحسنى) هي الجنة، على اختلاف، لكن هذا تفسير النبي ﷺ هو أولى فيُقدَّم. وعندنا:{كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} [المطففين:15 هذا جاء بحق الكفار؛ إذًا مفهوم مخالفة أن المؤمنين لن يُحجبوا عن ربهم يوم القيامة. وأيضًا:{عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ} [المطففين: 35] ، هذه فيها عموم النظر، حذف المعمول فيدخل فيه النظر إلى وجه الله عز وجل، والنظر إلى الجنة إلى غير ذلك. وأيضًا: {لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: 35] ، قالوا المزيد رؤية المؤمنين لوجه ربهم. وأيضًا: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ} [الأحزاب:44] فاللقيا تستلزم الرؤية. هذه أدلة أهل السنة والجماعة التي استحضرناها الآن.

الأدلة التي قلناها للمخالفين: قول الله عز وجل عن موسى عليه السلام: {قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي} [الأعراف: 143] ، فهم استدلوا بقول الله عز وجل لموسى لما طلب الرؤية قال: {لَن تَرَىٰنِي} استدلوا بعموم نفي الرؤية، هذا الدليل الأول للمخالفين من المعتزلة والجهمية وغير ذلك الذين نفوا رؤية المؤمنين لربهم. قالوا أيضًا:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22-23] قالوا:{ نَاظِرَة} بمعنى "منتظرة"، هذا الدليل الثاني. والدليل الثالث:{ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ} [الأنعام: 103] ، هذا من أهم الأدلة عندهم. فأصبح هذه ثلاثة أدلة بنفي رؤية المؤمنين لربهم.

وطبعًا نحن توقفنا عند الرد مازلنا لم نرد عليهم، لكن نكمل القراءة، من حديث (615)؛؛

وَمِمَّا رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

615 - حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ قَالَ: نا أَبُو عَاصِمٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْعَبَّادَانِيُّ قَالَ: نا الْفَضْلُ الرَّقَاشِيُّ, عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ, عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ طَلَعَ لَهُمْ نُورٌ, فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ فَإِذَا الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ؛ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ, وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ} [يس: ٥٨] قَالَ: «فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ, فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ, مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ, حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى, وَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ, وَفِي دِيَارِهِمْ»

616 - وَحَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ أَيْضًا قَالَ: نا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: نا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ, عَنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ, عَنِ الْحَسَنِ, عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ, عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ: جَاءَتْهُمْ خُيُولٌ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ, لَهَا أَجْنِحَةٌ, لَا تَرُوثُ وَلَا تَبُولُ, فَيَقْعُدُونَ عَلَيْهَا, ثُمَّ طَارَتْ بِهِمْ فِي الْجَنَّةِ, فَيَتَجَلَّى لَهُمُ الْجَبَّارُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا رَأَوْهُ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا, فَيَقُولُ لَهُمُ الْجَبَّارُ عَزَّ وَجَلَّ: ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ لَيْسَ هَذَا يَوْمُ عَمَلٍ, إِنَّمَا هُوَ يَوْمُ نَعِيمٍ وَكَرَامَةٍ, فَيَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ, فَيُمْطِرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ طِيبًا, فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ فَيَمُرُّونَ بِكُثْبَانِ الْمِسْكِ فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى تِلْكَ الْكُثْبَانِ رِيحًا فَيُهَيِّجُهَا؛ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ, وَإِنَّهُمْ لَشُعْثٌ غُبْرٌ مِنَ الْمِسْكِ "

الحديث الأول فيه ضعف، حتى شيخ الإسلام ابن تيمية قال فيه ما قال، وقال ابن كثير في اسناده نظر، وفيه "الفضل الرقاشي" قالوا ضعيف، لذلك ضعفه جُل أهل العلم. والاسناد الثاني أيضًا ضعيف جدًا أضعف من الأول؛ قالوا فيه "الحكم بن أبي خالد" وهو متروك ورُمي بالرفض؛ أي كان من الروافض، وفيه أيضًا "سويد بن سعيد" وهو أيضًا ضعيف.

617 - وَحَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: نا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ قَالَ: نا الْحَكَمُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ, عَنِ الْحَسَنِ, عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأُدِيمَتْ عَلَيْهِمُ الْكَرَامَةُ , جَاءَتْهُمْ خُيُولٌ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ لَهَا أَجْنِحَةٌ لَا تَبُولُ وَلَا تَرُوثُ , فَيَقْعُدُونَ عَلَيْهَا , ثُمَّ يَأْتُونَ الْجَبَّارَ عَزَّ وَجَلَّ , فَإِذَا تَجَلَّى لَهُمْ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا , فَيَقُولُ الْجَبَّارُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ فَقَدْ رَضِيتُ عَنْكُمْ رِضًا لَا سَخَطَ بَعْدَهُ , يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ , ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ فَإِنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ بِدَارِ عَمَلٍ إِنَّمَا هِيَ دَارُ مَقَامٍ وَدَارُ نُعَيْمٍ قَالَ: فَيَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ؛ فَيُمْطِرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ طِيبًا , فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ فَيَمُرُّونَ بِكُثْبَانِ الْمِسْكِ فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رِيحًا عَلَى تِلْكَ الْكُثْبَانِ فَتُهَيِّجُهَا فِي وُجُوهِهِمْ , حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَإِنَّهُمْ وَخُيُولُهُمْ , ذَكَرَ كَلِمَةً , لَشِبَاعٌ مِنَ الْمِسْكِ"

وهذا أيضًا فيه ضعف.

وَمِمَّا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

618 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُلَيَّةَ , عَنْ هِشَامٍ الدَّسْتُوَائِيِّ , عَنْ قَتَادَةَ , عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عُمَرَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "يَدْنُو الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ , فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ , فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ , فَيَقُولُ: فَإِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا الْيَوْمَ لَكَ , فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ , وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ: {هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ} [هود: ١٨]

619 -حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: نا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّازُ قَالَ: نا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: نا قَتَادَةُ , عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ: كُنْتُ آخِذًا بِيَدِ ابْنِ عُمَرَ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "يُدْنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ فَيَقُولُ: أَيْ عَبْدِي , تَعْرِفُ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ , أَيْ رَبِّ ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ عَبْدِي , تَعْرِفُ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ , حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: إِنَّهُ هَالِكٌ قَالَ اللَّهُ: فَإِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا , وَقَدْ غَفَرْتُهَا لَكَ الْيَوْمَ , وَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ"

620 - وَأَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدٍ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَرْبٍ الْقَاضِي قَالَ: نا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ قَالَ: نا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ , عَنْ ثُوَيْرِ بْنِ أَبِي فَاخِتَةَ , عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً: مَنْ يَنْظُرُ إِلَى خِيَامِهِ وَنَعِيمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ , وَأَكْرَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ عَزَّ وَجَلَّ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً "

621 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا الْمُسَيَّبُ بْنُ وَاضِحٍ قَالَ: نا حَجَّاجٌ , عَنْ إِسْرَائِيلَ , عَنْ ثُوَيْرِ بْنِ أَبِي فَاخِتَةَ , عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى قُصُورِهِ وَخِيَامِهِ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ , وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِقْدَارَ الدُّنْيَا غُدْوَةً وَعَشِيَّةً» , ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ عُمَرَ: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣]

ما رُوي الآن عن ابن عمر فيهما أيضًا أصحهما ما جاء في الصحيحين حديث (يَدْنُو الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ , فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ) ويأتي بكل ذنب فيقول أي عبد فعلت كذا وكذا؟ فيقول أي رب نعم، يقول الله عز وجل: (فَإِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا الْيَوْمَ لَكَ)، هذا في حق المؤمن، لذلك هو استدل هنا على أن اللقا وعلى أن الكلام وعلى أن التقرير فيه الرؤية. الأسبوع الماضي لما تكلمنا في مسألة رؤية الله عز وجل ستكون على محلين؛ رؤيتهم يوم القيامة هذه للمؤمنين رؤية النعيم لما يدخلوا، والرؤية الأخرى رؤية الحساب والاقرار بالصحائف، وهذه كما بينا تكون على عرصات يوم القيامة. ويستدل بهذا الحديث على ذلك في مسألة الرؤية. ويبين بأن المؤمن جزاءه فيه الغفران من الله عز وجل.

ما قبله كان من أسانيد أو من روايات فيها ما فيها اعتقد قد بيناها أيضًا. ثم أيضًا الذي قال فيه: (إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً) هذا فيه أيضًا رواة منهم متروكين وضعفاء وإن كان المعنى صحيح على مسألة أنه عنده النعيم والسرور والخيام يسير فيها مسيرة عظيمة جدًا، لكن هو استدل فيها على (وَأَكْرَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ عَزَّ وَجَلَّ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً)، وهذا قلنا الحديث لم يثبت لكنه يُستأنس به في مسألة النظر. وأيضًا الذي يليه في استدلال ابن عمر بالآية: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22-23] وأيضًا: (مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ)،

المعنى هذا قد جاء كما سيأتي في حديث شجرة طوبى وغير ذلك، وإن كان الحديث أيضًا فيه كلام في ثبوته لكن المعنى أيضًا كله يستأنس به على اثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

وَمِمَّا رَوَى عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ الطَّائِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

622 - حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَاهِينَ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ أَبُو أُسَامَةَ قَالَ: نا الْأَعْمَشُ قَالَ: نا خَيْثَمَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ, عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ الطَّائِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَا وَسَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ تَعَالَى لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلَا حَاجِبٌ يَحْجُبُهُ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَا شَيْئًا قَدَّمَهُ, ثُمَّ يَنْظُرُ أَيْسَرَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَا شَيْئًا قَدَّمَهُ, ثُمَّ يَنْظُرُ أَمَامَهُ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ, اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»

623 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو بَكْرٍ, وَعُثْمَانُ, ابْنَا أَبِي شَيْبَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ, عَنِ الْأَعْمَشِ, عَنْ خَيْثَمَةَ, عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ, لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ, فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَا شَيْئًا قَدَّمَهُ, ثُمَّ يَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَا شَيْئًا قَدَّمَهُ, وَيَنْظُرُ أَمَامَهُ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ, فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ»

طبعًا حديث عدي بن حاتم الطائي هذا متفق عليه في البخاري ومسلم؛ **(مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَا وَسَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ تَعَالَى لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلَا حَاجِبٌ)** إذًا ليس ترجمان بينه وبين ربه، ولا حاجب يحجبه عن الله، إذًا الكلام سيكون مباشرة بين العبد وبين الله عز وجل، إذًا سيرى العبد ربه، **(لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلَا حَاجِبٌ يَحْجُبُهُ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَا شَيْئًا قَدَّمَهُ, ثُمَّ يَنْظُرُ أَيْسَرَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَا شَيْئًا قَدَّمَهُ, ثُمَّ يَنْظُرُ أَمَامَهُ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ, اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)**. فهم يستدلون هنا مع الأدلة الأخرى التي قلناها حديث: "هل بينكم وبينه علامة؟" هذا الموقف موقف الرؤية في عرصات يوم القيامة رؤية الحساب، لذلك قال: **(اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)**.

وطبعًا القائم كله على مسألة النظر، هنا قال النظر، وهو ممكن هنا أن يستدل أيضًا في هذه المسألة لما يقول **(يَنْظُرُ)** إذًا المقصود بالنظر هنا الرؤية بالبصر، لأننا قلنا أن من بعض أدلة المعتزلة أنهم يقولون على أن النظر يقصد به "الانتظار"، وهنا فيه دلالة على أن النظر يقصد

به هنا الرؤية البصرية، لأن فعل النظر قد أتى في الشرع على أربعة أنواع؛ إما يأتي بمعنى **الانتظار**، ينظر بمعنى ينتظر، أو يأتي بمعنى **التفكر والتعقل**، أو يأتي بمعنى **الرحمة والعطف**، أو يأتي بمعنى **الرؤية البصرية**.

ففي الأولى مثلًا من قوله تعالى:{ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ } [الحديد: 13] ، فهنا {ٱنظُرُونَا } أي انتظرونا. والتعقل أو التدبر مثل:{ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ} [الأعراف: 185] . ثم النظر نظر العطف كما في سورة آل عمران {وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ } [آل عمران: 77] وهنا نفي نظر العطف والرحمة. والرابعة وهي نظر الرؤية البصرية وهي كما جاءت هنا: {وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22-23]، هنا جاء التعدي بـ (إلى)، أو من قوله تعالى أيضًا:{ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ } [الأنعام: 99] ، فهنا أيضًا نظر بصر.

فإذا تعدى الفعل النظر بـ (إلى) قالوا يفيد الرؤية، وأما إذا تعدى بـ (في) فيفيد التدبر والتعقل، واذا جاء الاستفهام مثلًا مع الاستثناء فهنا يفيد فيه معنى الانتظار مثلًا، أو غير ذلك. إذًا أربع معاني لفعل النظر.

لكن هنا لما جاء متعديًا بـ (إلى) فلا تفيد في {وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} إلا معنى الرؤية البصرية، وهم يريدوا أن يقولوا أنها بمعنى الانتظار، وهي ليست فيها الانتظار هنا، لأنه تعدى بـ (إلى)، ولو كان المسألة انتظار فالآية جاءت في معنى النعيم ومعنى المدح، والانتظار ليس فيه مدح أو نعيم بل فيه التوقف عن الاعطاء، فلا يناسب، هذا أولًا. وهنا مسألة {أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ} بمعنى التفكر والتعقل فليس في الدار الآخرة تدبر أو تعقل لأنها ليست دار عمل، بل هي دار جزاء، إذًا لا يستقيم أن نقول حتى بأن معنى النظر هنا التعقل أو التدبر أو التفكر. ولا نقول هنا نظر الرحمة أيضًا، لماذا؟ لأن الله عز وجل قال:{ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} من الذي ينظر؟ المخلوق، فلا يمكن أن يكون المخلوق ينظر إلى الخالق نظر رحمة! الأصل هو الذي بيكون من الخالق للمخلوق. إذًا المعنى الثالث غير متحقق. تبقى لنا المعنى الرابع وهو المتحقق؛ وهو أن النظر هنا المتعدي بـ (إلى) يفيد الرؤية ويفيد البصر. فأصبح هذا معنى {وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} أو لو جاء معنى النظر أنه يفيد الرؤية.

ويدل على ذلك أيضًا بأنه إذا ذُكِر الوجه يراد به الرؤية البصرية، أي هذا من اللزوم، قوله عز وجل في سورة البقرة:{ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ} [البقرة: 144]، هو أتى بالوجه على أنه كان ينظر إلى السماء ينتظر نزول الملك ليخبره بتغير القبلة، فالله عز وجل أخبره {قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ } وعبر عن الرؤية البصرية بالعينين بالوجه، فدل ذلك على أن الله عز وجل يريد بذكره للوجه أنه يراد به البصر؛ العينين.

إذًا {وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ} يريد هنا الرؤية البصرية، وهذه طبعًا فيها رد على سواء على المعتزلة الذين نفوا أصلًا الرؤية وقالوا بأن الناظرة بمعنى منتظرة، وسواء الأشاعرة الذين يقولون ليست رؤية بصرية لأنهم أصلًا لا يثبتون الجهة ولا العلو، فيريدون أن يجعلون الرؤية ليست بصرية. فنقول هنا أن المعنى لابد أن يكون المقصود به رؤية العينين، ليس إلا ذلك. فهذا معنى فعل النظر عندما يأتي بمعانيه الأربعة، وما يراد به في هذه الآيات هو النظر بصريًا إلى الله عز وجل بالعينين.

لعلنا رددنا على دليل من أدلتهم، سنأخذ الأدلة تباعًا؛ أخذنا مسألة أن النظر عندهم بمعنى الانتظار.

نكمل إن شاء الله القراءة؛؛

حَدِيثُ شَجَرَةٍ طُوبَى

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَعَدَّ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكَرَامَاتِ فِي الْجَنَّةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ عَزَّ وَجَلَّ , وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ مِمَّا أَكْرَمَهُمْ بِهِ أَنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ} [الرعد: ٢٩] , وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَجَرَةِ طُوبَى , وَمِمَّا أَعَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا مِنْ كَرَامَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا يُكْرِمُهُمْ بِهِ مِنْ زِيَارَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى النُّجُبِ مِنَ الْيَاقُوتِ قَدْ نُفِخَ فِيهَا الرُّوحَ , فَيَزُورُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَيَتَجَلَّى لَهُمْ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ , وَيُكَلِّمُهُمْ وَيُكَلِّمُونَهُ , وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ , وَيَزِيدُ مِنْ فَضْلِهِ , وَأَنَا أَذْكُرُهُ لِيُقِرَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أَعْيُنَ الْمُؤْمِنِينَ , وَتَسْخُنَ بِهِ أَعْيُنَ الْمُلْحِدِينَ , وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ

624- أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا يَزِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ مَوْهَبٍ الرَّمْلِيُّ قَالَ: نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ , عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ , أَنَّ دَرَّاجًا أَبَا السَّمْحِ , حَدَّثَهُ؛ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ , عَنْ أَبِي

سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ , عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنَّ رَجُلًا قَالَ: طُوبَى لِمَنْ رَآكَ وَآمَنَ بِكَ فَقَالَ: «طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي , ثُمَّ طُوبَى , ثُمَّ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِي» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ " وَمَا طُوبَى؟ قَالَ: «شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ سَنَةٍ , ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا»

625 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سُلَيْمَانَ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: نا أَبُو طَالِبٍ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ عَاصِمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ الرَّمْلِيُّ , عَنْ زُرْعَةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ , عَنْ نَافِعٍ , عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طُوبَى فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ هَلْ بَلَغَكَ مَا طُوبَى؟» قَالَ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: " طُوبَى: شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا يَعْلَمُ مَا طُولُهَا إِلَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ , يَسِيرُ الرَّاكِبُ تَحْتَ غُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا , وَرَقُهَا الْحُلَلُ يَقَعُ عَلَيْهَا طَيْرٌ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ " قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ هُنَاكَ لَطَيْرًا نَاعِمًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَنْعَمُ مِنْهُ مِنْ يَأْكُلُهُ , وَأَنْتَ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَا أَبَا بَكْرٍ»

626 - حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ بْنِ بَدِينَا الدَّقَّاقُ إِمْلَاءً قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ: قَالَ: نا الْمُعَافَى بْنُ عِمْرَانَ , عَنْ أَبِي إِيَاسَ إِدْرِيسَ بْنِ سِنَانٍ , عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ , عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ إِدْرِيسُ: ثُمَّ لَقِيتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ فَحَدَّثَنِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَحَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُفَيْرٍ الْأَنْصَارِيُّ إِمْلَاءً قَالَ: نا إِسْحَاقُ بْنُ دَاوُدَ الْقَنْطَرِيُّ , عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ قَالَ: نا الْمُعَافَى بْنُ عِمْرَانَ قَالَ: نا إِدْرِيسُ بْنُ سِنَانٍ , عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ , عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ إِدْرِيسُ: ثُمَّ لَقِيتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ , فَحَدَّثَنِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يُقَالُ لَهَا: طُوبَى لَوْ يُسَخَّرُ لِلرَّاكِبِ الْجَوَادُ أَنْ يَسِيرَ فِي ظِلِّهَا لَسَارَ مِائَةَ عَامٍ قَبْلَ أَنْ يَقْطَعَهَا , وَرَقُهَا وَسَاقُهَا: بُرُودٌ خُضْرٌ , وَزَهْرَتُهَا وَرِيَاضُ صُفْرٌ , وَأَفْنَانُهَا سُنْدُسٌ وَإِسْتَبْرَقٌ , وَثَمَرُهَا: حُلَلٌ خُضْرٌ وَمَاؤُهَا: زَنْجَبِيلٌ وَعَسَلٌ , وَبَطْحَاؤُهَا: يَاقُوتٌ أَحْمَرُ , وَزَبَرْجَدٌ أَخْضَرُ , وَتُرَابُهَا: مِسْكٌ وَعَنْبَرٌ وَكَافُورٌ أَبْيَضُ , وَحَشِيشُهَا زَعْفَرَانٌ مُنِيرٌ , وَالْأُجُوجُ يَتَأَجَّجُ مِنْ غَيْرِ وَقُودٍ , وَيَتَفَجَّرُ مِنْ أَصْلِهَا أَنْهَارُ السَّلْسَبِيلِ وَالْمَعِينِ وَالرَّحِيقِ , وَظِلُّهَا مَجْلِسٌ مِنْ مَجَالِسِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمُتَحَدَّثٌ

لِجَمْعِهِمْ , فَبَيْنَا هُمْ فِي ظِلِّهَا يَتَحَدَّثُونَ؛ إِذْ جَاءَهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَقُودُونَ نُجُبًا خُلِقَتْ مِنَ الْيَاقُوتِ , ثُمَّ نُفِخَ فِيهَا الرُّوحُ مَزْمُومَةً بِسَلَاسِلَ مِنْ ذَهَبٍ , كَأَنَّ وُجُوهَهَا الْمَصَابِيحُ نَضَارَةً وَحُسْنًا , وَبَرُهَا مِنْ خَزٍّ أَحْمَرَ وَمِرْعِزًّى أَبْيَضَ , لَمْ يَنْظُرِ النَّاظِرُونَ إِلَى مِثْلِهَا حُسْنًا وَبَهَاءً وَجَمَالًا , ذُلُلًا مِنْ غَيْرِ مَهَابَةٍ , نُجُبًا مِنْ غَيْرِ رِيَاضَةٍ , عَلَيْهَا رِحَالٌ أَلْوَاحُهَا مِنَ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ , مُفَصصةٌ بِاللُّؤْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ , صَفَائِحُهَا مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ مُلْبَسَةٌ بِالْعَبْقَرِيِّ وَالْأُرْجُوَانِ , فَأَنَاخُوا إِلَيْهِمْ تِلْكَ النَّجَائِبَ , ثُمَّ قَالُوا لَهُمْ: إِنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ يُقْرِئُكُمُ السَّلَامَ , وَيَسْتَزِيدُكُمْ لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ , وَيَنْظُرَ إِلَيْكُمْ وَيُحَيِّيكُمْ وَتُحَيُّوهُ , وَيُكَلِّمُكُمْ وَتُكَلِّمُوهُ , وَيَزِيدُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَسَعَتِهِ , إِنَّهُ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَفَضْلٍ عَظِيمٍ , فَيَتَجَوَّلُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَلَى رَاحِلَتِهِ ثُمَّ انْطَلَقُوا صَفًّا وَاحِدًا مُعْتَدِلًا , لَا يَفُوتُ مِنْ شَيْءٍ شَيْئًا وَلَا يَفُوتُ أُذُنُ نَاقَةٍ أُذُنَ صَاحِبَتِهَا , وَلَا يَمُرُّونَ بِشَجَرَةٍ مِنْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَكْفَتْهُمْ بِثَمَرَتِهَا , وَرُحِّلَتْ لَهُمْ عَنْ طَرِيقِهِمْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تُثْلِمَ صَفَّهُمْ , أَوْ تُفَرِّقَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَرَفِيقِهِ , فَلَمَّا رُفِعُوا إِلَى الْجَبَّارِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى , أَسْفَرَ لَهُمْ عَنْ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ , وَتَجَلَّى لَهُمْ فِي عَظَمَتِهِ , فَحَيَّاهُمْ بِالسَّلَامِ , فَقَالُوا: رَبَّنَا أَنْتَ السَّلَامُ , وَمِنْكَ السَّلَامُ , وَلَكَ حَقُّ الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ , فَقَالَ لَهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِنِّي أَنَا السَّلَامُ , وَمِنِّي السَّلَامُ , وَلِي حَقُّ الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ , فَمَرْحَبًا بِعِبَادِيَ الَّذِينَ حَفِظُوا وَصِيَّتِي , وَرَعَوْا عَهْدِي وَخَافُونِي بِالْغَيْبِ , وَكَانُوا مِنِّي عَلَى وَجَلٍ مُشْفِقِينَ , فَقَالُوا: أَمَا وَعِزَّتِكَ وَعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ وَعُلُوِّ مَكَانِكَ , مَا قَدَرْنَاكَ حَقَّ قَدْرِكَ , وَمَا أَدَّيْنَا إِلَيْكَ كُلَّ حَقِّكَ , فَائْذَنْ لَنَا بِالسُّجُودِ لَكَ , فَقَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ وَضَعْتُ عَنْكُمْ مُؤْنَةَ الْعِبَادَةِ , وَأَرَحْتُ لَكُمْ أَبْدَانَكُمْ , فَطَالَمَا أَنْصَبَتْكُمُ الْأَبْدَانَ , وَأَعْنَيْتُمْ لِيَ الْوُجُوهَ , فَالْآنَ أَفْضُوا إِلَى رُوحِي وَرَحْمَتِي وَكَرَامَتِي , فَسَلُونِي مَا شِئْتُمْ , وَتَمَنَّوْا عَلَيَّ أُعْطِكُمْ أَمَانِيَّكُمْ , فَإِنِّي لَنْ أَجْزِيَكُمُ الْيَوْمَ بِقَدْرِ أَعْمَالِكُمْ , وَلَكِنْ بِقَدْرِ رَحْمَتِي وَكَرَامَتِي , وَطَوْلِي وَجَلَالِي , وَعُلُوِّ مَكَانِي , وَعَظَمَةِ سُلْطَانِي , فَلَا يَزَالُونَ فِي الْأَمَانِيِّ وَالْعَطَايَا وَالْمَوَاهِبِ , حَتَّى إِنَّ الْمُقْصِرَ مِنْهُمْ فِي أُمْنِيَّتِهِ لَيَتَمَنَّى مِثْلَ جَمِيعِ الدُّنْيَا مُنْذُ يَوْمِ خَلَقَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى يَوْمِ أَفْنَاهَا , فَقَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ: لَقَدْ قَصَّرْتُمْ فِي أَمَانِيِّكُمْ وَرَضِيتُمْ بِدُونِ مَا يَحِقُّ لَكُمْ , فَقَدْ أَوْجَبْتُ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَتَمَنَّيْتُمْ وَأَلْحَقْتُ لَكُمْ وَزِدْتُكُمْ مَا قَصُرَتْ عَنْهُ أَمَانِيُّكُمْ فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاهِبِ رَبِّكُمُ الَّتِي وَهَبَ لَكُمْ , فَإِذَا بِقِبَابٍ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى , وَغُرَفٍ مَبْنِيَّةٍ مِنَ الدُّرِّ وَالْمَرْجَانِ , وَإِذَا أَبْوَابُهَا مِنْ ذَهَبٍ , وَسُرُرُهَا مِنْ يَاقُوتٍ , وَفُرُشُهَا سُنْدُسٌ وَإِسْتَبْرَقٌ , وَمَنَابِرُهَا مِنْ نُورٍ , يَفُورُ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَعْرَاصِهَا نُورٌ , شُعَاعُ الشَّمْسِ

عِنْدَهُ مِثْلُ الْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ , فَإِذَا بِقُصُورٍ شَامِخَةٍ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ مِنَ الْيَاقُوتِ يُزْهِرُ نُورُهَا , فَلَوْلَا أَنَّهُ سَخَّرَهَا لَلَمِعَتِ الْأَبْصَارَ , فَمَا كَانَ مِنْ تِلْكَ الْقُصُورِ مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَبْيَضِ فَهُوَ مَفْرُوشٌ بِالْحَرِيرِ الْأَبْيَضِ , وَمَا كَانَ مِنْهَا مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ , فَهُوَ مَفْرُوشٌ بِالْعَبْقَرِيِّ الْأَحْمَرِ , وَمَا كَانَ مِنْهَا مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَخْضَرِ فَهُوَ مَفْرُوشٌ بِالسُّنْدُسِ الْأَخْضَرِ , وَمَا كَانَ مِنْهَا مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَصْفَرِ , فَهُوَ مَفْرُوشٌ بِأُرْجُوَانَ أَصْفَرَ , مَبْثُوثَةٌ بِالزُّمُرُّدِ الْأَخْضَرِ , وَالذَّهَبِ الْأَحْمَرِ وَالْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ , وَبُرُوجُهَا وَأَرْكَانُهَا مِنَ الْجَوْهَرِ , وَشُرُفُهَا قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ , فَلَمَّا انْصَرَفُوا إِلَى مَا أَعْطَاهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ , قُرِّبَتْ لَهُمْ بَرَاذِينُ مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَبْيَضِ , مَنْفُوخٌ فِيهَا الرُّوحُ , يَجْنُبُهَا الْوِلْدَانُ الْمُخَلَّدُونَ , بِيَدِ كُلِّ وَلِيدٍ مِنْهُمْ حَكَمَةٌ بِرُذَوْنٍ مِنْ تِلْكَ الْبَرَاذِينِ لُجُمُهَا وَأَعِنَّتُهَا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءَ , مَنْظُومَةٍ بِالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ , سُرُجُهَا مَفْرُوشَةٌ بِالسُّنْدُسِ وَالْإِسْتَبْرَقِ فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْبَرَاذِينُ تَزُفُّ بِهِمْ وَتَطُوفُ بِهِمْ رِيَاضَ الْجَنَّةِ , فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَجَدُوا الْمَلَائِكَةَ قُعُودًا عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَنْتَظِرُونَهُمْ لِيَزُورُوهُمْ وَيُصَافِحُوهُمْ , وَيُهَنُّوهُمْ بِكَرَامَةِ رَبِّهِمْ , عَزَّ وَجَلَّ فَلَمَّا دَخَلُوا قُصُورَهُمْ وَجَدُوا فِيهَا جَمِيعَ مَا تَطَوَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا سَأَلُوهُ وَتَمَنَّوْا , وَإِذَا عَلَى بَابِ كُلِّ قَصْرٍ مِنْ تِلْكَ الْقُصُورِ أَرْبَعُ جِنَانٍ: جَنَّتَانِ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ , وَجَنَّتَانِ مُدْهَامَّتَانِ , فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ , وَفِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ , وَحُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ فَلَمَّا تَبَوَّءُوا مَنَازِلَهُمْ وَاسْتَقَرَّ قَرَارُهُمْ قَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ: {هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا} ؟ قَالُوا: نَعَمْ " قَالَ: أَفَرَضِيتُمْ بِمَوَاهِبِ رَبِّكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ , رَضِينَا رَبَّنَا , فَارْضَ عَنَّا قَالَ: فَبِرِضَايَ عَنْكُمْ حَلَلْتُمْ دَارِي , وَنَظَرْتُمْ إِلَى وَجْهِيَ الْكَرِيمِ , وَصَافَحْتُمْ مَلَائِكَتِي , فَهَنِيئًا هَنِيئًا لَكُمْ , {عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هود: ١٠٨] , لَيْسَ فِيهِ تَنْقِيصٌ وَلَا تَصْرِيمٌ , فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالُوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ , إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ , لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ , وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} [فاطر: ٣٥]

المشكلة أن هذا حديث ضعيف، وأن هذا الحديث الصحيح فيه كما قال ابن القيم في حادي الأرواح وغيره بأنه من كلام محمد بن علي، أولًا فيه انقطاع بين أبو جعفر وبين النبي ﷺ لذلك قالوا هو مرسل ومعضل، وأيضًا لم يثبت، ولكن الصحيح أنه قد يكون من كلام محمد بن علي، ولكن هو لا شك أن فيه بعض الكلمات وبعض المتن أجزاء ثبتت في أحاديث أخرى عن النبي ﷺ، لكن هذا الحديث بطوله هذا الصحيح بأنه ضعيف ولم يثبت، وإن كان المعنى فيه

ما فيه من بعض الكلمات نقول لكن طبعًا فيه بعض العبارات أيضًا يظهر فيها بأنها ليست من كلام النبوة والله أعلم في ذلك، لكن المصنف ذكره في الكتاب فقرأناه وبينا ما فيه، وحتى الشيخ الألباني ضعفه، وأبو نعيم أيضًا ضعفه، وابن أبي الدنيا، ونسبوا في الغالب الكلام لمحمد بن علي.

الرد على بقية أدلة المعتزلة في نفي رؤية الله عز وجل:

وقبل أن نقرأ ما ختم به الإمام الآجري هذا الباب نرجع للأدلة التي كانت عند المعتزلة الذين نفوا الرؤية، رددنا على القول الأول عندهم بمسألة أن {نَّاضِرَةٌ} بيقصد بها الانتظار، وبينا أن {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22-23] أن النظر هنا نظر متعدي بـ (إلى) يقصد به الرؤية البصرية.

هم استدلوا أيضًا بدليل آخر على نفي الرؤية هو أن موسى عليه السلام طلب من الله عز وجل أن يراه لما كلمه الله عز وجل {وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ } [الأعراف: 143] ، فهنا قالوا (لن) تفيد العموم والتأبيد لأنه لما قال:{قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي} [الأعراف: 143] ، فقالوا إذًا هنا (لن) تفيد التأبيد وعموم عدم رؤية الله عز وجل سواء في الدنيا وسواء في الآخرة، وهذه على العموم.

فالرد عليهم نقول:

هل أولًا (لن) لغة تفيد التأبيد أم لا تفيد التأبيد؟ فنقول بأن مسألة أن (لن) نفي تفيد التأبيد هذه ليست ثابتة عند علماء اللغة، فهم يريدوا أن يقولوا بأن (لن) تفيد النفي الدائم إذًا لن يُرى الله عز وجل في الدنيا ولا في الآخرة. نقول بأن لا لغة ثبت ذلك، ولا حتى شرعًا ثبت ذلك، بل جاء الشرع يبين بأن (لن) جاءت في بعض المواطن ولا تفيد فيها التأبيد، قال سبحانه وتعالى عن الكفار يوم القيامة:{ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ} [البقرة:95] وهو الموت، لما تكلم الله عز وجل من كثرة العذاب للكفار فقال:{وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ} [البقرة:95] أي لما قدموه. ثم بيَّن الله عز وجل بعد ذلك في قوله تعالى:{ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ} [الزخرف:77] ، إذًا هنا (لن) لا تفيد التأبيد في مسألة اللغة، وأنه قد تأتي (لن) ويأتي معها حدوث الشيء. إذًا رددنا الأول على مسألة أن (لن) لا تفيد التأبيد من هذا المثال.

وأيضًا جاءت أمثلة أخرى، قوله تعالى: {وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا} [الكهف: 20] ، فلو كانت (لن) تفيد التأبيد ما في داعي للقول (أبدًا) فـ (أَبَدًا) هنا ليست لها فائدة لأن لو قلنا (وَلَن تُفْلِحُوٓاْ) تفيد التأبيد إذًا لن تفلحوا.

وأيضًا من قوله تعالى: {فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا} [مريم: 26] ، فلو كانت (لن) تفيد التأبيد فلن إكلم إنسيا لا اليوم ولا غير ذلك، لكن لما يقول {فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا} إذًا المقصود هنا بأن في هذا الزمان لن أكلم فيه أحد، فهنا أضيف الزمن وهو الظرف.

وأيضًا من قوله تعالى:{ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ } [يوسف: 80] ، فلو كانت (لن) تفيد العموم والأبدية فـ (فَلَنْ أَبْرَحَ) لا يحتاج أن أؤكد بـ (ٱلْأَرْضَ) ، فهذا دلالة على أن النفي حتى في اللغة وفي الشرع جاء أن النفي بـ (لن) لا يفيد التأبيد. وهم أصل كلامهم أنه قال:{ لَن تَرَىٰنِى} أي لن تراني لا دنيا ولا آخرة، فرددنا عليهم أولا بأن جاءت (لن) في أكثر من صورة ولا تفيد التأبيد.

الأمر الثاني حتى ننتهي من مسألة اللغة أن ننظر للسياق الآن؛ أن موسى عليه السلام طلب الرؤية من الله عز وجل لما قال: {رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ} [الأعراف: 143] ، فالله عز وجل قال له:{ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِىۚ } فإن كان طلب موسى عليه السلام طلب غير مشروع؛ أي لا يحق شرعًا، سواء عند الأشاعرة أو عند المعتزلة، لكان الله عز وجل ما أقره على هذا الطلب، لكان رد عليه الطلب كما فعل الله عز وجل مع نوح عليه السلام لما قال:{ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ} [هود: 45] ،{قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ } [هود: 46] ، فالله عز وجل رد عليه هذا الطلب وقال له أنه ليس من أهله، فهنا لما موسى عليه السلام طلب الرؤية من الله عز وجل الله عز وجل لم ينكر عليه الطلب، بل كما سيأتي أحاله على أمر آخر سنستدل به أيضًا، فلو كان الطلب غير مشروع كان الله عز وجل رد الطلب لموسى، رد أصل الطلب، بل نستدل بأن طلب موسى عليه السلام وهو من أولي العزم من الرسل وهو عنده العلم وكان من أعلم الناس في وقتها، لا يتصور أنه يطلب شيء لا يجوز؛ أي أن موسى عليه السلام جاء فكلمه الله عز وجل فطمع أن يرى الله، لأن هذه مناقب وفضل، فلما طلب الرؤية فمعنى طلب الرؤية معناه أن موسى عليه السلام لا يُظَن بأنه من الجهل لأن لو قلت بأن الرؤية لا تصح إذًا موسى طلب طلبًا فيه جهل، ولا يُظَن بموسى ذلك لأنه من أولي العزم من الرسل وهو من أهل العلم

أيضًا، إذًا هو طلب شيئًا هو يراه مشروعًا، فكما أن الله كلمه فيمكن أن يراه، وهذه دلالة على أن امكانية الرؤية موجودة، ولا يوجد استحالة في الرؤية أصالة.

ثم يضاف عليها أيضًا أن الله عز وجل لما قال له: {لَن تَرَىٰنِى} خصص عدم الرؤية في حال موسى في الدنيا، بل أحاله على أمر ممكن؛ قال:{ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى } إذًا أحاله على شيء ممكن أم لا؟ ممكن، لكن لما تجلى الله عز وجل للجبل لم يحتمل الجبل فخر الجبل كأنه تراب. لذلك نقول بأن رؤية المخلوق لله عز وجل في الدنيا غير ممكنة، لا يستطيع البدن في تكوينه الذي كوَّنه الله عز وجل وخلقه له أن يقبل ذلك، لكنه من الاستدلال أيضًا بأن الله عز وجل أحاله على ممكن وهو أنه ينظر إلى الجبل، فلو الجبل استقر فيمكن الرؤية وإلا فليس هناك رؤية. فهذا دلالة على أنه لما أحاله على شيء ممكن ففيه جواز امكانية الرؤية لله عز وجل.

أيضًا ممكن نستدل من قوله تعالى لما طلب قوم موسى وقالوا:{ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً} [البقرة: 55] ، فلو كان سؤالهم غير مشروع لما أقرهم عليه موسى كما لم يقرهم لما خرجوا من البحر فقالوا: { ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [الأعراف: 138] ، فأنكر عليهم أنهم يريدوا الآلهة. فهم لما قالوا: {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً} فلو كان هذا الطلب في رؤية الله عز وجل ما يصح لكان أنكر عليهم موسى عليه السلام كما أنكر عليهم في { ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} .

إذًا هذه كلها أدلة تدل على أن نفي الرؤية الذي حدث من قوله تعالى: {لَن تَرَىٰنِى} فهذا على حال الآدمي في الدنيا بأنه لا يستطيع أن يرى الله عز وجل وهذا ليس نفيًا لعموم رؤية الله عز وجل.

هذا كان الدليل الثاني في المسألة.

هم استدلوا بعد ذلك أيضًا من قوله تعالى:{ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ} [الأنعام: 103] ، قالوا أن الله عز وجل نفى الادراك، ولما نفى الادراك إذًا لا يمكن أن يُرى الله عز وجل. قالوا لأن الله عز وجل لا يمكن أن يُحاط به سبحانه وتعالى، إذًا لو نفى الله عز وجل الادراك إذًا نفى الرؤية، وهذا هو أصل استدلالهم.

والرد على ذلك: النفي للادراك وليس للرؤية، لكن لابد تبين الفرق بين الادراك والرؤية لغة، وهل هناك فرق بين الادراك والرؤية؟ وما الدلالة على أن هناك فرق بين الادراك والرؤية؟ فالذي أراد أن ينفي قال {لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ } [الأنعام: 103] ، اعتبر نفي الادراك هو نفي الرؤية، فأنت تريد أن تقول له أنه يوجد فرق بين الادراك والرؤية.

طيب يوجد فارق عقلًا؟

الآن وقفنا عند العمارة من زاوية رأينا العمارة لكننا لا نستطيع أن ندرك، رأينا الشمس ولا ندركها، رأينا السماء ولا ندركها، إذًا الآن أنت ممكن تقول بالرؤية ولا تستطيع أن تدرك من مكان بعيد أنت رأيت الشيء ولكن لا تستطيع أن تدركه، هذا عقلًا مفهوم الآن الفرق بين الرؤية والادراك، لكن لابد لك أن تؤصل لهم شرعًا أيضًا الفرق بين الرؤية والادراك بدليل شرعي لتبين لهم أن الرؤية غير الادراك، هل أحد ممكن يأتي بآية تبين الفرق بين الرؤية والادراك؟

قال سبحانه وتعالى:{ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ} [الشعراء: 61] ، قال: {فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ} حدثت الرؤية، {قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} إذًا الآية فرقت بين الرؤية وبين الادراك، فقال موسى عليه السلام: {كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ} . إذًا هنا ممكن تقول لهم الآن جاء الشرع يبين أيضًا الفارق بين الرؤية وبين الادراك.

فهنا نقول بأن المقصود في {لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ} [الأنعام: 103] ، هنا الادراك الذي هو الإحاطة، وهذا نعم نحن نقول بأنه لا يمكن أننا ندرك الله عز وجل. إذًا هذا رد أولي على أننا أثبتنا أن الرؤية غير الادراك في اللغة، وأن الرؤية غير الادراك شرعًا أصالة وهناك فارق.

يوجد أيضًا رد آخر تأصيلي في مسألة الأسماء والصفات؛ لما قال الله عز وجل:{ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ} [الأنعام: 103] ، هذا نفي أم اثبات؟ الأصل في الصفات الموجبة لله عز وجل أو التي فيها حُسن هو الاثبات، والنفي يأتي لنفي السلب عن الله عز وجل، فيقول:{ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} [فاطر: 35] ، وأيضًا {لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة: 255] ، إذًا الأصل بأن الاثبات في المدح، والنفي يكون في نفي الصفات السلبية عن الله عز وجل، ونقول دائمًا في التأصيل في الصفات لما يأتي النفي في حق الله عز وجل بتثبت معه معنى آخر ثبوتي هو كمال الضد؛ أي لما تقول الله لا يأكل ولا يشرب لكمال الصمدية، أو{لَا تَأْخُذُهُۥ

سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ } [البقرة: 255] لكمال القيومية لله عز وجل،{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ} [فصلت: 46] ، لكمال العدل، إذًا أنت لما يأتيك النفي عن الله عز وجل فهو لا يمكن أن يكون نفي محض، لأن نفي المحض أو نفي العدم هذا ذم؛ لما تنفي عدمًا عن الله فهذا ذم، إذًا لابد مع نفي العدم أن هناك أصل موجود، سيكون هناك اثبات لأصل، فلما قال:{ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ } [الأنعام: 103] هذا معناه أنك لابد ستثبت أصلًا وهو الرؤية، لأن لا يمكن أن يكون النفي محض؛ نفي المحض في حق الله هذا ذم ليس مدح، لكن الله عز وجل لما يتكلم عن نفسه سبحانه وتعالى بالنفي فهذا لتثبت له أصل الكمال، فلما قال: {لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ } لابد أنه يوجد اثبات لأصل آخر فيه كمال وهو امكانية الرؤية، وهذا على التأصيل في مسألة النفي والاثبات للصفات.

لذلك نقول المدح في الصفات الثبوتية والعدم المحض ليس بكمال، فلا يُمدح الرب بنفي المحض، لابد أن يكون معه اثبات، فلما نفى عن نفسه الادراك لابد له فيه مدح وهو بأن الله عز وجل لعظمته وجبروته وعلوه لا يُدرك وهذا فيه أيضًا معه اثبات امكانية الرؤية. إذًا ممكن أيضًا نرد على منكري الرؤية بأن نفي الادراك هنا لأنه نفي فلا يكون أبدًا معدومًا بالكلية، بل لابد له من اثبات الرؤية، لأنه لما نفى الادراك فهذا دلالة على اثبات الرؤية من باب الاثبات الثبوتي الذي فيه مدح لله عز وجل، لأنك لو قلت نفي الادراك يكون عدم فلا يمكن أن تقول بالعدمية لله عز وجل. فهذا أيضًا من باب الأسماء والصفات أننا نثبت الادراك لله عز وجل.

إذًا بينا الآن الرد على مسألة الادراك والابصار، ومسألة أيضًا النفي في اثبات الرؤية لله عز وجل، لكن فيه اثبات الرؤية مع عدم الإحاطة.

طبعًا يُستانس بالرد هذا مع الأدلة الأخرى المتواترة على الرؤية؛ أي لا نستطيع أن نقول أننا سننفي الرؤية لمجرد {لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ }، نحن رددنا لكن نؤصل بالأدلة الأخرى التي عندنا بالرؤية، فنقول لا تعارض، فأنت الآن لما بترد عليه عندك أدلة ثابتة على الرؤية وهو عنده استشكال، فأنت رددت عليه الاستشكال وهذا أيضًا يدل على أن هذا الدليل منفردًا لا يقوى على أنه يعارض الأدلة الأخرى المتواترة على مسألة الرؤية.

أما الأشاعرة فالمسألة كما بينا عندهم لا تقف عندهم لا سمع ولا عقل؛ أي لا عنده أدلة سمعية ولا عنده أدلة عقلية، هو أصلًا لابد أن يقول ذلك لأنه أصلًا بينكر اثبات العلو لله عز وجل، فلو قال بأن الرؤية رؤية بصرية سيستلزم منه اثبات الجهة واثبات العلو هو لا يقول به، فكأن عنده الرؤية رؤية ليست إلى جهة! طيب أين تنظر؟! فأصبحت الرؤية تتحول عنده إلى رؤية علمية، ادراكية، ليست رؤية بصرية بالعينين، فأصبحت رؤية ادراك علم، ليست ادراك إحاطة، رؤية علمية فقط لكن ليست رؤية بصرية، لأنها لو بصر فلابد تنظر، طيب كيف تنظر وهو أصلًا يقول لك ستنظر إلى الله فيكون جسم، ستنظر إلى جهة فقد حددته بجهة، وكل هذا عنده من أصوله الباطلة لا تصح، فقالوا رؤية لكن ليس هناك مرئي، أين الرؤية؟ كيف نرى؟

ولذلك أنا قصدت في أول محاضرة اليوم أن نبين بأن النظر رؤية بصرية، كقوله تعالى:{ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ} [البقرة: 144]، المقصود هنا أنه البصر، لما قال الله عز وجل "الوجه" فأراد به العينين في الرؤية حتى يثبت لنا بأن الرؤية رؤية بصرية، فيُرَد بها أيضًا على الأشاعرة، لأن الأشاعرة قالوا أن الرؤية مجازية ليست رؤية بصرية.

أيضًا في بعض الأدلة هنا لما قال بأن الله عز وجل اطلع على أهل الجنة **(فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ)** لماذا؟ ليروا الله عز وجل، وهذا فيه اثبات الرؤية كما قلنا.

لذلك هذا من أضعف الأقوال؛ قول ضعيف جدًا عند الأشاعرة في هذه المسألة.

تبقت بعض المسائل، لكن نقرأ الأول ما تبقى من الكتاب، ولو تبقى وقت سنتكلم عن هل الرؤية للمؤمنين عامة؟ أي هل الرؤية هذه عامة للأنس والجن؟ للرجال والنساء؟ وهل يوجد خلاف في ذلك أم لا؟ وأيضًا نتكلم عن رؤية النبي ﷺ لربه والخلاف الذي ورد هل رأى النبي ﷺ ربه أم لم يراه؟ نختم بها إن شاء الله،، لكن ننتهي من القراءة:

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: هَذِهِ الْأَخْبَارُ كُلُّهَا يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا مَعَ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ يُبَيِّنُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ , فَالْإِيمَانُ بِهَذَا وَاجِبٌ , فَمَنْ آمَنَ بِمَا ذَكَرْنَا؛ فَقَدْ أَصَابَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ , وَمَنْ كَذَّبَ بِجَمِيعِ مَا ذَكَرْنَا , وَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ فَقَدْ كَفَرَ , وَمَنْ كَفَرَ بِهَذَا , فَقَدْ كَفَرَ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ الْإِيمَانُ بِهَا ,

وَسَنُبَيِّنُ جَمِيعَ مَا يَكْذِبُ بِهِ الْجَهْمِيُّ فِي كِتَابٍ غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ , فَإِنِ اعْتَرَضَ بَعْضُ مَنْ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَهُمْ فِي غَيِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ , مِمَّنْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرَى فِي الْقِيَامَةِ , وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ , وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ , وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: ١٠٣] فَجَحَدَ النَّظَرَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِتَأْوِيلِهِ الْخَاطِئِ لِهَذِهِ الْآيَةِ قِيلَ لَهُ: يَا جَاهِلُ إِنَّ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ , وَجَعَلَهُ الْحُجَّةَ عَلَى خَلْقِهِ , وَأَمَرَهُ بِالْبَيَانِ لِمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنْ وَحْيِهِ هُوَ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهَا مِنْكَ يَا جَهْمِيُّ , هُوَ الَّذِي قَالَ لَنَا: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ» فَقَبِلْنَا عَنْهُ مَا بَشَّرَنَا بِهِ مِنْ كَرَامَةِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ عَلَى حَسَبِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ , مِنَ الْأَخْبَارِ الصِّحَاحِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ مِنَ الْعِلْمِ , ثُمَّ فَسَّرَ لَنَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَعْدَهُ , وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٢] فَسَّرُوهُ عَلَى النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , وَكَانُوا بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَبِتَفْسِيرِ مَا احْتَجَجْتُ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} [الأنعام: ١٠٣] أَعْرَفَ مِنْكَ , وَأَهْدَى مِنْكَ سَبِيلًا , وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَّرَ لَنَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] وَكَانَتِ الزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى , وَكَذَا عِنْدَ صَحَابَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ , فَاسْتَغْنَى أَهْلُ الْحَقِّ بِهَذَا , مَعَ تَوَاتُرِ الْأَخْبَارِ الصِّحَاحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , وَقَبِلَهَا أَهْلُ الْعِلْمِ أَحْسَنَ قَبُولٍ وَكَانُوا بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ الَّتِي عَارَضَتْ بِهَا أَهْلَ الْحَقِّ أَعْلَمَ مِنْكَ يَا جَهْمِيُّ , فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام: ١٠٣] قِيلَ لَهُ: مَعْنَاهَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَيْ: لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ , وَلَا تَحْوِيهِ عَزَّ وَجَلَّ , وَهُمْ يَرَوْنَهُ مِنْ غَيْرِ إِدْرَاكٍ وَلَا يَشُكُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ , كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ: رَأَيْتُ السَّمَاءَ وَهُوَ صَادِقٌ , وَلَمْ يُحِطْ بَصَرُهُ بِكُلِّ السَّمَاءِ , وَلَمْ يُدْرِكْهَا وَكَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ: رَأَيْتُ الْبَحْرَ , وَهُوَ صَادِقٌ وَلَمْ يُدْرِكْ بَصَرُهُ كُلَّ الْبَحْرِ , وَلَمْ يُحِطْ بِبَصَرِهِ , هَكَذَا فَسَّرَهُ الْعُلَمَاءُ , إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ

627- حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: أَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَنَا عَمْرُو بْنُ طَلْحَةَ الْقَنَّادُ قَالَ: أَنَا أَسْبَاطُ بْنُ نَصْرٍ , عَنْ سِمَاكٍ , عَنْ عِكْرِمَةَ , عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣] أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ , فَقَالَ رَجُلٌ عِنْدَ ذَلِكَ: أَلَيْسَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} [الأنعام: ١٠٣] ؟ فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ: أَلَيْسَ تَرَى السَّمَاءَ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: أَوَ كُلَّهَا تَرَاهَا؟

628 - حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَقِيلَ لَهُ فِي رَجُلٍ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ , عَنْ رَجُلٍ , عَنْ أَبِي الْعُطُوفِ يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ , فَقَالَ: "لَعَنَ اللَّهُ مَنْ حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ ثُمَّ قَالَ: أَخْزَى اللَّهُ هَذَا "

ما لخصه الإمام الآجري في الكلام الذي ختم به من أعظم الخلاصة، قد بينا الغالب في رده على الدليل لكنه أشار إلى أمر هام جدًا من أصول الرد على المخالف عند أهل السنة والجماعة، لأنه أرجع الأمر إلى النبي ﷺ، هو يريد أن يستدل بقوله تعالى: {لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ} [الأنعام: 103] ، فيقول له يا جاهل إن الله عز وجل الذي أنزل القرآن على النبي ﷺ الذي هو أبلغنا به هو الذي فسره لنا النبي ﷺ في الحديث: [إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ] ، إذًا الآيات التي أنت تتكلم عنها قد فسرها لنا النبي ﷺ وبينها لنا، وجاءت الأخبار الصحاح في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وهذا الذي فسره لنا الصحابة لما جاء من تفسير الآيات، وهذا الذي فسره لنا التابعين، فليس هناك خلاف في القرون الخيرية على ذلك؛ سواء من النبي ﷺ الذي فسر لنا أو الصحابة او التابعين.

وهذا أصل مهم جدًا تستصحبه دائمًا في الرد على المخالف حتى في مسائل أخرى؛ عندما تكون المسألة ظاهرة وواضحة من الأدلة وهو يستدل بآية أو بحديث أو بدليل واحد وهو فهم طبعًا وجوه الدلالة فيه خطأ فنقول له بأن هذا الذي تستدل به قد أتى به النبي ﷺ وهو الذي بيَّن لنا ذلك صراحة، فلا كلام بعد كلام النبي ﷺ، ويؤيد ذلك تفسير الصحابة وتفسير التابعين إلى غير ذلك.

هذا أصل مهم جدًا يُرَد به، ولذلك حتى في الصفات نقول الآن آيات الصفات والأحاديث نزلت فسمعها الصحابة أم لا؟ سمعها صحابي من النبي ﷺ، هل ورد أن الصحابة قالوا للنبي ﷺ ما اليد؟ ما العين؟ ما ورد ذلك، هل قالوا الرحمة.. المحبة.. الغضب؟ فالرجل جاء للنبي ﷺ قال: [أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ عزَّ و جلَّ ؟ قال : نَعَمْ فقال : لَنْ نَعْدَمَ من رَبٍّ يَضْحَكُ خيرًا] وانصرف، إذًا هو فهم معنى الضحك أم قال كيف يضحك يا محمد ﷺ ؟! ما قال له ذلك. إذًا الكلام ظاهر المعنى وليس فيه معنى غامض ولا مشتبه أو متشابه حتى كما تقول الفرق المبتدعة فتقول هذا فيه من المشتبهات التي لا نعلمها! لا، هو ظاهر في المعنى عند الصحابة نزل عليهم وعلموه وفهموه ولم يُشكَل عليهم فيه شيء، فهذا هو ظاهر المعنى ونحن نقول بظاهر المعنى، ولم يسألوا حتى عن الكيفية لأنهم يعلمون أن الكيفية ليس لهم أن يعلموها

أيضًا. فهذه القاعدة وهذا الأصل مهم جدًا أن يستصحبه طالب العلم في رده على المخالف في هذه المسألة.

هنا طبعًا توجد مسائل سنشير إليها؛ أنه استدل بأثر ابن عباس لما قال: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: 13] هو طبعًا استدل بالآية على رؤية النبي ﷺ لربه، والآية ليست في رؤية النبي ﷺ لربه بل الآية في رؤية النبي ﷺ لجبريل عليه السلام، لكن هو قال: (أَلَيْسَ تَرَى السَّمَاءَ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: أَوَ كُلَّهَا تَرَاهَا؟) يبين لهم أن الادراك غير الرؤية، وهذا نستأنس به فقط لنبين لهم أن الادراك غير الرؤية، ولكن سنبين بأن هذه الآية لا يستدل بها على جواز رؤية النبي ﷺ لربه، لأن أصلًا هناك خلاف على ما نُقِل عن ابن عباس؛ فابن عباس له قول بأنه رأى، وله قول بأنه لم يرى.

وسنبين مسألة رؤية النبي ﷺ لربه لأن هذه طبعًا من المسائل الذي نُقِل فيها الخلاف عن السلف:

القول الأول: ينفي رؤية النبي ﷺ لربه بعينه؛ اتكلم طبعًا عن رؤية النبي ﷺ يقظة لله عز وجل، لأنه ثبت الرؤية في المنام، وسنبينها. لكن هنا القول الأول بنفي رؤية النبي ﷺ لربه بعينه، وهذا القول الذي قالت به عائشة وجُل من الصحابة؛

القول الثاني: نُقل على أن ابن عباس قال به على أنه ثبتت رؤية النبي لربه لكن هنا لم يثبت عن ابن عباس هل يقصد بالقلب، أم يقصد بالعينين؟ وهذا الحق أنه حتى لما سُئِل فهذا لم يأت النقل عن ابن عباس بجواز الرؤية هل الرؤية بالعين أم الرؤية بالقلب؟ فلو رؤية بالقلب فتكون الرؤية المنامية، ولو رؤية بالعينين فتكون رؤية في اليقظة؛

القول الثالث: بعضهم قال أنه فيه توقف؛ وقول التوقف ليس بقول.

وعمومًا الأدلة على أن القول الاول وهو قول جمهور الصحابة وقول السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها لما سُئلت قالت إن قوم يقولون النبي قد رأى ربه فقالت له قف شعري مما تقولون لم يرى النبي ﷺ ربه، ومن قال أن النبي ﷺ قد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. وطبعًا نحن لا نستدل بقول عائشة فقط، لكن نقول بأنه سُئل النبي ﷺ هل رأيت ربك؟ ففي رواية قال: [نور أَنَّى أراهُ] وطبعًا هناك إشكال لأن البعض أثبت: [نور إني أراهُ] والصحيح أنه [نور أَنَّى أراهُ] أي كيف أراه؟ وفي رواية قال: [رأيت نورًا] أي رأى الحجاب؛ النور فقط، ولم يرى الله عز وجل، فدل ذلك على أن النبي ﷺ لم ير الله بعينيه.

القول الثاني أن النبي ﷺ رأى ربه بعينيه نُسِب قلت لابن عباس، وهم استدلوا بضبطها، بعضهم قال بالآية التي ذكرها الإمام الآجري قال: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: 13] على بعض التفاسير التي تُنقل عن ابن العباس يقصد بها رؤية النبي ﷺ لله عز وجل، والصحيح أن الآية ليست في ذلك؛ بل الآية في جبريل.

وهنا القول الثاني الذي نسبوه لابن عباس على أنه لم يذكر فيه هل هو رأى بعينه؟ أم المقصود الرؤية القلبية؟ فسواء أثبتنا الخلاف الذي قاله ابن عباس وليس فيه رأي راجح أو قالوا بأن مقصد ابن عباس أنه فقط رأى ولم يبين في قوله هل يقصد الرؤية القلبية أم الرؤية العينية، فتُحمل على الرؤية القلبية لأن جاء الحديث في الرؤية القلبية؛ الحديث الذي قال فيه فيما يختصم الملأ الأعلى؟ فقال النبي ﷺ في رواية شعرت ببرد أنامله على كتفي، أو شعرت على ثديي بين كتفي، أي أنه توجد رواية جاءت بأنه وُضعت اليد على الكتفين فشعر ببرد الأنامل بين الثديين، وفي رواية وُضعت الكف بين الثديين فشعر الأنامل على الكفين، المهم أن هذا حديث قال يا محمد فيما اختصم فيه الملأ الأعلى إلى غير ذلك فيه اثبات رؤية النبي ﷺ لله عز وجل في منامه، وهذه نقول بها وهذا لا إشكال فيها بأنه يجوز للمرء أن يرى الله عز وجل منامًا لكنه طبعًا ما رآه لا يمكن أن يكون تشبيهًا لله عز وجل؛ أي ما رآه منامًا أي شيء سيراه فهو ليس تشبيهًا لله عز وجل أو مثله، لأنه لا يمكن أحد أن يرى شبهًا أو مِثلًا لله عز وجل، لكن منامًا نعم ممكن يرى، وقالوا على حسب درجات الإيمان ودرجات العبد يكون فيه الوضوح في الرؤية وغير ذلك من الأمور، لكن امكانية النظر موجودة، هذا في القلبية لا نقول فيها شيء.

لكن مسألة الرؤية العينية قد بينا فيها بأنه لم يثبت ذلك وهذا هو الصحيح بأن النبي ﷺ لم يرى ربه سواء المعراج أو لم يراه يقظة، لأن عموم الأدلة تبين كما جاء في آية {لَن تَرَىٰنِى} أن هيئة أو تكوين المخلوق الذي قدره الله عز وجل للمخلوق في الدنيا قبل أن يبعثه يوم القيامة لن يستطيع أن يرى الله عز وجل، لا يقوى على ذلك، لكن الله عز وجل يغير الأبصار ويغير القدرات يوم القيامة فنستطيع أن نرى الله عز وجل، ونسأل الله عز وجل أن نكون ممن ينزل تحت قوله تعالى:{ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا} [الأحزاب: 44] .

تبقى مسألة عموم الرؤية ممكن نقول أن رؤية المؤمنين في الجنة لربهم عامة؛ ما المقصود بعامة؟ سواء مؤمن الجن والإنس، لأن {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22-23] ، جاء فيها العموم، ستشمل الجن والإنس من أهل التكليف، وأيضًا من قوله تعالى:{ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ * سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ} [الرعد: 23-24] ، فقال بعضهم الملائكة أيضًا تدخل في ذلك؛ تدخل الجنة وترى ربها. فهذا بالنسبة للإنس والجن والملائكة. وطبعًا بعضهم قال الرؤية للإنس دون الجن.

هل يوجد اختصاص بالرجال دون النساء؟ وهذا كلام ضعيف جدًا، استدلوا بقوله تعالى:{ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ} [الرحمن: 72] ، قالوا مقصورات في الخيام إذًا لن ترى. فنقول أن الحور أصلًا ليسوا من أهل الدنيا؛ لكن الله عز وجل ينشئهم لأهل الجنة اكرامًا لهم، فالنساء والرجال واحد في هذه المسألة يرون الله عز وجل، لأنه قال الله عز وجل:{ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ} [يس: 56] ، إذًا هنا كل الأزواج الرجال والنساء متكئون على الأرائك، وقال تعالى:{ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ} [المطففين: 35] ، هذا عموم دخل فيه الرجال والنساء. ومسألة حور مقصورات في الخيام هذه أصلًا ليست في نساء أهل الدنيا الذين قد كُلفوا والله عز وجل أكرمهم بدخول الجنة، فالصحيح الراجح أن الرؤية للرجال وللنساء، وأما من أخرج النساء من الرؤية فالقول فيه ضعيف جدًا ما يقف على شيء وهذا حتى ليس من عدل الله عز وجل أصالة، نقول الله عز وجل عدل كريم فضل ما يحرم أحد من رؤيته سبحانه وتعالى، فليس بسبب الجنس رجال أو نساء.

انتهينا من المسائل الحمد لله، نقف عند بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَضْحَكُ، وهذه من الصفات العظيمة الفعلية التي أيضًا أثبتها أهل السنة والجماعة، ونسأل الله عز وجل أن يكرمنا جميعًا برؤية وجه الله عز وجل يوم القيامة ولا يحرمنا من لذة النظر، فهذا أعظم ما يشتاق إليه المرء، أنا ما أدري هؤلاء الطوائف كيف أنهم يفكرون في دخول الجنة وينفون رؤية الله عز وجل! والأشاعرة أيضًا! طيب أين التلذذ بالرؤية إن كنا لن نرى الله عز وجل رؤية بصرية؟ كيف أباحوا لعقولهم أصالة أن يخالفوا الشرع ولا يثبتون هذا الفضل وهذا الكرم! فمن أعظم نعائم الجنة أنك ترى الله عز وجل، وليس هناك نعمة أفضل من ذلك. فهم حقيقة خابوا وخسروا في هذه المسألة وضلوا وبعدوا عن الصواب كل البعد. فهم ضلوا لأن الأصول فاسدة، وانظروا... هذه من الثمرات؛ فهو لما يكون عنده الأصل فاسد فسار على الأصل؛ فمثلًا الأشاعرة عنده أصل فاسد في اثبات الجهة والعلو لله عز وجل فسار على هذا الأصل فأدى به إلى أنه ينفي الرؤية للجهة، فبالتالي ليست هناك رؤية بصرية عنده لأن أصوله فاسدة أصالة. فنسأل الله عز وجل الثبات.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الثالثة والخمسون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – واليوم إن شاء الله في بعض الطبعات هذا الجزء السابع ننتهي منه **بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَضْحَكُ**، ومازلنا في تعرض لأبواب هذا الكتاب المبارك وهذه الأبواب خاصة بالرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة في باب الصفات واثباتها.

واليوم نتكلم إن شاء الله عن صفة جديدة لله عز وجل من الصفات الفعلية وهي صفة الضحك، ونبدأ في القراءة أولًا ثم إن شاء الله نبين الفوائد المستنبطة من الأحاديث وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة عمومًا في مسألة الصفات الفعلية وهذه الصفة التي معنا، وكيف خالف المبتدعة في نفي هذه الصفة أو اثباتها باثبات لا يصح عن النبي ﷺ وعن الصحابة الكرام.

48- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَضْحَكُ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: رَحِمَهُ اللَّهُ: اعْلَمُوا وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لِلرَّشَادِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ أَنَّ أَهْلَ الْحَقِّ يَصِفُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ عَزَّ وَجَلَّ , وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ , وَهَذَا مَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ مِمَّنِ اتَّبَعَ وَلَمْ يَبْتَدِعْ , وَلَا يُقَالُ فِيهِ: كَيْفَ؟ بَلِ التَّسْلِيمُ لَهُ , وَالْإِيمَانُ بِهِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَضْحَكُ , كَذَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَعَنْ صَحَابَتِهِ , وَلَا يُنْكِرُ هَذَا إِلَّا مَنْ لَا يُحْمَدُ حَالُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ وَسَنَذْكُرُ مِنْهُ مَا حَضَرَنَا ذِكْرُهُ , وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ , وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

629- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: نا مَعْنُ بْنُ عِيسَى قَالَ: نا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ , عَنْ أَبِي الزِّنَادِ , عَنِ الْأَعْرَجِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَجُلَيْنِ: يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ , كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ: يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ , ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْقَاتِلِ , فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ , فَيُسْتَشْهَدُ"

630 - حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيُّ قَالَ: نا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ , عَنْ أَبِي الزِّنَادِ , عَنِ الْأَعْرَجِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَضْحَكُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَجُلَيْنِ: يُقَاتِلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ , كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ , يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى فَيُقْتَلُ , ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْقَاتِلِ , فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُسْتَشْهَدُ"

631 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ , وَأَبُو بَكْرٍ وَعُثْمَانُ ابْنَا أَبِي شَيْبَةَ قَالُوا: نا وَكِيعٌ , عَنْ سُفْيَانَ يَعْنِي الثَّوْرِيَّ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ , عَنِ الْأَعْرَجِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَجُلَيْنِ , يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ , كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ: يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ فَيُسْتَشْهَدُ , ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى قَاتِلِهِ , فَيُسْلِمُ , فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُسْتَشْهَدُ"

632 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيُّ قَالَ: نا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ , عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ , عَنْ أَبِيهِ , عَنِ الْأَعْرَجِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَجُلَيْنِ: يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ , كِلَاهُمَا دَاخِلُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ فَيُسْتَشْهَدُ , ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى هَذَا فَيُسْلِمُ فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ فَيُسْتَشْهَدُ"

633 - أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِيُّ قَالَ: نا دَاوُدُ بْنُ عَمْرٍو الضَّبِّيُّ قَالَ: نا ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ , عَنْ أَبِيهِ , عَنِ الْأَعْرَجِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَضْحَكُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى رَجُلَيْنِ: يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ , كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ , يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ فَيُسْتَشْهَدُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى هَذَا فَيُسْلِمُ فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ فَيُسْتَشْهَدُ"

634 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ قَالَ: أَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ نا مَعْمَرٌ , عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَجُلَيْنِ: يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ"

635 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نا هُشَيْمُ بْنُ بَشِيرٍ قَالَ: أَنَا مُجَالِدٌ , عَنْ أَبِي الْوَدَّاكِ , عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ يَرْفَعُ الْحَدِيثَ قَالَ: "ثَلَاثَةٌ يَضْحَكُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِمْ: الرَّجُلُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي , وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلصَّلَاةِ , وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلْعَدُوِّ"

636- حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ قَالَ: أَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ قَالَ: نا هُشَيْمُ بْنُ بَشِيرٍ , عَنِ الْمُجَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ , عَنْ أَبِي الْوَدَّاكِ , عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "ثَلَاثَةٌ يَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي , وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلصَّلَاةِ , وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلْعَدُوِّ"

637 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ: نا يَحْيَى بْنُ آدَمَ قَالَ: نا إِسْرَائِيلُ , عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ , عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ , وَأَبِي الْكَنُودِ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: "يَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ قَامَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَأَهْلُهُ نِيَامٌ , فَتَطَهَّرَ , ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي , فَيَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ , وَرَجُلٌ لَقِيَ الْعَدُوَّ فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ , وَثَبَتَ حَتَّى رَزَقَهُ اللَّهُ الشَّهَادَةَ"

638 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: نا عَبْدُ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقُ قَالَ: نا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ , عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ , عَنْ وَكِيعِ بْنِ عُدُسٍ , عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضَحِكَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ , أَوَيَضْحَكُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: لَنْ نُعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا "

639 - حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: أَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَنَا عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ اللَّاحِقِيُّ قَالَ: نا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ: يَعْلَى بْنُ عَطَاءٍ , عَنْ وَكِيعِ بْنِ عُدُسٍ , عَنْ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ضَحِكَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ» قَالَ أَبُو رَزِينٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ , أَوَيَضْحَكُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» وَلَنْ نُعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا "

640 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا عَمِّي , وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَا: نا حَجَّاجٌ قَالَ: نا حَمَّادٌ يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ , عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ , عَنْ عُمَارَةَ الْقُرَشِيِّ , عَنْ أَبِي بُرْدَةَ , عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَتَجَلَّى لَنَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ ضَاحِكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

641- حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: نا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى قَالَ: نا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ , عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ , عَنْ عُمَارَةَ الْقُرَشِيِّ , عَنْ أَبِي بُرْدَةَ , عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَتَجَلَّى لَنَا الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ ضَاحِكًا وَيَقُولُ: أَبْشِرُوا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ , فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَا قَدْ جَعَلْتُ مَكَانَهُ فِي النَّارِ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا "

642 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا هَارُونُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: نا أَبُو يَحْيَى الْحِمَّانِيُّ , عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ , عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ الْوَالِبِيِّ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي جَبَّانَةِ الْكُوفَةِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَا أَنْتَ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَا أَنْتَ , ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَضَحِكَ , فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتِغْفَارُكَ رَبَّكَ وَالْتِفَاتُكَ إِلَيَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ , ثُمَّ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَا أَنْتَ» ثُمَّ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ , ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَضَحِكَ , فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ , اسْتَغْفَارُكَ رَبَّكَ وَالْتِفَاتُكَ إِلَيَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: " ضَحِكْتُ لِضَحِكِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ , يَعْجَبُ لِعَبْدِهِ: يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ "

644 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّا الْمُطَرِّزُ قَالَ: أَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ زَنْجُوَيْهِ , وَأَحْمَدُ بْنُ سُفْيَانَ قَالَا: نا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفِرْيَابِيُّ , عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ , عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ , عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فَقَالَ حِينَ رَكِبَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ , {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} [الزخرف: ١٤] لَا إِلَهَ إِلَا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَا أَنْتَ قَالَ: ثُمَّ اسْتُضْحِكَ فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ , فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "يَعْجَبُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْعَبْدِ إِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي , إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَا أَنْتَ "

645 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: نا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ قَالَ: نا جَرِيرٌ , عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ , عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ , عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ الْأَسَدِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتِيَ بِدَابَّةٍ فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ , فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ قَالَ: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} [الزخرف: ١٤] ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَكَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَا أَنْتَ سُبْحَانَكَ , إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي , فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي , إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ إِلَا أَنْتَ , ثُمَّ اسْتُضْحِكَ , فَقُلْتُ: مِمَّ اسْتُضْحِكْتَ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا مِثْلَ مَا قُلْتُ , ثُمَّ اسْتُضْحِكَ فَقُلْتُ: مِمَّ اسْتُضْحِكْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "يَعْجَبُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَوْلِ عَبْدِهِ: سُبْحَانَكَ , إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي , فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَا أَنْتَ قَالَ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ "

646 - حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: نا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: نا أَبُو حُذَيْفَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الصَّنْعَانِيُّ قَالَ: نا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَقِيلٍ , عَنْ أَبِيهِ , عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ , عَنْ جَابِرٍ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِصَّةِ الْوُرُودِ قَالَ: «فَيَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ يَضْحَكُ» قَالَ جَابِرٌ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ حَتَّى تَبْدُوَ لَهَوَاتُهُ "

647 - حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: أَنَا عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ اللَّاحِقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ: أَنَا ثَابِتٌ , عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ آخِرَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ فَهُوَ يَكْبُو مَرَّةً وَيَمْشِي مَرَّةً , وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً , فَإِذَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا , فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ , لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ , فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْهَا فَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا , وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا , فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلِّيَ إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا , فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ , فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا , وَرَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ , فَيُدْنِيهِ مِنْهَا , فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا , فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى , فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ , أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ فَلِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا , فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ , أَلَمْ تُعَاهِدْنِي: أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ وَلَكِنْ هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا , وَرَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ , فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ: أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا , وَرَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ , فَيُدْنِيهِ مِنْهَا , فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ , فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا , وَرَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ وَهُوَ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ , فَيُدْنِيهِ مِنْهَا , فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ , أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنَّكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِيهَا , فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يُرْضِيكَ مِنِّي؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ , أَتَسْتَهْزِئُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ " فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ , فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , ثُمَّ ضَحِكَ , فَقَالَ: "أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالَ: مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ حِينَ يَقُولُ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ , وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَدِيرٌ , فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ"

648 - حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: نا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ , عَنْ أَبِيهِ قَالَ: بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ مَعَ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِذْ مَرَّ شَيْخٌ جَلِيلٌ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , فِي بَصَرِهِ بَعْضُ الضَّعْفِ , مِنْ بَنِي غِفَارٍ فَبَعَثَ إِلَيْهِ حُمَيْدٌ , فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لِي: يَا ابْنَ أَخِي , أَوْسِعْ لَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَإِنَّهُ قَدْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ,

فَأَجْلَسَهُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ , ثُمَّ قَالَ الْحَدِيثَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ السَّحَابَ , فَيَضْحَكُ أَحْسَنَ الضَّحِكِ , وَيَنْطِقُ أَحْسَنَ الْمَنْطِقِ»

650 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ قَالَ: أَنْبَأَنَا بَحِيرُ بْنُ سَعْدٍ , عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ , عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ , عَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " أَيُّ الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي الصَّفِّ, فَلَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا , أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ , يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ , وَإِذَا ضَحِكَ إِلَى عَبْدٍ فِي مَوْطِنٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ»

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ السُّنَنُ كُلُّهَا نُؤْمِنُ بِهَا , وَلَا نَقُولُ فِيهَا: كَيْفَ؟ وَالَّذِينَ نَقَلُوا هَذِهِ السُّنَنَ: هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا السُّنَنَ فِي الطَّهَارَةِ , وَفِي الصَّلَاةِ , وَالزَّكَاةِ , وَالصِّيَامِ , الحج, وَالْجِهَادِ , وَسَائِرِ الْأَحْكَامِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ , فَقَبِلَهَا الْعُلَمَاءُ مِنْهُمْ أَحْسَنَ قَبُولٍ , وَلَا يَرُدُّ هَذِهِ السُّنَنَ إِلَّا مَنْ يَذْهَبُ مَذْهَبَ الْمُعْتَزِلَةِ , فَمَنْ عَارَضَ فِيهَا أَوْ رَدَّهَا , أَوْ قَالَ: كَيْفَ؟ فَاتَّهِمُوهُ وَاحْذَرُوهُ

قرأنا الآن الأحاديث والآثار التي نقلها الإمام محمد بن الحسين الآجري – رحمة الله عليه– ذاكرًا فيه عنوان بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَضْحَكُ، وهذه الأحاديث والآثار التي معنا تدل على اثبات صفة الضحك لله عز وجل، وكما قدَّم في الباب أولًا وقال بأن أهل الحق وهم أهل السنة والجماعة لا إشكال عندهم في اثبات صفات الله عز وجل لأنهم يسيرون على المنهج الذي أصَّله لهم النبي ﷺ بأن أمور الغيبيات ليس لهم فيها إلا دليل السمع أن يؤمنوا بما جاء عن الله عز وجل، وبما وصف به الله عز وجل نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، وبما وصفه به الصحابة رضي الله عنهم، لأن هذا يكون مرفوعًا إلى النبي ﷺ، لأن هذا الباب هو باب غيبي لا مجال فيه للعقل، ولكن المجال فيه فقط للسمع؛ وهو اتباع ما جاء به السمع من الكتاب والسنة. فلذلك نقول أهل السنة ليس عندهم إشكال في ذلك، هم جعلوا أنفسهم يسيرون خلف الدليل؛ خلف الكتاب والسنة، فكلما جاء الكتاب أو السنة بصفة من صفات الله عز وجل أثبتوها لله عز وجل، وهذا هو حُسْن الاتباع لما جاء في الكتاب وفي السنة.

وخالفهم في ذلك المبتدعة الذين لم يسيروا على هذا الأصل، بل أدخلوا عقولهم في اثبات صفات الله عز وجل واسمائه فلم يُسَلِّموا بكل ما جاء عن الله أو عن النبي، بل قدموا العقل في ذلك على النقل، فضلوا وابتدعوا في دين الله عز وجل وفي أسماء الله وفي صفاته. لذلك أهل السنة والجماعة لما سَلَّموا بذلك سَلَّموا على أصول عندهم أيضًا، وهو قول الله عز وجل:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى:11]، فلا فارق عندهم باثبات السمع أو البصر أو اليد أو العينين أو اليدين أو القدمين أو الأصابع، أو الضحك أو الغضب أو الحب، إلى غير ذلك من الصفات التي جاءت عن الله عز وجل، الكل في ميزان واحد، والكل عندهم بلا تكييف، لا يخضعون الصفات إلى التكييف لأنهم يعلمون بأنه لا مجال للتكييف بأنهم يصفون الله عز وجل، فكيف لهم أن يكيفوا الصفات وهم لم يروا الله عز وجل، ولم يروا من رأى الله عز وجل! فلا مجال للتكييف هنا، بل اثباته بلا تكييف ولا تمثيل، مع أنهم يقولون أن لها كيفية لكننا لا نعلم هذه الكيفية بل نفوض الكيفية إلى الله عز وجل. لذلك ليس عندهم إشكاليات في ذلك بخلاف المبتدعة – كما سيأتي في ختام الكلام – الذين لم يثبتوا هذه الصفة؛ إما ردوها بالكلية أو حرفوا في معناها.

لكن أهل السنة والجماعة استمتعوا – كما نقول – وتلذذوا بما جاء في الكتاب أو السنة، لأن الصفة التي معنا؛ صفة الضحك، ثابتة من السنة، ليست من الكتاب، بهذه الأحاديث التي جاءت باثبات ضحك الله عز وجل. وضحك الله عز وجل كما جاء من عدة أحاديث هنا فيها أفعال ذكرها النبي ﷺ يضحك فيها الله عز وجل من عباده، ومن تتبع هذه الأحاديث يستطيع أن يقول بأن ضحك الله عز وجل يكون – وهذا طبعًا لو قَدَّمنا – نقول **إما ببيان عظيم قدرة الله عز وجل، وأيضًا بضحك الله عز وجل يكون من خروج الشيء عن النظير**؛ لما يرى من عباده أنهم يخرجون عن النظير فيرى من أفعالهم فيكون هذا سببًا لضحك الله عز وجل.

لذلك لو تتبعنا ما سيأتي معنا من فوائد عن هذه الأحاديث ستجد أن ضحك الله عز وجل من تمام قدرته لما يعلمه سبحانه وتعالى من قدرته وقوته فيما لا يعلمه عباده عنه، وأيضًا من خروج الشيء عن نظيره، فيضحك الله عز وجل لعباده لما يرى منه شيء يخرج عن النظير؛ كما مثلًا أن يضحك الله عز وجل إلى ثلاثة، وإن كنا نبدأ أولًا بأول حديث الذي **(يَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَجُلَيْنِ: يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ , كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ: يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ , ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْقَاتِلِ , فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ , فَيُسْتَشْهَدُ)** فهنا يضحك الله

عز وجل وهو يعلم مما سيؤول إليه أمر هؤلاء الإثنين، لكنه من قدرته سبحان الله على هداية خلقه وعلى هداية عباده فيعجب الله عز وجل من صنيع هؤلاء الإثنين؛ الرجل كافر يقاتل مسلم فقتل الكافر المسلم فمات المسلم واستشهد المسلم فدخل الجنة شهيدًا، ثم يَمُن الله عز وجل على عبده الكافر فيصير مسلمًا، وهذا من تمام قوة الله وقدرة الله عز وجل، ولذلك ضحك الله عز وجل بأن هذا الكافر الذي قتل المسلم مآله كان إلى النار لكن الله عز وجل أراد له الخير فأسلم، فقاتل بعد ذلك مسلمًا في سبيل الله عز وجل، وقبلها طبعًا تاب عليه فقاتل فقُتل فاستشهد فدخل الجنة، فالإثنين كانوا في الجنة مع أن هناك القاتل والمقتول، لكن لأن الله عز وجل أراد للقاتل الهداية فضحك الله عز وجل من صنيع هؤلاء بأنه يرى القاتل والمقتول معًا في الجنة، خلافًا للنظير؛ بأن القاتل يستحق العقاب، لأن القاتل خاصة لو كان على الكفر فهو خالد مخلد في نار جهنم، وإن لم يكن حتى على الكفر فإنه من أهل النار يستحق ذلك، إلا أن يعفو الله عز وجل عنه. وهنا الله عز وجل عفى عن هؤلاء، وقَبِل من هذا التوبة ودخل الإسلام ثم تقابل مع من قتله في الجنة.

وفيه دلالة على أن الله عز وجل قد يُرضِّي المقتول عن قاتله، لأن قلنا بأن العلماء تكلموا في مسألة الحقوق على القاتل، قالوا ثلاثة حقوق: حق لله عز وجل بتجرؤه على قتل نفس محرمة، والأمر الثاني حق لأولياء الدم لأنهم إما يأخذوا بالقصاص أو يأخذوا بالدية ولو أخذوا بالدية تبقى حق ثالث قالوا به وهو حق المقتول يوم القيامة؛ أن يأتي إلى الله عز وجل فيأخذ بقاتله فيقول يا الله سله فيما قتلني؟ وقالوا هذا لأنه كان سببًا في نهاية أجله، طبعًا هو كل شيء مكتوب لكن كان هذا القاتل سببًا في نهاية أجله فظل حتى على أنه بعد أخذ الدية أو القصاص من القاتل يظل للمقتول هذا الأمر كما جاء. فهنا لو حَسُنَت توبة القاتل فيرضي الله عز وجل المقتول عن القاتل، وهذه دلالة على أن الله عز وجل هنا في هذا الحديث سيدخل هذا القاتل الجنة، فكأن الله عز وجل جعل الرضا من المقتول، أو أعطاه من الحسنات، أو رفع عنه من السيئات فجعله يرضى بذلك، فدخل الإثنين إلى الجنة. ولكن نقول هذا من ظهور عجائب قدرة الله عز وجل.

لذلك نقول الضحك لله عز وجل؛ كما سيأتي في أكثر من موضع لو تمحصنا النظر، سنجده إما خروج الشيء عن نظيره في العمل، أو عن بيان قدرة الله عز وجل فالله يضحك من قدرته سبحانه وتعالى، يضحك لأنه يعلم من قدرته بأنه قادر على أن يفعل ذلك مع عباده.

ثم الحديث الذي يليه أيضًا – البعض ضعَّفه ولكنه له أسانيد أخرى تُحسِّن بعضها بعضًا (ثَلَاثَةٌ يَضْحَكُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِمُ: الرَّجُلُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي , وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلصَّلَاةِ, وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلْعَدُوِّ). هنا أيضًا مثال على خروج الشيء عن نظائره، ما النظائر؟ الناس نيام والرجل مع أهل بيته نائم، لكنه أراد القيام في الليل إلى الله عز وجل ليصلي من الليل ما شاء فقام والناس نيام، فهذا خلاف النظائر؛ خلاف ما يكون من أهل بيته، فكان لهذا الفعل الذي خرج فيه عن النظير بأن الوقت وقت نوم، وقت سكون، وقت راحة، لكن هذا الرجل قام لله عز وجل يقوم يصلي لله سبحانه وتعالى، فضحك الله عز وجل من الرجل إذا قام من الليل يصلي.

وهذه من أمتع الفوائد التي يستحضرها المرء، بل البعض فيما أعلم يريد أن ينام قليلًا ثم يستيقظ ليأتي بهذه السنة لأنه نام ثم قام منفردًا ليصلي إلى الله عز وجل، أو حتى لو قام معه أهل بيته لكنه قام في وقت الناس فيه نيام، وأنا أشك أن أحد يستحضر هذه النية عند القيام؛ هو يستحضر الطاعة لكن قد تغيب لكثرة السنن بأنه يريد عند نومه أن يقوم ليصلي لله أن يستيقظ ليضحك الله له، وهذا هو المقصود من الحديث.

قال: (ثَلَاثَةٌ يَضْحَكُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِمُ) وهو ضحك – كما سنبين – حقيقي، فأنت لما تستحضر بأنك تستيقظ من الليل لتصلي ركعتين، أو تذكر الله عز وجل، أو تقوم فيما شئت، لكن هنا قام طبعًا من الليل يصلي، فأنت لو استحضرت بأن الله يضحك إليك، وكيف هذا! متعة ما بعدها متعة بأنك تعلم أن الله يضحك إليك، وسنبين ثواب أن يضحك الله عز وجل لك جاءت أيضًا في بعض الأحاديث. لكن هنا أنه إذا قام من الليل يصلي والناس نيام فهذا أتى بخلاف النظير، أو بخلاف ما اعتاده الناس.

(وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلصَّلَاةِ , وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلْعَدُوِّ) فيه الاصطفاف، لأن الناس عند العدو؛ والصلاة كالعدو في الاستواء فيه، لأن النبي ﷺ بيَّن بأن الاستواء في الصلاة وفي العدو دلالة على الترابط، دلالة على الاجتماع، لأنه قال: [اسْتَوُوا ولا تَخْتَلِفُوا ؛ فتَختلِفَ قلوبُكُمْ]، فجاء الشرع بأن الاستواء في الصلاة دلالة على استواء القلوب بعضهم مع بعض، وكذلك الاستواء في الصف دلالة على اجتماع المسلمين والمجاهدين على إعلاء كلمة الله عز وجل، وليس بينهما خلاف، {وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ } [آل عمران: 103] ، فالاعتصام وعدم الفُرقَة هذا أصل أصيل عندنا لنزول النصر.

فالله عز وجل يضحك لهؤلاء لأنهم أتوا بما عليهم يريدون نصر الله عز وجل، ويريدون إقامة الصلاة وهي الركن الركين في هذا الدين، فقاموا صفًا جميعًا لله عز وجل، خلاف أن الناس لا يفعلون ذلك؛ بل يفترقون ويختلفون، فكان هذا الفعل من هؤلاء الثلاثة سببًا في ضحك الله عز وجل لهم.

وإذا ضحك الله عز وجل لعبد – كما سيأتي ومن أعظم الأحاديث التي ختم بها – بأن الله لا يحاسبه – الله أكبر – إذا ضحك الله عز وجل لعبد فإنه لا يحاسبه، فهنا استحضار عظيم للعبد بأنه يكون من هؤلاء الثلاثة؛ أن يقوم من الليل فيصلي ليضحك الله عز وجل له، وأن يصف في الصلاة مع الناس ولا يخالف، بعض الناس للأسف لا يستوون في الصلاة – أسأل الله عز وجل أن يرد لنا الاستواء في الصفوف واكتمال الصفوف وأن يرجع لنا هذه السنة الغائبة في هذه الأزمنة؛ سواء كانت بفعل فاعل أو كانت بقدر من الله عز وجل، وكله بقدر من الله، لكننا نفتقد لا شك مسألة استواء الصفوف واكتمال الصفوف إلى غير ذلك، وأيضًا الاصطفاف للعدو. هذه من الثلاثة الذين يضحك الله عز وجل لهم.

ولذلك تجد أيضًا ممكن يُخرَّج على مسألة الرجل إذا قام من الليل يصلي على أننا لو قلنا بأن الأصل في ضحك الله عز وجل أن المرء يفعل ما يخالف النظير، أو ما يخالف الشبيه، أو ما يخالف المعتاد بأنك أيضًا إن كنت في صحبة من الأصحاب وأنك تركتهم خالفتهم لعبادة، أو لانشغال بوِرد، أو بذكر، أو غير ذلك، فلعل هذا يكون قريبًا من مسألة أنك تقوم من الليل والناس نيام فتصلي لله عز وجل، فهذا فيه خروج عن النظير أيضًا، فقد يكون هذا سببًا لضحك الله عز وجل لك.

قال هنا أيضًا في حديث ابن مسعود: **(يَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ قَامَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَأَهْلُهُ نِيَامٌ , فَتَطَهَّرَ , ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي , فَيَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ)**، هو بيَّن هنا العلة، لماذا؟ أهله نيام. ودائمًا يقولون أن الإنسان في البيئة التي فيها لو جالس في بيئة الناس نيام سينام معهم، لو ناس مستيقظة سيستيقظ، لذلك يقولون "الصاحب ساحب" والمرء يتخير من يصاحب، فهذا الذي يكون مع أهل بيته والناس نيام ويقوم ويفعل ذلك هذه دلالة على أنه قد منَّ الله عز وجل عليه بهذه الطاعة، وأنه اصطفاه عن غيره على أن يقوم في جوف الليل ليتطهر ويصلي، أقول كم منا يستشعر هذه المكرمة من الله عز وجل عندما يقوم؟ أنه يقوم لأنه يريد أن يضحك الله عز وجل إليه.

(وَرَجُلٌ لَقِيَ الْعَدُوَّ فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ , وَثَبَتَ حَتَّى رَزَقَهُ اللَّهُ الشَّهَادَةَ)، وهذه لها سلف في السنة. وطبعًا لو تكلمنا عن الثبات في المعركة أو الثبات في القتال فلن نستطيع أن نغادر حتى نتكلم عن نبينا ﷺ؛ كان أثبت الناس، وأشجع الناس، وكان مقدامًا في غزواته حتى أنه ورد عن عليّ رضي الله عنه وأرضاه أو عمر: كان إذا اشتد الوطيس احتمينا بالنبي ﷺ – كما جاء في معنى الحديث – وهذا الذي حدث من النبي ﷺ في أُحد، وحدث من النبي ﷺ في حنين لما تفرق الناس عن النبي ﷺ في حنين وكانوا في كثرة وثبت النبي ﷺ وقال: [أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابنُ عبدِ المطَّلبْ]، ونادى في العباس؛ وكان له صوت جهوري رضي الله عنه، أن نادي على الصحابة فرجعوا له فاجتمعوا معه كما تجتمع النحل مع بعضها البعض أو كما تجتمع الهاموش إلى النار – في معنى ذلك – فرجعوا إلى النبي ﷺ، وكان هنا النبي ﷺ هو الذي ثبت.

والذي حدث أيضًا بأنه ثبت مع بعض الصحابة في أُحد، وأنه لما حدث من الرماة وفرَّ من فرَّ – إن صح القول ولكننا تأدبنا مع الصحابة لأن الله قد غفر لهم ذلك – لكن حدث بأن أبو بكر وعمر وعثمان كل هؤلاء فيما أذكر فأنهم قد انحازوا في أحد، ولكن انظر ماذا حدث من أنس بن النضر؟ أنس بن النضر طبَّق ما في هذا الحديث بالضبط؛ لأنه كان قد تخلف عن غزوة بدر، وتخلفه ليس رجوعًا لأن النبي لم يستنهض ولم يطلب الخروج للقتال في بدر بل كان للعير ثم حدث القتال، فمن لم يخرج في بدر لم يخالف ولم يقصر في شيء ولم يفر، لكنه قال: [لَئِنِ اللهُ أشهَدَني قِتالَ المُشرِكينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أصنَعُ] حتى أنه في فرار الصحابة ورجوع سعد رضي الله عنه فقابل أنس بن النضر قال يا أنس أين تذهب؟ الناس ترجع وهو يقبل عليهم، قال:[يا سَعدُ بنَ مُعاذٍ، الجَنَّةَ ورَبِّ النَّضرِ، إنِّي أجِدُ ريحَها مِن دونِ أُحُدٍ]، فدخل أنس بن النضر والصحابة يرجعون ينحازون وهو يتقدم،{مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: 23]، كما نزلت الآيات على ذلك، فتقدم فقاتل مقبلًا غير مدبرًا حتى قُتل، حتى ما علمته أخته إلا ببنانه أو بأصابعه مما أُكثِر عليه من الطعنات والضرب فيه. فهذا رجل لقي العدو فانهزم أصحابه وثبت حتى رزقه الله الشهاده تحقيقًا حدث من أنس بن النضر، بل وغيره من الصحابة رضوان الله عز وجل عليهم.

فهذا رجل يضحك الله عز وجل إليه، لماذا؟ لأنه فعل ما خرج عن النظير فكان سببًا في ضحك الله عز وجل له؛ الناس ترجع وتنهزم وهذا يُقبِل ولا يهمه شيء، يقتل ما يقتل من الناس

ويعلم بأنه قد يُقتَل وعلى غلبة ظنه أنه سيُقتل ولكنه أراد شهادة من الله عز وجل، فهذا يضحك الله عز وجل من ذلك.

ثم جاء الحديث الآخر من قول النبي ﷺ: (ضَحِكَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ)، أولًا مسألة (غِيَرِهِ) تغير الأحوال هذه من لوازم ربوبية الله عز وجل، أي الناظر لتغير ما يحدث في الكون؛ تغير الشمس والقمر والليل والنهار، تغير أحوال الناس والعباد، هذا في العلو وهذا في النزول، تمكين ثم غياب التمكين، هذا التغير دلالة على ربوبية الله عز وجل؛ أن هناك رب يتحكم وله القدرة والقوة سبحانه وتعالى في تغيير الأحوال وقتما أراد كيفما شاء سبحانه وتعالى.

فهنا النبي ﷺ في حديث أبو رزين؛ وهذا من أهم الأحاديث في اثبات هذه الصفة وفيها الرد على المبتدعة كما سنبين، قال: (ضَحِكَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ)، قنوط عباده؛ الناس يأتيهم الضنك، يأتيهم الشدة، يأتيهم الجدب، يأتيهم القحط وهم يدعون ولا يُستجاب لهم أو يتأخر لهم الإجابة، فيبدأون في القنوط، والله عز وجل يعلم سبحانه وتعالى بـ (قُرْبِ غِيَرِهِ) أي قرب نزول الفرج، قرب نزول الماء والمطر، قرب الانفراج لهم، فالله عز وجل يعلم بذلك، وهذه من قدرة الله عز وجل- الأمر الثاني في الضحك؛ بأنه من لوازم قدرة الله سبحانه وتعالى بأنه يعلم التغير متى يكون، وهو الذي له أن يغير الأحوال، فالله عز وجل يطلع على (قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ) هو يعلم بأنهم بدأوا – إن صح أن نقول – في اليأس أو التغير، والله عز وجل يعلم بأن الفرج قادم لهم، فقال: (ضَحِكَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ)، وهذه من لوازم قدرة الله عز وجل لما يستيأس {حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا } [يوسف: 110] ، وطبعًا استيئاس الرسل ليس قنوطًا حتى لا يظن أحد أن المقصود ذلك، لكنهم فعلوا كل ما يفعلون من الأسباب وتركوا الأمر لله عز وجل بعد ذلك، هذا معنى في "الرسل"، وإلا في "العباد" قد يحدث ذلك منه، لكن لا يُظَن بالرسل ذلك حتى لا يتبادر إلى الذهن فهمًا خطأ، أردت أن أبين.

قال: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ) انظر إلى أبي رزين، (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ , أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا)، أبو رزين رضي الله عنه قال (أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ)؟ سأل عن ضحك الرب، صفة لم يكن يعلمها، فلما سمع من النبي ﷺ: (ضَحِكَ رَبُّنَا) فقال: (أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ)؟ قال: (نَعَمْ)، ماذا قال أبو رزين؟ هل قال: يا رسول

الله ضحك ربنا هو الرضا أم الثواب أم الإنعام أم ماذا؟! ما قال أبو رزين ذلك، لم يسأل هل الضحك معناه الرضا والثواب والإنعام والرحمة! بل لو كان يسأل ذلك فهذا معلوم من الدين بالضرورة وهو يقرأ القرآن ليل نهار مع النبي ﷺ، فلا يمكن أن يسأل: أيرحم ربنا؟ أيرضى ربنا؟ أيرزقنا ربنا؟ أينعمنا ربنا كما قال المبتدعة في تحريف الصفة! لا، سأل عن الضحك لأن الضحك لم يكن يعلمه من نفسه فهذا أمر غيبي لابد أن يخبر به الله عز وجل عن نفسه أو النبي ﷺ، فلما قال: (**أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ**)؟ قال: (**نَعَمْ**)، ما قال إذًا يرحمنا، إذًا يرضى عنا، إذًا ينعمنا! لا، بل فَقِه أبو رزين، لأنه لو كان قال غير ذلك لنتهم أبي رزين بالجهل، وحاشاه ذلك؛ هو صحابي من صحابة النبي ﷺ.

فسأل عن الضحك فقال النبي ﷺ: (**قَالَ**: «**نَعَمْ**» **قُلْتُ**: **لَنْ نُعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا**)، وهذه ثمرة سنتكلم عنها؛ بأنك كيف تتعبد إلى الله عز وجل بثمرة الضحك؟ بينها لنا أبو رزين؛ أولًا: اثباتًا للضحك وردًا على المبتدعة، فأبا رزين هنا أثبت الضحك، وهو ضحك حقيقي، ولم يسأل عن معنى غير ظاهر للضحك لأنه فهم الضحك، لكنه يفهم بالأصل العام عند أهل السنة والجماعة بلا كيف وبلا تمثيل، لكنه يفهم ظاهر الضحك ولم يتكلم في تصريف عن الظاهر في أي معنى من المعاني التي قالت بها المبتدعة، ولم يرد كما ردت المعتزلة الذين نفوا أصلًا صفة الضحك. فلما أثبت الضحك أيضًا لم يقل أيضحك ربنا إذًا له يا رسول ﷺ شفتين، وله لسان، وله فم، ويفتح فمه إذا ضحك؟! ما قال ذلك أبو رزين، وما ظن ذلك أصلًا، لماذا؟ لأن هذا غير معتقد عند أهل السنة والجماعة، فلما يأتي أصحاب العقول الخربة ويقولون لا نقول بالضحك لأن لو أثبتنا الضحك سيكون بنثبت لله عز وجل بأنه له فم وله أسنان وله لسان وله شفتان! من أنتم؟ من قال ذلك؟ ويقولوا لذلك نقول لا يضحك لكنه يثيب وينعم ويرضى! هذا لم يقله أبو رزين، لكنه أثبت ووقف عند النص، لأنه مفهوم لهم المعنى، لأن الضحك معناه معلوم، لكنه كما قال الإمام مالك **الضحك** – كما نقول على الاستواء – **معلوم، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**. فما سأل أبو رزين النبي ﷺ عن كل هذه الأمور المبتدعة التي سألها هؤلاء من الخلف، ولن تجدهم في السلف لأن السلف والقرون الخيرية جميعًا أثبتت هكذا ولم تتكلم، وهذا الصحابي الجليل أولى أننا نتبع ما قاله وما فهمه لأن هذا فهم الصحابة للنبي ﷺ.

قال: (**لَنْ نُعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا**) وحقًا ما أدري العقول التي طاشت أنهم لا يثبتون صفة الضحك لله عز وجل! وأنه من العبادات التي تتعبد بها إلى الله عز وجل أن تثبت صفة

الضحك لله عز وجل. قال الصحابي الفقيه الذي فهم قال: (لَنْ نُعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا)، ما دام الرب يضحك سبحانه وتعالى لابد من الخير، أنت الآن لو أردت أنك تتوسط لأحد وتقول فلان لو كنت تتوسط له عندنا عنده كذا، فقال يا أخي الرجل هذا عبوس وجهه ما يضحك أبدًا، أي لو ذهبنا نتكلم معه هو أصلًا ما رأيته يضحك منذ علمته. فأنت تهاب أن تتكلم معه، لا تريد لأنه رجل عبوس الوجه، لا يضحك لا يبتسم ليس له أريحية، فأنت تجد نفسك تنفر من أن تتكلم معه وتطلب منه شيء. لكن على النقيض لما تطلب من أحد يقول لك مثلًا فلان له عندي حاجة أو له على دَيْن وأنا ليس عندي أو كذا وكذا، فتقول والله هذا فلان هذا رجل دائمًا صاحب ابتسامة وصاحب تودد وألفة فأنا أذهب وأكلمه لا إشكال، وهو لا يرد أحد ويتكلم معه ببشاشة وجه وضحك حتى عندما نتمازح معه يضحك، فأنت تجد نفسك تُقبِل عليه.

ولله المثل الأعلى، فأنت لما تعلم بأن الله عز وجل يضحك إذًا لن تعدم خيرًا من رب يضحك، ما دام سيضحك الله عز وجل لك إذًا سيرضى عنك، سيتجاوز عنك كما جاءت نصًا في الأحاديث التي معنا؛ لأن الله إذا ضحك للعبد فلن يحاسبه سبحانه وتعالى.

ثم جاء أيضًا في حديث أبي موسى أن الرسول ﷺ قال: (يَتَجَلَّى لَنَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ ضَاحِكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) الله أكبر، هذه للمؤمنين خاصة؛ يتجلى لنا ربنا ضاحكًا يوم القيامة، وهذا الحديث وإن كان فيه ضعف لكن عندنا من حديث مسلم تقريبًا في رواية أخرى عند مسلم أصرح، فهذه الرواية فيها كلام في "علي بن زيد" و"ابن جدعان" فيه ضعف، لكن في مسلم عندنا رواية أخرى حديث جابر رضي الله عنه وأرضاه قال: [نَجِيءُ نَحنُ يَومَ القيامةِ عن كَذا وكَذا، انظُر أي ذلك فوقَ النَّاسِ؟ قال: فتُدعى الأُمَمُ بأوثانِها وما كانَت تَعبُدُ، الأوَّلُ فالأوَّلُ، ثُمَّ يَأتينا رَبُّنا بَعدَ ذلك، فيَقولُ: مَن تَنظُرونَ؟ فيَقولونَ: نَنظُرُ رَبَّنا، فيَقولُ: أنا رَبُّكُم، فيَقولونَ: حتَّى نَنظُرَ إلَيك، فيَتَجَلَّى لهم يَضحَكُ] طبعًا هذا الضحك يوم القيامة قبل الحساب أيضًا قبل دخول الجنة، لكن هذا الضحك من الله عز وجل للمؤمنين خاصة، وإلا الكافرين سينزلون مع أوثانهم أو آلهتهم، والمنافق لن يرى ضحك الله عز وجل، لكن هذا الضحك خاص بالمؤمنين (يَتَجَلَّى لَنَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ ضَاحِكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، وهذا الوقت يوم القيامة أنت تحتاج لأي شيء يخفف عنك، فلما ترى الله يضحك لك فأي نعمة من هذه النعائم التي تكون بأن يضحك الله عز وجل لك يوم القيامة. وأنا أعجب حقيقة هؤلاء الذين نفوا الصفة أو ما أثبتوها أصالة بالتحريف! كيف يفعلون والمرء يوم

القيامة يحتاج إلى ذرة من الحسنات لينجو بها، فما بالك إذا ضحك الله عز وجل لك! أي نعمة من هذه النعائم التي أنت تنكرها ولا تثبتها مع أن النبي ﷺ أثبت لنا ذلك!

ثم أيضًا في رواية عن أبي موسى قال ﷺ:(يَتَجَلَّى لَنَا الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ ضَاحِكًا وَيَقُولُ: أَبْشِرُوا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ , فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَا قَدْ جَعَلْتُ مَكَانَهُ فِي النَّارِ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا) على نظر في مسألة السند لكننا نقول نستأنس بها بأن الله عز وجل إذا ضحك للعباد يوم القيامة إذًا هو قد أنجاهم من النار وأدخلهم الجنة، وجعل مكانهم في النار من اليهود ومن النصارى غيرهم، وقال: (أَبْشِرُوا) وهي دلالة على أن ضحك الله عز وجل لعباده هذا الضحك فيه معنى النجاة لهم، والتجاوز عنهم، وأن الله عز وجل قد رضي عنهم يوم القيامة، وأن مآلهم فيها إلى الجنة بإذن الله تعالى.

ثم الحديث الذي فيه سنة غائبة عن كثير من الناس حديث علي بن أبي طالب لما ركب على الدابة فقال: (لَا إِلَهَ إِلَا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَا أَنْتَ» ثُمَّ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ , ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَضَحِكَ) وروى في الحديث بأنه لما فعل ذلك قال كنت مع النبي ﷺ فالنبي ﷺ فعل ذلك فضحك فلما ضحك النبي ﷺ سأله فقال: (ضَحِكْتُ لِضَحِكِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ , يَعْجَبُ لِعَبْدِهِ: يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ).

من منكم لما يركب الدابة يقول هذا الدعاء ويضحك حقًا؟ طبعًا الحديث هذا مسلسل عند أهل الحديث لأن النبي ضحك، وعليّ ضحك، ولما رُوي كان يُروى بالضحك، فهذه سنة غائبة، أنا متأكد أن غالبكم ممكن يقول الحديث لكنه لا يضحك، والضحك هنا سنة عن النبي ﷺ وقد ضحك النبي لضحك الله عز وجل. انظر.. عظيم جدًا أنك تتبع السنن وتستشعر أنك تفعل شيء خاصة في المسلسل فعله النبي ﷺ، فأنت تضحك لأن عليّ ضحك، وعليّ ضحك لأن النبي قد ضحك له، وأن النبي ﷺ ضحك قال لضحك الله عز وجل.

ولكن انظر الفارق.. ضحك رب العالمين قال: (يَعْجَبُ لِعَبْدِهِ) وهنا يبين لك بأن الضحك – كما قلت في أول المحاضرة – على أن الضحك يكون إما لتمام قدرة الله عز وجل، أو لخروج الشيء عن نظيره. قال هنا (يَعْجَبُ لِعَبْدِهِ)، وصفة (العجب) لله عز وجل ليست كعجب المخلوق، عجب المخلوق هو يرى شيئًا لا يعلمه يستعجب كيف حدث، لكن الله عز وجل يعلم بكل شيء، فعجب الله عز وجل خروج الشيء عن نظيره، فهو (يَعْجَبُ لِعَبْدِهِ: يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) لأنه قال:(لَا إِلَهَ إِلَا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ

الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» ثُمَّ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ) أين العجب هنا؟ لأن- مع الروايات الأخرى- العبد يذنب فيستغفر الله عز وجل، ويعلم بأن الله يغفر له الذنوب، ثم إذا أذنب مرة أخرى فإنه يستغفر ويطلب الغفران من الله عز وجل ويعلم أن له رب يغفر له الذنوب، كما جاء في الحديث القدسي الآخر، فالله عز وجل يحب ذلك من عبده، فيعجب أنه يفعل ويرجع إلى الله عز وجل يستغفره ويتوب إليه، فيغفر الله عز وجل، ثم يذنب ثم يفعل ذلك، وهنا يعجب الله عز وجل لعبده يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أي أنه لا ملجأ له إلا لله عز وجل، لا ملجأ له إلا لربه سبحانه وتعالى هو الذي يغفر له الذنوب، لا يذهب إلى عالِم، لا يذهب إلى ولي، لا يذهب إلى مقبور، لا يذهب إلى أي مخلوق، الغفران لا يكون إلا لله عز وجل.

فهنا يضحك الله عز وجل من هذا الإيمان الذي رزقه الله عز وجل لعبده لأنه يعلم أن الله عز وجل لا يغفر الذنوب إلا هو، كما حدث في الرجل قاتل المئة نفس، فهو لما قتل تسعة وتسعين وجاء للعابد الذي لم يُحسن توجيهه قال له ليس لك توبة فقتله فأكمل به المئة، ثم لما ذهب إلى العالِم قال وما يمنعك من التوبة؟ اذهب إلى أرض فلان كذا وكذا فتاب ثم انتقل، فالله عز وجل كافأه على علمه بتوبته في قلبه؛ لأنه غفر له ذلك وأدخله الجنة بأن قرَّب ملائكة الرحمة مسافة سيرة إلى البلد، فكان من أهل هذه البلد، فأدخله الله عز وجل الجنة.

فهنا كما جاء في الحديث الآخر أيضًا: [اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَضَحِكَ] وذكر له الحديث. [لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ] وهذا فيه اثبات الوحدانية لله عز وجل؛ أنه هو الوحيد الذي يغفر الذنوب. وأيضًا الرواية الأخرى: (اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ, {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ})، ثم ذكر الحديث فضحك. وأنا أقول فليتذكر الجميع هذه السنة الغائبة؛ كلما ركب على الدابة وأراد أن يقول هذا الدعاء أن يضحك، وعندما يضحك يعلم بأن الله عز وجل قد ضحك أيضًا كما قال النبي ﷺ، ويضحك الله عز وجل، ويستشعر هذا اتباعًا للنبي ﷺ أولًا هذه من الفوائد المسلكية نقول أو **كيفية الإيمان بصفة الضحك** بأنك تؤمن بها بأنك تتبع فيها النبي ﷺ..

أولًا: تعتقد بأن الله يضحك؛ تعتقد اعتقادًا حقيقيًا بأن الله يضحك، لأن النبي ﷺ قد وصف الله عز وجل بالضحك، وقد ثبت ذلك، فهذا السمع والطاعة لِما جاء عن النبي ﷺ في حق الله عز وجل هذا أولًا؛

ثانيًا: تعتقد بأن الضحك لله عز وجل ضحك يليق به سبحانه وتعالى، وأنك لا تكيف هذا الضحك ولا تعلم له مثلية، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة؛

ثالثًا: بأنك تأخذ بالأسباب وبالأفعال التي تكون سببًا في ضحك الله عز وجل.

فصفة الضحك نحن لا نأخذها هكذا فقط لاثباتها ونرد على المخالف! فكل تعلم الأسماء والصفات أن نقترب إلى الله عز وجل بذلك، نعم نحن نعلم حتى لا يشوش علينا المبتدعة ولا يشوشون على الناس في عدم اثبات هذه الصفات، ولو لم يثبتوا صفة الضحك هم الذين خسروا، أما نحن ولله الحمد فنؤمن بها ونثبتها، لكننا لما نثبتها نتعلم أيضًا كيف نتعبد بها إلى الله عز وجل.

فأنت تتتبع هذه المواقف وهذه الأفعال وهذه السنن التي جاء فيها اثبات الضحك لله عز وجل فتحرص كل الحرص على أنك تفعل ذلك؛ تقوم من الليل فتصلي ركعتين لله عز وجل والناس نيام، إذا قمت إلى الصلاة تصطف في الصلاة، أو في اصطفاف العدو لله عز وجل، فيضحك لك الله عز وجل، وإذا فعلت الذنب وغير ذلك فتستغفر وتتوب إلى الله عز وجل فيعجب الله عز وجل منك فيضحك الله عز وجل لك، وإذا ركبت الدابة فتقول هذا الدعاء وأيضًا تضحك لتطبق فعل الله عز وجل في ذلك فيضحك الله عز وجل لك.

هذه كيفية الإيمان بهذه الصفة؛ أنك تسلم بها أولًا، أنك تؤمن بها إيمانًا حقيقيًا، أنك تبحث عن الأسباب التي تكون لضحك الله فتفعلها وتتجنب الأسباب التي قد لا يضحك الله عز وجل لك فيها لأن العكس فيها بالعكس.

أيضًا ذكر فيها كما قال هنا: (يَعْجَبُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَوْلِ عَبْدِهِ: سُبْحَانَكَ , إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي , فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ قَالَ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ) فكما قلت هنا أنها سبب من أسباب ضحك الله عز وجل.

وهو رفع إلى السماء وقال اللهم اغفر لي ذنوبي، دعا، رفعه للسماء للدعاء، "ثم التفت إليّ فضحك"، فالسنة في الدعاء أن يرفع إلى السماء ويقول الدعاء كأنه إشارة طبعًا أنه يدعو من في السماء، لكن الرواية لا يشترط أن يضحك وهو ينظر إلى السماء.

ثم ذكر المؤلف حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تكلم عن آخر من يدخل الجنة، وهذه القصة عظيمة جدًا فيها فوائد كثيرة، قال: (إِنَّ آخِرَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ فَهُوَ يَكْبُو مَرَّةً وَيَمْشِي مَرَّةً , وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً) حتى يصل والله عز وجل يعلم بحاله سبحانه وتعالى، وكل مرة يطلب من الله عز وجل (أَدْنِنِي)، (أَدْنِنِي)، (أَدْنِنِي)، إلى أن وقف على الباب كما قال، والله عز وجل يعلم به، وكل مرة قال: (أَلَمْ تُعَاهِدْنِي)، (أَلَمْ

تُعَاهِدُنِي)، (أَلَمْ تُعَاهِدْنِي)، وفي رواية أخرى [ما أغدرك] والله أعلم بحاله أنه سيطلب لكن الموقف صعب عليه- كما يقال – من هول الموقف ويريد أن ينجو بنفسه، لكنه ظل ذلك حتى وقف عند شجرة عند باب الجنة فقال: (أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا, وَرَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ) إلى أن سمع أصوات الجنة قال رب أدخلني الجنة فقال له الله عز وجل: (أَلَمْ تُعَاهِدْنِي) وفي رواية [يا ابن آدم ما أغدرك] (أَنَّكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِيهَا) ، (فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ) انظر هنا إلى كرم الله عز وجل؛؛ (مَا يُرْضِيكَ مِنِّي؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟) وفي رواية [وعشر أمثالها] الله أكبر.. هذا آخر واحد يدخل الجنة! فالله عز وجل يقول: (أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟)، إذًا الدنيا هذه لا تساوي شيئًا في نعيم الجنة، الذين يتنعمون في الدنيا ويرون نعيم الدنيا هذا ويتلذذون ببعض متع الدنيا وينشغلون بها عن رضا الله عز وجل وعبادته سبحانه وتعالى هم للأسف مغبونون؛ من الغبن بمكان، لا يعلمون ما ينتظرهم إن كان الله رضي عنهم وأدخلهم الجنة.

فما يهمك نعم الدنيا حتى وإن لم تخرج منها بشي، لكن مادمت على عقيدة ثابتة وقلب له صلة بربه وعلى طاعة من رب العالمين وتوفيق منه سبحانه وتعالى وتسديد على الطريقة التي تسير إليه في الدنيا ما يهمك ما يفوتك من نعائم الدنيا، هي لهم في الدنيا؛ سواء كانوا من أهل الكفر أو حتى من تمتع من أهل الإسلام بها فيتمتع ما شاء الله، لكن المراد كل المراد أنك في الجنة.

فانظر آخر واحد يدخل الجنة الله عز وجل يقول له: (مَا يُرْضِيكَ مِنِّي؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟) والرجل من هول الموقف عند بعض الشراح أخطأ لأنه قال (أَيْ رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟) بعض الشراح قالوا أن هذه اللفظة فيها إنكار من هذا الرجل؛ ليس فيها أدب مع الله عز وجل لما يقول (أَيْ رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟) ولكن عذروه من هول الموقف، هو أصلًا يريد أن يدنو فقط والله يقول له: (أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا) فبعض العلم قالوا طبعًا هذا يُغفَر له كما قال العبد الذي وجد راحلته: "اللهم أنت عبدي وأنا ربك"، وإن كان البعض مررها لأن الله عز وجل ضحك من قوله، لكن ضحك الله عز وجل طبعًا هذا من خروج الشيء عن نظيره، أولًا من الإثنين حقًا؛ أولًا لتمام قدرة الله عز وجل فسبحانه وتعالى قادر أن يعطيه الدنيا وعشر أمثالها أو مثلها أو أي عدد فهذا من تمام قدرته سبحانه وتعالى، وأيضًا من تغير حال ابن آدم هذا؛ كلما يقربه يطمع، ويقربه يطمع، ويقول "لا أسألك عن شيء" ثم "والله يعلم"، فهذا أيضًا من خروج الشيء عن نظيره. ثم قال له ما قال:

(أَيْ رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟) أي أنت رب العالمين ما تحتاج أن تقول ذلك، فأنت إن شئت فعلت وتقول للشيء كن فيكون.

(فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ , فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , ثُمَّ ضَحِكَ , فَقَالَ: " أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالَ: مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ حِينَ يَقُولُ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ)، ولذلك أنا أرجح حقيقة قول من لم يقل أن فيها إساءة أدب، لأن الله ضحك من هذا القول، وإن كان يُقبَل الشرح في ذلك أيضًا لا تحجير عليه، لكن سبب الضحك هنا بأن هذا العبد لم يستطع أن يصدق أن الله عز وجل يعطيه الدنيا ومثلها معها وهو يريد فقط أن يستظل بالشجرة قبل ذلك، فضحك الله عز وجل، وهو أيضًا قال: (وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ) فهذه طبعًا فيها إيمان له أيضًا لأنه يعلم أن الله عز وجل رب العالمين القادر على كل شيء.

وهذه تبين لك المسألة التي قلناها في الضابط؛ أنه قال: (لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ , وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَدِيرٌ, فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ) وهذه الذي نبينها بأن الضحك إما لتمام قدرة الله لأن الله ضحك (وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَدِيرٌ) فالله عز وجل لا يعجزه شيء سبحانه وتعالى، أو كان لتغير الشيء خروج الشيء عن نظيره كما فعل من يستيقظ من النوم. فكل هذا من أسباب ضحك الله عز وجل التي معنا هنا في هذا الحديث.

ثم ذكر الحديث الذي يليه: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ السَّحَابَ , فَيَضْحَكُ أَحْسَنَ الضَّحِكِ , وَيَنْطِقُ أَحْسَنَ الْمَنْطِقِ) طبعًا هنا الذي يضحك ليس الله عز وجل، ولذلك الحديث فيه نظر، (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ السَّحَابَ , فَيَضْحَكُ أَحْسَنَ الضَّحِكِ , وَيَنْطِقُ أَحْسَنَ الْمَنْطِقِ) بعضهم قال أن هذه للسحاب، وعند ابن كثير في التفسير قال يقصد بنطق السحاب: الرعد، وقال الضحك: البرق، وبعضهم قال نطق السحاب هطوله وضحكه اخراج الزرع والمرعى. هو قال: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ السَّحَابَ , فَيَضْحَكُ أَحْسَنَ الضَّحِكِ , وَيَنْطِقُ أَحْسَنَ الْمَنْطِقِ) تحتاج لمتابعة حتى نرى نسبتها حقيقة.

قال: (عَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " أَيُّ الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي الصَّفِّ , فَلَا يَلْفِتُونَ وجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا , أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ , يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ , وَإِذَا ضَحِكَ إِلَى عَبْدٍ فِي مَوْطِنٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ)

هذا من أعظم الأحاديث في الثواب الذي قد ذكره لنا النبي ﷺ الحديث طبعًا عند الإمام أحمد ومروي في أكثر من رواية أخرى، وهو ثابت حقيقة ورواه البخاري في (التاريخ) أيضًا، وهو أن النبي ﷺ يقول أي الشهداء أفضل؟ الذي يكون في الصف لا يلتفت؛ تجده مقبلًا غير مدبرًا (حَتَّى يُقْتَلُوا , أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْعُلَى) ، (يَتَلَبَّطُونَ) أي يتنعمون، يتقلبون في الدرجات العلى من الجنة، نسأل الله عز وجل أن نكون مع هؤلاء. فكان ما فعلوه طبعًا هذا خروج الشيء عن النظير؛ المرء في القتال مهما كان النفس نفس، لكن هذا الرجل يقاتل ولا ينظر يمين ولا يسار مقبلًا غير مدبرًا، فيُري الله عز وجل منه خلاف غيره، فكان هذا خروج الشيء عن النظير، فكان سببًا في ضحك الله عز وجل منه.

لكن انظر إلى الثمرة.. هذا العموم.. **انتبه** لأن ليست المسألة في هذا الشهيد فقط، لكن في قول النبي ﷺ: (وَإِذَا ضَحِكَ إِلَى عَبْدٍ فِي مَوْطِنٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ) أي أنك إن وفقك الله عز وجل أن يضحك الله عز وجل لك في موطن من المواطن فلا حساب عليك، أي أنك تدخل الجنة كالسبعين ألف بغير سابقة حساب ولا عقاب، وهذا يجعل المرء كيف يتعبد إلى الله بصفة الضحك؛ بأنه ينظر إلى المواطن التي يضحك الله عز وجل فيها، ويسأل الله عز وجل أن يتقبله في هذه المواطن أو يقبضه فيها، فإن ضحك الله عز وجل له فلا حساب عليه، إذًا سيدخل الجنة بغير حساب كأنه مثل السبعين ألف الذين يدخلون من غير حساب الذين [لاَ يسترقونَ ولاَ يكتوونَ، ولا يَتطيَّرونَ وعلى ربِّهم يتوَكَّلونَ]، فهو سيكون منهم. ما أعظم هذه الزيادة في هذا الحديث من قول النبي ﷺ:(وَإِذَا ضَحِكَ إِلَى عَبْدٍ فِي مَوْطِنٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ) أتدري ماذا يعني لا حساب عليك؟ أن الله عز وجل يتجاوز عن سيئاتك، لا يحاسبك بالكلية، فيدخلك الله عز وجل الجنة بضحكه من فعلك هذا الذي لابد فيه طبعًا من صدق وإخلاص ورغبة إلى الله عز وجل.

فهذا كان مسك ختام الأحاديث في ذلك، أفضلها حقيقة؛ بأن المرء يتحسس ويبحث عن المواطن التي يضحك الله عز وجل فيها فلا يتركها، لا تدري؛ الناس بتموت بين لحظة وأخرى وأن يأتيك الأجل وأنت على موطن فيه ضحك لله عز وجل فهذه نعمة من نعائم الله عز وجل.

ثم ختم المؤلف محمد بن الحسين الآجري – عليه رحمة الله – وحقيقة هذا الكتاب أظل أقول دائمًا من أمتع الكتب في كتب العقيدة، من أحب الكتب إليّ هذا الكتاب حقيقة في التأصيل، وفي ذكر التبويب، وفي حسن الترتيب، وفي عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة. هنا يبين لنا الإمام بفقهه وعقيدته الصافية النقية؛ عقيدة السلف الصالح أن هذه الصفة قد أثبتها أهل السنة

والجماعة، أثبتوا صفة الضحك، وأثبتوها كغيرها من الصفات، فنثبت كما قال الإمام ابن خزيمة وقد تكلمنا عنها في كتابه الماتع أيضًا (كتاب التوحيد) قال: (إِثْبَاتِ ضَحِكِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ بِلَا صِفَةٍ تَصِفُ ضَحِكَهُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، لَا وَلَا يُشَبِّهُ ضَحِكَهُ بِضَحِكِ الْمَخْلُوقِينَ، وَضَحِكُهُمْ كَذَلِكَ، بَلْ نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ يَضْحَكُ، كَمَا أَعْلَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَسْكُتُ عَنْ صِفَةِ ضَحِكِهِ جَلَّ وَعَلَا، إِذِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَأْثَرَ بِصِفَةِ ضَحِكِهِ، لَمْ يُطْلِعْنَا عَلَى ذَلِكَ، فَنَحْنُ قَائِلُونَ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُصَدِّقُونَ بِذَلِكَ، بِقُلُوبِنَا مُنْصِتُونَ عَمَّا لَمْ يُبَيِّنْ لَنَا، مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ) وهذا ذكره الإمام ابن خزيمة في كتابه التوحيد.

ولا فرق عندنا؛ فكما قلنا القول في بعض الصفات كالقول في غيرها؛ فلو أثبتنا السمع والبصر والكلام فنثبت أيضًا كل الصفات الفعلية التي جاءت عن الله عز وجل في الكتاب أو حتى في السنة، وقد بينا – حتى لا أعيد – بأن حديث أبو رزين واضح في ذلك لما سأل النبي ﷺ: (**أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا**)، فأثبت عقيدة أهل السنة والجماعة في اثبات الصفة على ظاهرها ولم يحرفها ولم يعطلها، ولم يقل أيغفر ربنا؟ أيرحم ربنا؟ أينعمنا ربنا؟ هل ربنا له فم؟ له أسنان؟! لا. ولذلك أهل السنة والجماعة أثبتوا هذه الصفة.

أما المبتدعة على قسمين، وممكن تزيد، المعتزلة والجهمية الذين نفوا الصفة بالكلية، طبعًا **الجهمية** عند أهل العلم هم كفار لأنهم لم يثبتوا لا الاسم ولا الصفة، و**المعتزلة** على بعض التأويل عندهم فبعض أهل العلم لم يكفروهم في ذلك، لكن المعتزلة أيضًا ساروا على مسألة نفي الصفات الفعلية عن الله عز وجل فلم يثبتوها.

أما **الأشاعرة** وهم الذين ظنوا بأنهم أرادوا أن يفروا من ضلال المعتزلة وضلال المجسمة على قولهم فأرادوا أن يكونوا وسطًا، ولم يكونوا وسطًا، (لا لسيف الإسلام نصروا ولا لسيف المعتزلة كسروا) – كما يقال – فهم قالوا نثبت الضحك لكنه ليس صفة الضحك لله وجعلوها "إرادة الرضا"، لأن الأحاديث عندهم كيف سيأتون بها؟ قالوا يضحك ربنا أي يرضى ربنا، والعجيب بأنهم لا يثبتون صفة الرضا، هم قالوا أراد الرضا، لكن صفة الرضا كصفة فعلية لا يثبتونها أيضًا لأنهم لا يثبتون الصفات الفعلية أصالة، فهم أرادوا إرادة الرضا، وأنتم لا تثبتون الرضا، طيب عندما أثبتوها إرادة وجعلتوها إرادة وألحقتوها بالإرادة، ما الفرق بين اثبات الإرادة واثبات الغضب والرضا؟ هذه صفة أيضًا اشترك فيها الخالق مع المخلوق؛ لله إرادة وللمخلوق إرادة، فالذي جعلكم تقولون بإرادة الرضا فأنتم الآن ستقعون في التشبيه. إذًا **أولًا** صرفتم النصوص

عن ظاهرها. **ثانيًا**؛ قلتم على الله عز وجل بغير علم، والله عز وجل قال: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ} [الإسراء: 36] . **وثالثًا**؛ على أصولكم فالإرادة صفة مشتركة، فما الفرق بين اثبات الإرادة واثبات الغضب؟ أو اثبات الرضا؟ أو اثبات المحبة؟

لكنهم حقيقة ما فقهوا، بل ضلوا وأضلوا من سار على هذا القول، ولو كان ذلك ما يريدون للازم ذلك تجهيل أبو رزين، لأن أبو رزين لم يقل ذلك، فأنت لو قلت بأن المقصود بالضحك إرادة الإنعام أو إرادة الرضا أو غير ذلك فهذا معناه أن أبو رزين كان جاهلًا، لأن أبو رزين يعلم بأن هناك إرادة الرحمة والرضا، وهذا موجود في القرآن، فلو كان هذا المقصود كيف يسأل أبو رزين أيضحك ربنا؟ لأنه من المؤكد أنه يعلم أن الله غفور ورحيم، وأن الله يرضى عن عباده، ولكنه أراد أن يسأل عن الضحك كضحك، وهو حقيقة الضحك، لكنه لا يتجاوز في كيفية الضحك، لأنكم لو أثبتتم ذلك فمعنى ذلك أنكم جهلتم الصحابة بل نسبتم إلى النبي ﷺ بأنه منع العلم عن أبي رزين أن يبين له معنى الضحك الذي هو عندكم وليس عند النبي ﷺ ولا عند الصحابة، وهذا إن قلتم به يكون فيه ما فيه من الخروج من الدين أصالة.

فنقول؛؛ نحن نثبت الغضب، نثبت الضحك على قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: 11] بدون أن يكون فيها تمثيل أو غير ذلك.

حقيقة هذا الباب باب عظيم جدًا؛ باب اثبات صفة الضحك، فيه فوائد مسلكية قد بيناها وممكن نعيد مرة أخرى **كيف تتعبد الله عز وجل بصفة الضحك؟**

أولًا تؤمن بها كما آمن بها النبي ﷺ والصحابة الكرام، هذا الاتباع الذي نقصده.

الأمر الثاني بأنك تعلم بأن الله عز وجل يضحك في مواطن، فمن التعبد بهذه الصفة أنك تتبع المواطن التي يضحك فيها الله عز وجل لتنال هذا الأجر من الله عز وجل، وتنال ضحك الله عز وجل لك، فيكون لك الثواب والأجر بعد ذلك.

هذا تلخيصًا لما قلنا، وحقيقة كنت أريد أن أنقل لكم كلامًا ذكره بعض المؤلفين للجويني الأب – والد أبو المعالي – في رجوعه، كلام بديع جدًا حقيقة لما رجع عن كلام الأشعرية وكتب كلامًا حقيقة يحتاج أن يُرسَل لكل من يتأسى بهؤلاء، وهو طبعًا من علماء الشافعية، وذكر حتى في كلامه ذلك؛ قال بأنه يصعب على المرء أنه مع علمائه وأصحابه من الشافعيين الذين هو منهم، وطبعًا كان يوجد منهم أشاعرة، وهو نفسه قال "وقد تفقهت على فقهاء الأشعرية الشافعيين لأنني على مذهب الشافعي– هذا في معنى الكلام –، وإن شاء الله ننقله لكم

الأسبوع القادم لأنه كلام ماتع جدًا رجع فيه إلى الحق، ورجع فيه عن كلام الأشاعرة في مسألة الصفات، وبيَّن بأنه حتى وإن كان هذا الكلام فيه ما فيه من الأصحاب، لماذا أقول مسألة الأصحاب هذه ؟ لأن بعض الأخوة للأسف الآن حتى في الذين ينتسبون للمذهب الشافعي تجد لما أنت تتكلم في عقيدة أهل السنة والجماعة وهو مذهبي جدًا، وطبعًا هو يشعر بأن هذا فيه ضرب لبعض الفقهاء الشافعية، بعض الناس ردوني في مجموعة السلسلة الخاصة بالأسس الفاصلة، وجاءني ينكر عليّ إنكار شديد وما تركني، أسابيع وهو ينكر بل تجاوز حتى في الحد، وعلمت بعد ذلك أنه متمذهب بالشافعية، وطبعًا هذا يقدح في فقهاء الشافعية، فأراد أن يغلق الباب، وهذا دين، نحن خلاص ندعو الله عز وجل لهم بالخير فيما فعلوه وأن يتجاوز عن ما أخطأوا فيه ما داموا في دائرة الإسلام، لكننا لا يمكن أن يصير بنا التعصب للمذهب على أننا نغض الطرف عن كتاب الله وعن عقيدة أهل السنة والجماعة! فنحن ما نحيا ولا نريد أن نموت إلا على هذه العقيدة، فكيف أننا لا نتكلم فيها حتى لا يكون ذلك فيه قدحًا في فقهاء أي مذهب كانوا من كانوا!

وهذا الذي أردت أن أشير إليه، ولعلي أنقل لكم لاحقًا كلام الجويني الأب؛ والد أبو المعالي، في رجوعه، وهو رأس في المذهب، وما منعه من فقهاء المذهب وعلماء المذهب الذي تمذهب عليهم أن يرد عليهم هذا الأمر لأنه علم أن هذا هو الحق، وهذا فعلًا هو الحق الذي لابد أن يؤصَّل وأن يُبيَّن، وأن لا يمنعنا من المسائل الفقية ومن حبنا حتى لبعض العلماء الذين وقعوا فيما وقعوا فيه أن نرد.

وابن حبان أيضًا قال كلامًا، فبعض الأشاعرة قالوا يضحك، من الذي يضحك؟ قالوا في حديث [يَضْحَكُ رَبُّنَا]، قالوا أضحك الله ملائكته، ابن حبان في كتابه قال أضحك الله ملائكته، مع أن ابن حبان شيخه الإمام ابن خزيمة رأس عندنا في عقيدة أهل السنة والجماعة، لكن ابن حبان لما ذكر الحديث قال أضحك الله ملائكته! هذا الكلام مردود عليه، لا يُقبَل! كيف أضحك الله ملائكته والنبي ﷺ يقول [يَضْحَكُ رَبُّنَا]! من أين أتيت أضحك الله ملائكته! أين القرينة حتى؟ لا توجد رائحة قرينة في الحديث بأن الله أضحك ملائكته، قلنا لو تركنا الظاهر إلى غيره لابد من قرينة في السياق، أو حتى قرينة خارجية، لكن أين القرينة هذه؟ فهذا الكلام مردود عليه، مع أنه شيخه وإمامه هو الإمام ابن خزيمة رأس عندنا من رؤوس أهل السنة والجماعة.

لكن مع قدر هؤلاء في الدين وفي العلم لكننا نبين الحق، لأنه هو الذي لابد أن يُتَّبع، لأن الأصل في ذلك هو أن يسير المرء إلى ربه بعقيدة صافية نقية التي كان عليها النبي ﷺ،

وكان عليها صحابته الكرام، وكان عليها التابعين. لذلك لا يمكن أن تجد مخالفة فيما نقوله في القرون الخيرية؛ ما بين قول النبي ﷺ ثم الذي يليه ثم الذي يليه، لا يمكن أن تجد خلافًا بينهم في أصل من أصول العقيدة، ممكن يختلفوا – كما بينا – في مثلًا رؤية النبي ﷺ لربه، أو مثلًا سماع الموتى، إلى غير ذلك، لكن أصول العقيدة لا يمكن تجد خلاف عندهم في القرون الخيرية ولم يظهر ذلك إلا في الخلف، ولم يظهر في السلف، فقالوا ما قالوا وأساءوا فيما قالوه، وتجرأوا، بل يصل فيه بعضها لو دققت النظر إلى تجهيل النبي ﷺ، وهذا كفر، وتجهيل الصحابة بعد ذلك كما حدث في مناظرة ابن أبي دؤاد مع الرجل وكيف رده وكيف انتهت الفتنة التي كانت بينهما على أنه ذكر له ذلك.

المهم نختم هذا الكلام، ثم سينتقل بنا المؤلف بعد ذلك إلى باب أيضًا مهم جدًا هو باب الحلولية، هذا باب إن شاء الله نشرع فيه بإذن الله تعالى الأسبوع القادم وهو **التَّحْذِيرِ مِنْ مَذَاهِبِ الْحُلُولِيَّةِ**.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الرابعة والخمسون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – واليوم ندخل في الجزء الثامن من بعض الطبعات، وهو يتكلم عن طائفة جديدة تسمى الحلولية ولهم مذاهب في مسألة وجود الله عز وجل وغير ذلك، ومن كلام الجهمية أيضًا في مسألة أن الله في كل مكان إلى غير ذلك، وهذا مما يسمى الحلولية لأنه قال **بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ مَذَاهِبِ الْحُلُولِيَّةِ.**

نقدم الأول معنى الحلولية وما قولهم لأنه سيأتي الكلام بعد ذلك في الآثار والأحاديث على مسألة العلو والاستواء والمعية إلى غير ذلك مما فيه رد على مذهب الحلولية.

نقول الأول **الحلول في اللغة** يأتي على معاني؛ منها النزول، ومنها الوجوب، ومنها البلوغ، فيقال مثلًا حل العذاب، أو يَحِل "بالكسر" أي وجب العذاب، ويقال يُحَل العذاب أي نزل العذاب. إذًا ممكن يكون الحلول بمعنى الوجوب لو قلنا – بالكسر – حِل العذاب أي وجبت،

فقوله تعالى:{ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ} [طه:81]، وهنا أي وجب. وأيضًا بعضهم قال هنا حل أي نزل الغضب، إذًا تأتي بمعنى النزول. والوجوب أيضًا من حديث النبي ﷺ في مسألة ترديد الأذان قال: [مَن قال حينَ يَسمَعُ النِّداءَ: اللهُمَّ رَبَّ هذه الدَّعوةِ التَّامَّةِ، والصَّلاةِ القائِمةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوسيلةَ والفَضيلةَ، وابعَثْه مَقامًا مَحمودًا الذي وعَدتَه؛ حَلَّت له شَفاعَتي يَومَ القيامةِ] كما قال الإمام النووي قال: "حلت شفاعتي أي وجبت له شفاعتي".

إذًا نقول الحلول في اللغة يأتي على معان؛ منها النزول، منها الوجوب، منها البلوغ، يقول "حل بالمكان" أي نزل القوم بمحله، يقول حل بالمكان أي النزول، نزل بهذا المكان. والحل نقيض الارتحال، فالارتحال أن ينتقل، والحل حل بالمكان أي نزل بالمكان واستقر فيه. فكل هذه المعاني في اللغة صحت في معنى الحلول.

أما في الاصطلاح: معنى الحلول أن يحل أحد الشيئين في الآخر، أو نقول هو اثبات لوجودين وحلول أحدهما في الآخر. إذًا يوجد اثبات أولًا لوجودين وحلول أحدهما في الآخر. وقالوا بأن الحلول هذا إما حلول سَرَياني؛ أي يسري أحدهما في الآخر، أو حلول جواري؛ يكون الآخر جار له. فأنت مثلًا لو قلت ماء الورد فحلول الماء في الورد؛ أي لو كنت أردت أن تصنع ماء الورد فتحتاج إلى ورد حقًا مع ماء فيكون هنا ماء الورد، فهذا سرياني؛ أي سرى الماء في الورد، فهذا من باب حَلَّ فيه، فنسمي الساري الذي هو الماء (حالًا)، والمسري فيه (محلًا)، فالورد أصبح محلًا للماء، فهذا سريان.

بخلاف الثانية الجوار؛ أنك تأتي بكوب وتضع فيه الآن الماء، فالماء حل في الكوب لكنه هذا جواري ليس سرياني؛ لم يسري الماء في الورد، والجوار ظرف للآخر، ظرف أي محل مكانه، فالكوب أصبح ظرفًا للماء، فهذا يسمى الحلول.

وهنا **الحلول غير الاتحاد**، لماذا؟ لو نظرت قلنا في **الحلول** في التعريف الاصطلاحي (وجودين)، سواء سرياني ماء في الورد، أو جواري ظرف موجود، لكن **الاتحاد** أن يكون كون الشيئين واحد. إذًا ما الفرق بين الاتحاد والحلول؟ الحلول أنت بتثبت وجودين؛ شيئين حل أحدهما في الآخر، ممكن ينفصل وممكن يرجع، أما الاتحاد كون الشيئين أصبحوا واحد.

مثال الشاي في الكوب يكون بالأسفل، الشاي نفسه، والماء مخلوط بالشاي أنت الآن ممكن تنزع الشاي – الذي يسمونه التفل – فهذا حلول، فالشاي تحت متراكم فممكن تنزع هذا بالمعلقة وترفعه فأصبح هذا حلول، رفعت الشاي، لكن الماء الذي أصبح الآن بعدما وُضع وأصبح

بالشاي هذا فأصبح اتحاد، لا تستطيع أن تنزع الآن اللون الأسود هذا أو الشاي الذي مع الماء فتأتي بالماء منفردًا أو الشاي منفردًا، فأصبح الآن شيئًا واحد فهذا اتحاد. إذًا الاتحاد هو امتزاج حتى يصير شيئًا واحدًا.

لماذا هذا مهم؟ لأن يوجد عند المبتدعة وجود أهل الحلول – الذي يتكلم عنهم الآن – وجود الاتحادية.

فالاتحاد الذين قالوا بوحدة الوجود، والذين قالوا بأن الله عز وجل – وحاشاه ذلك – اتحد بمخلوقاته، أصحاب وحدة الوجود كابن فارض وابن سينا وابن سبعين، وابن عربي لما قال "ما في الجبة إلا الله"!! ونعوذ بالله من ذلك، فماذا يعني الذي قاله؟ اتحاد؛ اتحد الخالق بمخلوقاته فيرون بأنه عين واحدة، ليس العين الباصرة، لكن يعني أنه أصبح شيئًا واحدًا، هم اعتقدوا أن بعض وجود الكائنات هو عين وجود الله، فأصبحوا وجود واحد!

أما أصحاب الحلول منهم الحلاج، وطبعًا عندهم تصوف مثل الهندي والهندوسي وغير ذلك هؤلاء قالوا **وانتبه**.. قالوا حل الخالق في المخلوق، لكنه لا يقول اتحادًا، ونابع من قولهم هذا الذي قالوه الجهمية بعد ذلك أن الله في كل مكان، لماذا في كل مكان؟ أي حل في كل مكان موجود لكنه ليس اتحادًا.

فالذين يرون وجود الخالق هو عين وجود المخلوق هؤلاء سُموا الاتحادية أو أصحاب وحدة الوجود، أما الحلولية كالحلاج ومن جاء بعده هم الذين قالوا بأن هذا شيئين، وجودين؛ الخالق والمخلوق، لكن قالوا بأن الخالق يحل في المخلوق، تفرع بعد ذلك قولهم أن الله في كل مكان، لأن هذا معنى الحلول عندهم، **وسنبين أنه يوجد أربع أنواع:** (اتحاد عام، واتحاد خاص، وحلول عام، وحلول خاص)، التقسيم الرباعي هذا ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، لكن أنا أتكلم عن معنى الحلول اضبطوه الأول، ومعنى الاتحاد.

الاتحاد عرفنا أنه يمتزج فيكون شيئًا واحد، أما الحلول هو بيثبت وجودين بخلاف الاتحاد بيثبت وجود واحد. والحلول عنده يقبل الإنفصال، أما الاتحاد لا يقبل الإنفصال.

لذلك الاتحادية ما هي إشكاليتهم؟ الاتحادية وهم أصحاب وحدة الوجود، لا يميزون بين الخالق والمخلوق، فكلام الخالق كلام المخلوق، وكلام المخلوق كلام الخالق، وفعل الخالق فعل المخلوق، وفعل المخلوق فعل الخالق، بل المتكلم؛ يقولون عن فرعون لما قال:{ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ} [النازعات: 24] فيقولوا أن الله هو الذي قال! نعوذ بالله من ذلك، ولما قال:{ مَا

عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِى} [القصص: 38] هو واحد، لذلك عندهم فرعون ما قال شيئًا كفريًا لأنه عندهم الخالق هو المخلوق، العين واحدة عندهم، والناطق واحد؛ قالوا في كل شيء ناطق واحد، وهذا طبعًا كفر مبين، لكن نحن نبين ذلك. وهذا طبعًا الذي قال ابن عربي كما قلنا في أبياته حتى ما نطيل في هذه المسألة.

أما أصحاب الحلول قالوا شيئين وجودين.

لكن نتج عن الكلام في الاتحادية وفي الحلول أنك عندك الآن أربع أقسام؛ عندك حلول عام، وحلول خاص، واتحاد عام، واتحاد خاص؛

الحلول الخاص:

تجده عند النصارى، وعند **النصورية** من النصارى؛ الذين يرون بأن اللاهوت حل في الناسوت، كالماء في المحلول السكر، لكن ليس امتزاج، هو حلول، حل، **انتبه..** حلولية يقولون يحل لكن ممكن ينفصل اللاهوت عن الناسوت، هم يقولون حل اللاهوت في الناسوت. والنصارى عنندهم النصورية واليعقوبية؛ "النصورية" الذين قالوا بالحلول، و"اليعقوبية" قالوا بالاتحاد الذين عندهم الإله وابن الإله واحد – أعوذ بالله من ذلك – لكن النصورية الذين قالوا بالحلول الخاص قالوا بأن اللاهوت حل في الناسوت لكن ممكن ينفصل.

عندنا الذين أخذوا بهذا القول الكفري وكان خاصة في زمن المأمون هم **الروافض؛ والنصيرية تحديدًا، الذين يسموا نفسهم العلويين**، الذين يؤلهوا عليّ، يقولون عليّ رضي الله عنه وأرضاه إله، فهم يقولون بأن الله حل في عليّ، هذا حلول خاص لا يكون إلا للصالحين أو لمن اختاره الله من أوليائه، وهذا يقوله الروافض عن عليّ وأئمة أهل البيت عندهم؛ أنه ممكن يكون هناك حلول خاص، وهم على ذلك منهم **الصوفية** يقولون بالحلول في الأولياء تفريعًا على هذا القول؛ حلول خاص في الأولياء، وهو أصله من نصورية النصارى الذين قالوا بأن اللاهوت يحل في الناسوت وممكن ينفصل اللاهوت عن الناسوت، طبعًا بعضهم يرون بأن صلب عيسى – وإن كان طبعًا هذا باطل – على أن اللاهوت تحرر من الناسوت فأصبح اللاهوت وترك الناسوت.

لذلك ابن ملجم الذي قتل عليّ رضي الله عنه فتجد النصيرية يمجدونه مع أنه قاتل لعليّ، لماذا؟ لما تنظر لأسبابهم قالوا لأن ابن ملجم حرر اللاهوت من الناسوت؛ أي لما قتل سيدنا عليّ فكأن هذا فيه تضييق عليه فأصبح اللاهوت فقط! كله كلام من كفريات النصارى أصالة في هذه المسألة.

لكن هذا يسمى حلول خاص يتفرع عليه من يقول من الصوفية وغلاتهم إلى غير ذلك، كالحلاج وغيره، بأنهم يجيزون بأن الحلول قد يأتي للأولياء.

الحلول العام:

وهذا القول الذي قاله **الجهمية**، وهو أن الله حل في كل مكان، ويستدلون كما سيأتي معنا بـ {وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ} [الأنعام: 3] ، وآيات المعية {وَهُوَ مَعَكُمْ} [الحديد: 4] ، فيقولون بالحلول العام، في كل مكان، طبعًا هذا حلول جوار؛ أي أنه حل لكن ليس داخل، لكن حل في كل مكان وهذا الحلول العام عندهم، وقال به الجهمية. ويقولون بأن الله بذاته في كل مكان، ويتمسكون طبعًا بالذي قلناه آيات الأدلة المتشابهة وسنردها.

إذًا بينا الحلول الخاص والحلول العام، نرجع للاتحاد؛؛ هناك اتحاد خاص واتحاد عام؛؛

الاتحاد الخاص:

يقول به يعقوبية النصارى؛ وهم طائفة من النصارى ويسمون **اليعقوبية**، وهو أخبث من النصورية، لماذا؟ لأن الاتحاد أصلًا أخبث، الاتحاد يقولون يمتزج فيكون شيئًا واحدًا، ويقولون أن اللاهوت والناسوت اختلط كاختلاط اللبن بالماء، أو الماء بالشاي، إلى غير ذلك. وطبعًا بعض من وافقهم من أصحاب ابن سينا وابن فارض وابن سبعين الذين قالوا بوحدة الوجود، وابن عربي "النكرة"، قالوا بذلك. لكن طبعًا هؤلاء قالوا اتحاد خاص، ماذا يعني؟ أي أنه أيضًا يخص أناس عندهم ليس اتحاد عام.

ومن قال بالحلول أو قال بالاتحاد لم يقل بخاص أو عام، لكن نحن بنقسم الآن أنه يوجد حلول خاص بيقدمه، كما بينا في سيدنا عليّ غيرهم من النصارى، وهناك أيضًا الحلول العام، وأيضًا أصحاب الاتحاد عندهم اتحاد خاص أيضًا واتحاد عام؛ الاتحاد العام الذي قلناه الآن، والاتحاد الخاص هو امتزاج الشيئين يكونوا شيئًا واحدًا أيضًا الخاصة الذين عندهم من هؤلاء، وطبعًا هذا كفر. الحلول العام هو قول الجهمية الذي هو في كل مكان.

الاتحاد العام:

هذا قول **الملاحدة**، الملحد هو أصلًا يرى بأنه لا يوجد إله، لماذا ليس عنده إله؟ لأن عين وجود الكائنات هو عين الإله، لا يوجد فارق، هو ناتج أصلًا من الاتحاد، لكن عنده هذا اتحاد عام، لذلك لا يوجد عنده إله، هو كله واحد، ممتزج، فكل الكون أصبح واحد عنده. **وهذا أكفر الأقوال**، أي أن هذا أكفر من اليهود والنصارى، لماذا أصحاب الاتحاد العام أكفر من اليهود

والنصارى؟ اليهود والنصارى قالوا بالاتحاد الخاص أولًا، لم يقولوا بالاتحاد العام، قالوا بالاتحاد الخاص لأن الله عز وجل إذا اختار من أراده من أوليائه فيتحد معه، فما قالوا بالعموم؛ فاليهود والنصارى لم يقولوا بالاتحاد العام حتى، طائفة اليعقوبية قالوا بعيسى ومن غير ذلك. لكن هؤلاء الملاحدة أكفر منهم في أن اتحادهم عام في كل شيء، هو كله فيه كفر لكن درجات في الكفر. فاليهود والنصارى قالوا أن الله يصطفي من عباده ويتحد خاص، لكن هؤلاء قالوا بالعموم.

لذلك تجد هؤلاء خصصوا كالمسيح عليه السلام، ويعظمونه بذلك، لكن هؤلاء الآخرين جعلوا والعياذ بالله ما نستطيع نقول هذا الكلام كما قال عبد الله بن مبارك قال: (إِنَّا لَنَحْكِي كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى , وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ) مع أن الجهمية قالوا بمسألة الحلولية فقط، لكن هؤلاء أكفر من هؤلاء أصالة، فجعلوا الوجود في كل الدواب والحيوانات والأشياء التي ما نستطيع أن نتكلم عنها.

فهذا الاتحاد العام الذين قال الله عنهم: {لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ} [المائدة: 72] ، وهذا المقصود عندهم لكن هذا كان عند النصارى اتحاد خاص، أما عند هؤلاء الملاحدة أصبح اتحاد عام في كل شيء؛ أن عين الخالق هو عين المخلوق في كل شيء.

فأصبح عندك الآن الحلول قسمين والاتحاد قسمين؛ الحلول العام تذكروه لأن هذا الذي نحتاجه، لأن هذا هو مذهب الحلولية الآن، فالحلول العام هم الذين قالوا أن الله في كل مكان، وهؤلاء كالجهمية، وغيرهم.

الحلول الخاص قالوا أن الله يحل في بعض أوليائه كما قالت العلويين؛ الذين يسموا أنفسهم علويين وهم نصيرية، وهؤلاء قالوا بتأليه عليّ، فقالوا بالحلول الخاص.

والنقيض الاتحاد الخاص والاتحاد العام، طبعًا الاتحاد العام قال به الملاحدة ومن قالوا أيضًا باتحاد الله في بعض مخلوقاته فقط، والاتحاد الخاص قالوا في الأنبياء، في الصالحين، في غير ذلك. والذين قالوا بالاتحاد العام يسمى عندنا وحدة الوجود

إذًا مقابل الحلول العام الجهمية الذين قالوا أن الله في كل مكان تجد الاتحاد العام الذين قالوا بوحدة الوجود، وصل بهم الأمر أن قالوا أن عين الله هو عين المخلوق فقالوا بوحدة الوجود، أو ما يسمى بالاتحادية، وطبعًا هنا رئيسهم ابن عربي، وهناك رئيسهم الحلاج في الحلولية الموجودين.

هذا كان تأصيلًا فقط أولًا لمعنى الحلولية، والتقسيمات وغير ذلك، لأنه هنا هو قال الحلولية ثم يبين لك مسألة الاستواء لله عز وجل، والعلو، وأيضًا يبين لك شبهات آيات المعية لأن هذا كله سيقول به الحلولية؛ الحلول العام، وهو كلام الجهمية في مسألة بأن الله في كل مكان، من أين نشأ؟ من هذه المسألة.

نقرأ إن شاء الله الآثار الموجودة، وطبعًا قد يكون فيها تذكير لكم لما درسناه من قبل في مسألة اثبات العلو واثبات الاستواء، وفيه الرد على آيات المعية أيضًا التي أخطأوا في فهمها وظنوا أنها معية الذات، وإنما هي معية الإحاطة والعلم إلى غير ذلك.

49- بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ مَذَاهِبِ الْحُلُولِيَّةِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ , وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ , وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُ إِخْوَانِي الْمُؤْمِنِينَ مَذْهَبَ الْحُلُولِيَّةِ الَّذِينَ لَعِبَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ فَخَرَجُوا بِسُوءِ مَذْهَبِهِمْ عَنْ طَرِيقِ أَهْلِ الْعِلْمِ , مَذَاهِبُهُمْ قَبِيحَةٌ , لَا يَكُونُ إِلَا فِي كُلِّ مَفْتُونٍ هَالِكٍ , زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَالٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ , حَتَّى أَخْرَجَهُمْ سُوءُ مَذْهَبِهِمْ إِلَى أَنْ تَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا يُنْكِرُهُ الْعُلَمَاءُ الْعُقَلَاءُ , لَا يُوَافِقُ قَوْلَهُمْ كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ وَلَا قَوْلُ الصَّحَابَةِ وَلَا قَوْلُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ , وَإِنِّي لَأَسْتَوْحِشُ أَنْ أَذْكُرَ قَبِيحَ أَفْعَالِهِمْ تَنْزِيهًا مِنِّي لِجَلَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَظَمَتِهِ , كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِنَّا لَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى , وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ ثُمَّ إِنَّهُمْ إِذَا أُنْكِرَ عَلَيْهِمْ سُوءُ مَذْهَبِهِمْ قَالُوا: لَنَا حُجَّةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: مَا الْحُجَّةُ؟ قَالُوا: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} [المجادلة: ٧] وَبِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد: ٣] إِلَى قَوْلِهِ: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد: ٤] فَلَبَّسُوا عَلَى السَّامِعِ مِنْهُمْ بِمَا تَأَوَّلُوا , وَفَسَّرُوا الْقُرْآنَ عَلَى مَا تَهْوَى نُفُوسُهُمْ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا , فَمَنْ سَمِعَهُمْ مِمَّنْ جَهِلَ الْعِلْمَ ظَنَّ أَنَّ الْقَوْلَ كَمَا قَالُوهُ , وَلَيْسَ هُوَ كَمَا تَأَوَّلُوهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سُبْحَانَهُ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ , وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ , قَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَا , وَبِجَمِيعِ مَا فِي سَبْعِ أَرَضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى , يَعْلَمُ السِّرَّ

وَأَخْفَى , وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ , وَيَعْلَمُ الْخَطْرَةَ وَالْهَمَّةَ , وَيَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ النُّفُوسُ يَسْمَعُ وَيَرَى , وَلَا يَعْزُبُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ وَمَا بَيْنَهُنَّ , إِلَا وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِهِ فَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ سُبْحَانَهُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى تُرْفَعُ إِلَيْهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ , وَهُوَ أَعْلَمُ بِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَرْفَعُونَهَا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِيشَ مَعْنَى قَوْلِهِ: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَا هُوَ سَادِسُهُمْ} [المجادلة: ٧] الْآيَةُ الَّتِي بِهَا يَحْتَجُّونَ؟ قِيلَ لَهُ: عِلْمُهُ عَزَّ وَجَلَّ وَاللَّهُ عَلَى عَرْشِهِ , وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِهِمْ , وَبِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ , كَذَا فَسَّرَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْآيَةُ يَدُلُّ أَوَّلُهَا وَآخِرُهَا عَلَى أَنَّهُ الْعِلْمُ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ؟ قِيلَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَا هُوَ رَابِعُهُمْ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ {ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: ٧] وَابْتَدَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْآيَةَ بِالْعِلْمِ , وَخَتَمَهَا بِالْعِلْمِ , فَعِلْمُهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ , وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ , وَهَذَا قَوْلُ الْمُسْلِمِينَ

652 - حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ قَالَ: نا أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ قَالَ: نا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنِي سُرَيْجُ بْنُ النُّعْمَانِ قَالَ: نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ قَالَ: قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَاءِ , وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ , لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ»

653 - وَحَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: نا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ , سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: «اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ» فَقُلْتُ: مَنْ أَخْبَرَكَ عَنْ مَالِكٍ بِهَذَا؟ فَقَالَ: سَمِعْتُهُ مِنْ سُرَيْجِ بْنِ النُّعْمَانِ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعٍ

654 - وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: نا النَّضْرُ بْنُ سَلَمَةَ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: نا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: أَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى , عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ: سَأَلْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ}؟ قَالَ: «عِلْمُهُ»

655 - وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: نا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: نا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: نا نُوحُ بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ: نا بُكَيْرُ بْنُ مَعْرُوفٍ , عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ , عَنِ الضَّحَّاكِ: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَا هُوَ رَابِعُهُمْ} [المجادلة: ٧] قَالَ: «هُوَ عَلَى

الْعَرْشِ , وَعِلْمُهُ مَعَهُمْ»

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ آيَاتٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي السَّمَاءِ عَلَى عَرْشِهِ , وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} [الملك: ١٧] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: ١٠] وَقَالَ تَعَالَى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران: ٥٥] وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: ١٥٧] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق: ١٢]

بدأ الإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – تأصيلًا كعادته في هذا الكتاب الماتع يقدم المقدمة، ثم يستدل بعد ذلك يبين الخلاصة، ثم يستدل على هذا الكلام من الكتاب ومن السنة.

فبدأ يبين أولًا بأنه يحذر المسلمين وإخوانه من مذهب الحلولية، كما بينا، فقال: (الَّذِينَ لَعِبَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ فَخَرَجُوا بِسُوءِ مَذْهَبِهِمْ عَنْ طَرِيقِ أَهْلِ الْعِلْمِ)، ولا شك في ذلك؛ أنهم أتوا بكفريات لم يقل بها أحد من أهل العلم، وكما قال:(لَا يَكُونُ إِلَّا فِي كُلِّ مَفْتُونٍ هَالِكٍ , زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَالٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ) وهذا أصل الكلام الذي يريد أن يرد به عليهم، وهذا المعلوم لما تسأل هؤلاء المبتدعة والذي كان يُدرَّس كثيرًا في مدارسنا للأسف أن تسأله أين الله؟ فيقول الله في كل مكان! وهذا ليس بمذهب أهل السنة والجماعة، وهذا أصل كلام الجهمية والمعتزلة الذين يقولون بأن الله في كل مكان، منشأه كما بينا الآن مذهب الحلولية، وهذا الكلام لم يأت به الكتاب، ولا في السنة، ولا قول صحابة، ولا تابعين، ولا أحد من أهل العلم من أهل السلف ومن القرون الخيرية، حتى أن ابن المبارك الإمام المجاهد الزاهد العابد العالِم أيضًا قال: (إِنَّا لَنَحْكِي كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى , وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ) لأنه كلام فيه كفريات، ولازم قولهم أيضًا فيه كفريات.

ثم ذكر الإمام الآجري أن عند هؤلاء شُبَه، هي ليست شُبَه، هم يتعلقون ببعض المتشابهات عندهم في بعض الآيات يظنون أنها أدلة على قولهم، فذكر لنا آيات المعية التي جاءت من قوله تعالى: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} [المجادلة:7] ، فهذه آيات المعية، فيقولون لنا بأن

المعية معية المخالطة أو معية الحلول ومعية الذات أي هو معهم بذاته، فيستدلون على أنه في كل مكان من هذه الآيات على ظاهرها، يقول لكم أنتم أهل السنة تقولون بالظاهر وتستدلون بالظاهر، ونحن نستدل بظاهر الآيات و {مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} أي معهم بذاته، جعلوا المعية هنا معية ذات، في حين أننا سنبين كما قال الإمام وغيره من أهل العلم أن هذه معية العلم والإحاطة وغير ذلك، وليست معية الذات، ولماذا سنبين ذلك؟ سنبين بأن السياق والسباق واللحاق في الآيات مفسرات، فلماذا نحن لم نقل بمعية الذات هنا وقلنا بمعية العلم؟ سنبين ذلك.

وأيضًا استدلوا بقوله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد:3] أين استدلالهم بهذه الآية على الحلولية؟ هو قال إلى قوله {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد:4] فهي واضحة في الآية هنا أنه قال {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} لكن لو وقف عند {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} سيكون استدلاهم بالباطن عند البعض في تفسيرهم على ذلك، ونحن لنا كلام في مسألة الباطن بيناه في (العقيدة الواسطية) أهل السنة والجماعة في ذلك، والجمع بين الظاهر والباطن يبين. لكن هنا نقول {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}، ولذلك قال: (فَلَبَّسُوا عَلَى السَّامِعِ مِنْهُمْ بِمَا تَأَوَّلُوا, وَفَسَّرُوا الْقُرْآنَ عَلَى مَا تَهْوَى نُفُوسُهُمْ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا).

ثم بيَّن الإمام – رحمة الله عليه – أن قول أهل السنة والجماعة في هذه الآيات سيبين أنها آيات معية العلم لكن هو أتى في آخر الكلام الذي قرأناه الآن لما ذكر الآيات الأخرى التي تدل على علو الله، لأنك أنت الآن في الرد عليهم سترد على الشبهات التي قالوها في الآيات، لكن ما الذي جعلك طبعًا تقول بأن المعية معية علم ولا تقول معية قرب بذات مع أنه ورد أحاديث أخرى أيضًا [أقربُ إلى أحدِكم مِن عُنُقِ راحلتِه]؟ فنقول هذه أيضًا عندنا معية العلم والإجابة والقرب؛ قرب الإجابة ليس قرب الذات، وهم يقولون أن هذا قرب ذات وأنه قريب مجيب أيضًا، قال هم يدَّعون أن كل هذا قرب ذات.

نقول حتى نؤصل في الرد أن عندنا جيوش من الآيات والأحاديث في اثبات علو ذات الله عز وجل، وأن الله عز وجل له علو ذات كما له علو قهر وشأن، فله علو ذات كما أيضًا منه الاستواء، وإن كان الاستواء اثبات العلو باللزوم؛ لأن الاستواء على العرش، والعرش فوق السماوات، لكن عندنا آيات وأدلة في اثبات العلو، وهذه ذكرها المؤلف في آخر هذا الجزء لما قال: { إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ} [فاطر: 10] ، و {تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ } [المعارج: 4] هذا كله دليل على العلو، وفيه النزول أيضًا: {كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ } [ص: 29] ، فالنزول يكون

من علو. وأيضًا عن عيسى عليه السلام { بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } [النساء: 157]، كل هذا مسألة العلو والعروج والصعود والنزول، وأيضًا {سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى} [الأعلى: 1] ، كل هذه أدلة متواترة نحن فصلنا فيها الكلام في (معارج القبول) أكثر من ذلك وسيأتي بعضها هنا، فهي دلالة صريحة ومتواترة على اثبات العلو، وطبعًا أيضًا أدلة الاستواء على العرش كما سيأتي على اثبات العلو.

فأصبح عندك أدلة قاطعة في اثبات علو ذات الله عز وجل، وأن الله عز وجل فوق السماوات مثل أيضًا {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ } [الملك: 17] أي "من على السماء"، هذا هو المقصود هنا، و(في) هنا جاءت بمعنى (على) التي جاءت في الآيات، وطبعًا (في) جاءت بمعنى (على) لأنها جاءت في أكثر من موضع في القرآن بذلك؛ قال الله عز وجل حاكيًا عن فرعون عن السحرة: قال: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ} [طه: 71] ، طيب هل هو سيفتح سيشق النخل ويضع السحرة فيه؟! لا. أو أيضًا من قوله تعالى:{ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ} [التوبة: 2] هل ستشق الأرض ونمشي في باطن الأرض؟! لا، على الأرض. فدل ذلك أن (في) تأتي بمعنى (على). إذًا {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ } [الملك:17]أي من على السماء. كل هذه أدلة صريحة في مسألة اثبات علو ذات الله عز وجل.

لماذا بنقول هذا الكلام؟ لأن عندك أصل؛ يوجد أدلة متواترة باثبات علو الذات، ثم عندك آيات فيها اشتباه عند بعضهم، فأنت لابد تقول الآيات هذه، لابد ننظر في سياقها، ننظر في السابق واللاحق فيها، لأن هذا مفسر لنا، منها الآيات التي هي آيات المعية التي استدلوا منها الآن، فقالوا: {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ } [المجادلة: 7] ، إلى آخر ما قال. قال الشيخ – وهذا استدلال أهل السنة والجماعة – قال أن أول الآية تكلمت عن العلم: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ} [المجادلة: 7] ، علم، ثم قال الله عز وجل: {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} [المجادلة: 7] ، إلى آخر الآية، {ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ} [المجادلة: 7] ، وختم بـ {إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: 7] . فقال أهل العلم الآية افتتحت بالعلم، فهذه السابق، واللاحق في المعية هو: {ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: 7] ، فأصبح السابق واللاحق يتكلم عن العلم، وهذا من المفسرات في الآية.

إذًا أصبح المقصود بالمعية هنا هي معية العلم، ادراك ما هم عليه، محيط بما يفعلونه، وهو الله عز وجل يعلم السر وأخفى، يعلم السر ويعلم الجهر، يعلم الله عز وجل كل ما يحدث في

الكون، إذًا الآية بدأت بالعلم وخُتمت بالعلم، فعلمنا بأن المعية المقصود بها هنا معية العلم، وهذه موجودة لأن لا يشترط في المعية أصلًا المخالطة.

وعندنا من اللغة أيضًا ومن الشرع؛ أنت في اللغة الآن لو قلت: (سرنا ليلًا والقمر معنا في الطريق) فهل القمر ينير أم القمر نزل مشي معك؟ لا سرنا ليلًا والقمر معنا فالمقصود أن القمر موجود يصاحبك في سفرك، وينير لك الطريق، هذه ليست معية مخالطة. إذًا عند أهل اللغة لا يلزم أن تكون المعية مخالطة، بل قد تكون مصاحبة بدون مخالطة، وهذا هو الذي يجتمع مع أدلة المعية مع أدلة علو ذات الله عز وجل. وأيضًا كما قلنا الآيات التي جاءت فيها السياق الذي يقيد ويبين لنا هذا المعنى. فكانت آيات المعية هذه مقصود بها معية العلم.

ثم هم استدلوا حقيقة ببعض الآيات أخرى لما قالوا:{ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ} [الزخرف: 84] ، وهذه أيضًا من الأدلة التي عندهم، {وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ } إذًا هو في السماء موجود وفي الأرض موجود، وهذه لها تفسيران؛ إما تقول وهو الذي في السماء يُعبد وهو في الأرض لا يُعبد. وفي الآية الأخرى { وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} [الأنعام: 3] ، فقالوا { وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ} هذه قراءة الوصل، وهناك قراءة أن تقف {وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ} وهذا الصحيح {وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ} هذا علم الله عز وجل، وهم أيضًا استدلوا بذلك.

وهذا كله رد عليهم في مسألة بأن المعية هنا المقصودة هي معية العلم والادراك والإحاطة، وأن الآيات الأخرى التي هو في السماء وهو في الأرض هذه كلها لها تفسير يقابل – كما قلنا – جيوش الأدلة التي بينت علو ذات الله عز وجل.

قال هنا: (وَالَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سُبْحَانَهُ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ , وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ , قَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَا , وَبِجَمِيعِ مَا فِي سَبْعِ أَرَضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى , يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى , وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ, وَيَعْلَمُ الْخَطْرَةَ وَالْهَمَّةَ) كل ما يكون في خاطر الإنسان ويريد أن يهم به يعلمه الله عز وجل، (وَيَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ النُّفُوسُ) هذا إحاطة علم الله عز وجل.

ثم شرح الآية والرد فيها على مسألة العلم.

وذكر بعد ذلك ما روي عن الإمام أحمد عن الإمام مالك قال: (اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ). وقال: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد:4] بيَّن تفسير سفيان الثوري قال: (عِلْمُهُ). وهذا كله يبين لك أن تفسير السلف لم يختلف في هذه المسألة، وكان مستقر هذا الاعتقاد عند السلف إلى أن جاء هؤلاء الذين أتوا بهذه الكفريات. ثم ذكر كما قلت الآيات التي فيها {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ } [الملك: 17] ، و {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر:10]، و {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران: 55] وكل هذه دلالات صريحة على علو ذات الله عز وجل.

سيدخل الآن في باب ذكر السنن التي يبين فيها أيضًا علو ذات الله عز وجل واستوائه على عرشه، نقرأ ما نستطيع؛؛

50- بَابُ ذِكْرِ السُّنَنِ الَّتِي دَلَّتِ الْعُقَلَاءَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ , لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ

656 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى قَالَ: نا مَعْنُ بْنُ عِيسَى , عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ , عَنْ أَبِي الزِّنَادِ , عَنِ الْأَعْرَجِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَمَّا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَلْقَ؛ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي"

657 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: أَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ , عَنْ أَبِي الزِّنَادِ , عَنِ الْأَعْرَجِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَمَّا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي"

658 - وَحَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَاهِينٍ قَالَ: نا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَزَّازُ قَالَ: نا شَبَابَةُ يَعْنِي ابْنَ سَوَّارٍ , عَنْ وَرْقَاءَ , عَنْ أَبِي الزِّنَادِ , عَنِ الْأَعْرَجِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَمَّا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي"

659 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ زَكَرِيَّا الْمُطَرِّزُ قَالَ: نا الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ قَالَ: نا أَبُو عَاصِمٍ , عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ , عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ , عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ , عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعٍ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ , يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَيَخْفِضُ بِهِ , يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ , وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ , حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ مَنْ أَدْرَكَ بَصَرُهُ»

660- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى قَالَ: نا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى قَالَ: أَنَا سُفْيَانُ , عَنْ حَكِيمِ بْنِ الدَّيْلَمِ , عَنْ أَبِي بُرْدَةَ , عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعٍ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ , يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ , يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ , حِجَابُهُ النُّورُ , لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ»

661 - أَخْبَرَنَا أَبُو مُسْلِمٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَشِّيُّ قَالَ: نا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدِينِيُّ قَالَ: نا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ , عَنِ الْأَعْمَشِ , عَنْ تَمِيمِ بْنِ سَلَمَةَ , عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتِ , إِنَّ خَوْلَةَ لَتَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَخْفَى عَلَيَّ أَحْيَانًا بَعْضُ مَا تَقُولُ , فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ} [المجادلة:١] الْآيَةَ

662 - حَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبَانَ الْبَلْخِيُّ قَالَ: أَنَا يَحْيَى بْنُ عِيسَى الرَّمْلِيُّ , عَنِ الْأَعْمَشِ , عَنْ تَمِيمِ بْنِ سَلَمَةَ , عَنْ عُرْوَةَ , عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: " تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتِ كُلَّهَا , إِنَّ الْمَرْأَةَ لَتُنَاجِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْمَعُ بَعْضَ كَلَامِهَا وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضٌ , إِذْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة:١] " قَالَ يَحْيَى: كَذَا قَالَ الْأَعْمَشُ

هذا الباب تتمة، لأن الشيخ – رحمة الله عليه – سيبدأ الأبواب القادمة يتكلم كما بدأ في مسألة الصفات من قبل في الرؤية وغير ذلك، يبدأ الآن في اثبات مسألة الاستواء على العرش، ويأتي ببعض الآثار والأحاديث التي تتكلم عن صفات لله عز وجل كصفة السمع إلى غير ذلك.

لكن لابد حقيقة نبين أولًا تأصيلًا لمنهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب؛ وهو باب الإيمان بصفات الله عز وجل واسمائه إلى غير ذلك. نقول بأن هذا الباب؛ باب الإيمان بأسماء الله عز وجل أو بصفاته هو باب تعبدي محض، أو نقول أنه باب وكل أبواب العقيدة لابد أن يُرجع فيها إلى الكتاب والسنة، وهذا أصل أصيل لمن يدرس عقيدة أهل السنة والجماعة؛ أن العقيدة عندنا مرجعها إلى كتاب الله عز وجل وإلى سنة النبي ﷺ، لا ترجع العقيدة إلى أهواء الناس ولا للقياسات التي في عقولهم، وهذا الذي حدث من المتكلمة وغيرهم الذين قدموا الأقيسة العقلية والأهواء على الكتاب والسنة. فلابد أولًا أن نعلم بأن مرجعنا في العقيدة لابد أن يكون إلى الكتاب والسنة.

ولابد أيضًا نبين بأن ليس هناك أعلم بالله من الله سبحانه وتعالى، ولا من الخلق أحد أعلم بالله عز وجل من النبي ﷺ، وكذلك ليس هناك أنصح للأمة وأحسن بيان ولا أعظم بلاغًا من النبي ﷺ، فإذا جاءت الصفات وجاءت الأسماء بوصف الله عز وجل في القرآن أو جاءت في سنة النبي ﷺ وجب على المسلم اعتقاد ذلك، وهذا أصل لابد أن يكون مستقر عند كل المسلمين؛ على أنك ما دام قد جاءك النص من كتاب الله عز وجل ومن سنة النبي ﷺ – ليس في الصفات حتى فقط – لكننا نتكلم الآن فيما وصف الله عز وجل به نفسه، وفيما وصفه به النبي ﷺ، فليس لك في الأمر أن تعرضه على عقلك! لابد لك أن تسمع وتطيع كما قال الله عز وجل:{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا} [الأحزاب:36]، إذًا أنت لابد أن تسمع وتطيع فيما جاءك من الكتاب والسنة.

ولابد أيضًا – استكمالًا لهذا التأصيل – أنك تعلم بأن الصحابة رضوان الله عليهم أصحاب النبي ﷺ لم يجهلوا معاني الصفات، ولا ارتابوا في صفات الله عز وجل، بل أُنزل عليهم الوحي، وسمعوا الآيات، وسمعوا الأحاديث من النبي ﷺ، وآمنوا بها وهم يعلمون معناها ولم يسألوا النبي ﷺ عن كيفيتها أو عن تأويلها أو تحريفها، فلما نزل قول الله عز وجل: {ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ} [طه: 5] ، ما جاء أحد من الصحابة للنبي ﷺ يقول له استوى استولى يا رسول الله؟ أو ما معنى الاستواء؟! ولما نزل قول الله عز وجل:{ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح:10]، ما قالوا يا رسول الله اليد القدرة أم النعمة أم ماذا؟! لا. ولما جاء الرجل يسأل النبي ﷺ: [أَوَيَضْحَكُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»] فقال: [لَنْ نُعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا] لم يسأل كيف يضحك؟ ألله شفتين؟ له أسنان؟ له فم؟ له جوف؟ إلى غير ذلك. هؤلاء لم يفعلوا

ذلك، بل نزلت عليهم الآيات وقول النبي ﷺ ففهموا معناها على ظاهرها، ولم يسألوا النبي ﷺ لا عن الكيفية ولا عن تأويل ولا عن تحريف، **وانتبه**؛ مع أن الصحابة لم يتركوا شيئًا لم يسألوا فيه النبي ﷺ؛ سألوه عن الخلاء، وسألوه عن الحيض، وسألوه عن الميسر، وسألوه عن الأهلة، ويسألونك عن اليتامى، وسألوه عن الخمر والميسر، سألوا عن كل ذلك، يسألونك، يسألونك، وما نزل في الكتاب ولا في السنة أن الصحابة سألوا عن كيفية الصفات أو عن تحريفها أو عن معناها، لماذا؟ لأنها ليست مشتبهة عليهم، هي معلومة لهم، ولا يمكن أن يُظَن بأن الصحابة يسألون عن هذه الأمور الفقهية الفرعية في الدنيا وهي في الدين ولا يسألون عن أعظم من ذلك وهو الله عز وجل، فيسألون النبي عن اسمائه وعن صفاته يستفهمون منه. إذًا دل ذلك على عدم سؤال الصحابة، ليس تجهيلًا للصحابة بل هم فهمهم لظواهر هذه المعاني التي جاءت في الآيات وفي الأحاديث فلم يحتاجوا إلى أن يسألوا.

وكذلك حدث بعد الصحابة من التابعين، وتابعي التابعين، والقرون الخيرية، لم تختلف الأمة بل أجمعت على أن أصلها الأصيل في الإيمان بما وصف الله عز وجل به نفسه، ووصفه به النبي ﷺ، وما جاء في الكتاب والسنة، واجراء هذه النصوص على ظاهرها بغير سؤال عن الكيفية ولا تحريف المعنى إلى غير ذلك.

إذًا لابد لنا أن نؤصل هذا الأصل، فعليك أنك لا تعدل عن هذه الطريقة، إن كانت هذه طريقة ومنهج النبي ﷺ مع أصحابه والتابعين وتابعي التابعين فلا يجوز لك أن تعرض عن هذه وتحيل إلى طريقة المتفلسفة والمتكلمين الذين لم يقبلوا بما جاء سمعًا عن الكتاب والسنة، بل أدخلوا العقول في اثبات ورد وتعطيل ما جاء عن أسماء الله عز وجل وعن صفاته، حتى أنهم قال بعض أهل العلم عنهم على أصحاب المتكلمة أو الفلسفة: (أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء، وأوتوا علومًا ولم يؤتوا فهومًا، وقد أعطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدة) لكن الله عز وجل ماذا قال عنهم؟ {فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ} [الأحقاف: 26] ، فأوتوا ذلك ولكن لم يستعملوها بما أراد الله عز وجل به منهم، لكنهم استعملوها في الهوى وفي الأقيسة العقلية. فنقول هنا هذا تأصيل مهم جدًا لابد لنا أن نعقله، وأن نسير به في هذا الباب العظيم؛ باب الأسماء والصفات.

وأيضًا لابد أن نثبت ونعلم بأن الله عز وجل كل اسمائه حسنى، وكل صفاته صفات كمال، فما جاء عن الله عز وجل فيما كان فيه الكمال والحسن هذا الذي نثبته عن الله عز وجل لأن **الله عز وجل لا يُنسَب إليه الأسماء الحسنى إلا إن كان فيها ضوابط؛**

- وهي أن يكون الاسم قد ورد في الكتاب والسنة؛
- وأن الاسم يُدعَى به؛
- وأن الاسم يكون كله حُسن؛ لابد فيه من صفة الحسن.

لذلك لابد أن تعرض الاسم إذا جاءك – حتى من الكتاب أو في السنة –هل فيه الضوابط فيكون اسمًا لله، أم لا؟ لأن مثلًا لو قلنا الآن (الرحمن) الضابط الأول ورد في الكتاب "الرحمن"، وورد فيه بأنه يُدعى به {قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ} [الإسراء:110] ، وورد بأن الرحمن صفة كمال مطلق في كل أحواله، فهذا يصح أن نقول أنه اسم لله. لكن تعال إلى (الدهر) لو جئت تطبق عليه مع أنه ورد قال النبي ﷺ: **[قال اللهُ عزَّ وجلَّ: يُؤذيني ابنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهرَ، وأنا الدَّهرُ، بيَدي الأمرُ، أُقَلِّبُ اللَّيلَ والنَّهارَ]**، فالدهر هنا ورد نعم، لكن هل يُدعى به؟ لا يمكن أن تدعى به، الدهر أصلًا من الزمن، طيب وهل هو فيه صفة حُسن؟ ما تجد فيه صفة حُسن، إذًا لا يصح أن يكون اسمًا، وهكذا.

كذلك في الصفات؛ الصفات لابد أن تكون فيها كمال مطلق من كل وجه حتى تنسب، ولو جاءت الصفة فيها كمال مقيد فلابد لما تُذكر تُذكر بالمقيد؛ أي لما نقول الآن بـ (المكر) فلا تقول هذا فيه كمال مقيد، لكن الله يمكر بالماكرين، يخادعون الله وهو خادعهم، فما تقول {وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ} [الأنفال: 30] وتسكت! لابد تذكر فيه الصفة المقيدة لأن التقييد هو الذي فيه الكمال، بخلاف صفات أخرى هي مطلقة، كاملة من كل وجه، كالرحمة مثلًا، الحب، العلم العليم، القدير، الغفور، إلى غير ذلك، ففيه كمال مطلق.

وهذا كله عندنا لابد من آية عظيمة {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [الشورى: 11]، لأن أهل السنة والجماعة لما أثبتوا الصفات والأسماء في الكتاب والسنة أثبتوا بهذه الآية، بالضابط: {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ}، وهذا نفي أولًا عن المثلية والمشابهة ليرد به على المُشبِّهة، وفيه أيضًا: {وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} أي نثبت فيه الكمال، فننفي عنه المثلية ثم نثبت لله عز وجل الأسماء الحسنى والصفات العليا، وهو رد على المعطلة الذين لم يثبتوا لله لا أسماء ولا صفات. ومع أنه قد يشترك في بعض الأسماء بين الله وبين عباده نعم، وقد تشترك صفات نعم، والله عز وجل لما قال سبحانه وتعالى:{لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ}

[الشورى: 11]، قال أيضًا: {إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا} [الإنسان: 2] ، إذًا الله سميع بصير، والإنسان سميع بصير نعم، لكنه {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ}.

وهذا مهم.. لماذا؟ لأنه توجد صفات وتوجد أسماء مشتركة بين الله عز وجل وبين عباده، وهناك أسماء انفرد بها الله عز وجل؛ كالرحمن مثلًا، الله مثلًا، هذه انفراد لله عز وجل، وهناك أسماء مشتركة؛ فالعزيز مشترك لأن الله عز وجل بيَّن قال:{ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ} [يوسف: 30] ، وعن يوسف أيضًا { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ} [يوسف: 88] ، فجاء الاسم مشترك. إذًا هناك أسماء قد تشترك، وهناك أسماء منفردة لله عز وجل. ولكن حتى ما جاء مشتركًا فهناك أصل في الاشتراك؛ فالله سميع وبصير والإنسان سميع وبصير، فأصل السمع والبصر مفهوم، لكن كيفية السمع والبصر لا يمكن أن يكون فيها اشتراك، لأنه هو الخالق ليس كمثله شيء والمخلوق اختلف، حتى المخلوقات بينها وبين بعض في مسألة السمع والبصر.

لكن نقول أهل السنة والجماعة أيضًا لما جاءت الأسماء والصفات لم يفرقوا بين صفة وصفة؛ فالصفات الذاتية أثبتوها، والصفات الخبرية أثبتوها، والصفات الفعلية أثبتوها، لأن القول في بعض الصفات كالقول في كل الصفات، مادام أثبتنا أن لله سمع وبصر فنثبت أن لله يد، ونثبت أن لله عين، وكذلك نثبت بأن الله يغضب، وأن الله يحب، وأن الله عز وجل يريد ويشاء سبحانه وتعالى، فلا فرق عند أهل السنة والجماعة لأن الضابط واحد، لكن المبتدعة لأن الضابط عندهم ليس ضابطًا منضبطًا بل هو الهوى والعقول فوقعوا؛ بعضهم عطل الكل، وبعض أثبت سبع والبعض أثبت ثمانية، والبعض أثبت عشرين، والبعض أثبت ثلاثة لأنه ليس لهم أصل ثابت يقفون عليه، بل المسألة ترجع للأقيسة التي عندهم. أما أهل السنة والجماعة فلا يشغلهم ذلك؛ ما دامت الصفة قد جاءت في الكتاب والسنة قالوا بها.

لذلك نبين أيضًا بأن الأمة والسلف لم يختلفوا في العقيدة، لم يختلفوا في هذا الباب، لا تجد الخلاف في السلف في مسائل العقيدة الأصولية، لكن ممكن يجد خلاف شيء بسيط يسير كرؤية النبي ﷺ لربه في المعراج، أو سماع الموتى، بعض الأمور، لكن أصول العقيدة لا تجد خلافًا بين السلف في ذلك، وهذا أمر أيضًا لابد أن نضبطه. لكن الإشكال كله لما دخل أهل الفلسفة والمتكلمة في منهجهم فأخرجوا لنا بعض المصطلحات كالحد، والجهة، إلى غير ذلك من الأمور، والمكان، والجسم، وهذه كلها شبهات هم جاؤوا بها بعقولهم الخربة، أما أهل السنة والجماعة لم يتعرضوا بها ولا تجدها في كتاب وسنة ومع ذلك أجابوا عليها وبينا لهم المراد في ذلك.

فنقول هناك أصول لابد أننا نعتقدها، مسألة **إيمانك بصفات الله عز وجل لابد فيها من أصول**؛

- **أولًا:** أنك تنزه الله عز وجل عن النقائص، ماذا يعني ذلك؟ أي تثبت الصفات وبغير مشابهة لصفات المخلوقين، قوله تعالى :{لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: 11]، و{فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ} [النحل: 74] ، و{ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 22]، و{وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ} [الإخلاص: 4] ،هذا الأصل الأول في مسألة اثبات صفات الله عز وجل.

- **الأصل الثاني:** أنك تؤمن بجميع الصفات، لا تفرق بين نوع وآخر، لأن بعدم إيمانك ستكون تقولت على الله عز وجل، والله يقول:{ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ} [البقرة: 140] ، وأيضًا يقول:{ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 80] ، فأنك إذا أثبتت صفة ولم تثبت الثانية مع وجودها وثبوتها في الكتاب والسنة فقد تقولت على الله عز وجل بغير علم.

- **الأصل الثالث في الصفات** كما قال علماؤنا أنك تقطع الطمع لادراك كيفية الصفة وحتى لا تقع في التشبيه، فأنك لا تطمع بادراك كيفية صفات الله عز وجل لأنك لن تستطيع أن تدرك الكيفية، وهنا نقول بتفويض السلف في الكيفية وليس التفويض في المعنى، لأنك لم تر الله ولم تر مثل لله عز وجل، ولم ير أحد الله حتى يصفه لك، فأنت لابد أنك لا تفكر ولا تطمع في ادراك كيفية الصفات عن الله عز وجل، لقوله تعالى:{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا} [طه: 110] ، فأنت لا تستطيع أن تعلم كيف يبصر، ولا كيف يسمع، ولا كيف يستوي على العرش؟

لذلك نقول هذه ثلاثة أصول مهمة جدًا أن نستحضرها ونؤصلها لعقيدة أهل السنة والجماعة.

نقف عند هذا القدر نأتي في مسألة اثبات علو الله عز وجل واستوائه على عرشه والصفات التي قرأناها هذه إن شاء الله نرجئها للأسبوع القادم حتى نستفيض فيها بما نستطيع، لكن أردنا أن نقدم هذه المقدمة تذكيرًا لكم لما قلناه من قبل في هذا الباب، وأيضًا حتى نستطيع أن نسير في باقي المسائل إن شاء الله.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الخامسة والخمسون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام ما زلنا في شرح هذا الكتاب المبارك شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – من أمتع وأفضل وأتقن الكتب التي أُلفت في عقيدة أهل السنة والجماعة.

وكعادة الإمام عندما يدخل في جزء أو في باب من الأبواب يتكلم فيه بتأصيلات من الكتاب والسنة والآثار، وقد تعرضنا معه في الأسابيع الماضية وفي المحاضرات السابقة لأكثر من طائفة من الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة في الاعتقاد، فتكلم عن المرجئة، وعن القدرية، وعن الجبرية، وتكلم أيضًا عن الخوارج قبل ذلك، وتكلم أيضًا عن مسألة القدرية النفاة إلى غير ذلك من أمور القدر، وتكلم في الإيمان وفي القدر وفي مذاهب الخوارج، ودخل بعد ذلك في مسألة الإيمان بأسماء الله عز وجل الحسنى وصفاته العليا.

وكل أبواب العقيدة حقيقة تقوم على أمر وأصل عظيم جدًا عند أهل السنة والجماعة؛ وهو التسليم التام لما جاء في نصوص الكتاب والسنة، فالأصل عند أهل السنة والجماعة في كل أبواب العقيدة هو أن يسلموا تسليمًا تامًا وانقيادًا كليًا واذعانًا وخضوعًا لما جاء في الكتاب وفي السنة، هذا هو الأصل؛ كما جاء عن الله عز وجل في وجوب الإيمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فالإيمان بالله عز وجل أن تؤمن بالله أي تؤمن لله أيضًا؛ أنك تؤمن بالله؛ تؤمن باسمائه وصفاته، تؤمن بتوحيده بربوبيته، وفي ألوهيته، وأيضًا الإيمان بالله أن تؤمن لله؛ قال الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام:{ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [البقرة: 131] ، أي انقدت إلى الله عز وجل، أي أنه أذعن إلى الله عز وجل. فالإذعان والإنقياد والخضوع والاستسلام هو أصل أصيل في الإيمان بالله عز وجل؛ وهو أن تؤمن لله فتكون قد آمنت بالله عز وجل.

هذا الباب الذي معنا وهو باب أسماء الله عز وجل الحسنى والصفات العليا باب عظيم جدًا، وكما قال الإمام القرطبي في تفسيره بأن شرف العلم من شرف المعلوم ولا أحد أشرف من الله عز وجل، فكان شرف علم الأسماء والصفات من أعظم العلوم على الاطلاق، لأنه استمد شرفها من شرف المعلوم؛ وهو الله عز وجل.

والأصل الأصيل كما قلنا عند أهل السنة والجماعة في هذا الباب أولًا هو السمع والطاعة لكل ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة، فأولًا يسمعون ويطيعون، ويثبتون ما أثبته الله عز وجل لنفسه في الكتاب، وكذلك يثبتون ما أثبته النبي ﷺ في السنة، فيقولون: {ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ } [آل عمران: 7] ، أي كل ما جاء من عند الله عز وجل؛ سواء كان في الأحكام الفقهية، أو كان في العمليات، أو كان في العلميات، أو كان في الأسماء، أو كان في الصفات هم يؤمنون به.

ومن ضوابط الإيمان به أنهم يؤمنون به على ظواهر ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة، فأهل السنة والجماعة لما تأتيهم الآيات والأحاديث عن صفات الله عز وجل يؤمنون بها على ظواهر المعنى المقصود عندهم، لما جاء الصحابي الجليل أبو رزين إلى النبي ﷺ فسأل فقط عن ثبوت الصفة، قال أيضحك ربنا يا رسول الله ﷺ؟ فالنبي ﷺ قال نعم يضحك، إذًا ما الذي قاله بعد ذلك؟ قال: [لَنْ نُعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا] ما قال له كيف يضحك ربنا؟ له لسان؟ له شفتين؟ له أسنان؟ أم كيف يكون الضحك يا رسول الله ﷺ؟! ما سأل عن ذلك، لماذا؟ لأن معنى الضحك كان مستقر عندهم، ظاهر نصوص الآيات ونصوص الصفات

ظاهر، معناها مستقر، فما سأل عن المعنى، ولم يسأل عن الكيفية، ولم يقل كيف يضحك أيضًا، لكنه أشار إلينا إلى كيفية الإيمان بهذه النصوص بأن بيَّن لنا الثمرة من هذا الإيمان، قال: [لَنْ نُعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا]، هو آمن بمجرد أن علم بأن النبي ﷺ قال له نعم يضحك ربنا، ما سأل كيف الضحك؟ ولا سأل معنى الضحك؟ بل أحالنا إلى أمر مهم يدل على صدقهم في إيمانهم ومسارعتهم في الإيمان بهذه النصوص، بأن بيَّن لنا الثمرة [لَنْ نُعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا]، لأن الله عز وجل إذا ضحك وقد علم من الضحك أنه إذًا رضي عن من يضحك له، سيثيبه، وينزل عليه نعائمه وفضائله، إذًا هذا فيه خير.

كذلك لما نزل قول الله عز وجل:{ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ} [الفتح:10]، أو نزل قول الله عز وجل: {ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ} [طه:5]، هل سمعت أو نُقل بأن أبو بكر رضي الله عنه جاء للنبي ﷺ أو عمر فسألوا النبي ﷺ كيف يد الله؟ وهل اليد قدرة الله يا رسول ﷺ؟ أم نعمة الله؟ أو ما هو شكل اليد؟ وكيفية اليد؟! ما سألوا ذلك، نزلت عليهم الآيات وجاءتهم أحاديث النبي ﷺ في نصوص الصفات آمنوا بها على ظاهرها، وآمنوا بها على المعنى المتبادر عندهم في الذهن، ولم يسألوا عن الكيفية، ولم يأت في عقولهم أو في قلوبهم أن هذه المعاني غير مرادة، بل هي على الظاهر. فهذا الأصل الأول بأنهم عندما جاءتهم النصوص قالوا سمعًا وطاعة، سلَّموا لِما جاء في كتاب الله عز وجل، أو جاء عن النبي ﷺ.

الأمر الثاني؛ أنهم حتى لو أُشكل عليهم كما أُشكل على أبي رزين في ثبوت الصفة أحالوا لمن أو سألوا من؟ المُبَيِّن؛ وهو النبي ﷺ، فلما استشكل عليهم في مسألة – إن كان ذلك استشكالًا – فيسألون عن ثبوت صفة، أو حتى لمن جاء من بعدهم رجعوا للمُبيِّن وهو النبي ﷺ، والنبي ﷺ مُبيِّن وغير مُبيِّن، كيف؟ قال الله عز وجل:{ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ} [النحل: 44] ، إذًا هو مُبيِّن، لكن الله عز وجل قال: {إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ} [القيامة: 17-19] ، إذًا البيان أصالة هو من الله عز وجل؛ البيان الأصلي من الله، لكن الله عز وجل أوحى أو بيَّن للنبي ﷺ كيف ينقل هذا البيان. إذًا النبي مُبيِّن وغير مُبيِّن؛ مُبيِّن نعم هو ناقل، لكنه غير مُبيِّن لأنه {وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ * إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ} [النجم: 3-4] .

إذًا هذا يبين لك أن حتى الصحابة رضوان الله عليهم – زمن الخيرية هذا – لما استُشكل عليهم؛ وهذا أيضًا لمن بعدهم من التابعين وتابعي التابعين، رجعوا إلى المُبَيِّن وهو النبي ﷺ، إذًا أحالوا، وهذه هي المسألة الثالثة؛

المسألة الثالثة؛ أنك لما تريد أن تحيل لابد أن تحيل إلى ما وافق عليه الشرع؛ {وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ } [النساء: 83] ، إذًا الرد يكون للنبي ﷺ في حياته، وفي سنته بعد موته التي نقلت، أو إلى أولي الأمر وهم العلماء، فأنت إذا أردت أن ترد في هذا الباب؛ باب الأسماء والصفات تحديدًا لابد أن ترده إلى أولي الأمر، من أولي الأمر في ذلك؟ الصحابة، لماذا الصحابة هنا؟ لأن الصحابة هم العلماء في هذا الباب الذين شهدوا نزول الآيات ونزول السنة عليهم، وهم الذين تعلموا وتربوا على يد النبي ﷺ، هم الذين فهموا وفقهوا ما جاء في هذه النصوص؛ وهي نصوص الأسماء والصفات.

فإذا أردت أن تحيل لابد أن تحيل إلى الصحابة، ثم من بعد الصحابة التابعين، ومن بعد التابعين تابعي التابعين، لماذا؟ لأن النبي ﷺ قال ذلك؛ أولًا في الصحابة قال: [عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدِينَ] هذا أولًا، ثم بيَّن قال: [النجومُ أمنَةٌ للسماءِ ، فإذا ذَهَبَتِ النجومُ أتَى السماءَ ما توعَدُ ، وأنا أمنَةٌ لأصحابي ، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدونَ ، وأصحابي أمنَةٌ لأمَّتي ، فإذا ذهبَ أصحابي أتى أمتي ما يوعدونَ]، فبيَّن النبي ﷺ الترتيب في ذلك. ثم بيَّن أيضًا حتى بعد الصحابة قال قرني، قال: [خيرُ القُرونِ قَرْني ثمَّ الذين يَلُونَهم ثمَّ الذين يَلُونَهم]، فبيَّن بأن القرون الخيرية الصحابة ثم التابعين ثم تابعي التابعين.

فكان في هذا الأمر تحديدًا أهل السنة والجماعة بدأوا أولًا بالسمع والطاعة لما جاء، وسلموا لكل نصوص الصفات والأسماء، ثم لما أرادوا التبيين سألوا التبيين من النبي ﷺ أولًا وتفسيره لذلك، ثم إن لم يجدوا ذلك رجعوا إلى الصحابة وإلى التابعين وتابعي التابعين، ثم بعد ذلك قِفْ، لأن في هذا الباب إن لم تجد فيه شيئًا في هذه كلها فلن تجد في غيرها، لذلك أهل السنة والجماعة أخذوا مما أخذ منه الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

لكن **المبتدعة** ما فعلوا ذلك؛ أولًا لم تسلم لنصوص الصفات، لم تقل سمعًا وطاعة لما جاءت نصوص الصفات أو نزلت عليهم من الكتاب ومن السنة، بل ردوا؛ منهم من رد الآيات وحرفوها كالمعتزلة والجهمية، أو حرفوها نقول، لا نقول ردوها لأنهم لو ردوها يكفرون، هم حرفوا الآيات، ومنهم من نظروا السنة وقالوا لو متواترة نؤول المعنى، ولو آحاد فهذا ظني نرده لأن هذا قطع، لماذا؟ لأنهم ما سلموا أصالة وما قالوا سمعًا وطاعة لما جاء في النصوص، لما جاءت السمع أن الله سميع، الله بصير، لله يد، لله ساق، لله أصابع، لله عينان {تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا} [القمر: 14] ، ما سلموا لما جاء في الكتاب والسنة أولًا.

ثم بعد ذلك لما أرادوا أن يتبينوا ما تبينوا أيضًا من النبي ﷺ ومن السنة، بل تبينوا من عقولهم؛ جعلوا العقول فأحالوا إلى العقول ولم يحيلوا حتى على الصحابة ومن تبعهم من أهل العلم! لا، أحالوا على عقولهم فقالوا ما وجدناه في النصوص يوافق ما قلناه في العقول – أو ما ظنوه هم في العقول والصحيح أنه خرب – قلنا به، وما لم يوافق عقولهم الذي جاء في العقل إما يحرفونه أو يردونه على حسب ما يكون. فهم لذلك ضلوا وأضلوا.

وأما أهل السنة والجماعة فازوا لأنهم أولًا سمعوا وأطاعوا لما جاء في الآيات، ثانيًا أخذوا التبيين من المبين النبي ﷺ ومن بعده، ثالثًا أحالوا ما أشكل عليهم إلى الصحابة والتابعين والسلف الصالح.

وأما المبتدعة ما فعلوا ذلك، وهذا الذي أدى بأنهم لما تركوا تعلم التوحيد من الكتاب والسنة وجعلوا كتب التوحيد عندهم من كتب الكلام والفلسفة حتى أنهم سموا كتب الكلام والفلسفة "كتب التوحيد" عندهم في مناهجهم! فتركوا التوحيد الذي لا يُتعلم إلا من الكتاب والسنة وأخذوا بكتب الفلاسفة والمنطق من اليونان لما حُرفت في زمن المأمون وبعد ذلك، وجعلوها أصول يتعلمون بها التوحيد وقعوا في الضلال، لأنك لما تترك المعين الأصلي والكتاب والسنة وتذهب إلى كتب الفلسفة والمنطق وتجعلها أصول في كتب التوحيد عندك لابد أنك ستقع في الضلالة، لا شك في ذلك، وهذا من أسباب أن ترك تعلم التوحيد من الكتاب والسنة لابد سيوقعك في الخطأ.

لذلك بنعض بالنواجز على كتب السلف التي تجد فيها التوحيد مبنية على الكتاب والسنة، لأن هذا الأصل الذي جاء به النبي ﷺ في تعليم التوحيد. ولذلك وكما قال الشيخ أحمد عبد السلام فيما نُقِل عنه: (أن القوم أوتوا ذكاء ومأوتوا زكاء وأعطوا فهومًا وما أعطوا علومًا وأعطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيئ) {فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ} [الأحقاف:26]، فهم أعطوا ذلك ولكن لم يستطيعوا أن يستفيدوا بها أو يعملوا بها بطاعة الله عز وجل.

فهؤلاء ضلوا في هذا الباب وأضلوا بسبب بعدهم عن هذه الأصول الثلاثة التي قد بيناها. **فالأصول الثلاثة التي بني عليها اعتقاد السلف؛ أولًا:** الإيمان بجميع الصفات التي جاءت، لا نفرق بين صفة وصفة، القول في بعض الصفات كالقول في باقي الصفات، لا فرق بين أنك

تثبت لله عز وجل السمع والبصر والكلام ولا تثبت له الغضب والمحبة والكره ولا تثبت له اليد والساق والعين، كلها صفات لله، فأهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبت.

الأمر الثاني أنهم لا يسألون عن كيفية هذه الصفات، وكُنه هذه الصفات، فهم لن يستطيعوا أن يدركوا كيفيتها، فعقيدة أهل السنة والجماعة أنك تؤمن بهذه الصفات ولا تسأل عن الكيفية، فلم يسأل الصحابة عن كيفية الغضب، وكيفية الكره، وكيفية اليد، وكيفية السمع حتى، وغير ذلك، لأن هذا غيب؛ هذا باب غيبي، أصل أصيل في هذا الباب أنك تعلم بأن باب الأسماء والصفات غيبي، لماذا؟ لأن كما أن ذات الله عز وجل عندك غيب؛ أي أنت لم ترى الله عز وجل، ولم ير أحد الله فيصفه لك، وليس لله مثيل، لقوله تعالى:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: 11]، إذًا هذا باب غيب عنك، لا تعلم فيه إلا ما يخبر به الله عز وجل، فليس لك أنك تعلم الكيفية، وليس لك مطمع في أنك تعلم هذه الكيفية، وأن من حاول أن يعلم الكيفية وقع في التشبيه أو وقع في التعطيل، لأنه لما كيَّف شبَّه، ولما أراد أن يصد التكييف فاضطر أنه يعطل فرارًا من التكييف فوقع في التعطيل، فهذا أيضًا عند أهل السنة والجماعة أصل أصيل في باب الإيمان.

كنا بدأنا الأسبوع الماضي في مسألة الحلولية وبيناها، ثم دخلنا بعد ذلك في باب الاستواء على العرش، وهذا طبعًا أيضًا من الأبواب التي وقع ما وقع فيها من الحلولية وغيرهم من الطوائف المبتدعة في عدم القول بصفة استواء الله عز وجل على عرشه، وهذه التي سنتكلم عنها اليوم إن شاء الله بقدر ما نستطيع.

طبعًا الأدلة في مسألة الاستواء على العرش تفيد العلو، لذلك بداية نحن تكلمنا عن أدلة علو ذات الله عز وجل، **فالله عز وجل يتصف بالعلو بثلاث أنواع**؛ علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر.

- **أولًا: علو الذات:**

عندما نأتي بدليل على علو الذات لا نقول {ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ} [طه:5]، لأن هذا ليس علو مطلق، لكنه مرحلة ثانية في اثبات العلو، لأن الاستواء على العرش هذا "علو مقيد"، لابد أن تثبت أولًا أين العرش، ثم تثبت الاستواء على العرش فتثبت منه العلو، وهذا طبعًا دليل من أدلة اثبات العلو لكن عندك أدلة صريحة في اثبات العلو مثل {سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى}

[الأعلى: 1] ، و {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر:10]، وأيضًا {تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ } [المعارج: 4]، و [يَنزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالى كُلَّ لَيلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا حينَ يَبقى ثُلُثُ اللَّيلِ]ونستدل من ذلك على العلو بأن لازم النزول أن يكون من أعلى. والنبيﷺ لما سأل الجارية قال: أين الله؟ قالت في السماء فقال أعتقها إنها مؤمنة. وأيضًا عن عيسي عليه السلام: { بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } [النساء: 157].

وهناك فرق بين **العلو المطلق** – كل الذي ذُكر الآن – وبين العلو المقيد أنه مقيد بالاستواء على العرش.

- **ثانيًا: علو القهر:**

الدليل:{وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ } [المائدة: 64] ،

- **ثالثًا: علو القدر (علو الشأن):**

الدليل: {رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ} [غافر: 15] ،

فكل هذا في العلو المطلق.

و {سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى} [الأعلى: 1] **فيها كل أنواع العلو**، لماذا؟

فأنتم قلتم أن {سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى} [الأعلى: 1] يجوز أن نستدل بها على علو الشأن، قلنا نعم، فما الدلالة هنا؟ قلنا لأنه من الأسماء، ويوجد ضابط للأسماء الحسنى؛ متى يكون الاسم اسم لله؟ أي متى يصح أن نطلق على أن هذا اسم من اسمائه؟ متى يكون الاسم حَسَن لله عز وجل؟

من شروط أن يكون الاسم حسن لله عز وجل أن تكون الصفة التي فيه حُسن كمال من كل وجه، لابد أن يكون كمال من كل وجه، ماذا يعني ذلك؟ فنحن نقول أن (الاستواء) صفة، لكن هل تسمي الله "المستوي"؟ لا تسميه، لماذا؟ لأن صفة الاستواء ليست حُسن في كل شيء؛ فهناك وجه فيه حسن، وهناك وجه في أن ممكن يستوي المخلوق على الكرسي لأنه مُجهد، لأنه ضعيف، لأنه كذا، فصفة الاستواء وفيها عمومًا نوع من استواء القهر والملك أيضًا، فليست حُسن من كل الوجوه، فلذلك يوصف الله بالاستواء نعم لكن لا يُسمى.

فمعنى الأسماء الحسنى لابد أن يكون الاسم متضمن صفة حُسن من كل وجه، كمال في كل وجه من الوجوه، لذلك (الرحمن) حُسن لأن فيه الرحمة في كل شيء، من كل الوجوه، ما تجد

فيها نقص، (العليم) تجد فيه ذلك. طيب نقول أيضًا (الموجود)، الموجود ليس اسمًا أصالة، لكن الوجود موجود، لأنه هناك وجود للخالق وهناك وجود للمخلوق مثلًا. أو نقول هناك فرق بين (الصانع) و(الخالق)؛ فالخالق تقول أن الخلق كمال من كل وجه، أما الصانع لا يسمى به الله، لأن الصانع فيه كمال في بعض وعدم كمال في بعض. (الدهر) لماذا لا نقول أنه اسم لله؟ لأن ليس فيه حُسن أصلًا، فالدهر هو الزمن وليس فيه صفة حُسن.

فإذا أثبتنا أن هو اسم لله من أسماء الله الحسنى فحتى يكون اسمًا لابد أن الصفة التي فيه تكون حُسن من كل وجه، كمال من كل وجه، فممكن تستدل بذلك على أن العلو في كل شيء؛ علو القهر والذات والشأن. علمتم من أين أتت؟ لأنها اسم، والاسم لابد حتى يكون اسم حسن لابد أن يكون فيه الصفة كمال من كل وجه، فلذلك يمكن أن تستدل بذلك. وهذا ضابط لك الآن؛ بأنك إذا وجدت الاسم الصفة التي فيه ليست كمال من كل وجه فلا تسميه لله.

مثلًا صفة (المكر) لا تسمي (الماكر)، لأن أصلًا صفة المكر ما وردت مطلقة، بل وردت مقيدة، وحتى الاستواء وَرَد مقيد؛ الاستواء على العرش.

فهذا يساعدك جدًا في ضبط الأسماء الحسنى بأنك تنظر إلى الصفة التي في الاسم – التي أثبتها الأول – لو عندك اختلاط هل هو اسم من أسماء الله أم لا؟ إذا وجدت الصفة كمال من كل وجه فيصح أن يكون بباقي الشروط اسم لله، وإذا وجدت الصفة التي فيه ليست كمال من كل وجه تعلم أنه ليس اسمًا من أسماء الله الحسنى. فلو قُيِّدت مثلًا فستعلم أنها في وجه دون وجه. لذلك أخطأ الخطابي الذي سمى الله (الضاحك)، هي صفة (الضحك) لكن لا يُسمى الله الضاحك، لأنه ليس كمال من كل وجه، أو (الماكر) أو (المخادع).

فنحن قلنا أن كل اسم لابد له حتى يكون اسم من أسماء الله الحسنى أن يتضمن صفة، **لذلك الأسماء يشتق منها الصفات** وليس العكس؛ الصفات لا يشتق منها الأسماء، لأنك لو لم تقل بأن الاسم له صفة ستكون قلت بقول الجهمية والمعتزلة الذين قالوا أسماء بلا معنى، جامدة، وهذا أصل عندنا، فهي لماذا حسنى، ولله الأسماء الحسنى؟ أين الحُسن؟ هو السميع أين الحُسن فيه إن لم يكن فيه صفة السمع؟ والبصير، إلى غير ذلك، فلذلك نقول لابد.

لكن الخلاف؛ **هل تشتق الأسماء من الصفات؟** والصحيح عند أهل السنة والجماعة وحتى هناك خلاف قلت أن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم يرى بعضهم بأن ممكن الأسماء تُشتق، لكن الصحيح الأسماء لا تشتق من الصفات، فالأسماء توقيفية ولابد أن يأتي بها النص.

لكن الصفات هي التي ستثبت إما عن طريق:

- الاسم؛
- أو عن طريق الفعل؛
- أو تصريحًا.

النوع الأول: من الاسم: {إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: 11] ؛

النوع الثاني: من الفعل: [يَضْحَكُ رَبُّنَا] و [يَنزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالى كُلَّ لَيلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا]، وصفة الإتيان {يَأۡتِيَ رَبُّكَ} [الأنعام: 158] ، ويغضب سواء الغضب بالمضارع أو {غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ} [الممتحنة: 13] .

النوع الثالث: تأتي الصفة تصريحًا: {وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا} [الفتح: 26] ، هذه صفة، هذه تصريح بالصفة، {وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب: 43] .

فعندك ثلاثة طرق لاثبات الصفة؛ إما من الاسم، أو تكون من الفعل، أو قد تكون تصريحًا.

وباب الأسماء أضيق من الصفات، وباب الصفات أضيق من الأفعال، وباب الأفعال أضيق من باب الإخبار عن الله عز وجل، (اسم.. صفة.. فعل.. خبر)، فتقول باب الأسماء أضيق. وممكن أحيانًا يأتوا بها بالعكس؛ يقول لك باب الإخبار أوسع من باب الأفعال، وباب الأفعال أوسع من باب الصفات، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء.

طيب.. نحن بدأنا في العلو المطلق، وهو ذكر في التبويب (أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ , لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)، إذًا سنتكلم عن الاستواء على العرش.

نبدأ في القراءة لأننا سنحتاج أن نتكلم عن اثبات صفة الاستواء عند أهل السنة والجماعة، ومعنى الاستواء، والذين خالفوا في اثبات الاستواء كيف خالفوا والرد عليهم.

فنقرأ.. من رواية (663)

قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

663 – وَحَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ لُوَيْنٌ قَالَ: نا الْوَلِيدُ بْنُ أَبِي ثَوْرٍ , عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمِيرَةَ , عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ , عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا بِالْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ إِذْ مَرَّتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ , فَنَظَرَ إِلَيْهَا , فَقَالَ لَهُمْ: " هَلْ تَدْرُونَ مَا اسْمُ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ , اسْمُ هَذِهِ: السَّحَابُ , قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَالْمُزْنُ , قَالُوا: وَالْمُزْنُ قَالَ: «وَالْغَيَايَةُ» ثُمَّ قَالَ: " هَلْ تَدْرُونَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ قَالُوا: لَا قَالَ: " فَإِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا إِحْدَى , وَإِمَّا اثْنَتَانِ , وَإِمَّا ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً إِلَى السَّمَاءِ , وَالسَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ , حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ثُمَّ قَالَ: فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ , مَا بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلَافِهِنَّ وَرُكَبِهِنَّ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ , ثُمَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ ذَلِكَ "

666 – حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: نا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نا وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ , عَنْ سُفْيَانَ , عَنْ أَبِي هَاشِمٍ , عَنْ مُجَاهِدٍ , عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ , قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا , فَكَانَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الْقَلَمَ , فَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ , فَإِنَّمَا يَجْرِي النَّاسُ فِي أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ»

667 – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ قَالَ: نا حَفْصُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ , عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ , عَنْ أَبِيهِ , عَنْ جَدِّهِ قَالَ: إِنِّي لَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جُهِدَتِ الْأَنْعَامُ , وَجَاعَ الْعِيَالُ , هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ , وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ , فَاسْتَسْقِ لَنَا , فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ , فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَدْرِي مَا تَقُولُ» ؟ وَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ , وَقَالَ: «وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَيْحَكَ إِنَّهُ لَفَوْقَ سَمَاوَاتِهِ , وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ , وَإِنَّهُ لَهَكَذَا مِثْلُ الْقُبَّةِ» وَأَشَارَ بِيَدِهِ وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ "

668 - حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَاهِينٍ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلِ بْنِ عَسْكَرٍ قَالَ: نا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ قَالَ: نا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ , عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ , عَنِ ابْنِ أَبِي زَكَرِيَّا , عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ , عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْوَحْيِ: أَخَذَتِ السَّمَاءَ مِنْهُ رِعْدَةٌ أَوْ قَالَ رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ , خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صُعِقُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سُجَّدًا , فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ , فَيُكَلِّمُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَا أَرَادَ مِنْ وَحْيِهِ , فَيَمْضِي بِهِ جِبْرِيلُ عَلَى مَلَائِكَتِهِ سَمَاءً سَمَاءً , كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ: قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ , فَيَمْضِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ "

669 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: نا أَبُو مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرُ , عَنِ الْأَعْمَشِ , عَنْ أَبِي الضُّحَى , عَنْ مَسْرُوقٍ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا قَالَ: فَيُصْعَقُونَ , فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ , فَإِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: الْحَقَّ , فَيُنَادُونَ: الْحَقَّ , الْحَقَّ "

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهَذِهِ السُّنَنُ قَدِ اتَّفَقَتْ مَعَانِيهَا وَيُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَكُلُّهَا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ , فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ , وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ , وَإِنَّهُ سَمِيعٌ , بَصِيرٌ , عَلِيمٌ , خَبِيرٌ وَقَدْ قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَفْتَحَ دُعَاءَهُ يَقُولُ: " سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ" وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ إِذَا قَرَءُوا {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] قَالُوا: سُبْحَانَ رَبِّنَا الْأَعْلَى , مِنْهُمْ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ , وَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ أَنْ يَقُولُوا فِي السُّجُودِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ثَلَاثًا وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا يُقَوِّي مَا قُلْنَا: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ الْعَلِيَّ الْأَعْلَى: عَلَى عَرْشِهِ , فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا , وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ , خِلَافَ مَا قَالَتْهُ الْحُلُولِيَّةُ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ مَذْهَبِهِمْ

هذه الآثار والأحاديث التي قرأناها اليوم كلها يتكلم عن مسألة العلو، فيها اثبات العلو المطلق لله عز وجل كما جاء، وأن الله عز وجل سبحانه وتعالى فوق سبع سماوات، والأدلة متواترة في مسألة علو الذات، وقد تكلمنا عنها الأسبوع الماضي واليوم تكلمنا عن بعضها؛ منها كما ذكر هنا: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى:1] يدل على علو الله عز وجل.

الآن بيرد على الحلولية، فماذا قالت الحلولية في هذه المسألة التي معنا؟

الحلول العام؛ أنهم قالوا – ونعوذ بالله من ذلك طبعًا من سوء مذهبهم – بأن الله في كل مكان، فهو الإمام هنا يبين – وهذا السياق هنا في الباب كله – بأن الله عز وجل في علوه، أن الله عز وجل على عرشه سبحانه وتعالى، واستدل بهذه الآيات والأحاديث التي تبين علو الله عز وجل.

طبعًا الحديث الأول نحن قلنا حديث العباس وفيه ضعف شديد حقيقة، لذلك سنتجاوز عنه. لكن لو قلنا بحديث: قال النبي ﷺ: (إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْوَحْيِ) ماذا تستفيد من هذه الجملة؟ (إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا) ماذا تستفيد منها كطالب علم في دراستك للأسماء والصفات؟

أن الله عز وجل تكلم بصوت، أين وجه الشاهد؟ (تَكَلَّمَ اللَّهُ) أضاف الكلام إلى الله، إذًا صفة الكلام، فحتى نبين بأن الكلام هذا ليس نفسيًا كما ادعى من ادعى من المبتدعة في ذلك، نقول: (سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ)، والسماع لابد أن يكون الكلام بصوت، فهذه من الفوائد هنا لأنه قال: (صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا) ليس صوتا هينًا، بل صوتًا شديدًا، فأنت لو تأتي بالسلسلة الحديد وتجرها على صخرة صماء ستسمع صوتًا قوي جدًا، عظيم جدًا، ممكن ما تتحمله، لذلك قال: (فَيُصْعَقُونَ) من شدة الصوت فيصعقون، (فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ , فَإِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: الْحَقَّ , فَيُنَادُونَ: الْحَقَّ , الْحَقَّ)، إذًا دلالة كلها من هذا الحديث على اثبات صفة الكلام لله عز وجل، وأنه كلام حقيقي يسمعه من أراد الله عز وجل أن يُسمعه من خلقه سبحانه وتعالى.

وأيضًا هنا {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى:1] (الأعلى) اسم من أسماء الله عز وجل، وفيه صفة الحُسن، وقلنا صفة الحُسن من جميع الأنواع.

قال: (عَلَى عَرْشِهِ, فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا, وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ, خِلَافَ مَا قَالَتْهُ الْحُلُولِيَّةُ).

أيضًا قال: (مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ دُعَاءَهُ إِلَّا بِسُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ وَلَهُ طُرُقٌ).

دعونا نتكلم في الاستواء ثم نرد عليهم إن شاء الله في الأدلة التي تسعفنا اليوم، لكن دعونا نتكلم عن الاستواء لأن الاستواء هنا ذكر في التبويب، وذكر في بعض الأدلة.

- **ما معنى الاستواء؟**

نقول الاستواء في اللغة له عدة معاني تختلف باختلاف التعدي؛ أي لما تقول (استوى) فقط غير ما تقول (استوى على) غير ما تقول (استوى إلى). فنقول هذه معاني ثلاثة في اللغة.

ولكن الأصل أن مادة الاستواء هو فيها العلو والظهور، وفيها أيضًا الكمال والتمام، لكن الأصل في الاستواء هو العلو والظهور.

لكن ممكن **إذا أُطلق لفظ الاستواء – أي لم يضاف إليه حرف من الحروف** أي يقول (استوى) فقط – هنا يكون بمعنى الاتمام أو الكمال أو النضج؛ تقول مثلًا استوى الزرع، أو استوت الثمار، إذًا نضجت، واكتملت، كما جاء من قوله تعالى في سورة القصص قال: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ } [القصص:14]، (بلغ أشده واستوى) أي وصل لسن النضج والتمام وكَمُل، نقول هنا استوى بمعنى كَمُل، على حسب سواء أطلق على زرع أو أطلق على آدمي إلى غير ذلك، فهنا فعل الاستواء جاء مطلقًا بدون التعدي؛ ليس متعديًا لا بـ (إلى) ولا بـ (على).

وقد يتعدى بـ (الواو) في اللغة؛ يقولون استوى الماء والخشب؛ أي تساوى الماء والخشب مثلًا. إذًا هنا لو جاءت (الواو) فيكون بمعنى التساوي.

أو يأتي الاستواء بالتعدي بـ (إلى) {ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ } [فصلت: 11]، (استوى إلى السماء) هنا تأتي بمعنى القصد، استوى إلى السماء أي قصد السماء، هذا التعدي بـ (إلى).

ثم الاستواء بالتعدي بـ (على)؛ وهذه التي نريدها لأن جاءت فيها الآيات الكثيرة في سبع مواضع في القرآن جاء فيها استواء الله عز وجل على عرشه. وهنا لما جاء استوى بالتعدي بـ (على) جاء بمعنى العلو والصعود والارتفاع، {لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا

ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ} [الزخرف: 13] ، وقال {وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ} [هود: 44] ، هنا كل هذه بمعنى العلو والارتفاع على الشيء.

وقلنا آيات الاستواء جاءت متعددة في القرآن سبع آيات ممكن تتتبعوها في سورة طه وغير ذلك من السور.

فهذا الاستواء جاء في معنى اللغة، ونحن ما نحتاج إليه هنا في الأحاديث التي معنا وفي اثبات صفة الاستواء لأنه جاء الاستواء كله في (على) في حق الله عز وجل بمعنى الاستواء على العرش،{ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ} [طه: 5] ، و{هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ} [الحديد: 4] أيضًا إلى غير ذلك من الآيات التي فيها صفة الاستواء.

فنحن أهل السنة والجماعة لما جاء فعل الاستواء وصفة الاستواء التي هي لله عز وجل والصفة جاءت مقيدة باستوائه سبحانه وتعالى على العرش أهل السنة والجماعة أثبتوا الصفة؛ قالوا الله عز وجل مستوي على عرشه، وهذه نثبتها بلا كيفية على أصولنا، فنحن نقول كما قال الإمام مالك والأشهر في رواية الإمام مالك أن (الاستواء غير مجهول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة) وفي رواية طبعًا (الاستواء معلوم، والكيف مجهول..). فالأشهر هي التي بنقولها دائمًا (الاستواء معلوم) لكن الأضبط هي (الاستواء غير مجهول). وفي رواية (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معلوم، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة) فهذه أضبط.

طبعًا هو مشهور ذلك عن الإمام مالك، لكن أيضًا والأصح أنها قالها أولًا ربيعة الرأي شيخ الإمام مالك هو الذي قالها، وورد عن أم سلمة أنها قالتها موقوفًا، ما ورد عن أم سلمة موقوفًا عنها أنها قالت، لكن هذا فيه نزاع بين أهل العلم أن أول من قالت بها هي أم سلمة رضي الله عنها، لكن الذي قالها قبل الإمام مالك بالاتفاق هو الإمام ربيعة الرأي شيخ الإمام مالك.

قلنا أهل السنة والجماعة يثبتون استواء الله على العرش، وقلنا الاستواء عندنا ثابت بغير تكييف وغير تمثيل. طيب **غير تكييف** علمنا؛ لأننا لا نعلم كيفية الاستواء، لا نعلم كيفية الغضب، لا نعلم كيفية الكره، لا نعلم كيفية اليد، لا نعلم كيفية الساق والعين، فلا نعلم كيفيات صفات الله عز وجل. **وبلا تمثيل** لأن الممثلة قالوا استواء الله على العرش كاستواء المخلوق، وهذا أيضًا نحن أهل السنة الجماعة نثبت بلا تكييف وبلا تمثيل؛ إذًا لا نمثل لأن المشبهة مثلوا؛ قالوا أثبتنا الاستواء واستواء الخالق كاستواء المخلوق كما قالوا في اليد يد الخالق كيد

المخلوق، والعين كالعين إلى غير ذلك مما أخذوا أو عملوا بقياس التمثيل الذي لا نقوله في حق الله عز وجل. طيب هؤلاء الذين بلا تكييف ولا تمثيل.

ولا تحريف، وهنا نأتي للتحريف؛ إحدى الطائفتين الذين حرفوا في الاستواء هم **الجهمية والمعتزلة**؛ قالوا الاستواء بمعنى الاستيلاء، حرفوا في الاستواء جعلوه بمعنى الاستيلاء، أضافوا اللام كما قال ابن القيم ذلك وأنكر عليهم قالوا مثل ما فعلت اليهود لما قيل لهم{وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ} [البقرة: 58] قالوا حنطة، فزادوا النون في "الحطة" وقال: وزاد الجهمية اللام في استوى فجعلوه استولى. هذا تحريف! فشابهوا اليهود في ذلك، لكن هم قالوا أن الاستواء بمعنى الاستيلاء.

طيب لماذا قالوا الاستواء بمعنى الاستيلاء؟ قالوا عندنا دليل، أين الدليل؟ قالوا دليل بيت شعر، طبعًا ليس بدليل، قالوا بيت شعر وقالوا للأخطل. هل أحد يعلم لماذا نسبوه للأخطل تحديدًا؟ العرب العلماء يستدلون بالشعر أحيانًا الذي يعد شعرًا يُستأنس لغاية قبل ظهور العجمة، أي حتى 150 ، 200 – أنا ما أذكر التحديد بالضبط – لكن هذا الزمن هو الذي يعتد بالأشعار فيها في باب الاستئناس، فالأخطل مات 150 أو في حدود 150، فأرادوا أن ينسبوا البيت إلى أحد الشعراء الذي ممكن أن يُستدل بشعره في الاستئناس، فنسبوه للأخطل مع أن الأخطل نصراني على الصحيح، بل له أبيات في ذم عقيدة المسلمين وإلى غير ذلك.

فاستدلوا ببيت شعر قالوا:(قد استوى بشر على العراق... من غير سيف ودم مهراق)، وقالوا هنا الاستواء بمعنى الاستيلاء، فأرادوا أن يقولوا بأن المقصود بأن الله عز وجل استوى هنا بمعنى استولى! وطبعًا هذا الكلام قول جهم بن صفوان، وأولًا علماء اللغة ردوا هذا البيت على الأخطل، وقالوا أنه لم يثبت هذا البيت أصالة، وليس من دواوينه وليس من شعره، وحتى لو ثبت عنه فهو لا يُعتد به لأنه نصراني أصالة، ومخالف في العقيدة، وليس حتى من العرب بل هو من الأعاجم أصالة. وطبعًا قالوا أيضًا حتى لغة الاستواء هنا سيكون لو قلتم استولى فالاستيلاء هنا بمعنى المفاعلة أو المقاتلة، إذًا لابد فيه من تنازع، فكأن الله عز وجل قد تنازع مع أحد على الملك ثم استولى عليه! وهذا منتفي بحق الله عز وجل أصالة أن يكون هذا المقصود.

والأصل في الاستواء بمعنى الاستيلاء هو عند جهم الأول، أول من قال بذلك جهم، أما **الأشاعرة** عندهم مشربين في هذه المسألة؛ المشرب الذي هو فيه الاستيلاء، ومشرب آخر بأنهم – كما سيأتي معنا الآن – أنهم قالوا بأن العرش المقصود به الملك وليس العرش الذي هو

المخلوق، حتى يؤولوا أن الاستواء هنا مقصود به استواء على الملك أي استواء الملكية، وليس العرش كمخلوق وأن الاستواء حقيقي، حتى يفروا من مسألة الاستواء الحقيقي ويجعلوه استواء معنوي؛ بيستوى على الملك أي ليس على العرش الذي هو مخلوق من مخلوقات الله، فأولوا العرش بالملك، وهذا سيأتي، فهذا التأويل الثاني للمسألة.

لكن **الجهمية** أولًا هم الذين قالوا بالاستواء بمعنى الاستيلاء، وهنا الإشكال أنهم لما قالوا الاستواء بمعنى الاستيلاء قلنا لهم طيب لو قلنا الاستيلاء.. فهل استولى الله عز وجل على العرش فقط؟ طيب وباقي المخلوقات ما استولى عليها؟! لأنه بيحاج أهل السنة الجهمية؛ لو قلنا استوى بمعنى استولى، وأنتم تقولون استولى على العرش، طيب أين باقي المخلوقات؟ لماذا خص الله عز وجل الاستيلاء بالعرش؟ لابد أن يكون بذلك لم يستولي على شيء، لأنه معنى ذلك بأن الله سيكون استوى أيضًا كما في السماء استوى في الأرض أيضًا، وطبعًا لا يستطيعون أن يقولوا بأن (الرحمن على الأرض استوى)! ما يستطيعوا أن يقولوا ذلك.

فنحن نحاجهم أولًا بالترتيب الذي قلناه في رد البيت، ثانيًا من هذا التحريف، ثالثًا يستدعي المقاتلة والمغالبة، رابعًا لو قلت بأن استوى هنا بمعنى استولى طيب لماذا خص الاستيلاء بالعرش فقط؟ وباقي المخلوقات أين هي؟ ولو قلتم بأنه استوى بمعنى استولى على قولهم أيضًا بالحلولية فمعنى ذلك لابد تقول بأن الرحمن استوى على الأرض، ولا أحد يقول بأنه استوى على الأرض.

إذًا استوائه على عرشه ليس المقصود منها الغلبة على العرش، بل الاستواء هو الاستواء الذي هو المعنى الحقيقي في الذهن الذي عندنا، ولكننا لا نكيف، ولا نشبه، ولا نمثل استواء الله كاستواء المخلوق. وطبعًا توجد أدلة أكثر من ذلك كثيرة جدًا بيناها لو تذكروا في (معارج القبول) إلى غير ذلك، لكن المقام هنا لا يستدعي أكثر من ذلك.

لكن الطائفة الثانية هم **الأشاعرة** الذين أولوا العرش بمعنى الملك، فقالوا استوائه على العرش أي استوائه على الملك، ماذا يعني استوائه على الملك هنا؟ أي ارتفاعه على الملك، وهنا الإشكال أنهم أرادوا أن يجعلوا العرش ليس شيء محسوس، ليس مخلوق، يقصدوا بأن المسألة معنوية؛ استوى على العرش أي على ملكه، {ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ} [السجدة: 4] أي على الملك!

لكن الإشكالية أنك أنت كيف ستجعل العرش بمعنى الملك وأن العرش قد جاءت أدلة تدل أنه مخلوق من مخلوقات الله عز وجل؟!{وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ} [الحاقة: 17] ،

هناك من هم يحملون العرش، {وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ} [الزمر: 75] ، إذًا هذا يدل على أن العرش حسي، بل في الحديث لما قال النبي ﷺ في وصفه للعرش قال: [فإنَّ النَّاسَ يَصعَقونَ يَومَ القيامةِ، فأكونُ أوَّلَ مَن يُفيقُ، فإذا أنا بموسى آخِذٌ بقائِمةٍ مِن قَوائِمِ العَرشِ، فلا أدري أفاقَ قَبلي أم جُزيَ بصَعقةِ الطُّورِ] على أنه صُعق لما أراد أن يطلب من الله عز وجل أن يرى الله عز وجل. فهنا بيَّن النبي ﷺ بأن موسى عليه السلام متعلق بقوائم العرش، فدل ذلك على أن العرش مخلوق.

وأيضًا قال الله عز وجل:{ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ } [هود: 7] ، إذًا لابد أن هذا كله يدل على أن العرش مخلوق من مخلوقات الله عز وجل، ولا يمكن أن يؤول أو يحرف – لو صح الكلام – أن العرش بمعنى الملك كما قالت الأشاعرة، فهذا كان كلام الأشاعرة في هذه المسألة.

بذلك قد انتهينا من مسألة الاستواء، لكن هو طبعًا سيأتي كلام في مسألة المعية تقريبًا، لكن نحن مررنا على مسألة في الحديث لما أنكر فيها النبي ﷺ لما قال الرجل: (فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ)، وأنكر النبي ﷺ عليه ذلك قال: (وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ)، وهذا طبعًا يدل على إنكار النبي ﷺ عليه بأنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه لأن الله عز وجل هو الذي يُستشفع؛ يُسئل الشفاعة، أو أن الله عز وجل يُشفِّع غيره أي يسمح ويأذن أن يشفع الغير للعبد كشفاعة النبي ﷺ في ذلك.

فهم كأنهم يريدون أن يتوسطوا عند النبي ﷺ فيسألون الله أن يكون وسيطًا لهم عند النبي ﷺ، وهذا طبعًا ما يجوز أصالة لذلك النبي أنكر عليه ذلك، قالوا: (فَاسْتَسْقِ لَنَا , فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ) نستشفع بك أي نتوسل إلى الله عز وجل بدعاء النبي ﷺ، (وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ) هذا الذي ما يجوز، لذلك أنكر عليهم النبي ﷺ حتى قال: (هَلْ تَدْرِي مَا تَقُولُ؟) حتى يبين له (إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ) أنت الآن في الدنيا تذهب لتأتي بأحد يشفع لك عند الكبير حتى يتوسط لك عندما تريد شيء، لا أن تأتي بالكبير عند واحد صغير تقول له استشفع لي عند الصغير! ما يصح هذا، ولله المثل الأعلى. مع أن الحديث فيه ضعف قلت لكن أنا مررت لأن هذه المسألة جاءت فيه. وطبعًا هذا في زمن النبي ﷺ أن تشفع بحياته، بدعائه، لكن الآن خلاص بعد موته.

نرجع للقراءة؛؛

باقي الآن الرد عليهم لأنهم استدلوا ببعض الأدلة، هذه طبعًا سنحتاج أن نؤجلها؛ الرد لما قالوا على مسألة الحلولية أن الله في السماء وفي الأرض إلى غير ذلك، والمعية أيضًا.

670 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورِ بْنُ سَيَّارٍ قَالَ: نا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ النُّعْمَانِ قَالَ: نا عُمَرُ بْنُ رَاشِدٍ أَبُو حَفْصٍ الْيَمَامِيُّ, عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ, عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ دُعَاءَهُ إِلَّا بِسُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ

وَلَهُ طُرُقٌ

671 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: نا وَكِيعٌ, عَنْ سُفْيَانَ, عَنِ السُّدِّيِّ, عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَرَأَ {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»

672 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ: نا هُشَيْمٌ قَالَ: أَنَا أَبُو بِشْرٍ, عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ, عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] فَيَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»

673 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا عَبِّي قَالَ: نا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ: نا زُهَيْرٌ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيَّبِ, عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ, عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَزِيدَ, عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا سَجَدَ قَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»

674 - حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: نا وَكِيعٌ, عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ, عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّهُ قَرَأَ {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»

675 - أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ, وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ قَالَا: نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِئُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَيُّوبَ الْغَافِقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي إِيَاسُ بْنُ عَامِرٍ: أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: ٧٤] قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ» فَلَمَّا نَزَلَتْ: {سَبِّحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ

676 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا دَاوُدُ بْنُ مِخْرَاقٍ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا وَكِيعٌ , عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ , عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَزِيدَ الْهُذَلِيِّ , عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ , عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا رَكَعَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ فِي رُكُوعِهِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ ثَلَاثًا , فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ تَمَّ رُكُوعُهُ وَذَلِكَ أَدْنَاهُ , وَإِذَا سَجَدَ فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى , ثَلَاثًا , فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ , فَقَدْ تَمَّ سُجُودُهُ , وَذَلِكَ أَدْنَاهُ"

كل هذا سيأتي لمسألة العلو.

نقف عند الأدلة التي سيحتج بها الحلولية في مسألة أن الله في كل مكان، ورد الإمام عليهم، هذه إن شاء الله نرجئها للأسبوع القادم، ولعلنا سندخل بعدها أيضًا في كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

نسأل الله عز وجل أن ييسر لنا هذا الكتاب، وأن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا، وأن يجعله ذلك إخلاصًا لله عز وجل.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة السادسة والخمسون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري، مازلنا في تتمة الباب الخمسين الذي هو فيه الكلام عن **أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ , لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**، وهذا التبويب له مسائل كنا قد تكلمنا في مسألة الاستواء على العرش، والعلو، ومن التبويب يظهر من فقه الإمام أن استواء الله عز وجل على عرشه وعلوه لا يتنافى مع **(عِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ , لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)**، كأنه يشير إلى مسألة المعية ويبين ما وقع فيه المبتدعة في مسألة المعية الذي وقع فيه الحلولية أيضًا الذين أرادوا أن يقولوا بأن الله في كل مكان. واثبات العلو لذات الله عز وجل فوق السماوات السبع واستواء الله أيضًا على عرشه وكذلك معية الله عز وجل أو أنه محيط بعلمه بكل شيء لا يتعارضان مع العلو؛ أي لا تتعارض المعية التي جاءت في آيات المعية لأن المعية لا يقصد بها معية الذات – كما سنبين – لكن هذه معية العلم والإحاطة كما فهمها

أهل السنة والجماعة وهي لا تتعارض مع علو الله عز وجل، أي هو يقصد من قوله {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} [الحديد: 4] آيات المعية سنحاول أن نوجهها توجيهًا لما جاء من قوله تعالى: {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: 4] ، طبعًا فيه اثبات الاستواء والعلو، وفيه اثبات العلم لأن الآية فيها {يَعْلَمُ} وهذه تفسر لك معنى {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} [الحديد: 4] أيضًا ختمها {وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: 4] ، ففيها العلم. إذًا المعية هنا هي معية العلم ومعية الإحاطة، وأول الآيات فيها الاستواء الذي فيه العلو، فلا تعارض بين استوائه على العرش الذي هو فوق السماوات بعد خلقه ومع المعية التي يقصد بها هنا معية الإحاطة والعلم بالمخلوقات وأثبت المعية معهم.

ومسألة المعية هذه ضل فيها أيضًا كثير من المبتدعة لما استدلوا بآيات المعية على أنهم يريدوا أن يقولوا أن الله معنا في كل مكان، وآيات المعية لا تفيد ذلك لأن المعية المقصودة هنا ليست معية المخالطة، بل المعية المقصودة هنا معية المصاحبة كما قال النبي ﷺ [اللَّهُمَّ أنتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، والخَليفةُ في الأهلِ]، وهو سبحانه وتعالى مع المسافر في سفره ومع الأهل أيضًا [والخَليفةُ في الأهلِ] في وطنه، ولا يلزم من هذه المعية أن يكون الذات مختلط لا مع المسافر ولا مع الأهل في الوطن لأن هذه معية تسمى معية المصاحبة كما جاءت آيات كثيرة، حتى بين المخلوقين قال الله عز وجل:{ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ} [الفتح: 29] هنا {مَعَهُۥٓ} مقصود به معهم على الإيمان، ليس معه أي يختلط بهم {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ} [الفتح: 29] فهذه معية الإيمان لا معية الذات لأنه ليس كل الصحابة كانوا مع النبي ﷺ في هذا الوقت، لكن كان بعضهم معه وبعضهم مع غيره، لكن هم معه على الإيمان؛ أي يصاحبونه في إيمانه.

وأيضًا من قوله تعالى:{ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ} [النساء: 146] ، هنا {مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ} أي حكمهم حكم المؤمنين؛ أي يوافقوا المؤمنين في ذلك، وليس (مع) المقصود بها معية المخالطة. وكما قال الله عز وجل لمريم:{ وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ} [آل عمران: 43] ليس المقصود منها أن تركع بذاتها مع الراكعين فتقف معهم، لكن المقصود منها هنا بأنها تؤدي العبادة كما يؤدون. وأيضًا {وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ} [التوبة:119]، أي كونوا مع الصادقين أن توافقوهم في الصدق وفي أفعالهم.

كل هذه النصوص التي بيناها هنا تدل على أن المعية ليست معية ذات أو مخالطة، بل هي معية المصاحبة، وهذا الذي أيضًا جاءت فيه الآيات عن الله عز وجل:{ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} [المجادلة: 7] ، والله عز وجل فوق السماوات على العرش ومع ذلك هو معهم هنا بأنه يسمع ويرى ما يفعلون، وهو قريب في علوه أيضًا.

وأيضًا معهم بالنصرة والتأييد {إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ} [طه: 46] ، لما قال لموسى عليه السلام:{ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى* ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ} [طه:42-43] وقال: {إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ} [طه: 46] فهنا المعية معية النصرة والتأييد ليست معية المخالطة، والله يراهم سبحانه وتعالى لأن له السمع وله الرؤية لكنه فوق سبع سماوات فلا يصح أن تقول أن هذه معية مخالطة، لكن هي معية النصرة والتأييد على حسب ما يأتي فيها من أنواع المعية.

وأيضًا كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: [أَقْرَبُ ما يَكونُ العَبدُ مِن رَبِّه وهو ساجِدٌ]، وهذا القرب ليس قرب ذات. أيضًا{أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} [الإسراء: 57] ، أيضًا هذه معية قرب الإجابة.

فالمهم أن الذي نقصده الآن أن اثبات العلو الذي جاء في الأدلة السابقة التي تكلم عنها المصنف، واثبات الاستواء لأننا قلنا أن الاستواء هو علو مقيد، بخلاف أدلة العلو المطلق لا تناقض بينها وبين اثبات المعية، لأن لابد أن تعتقد أن لا تناقض بين نصوص الكتاب، الأصل أن نصوص الكتاب واضحة ليس فيها تناقض، ليس فيها تشابه، وهذا أصل في عقيدة أهل السنة والجماعة، إذًا لابد أن تحمل كل نص على المقصود منه، على المعنى، وهنا نصوص المعية هذه المقصود منها معية المصاحبة وليست معية المخالطة، وهذا ليس تأويلًا بل هذا حمل النصوص على ظاهرها أيضًا، فهذا أصل مهم جدًا يحل به الإشكال الذي هو عند الحلولية في ذلك.

وممكن نحتاج أن نتكلم عن التأويل والتفويض بالمناسبة هذه لأن هذا الكلام الذي قلناه ليس تأويلًا بل هو حمل النصوص على ظاهرها، لأن المبتدعة بعضهم أوَّل، وبعضهم فوَّض، وبعضهم رمى أهل السنة والجماعة بالتأويل والتفويض، وهم لم يفعلوا ذلك، لكن ممكن نختم بها الكلام بعد أن نقرأ ما تبقى وننظر إلى كلام المؤلف، لأن أيضًا توجد شبهات في مسألة اثبات الاستواء والعلو، الاستواء تحديدًا عند المبتدعة لما تكلموا في مسألة الحيز والجهة والجسم، وقالوا لو أثبتم الاستواء إذًا تثبتون الجهة، وتثبتون بأنه لما استوى على العرش

سبحانه وتعالى إذًا يحيط به العرش، وتجعلون هذا حيز لله، وهذا جسم – تجسيم – وغير ذلك، واخترعوا الألفاظ التي لم تكن عند أهل السنة والجماعة في مسألة الحيز والجهة والمكان والجسم إلى غير ذلك، وهذه طبعًا كلها ألفاظ حتى إن ذُكِرت لابد أن تسأل ما المقصود منها؟ أي أنت لو قلت لي: ماذا تقصد بالجهة؟ أقول له تقصد أن الجهة المقصود بها أن الله عز وجل فوق السماوات؟ نعم أقول لك أنا أثبت أن هذه الجهة، لكن هل معناه أن السماوات تحيطه؟ لا، هل لو أردت أن تقول بالجهة الاستواء أن العرش فوق السماوات وتريد ذلك؟ أقول نعم أنا أقول بهذا لكني لا أقول بأنه يحيط به. إذًا هذه الألفاظ التي قد ذكرها المبتدعة وأرادوا أن يشوشوا بها على أهل السنة والجماعة سنثبتها على المعنى الذي يليق أو عند أهل السنة والجماعة ليس فيه إشكال. دعونا ننتهي الأول من ما تبقى ثم نتكلم عن التفويض ثم نعرج لو تبقى وقت عن هذه الألفاظ التي رموا بها أهل السنة والجماعة ظنًا بأنهم يشوشوا عليهم فيها إذا أثبتوا الاستواء والعلو.

نقرأ ما تبقى؛؛

676 – وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا دَاوُدُ بْنُ مِخْرَاقٍ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا وَكِيعٌ , عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ , عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَزِيدَ الْهُذَلِيِّ , عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ , عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا رَكَعَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ فِي رُكُوعِهِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ ثَلَاثًا , فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ تَمَّ رُكُوعُهُ وَذَلِكَ أَدْنَاهُ , وَإِذَا سَجَدَ فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى , ثَلَاثًا , فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ , فَقَدْ تَمَّ سُجُودُهُ , وَذَلِكَ أَدْنَاهُ"

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِمَّا يَحْتَجُّ بِهِ الْحُلُولِيَّةُ مِمَّا يُلَبِّسُونَ بِهِ عَلَى مَنْ لَا عِلْمَ مَعَهُ , يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد: ٣] وَقَدْ فَسَّرَ أَهْلُ الْعِلْمِ هَذِهِ الْآيَةَ: هُوَ الْأَوَّلُ: قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ , وَالْآخِرُ: بَعْدَ الْخَلْقِ , وَهُوَ الظَّاهِرُ: فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ يَعْنِي مَا فِي السَّمَاوَاتِ , وَهُوَ الْبَاطِنُ: دُونَ كُلِّ شَيْءٍ يَعْلَمُ مَا تَحْتَ الْأَرَضِينَ , وَدَلَّ عَلَى هَذَا آخِرُ الْآيَةِ {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد: ٣] كَذَا فَسَّرَهُ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ وَمُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ وَيُثْبِتُ ذَلِكَ السُّنَّةُ

677 - حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَاهِينٍ قَالَ: نا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ قَالَ: نا جَرِيرٌ, عَنْ مُطَرِّفٍ, عَنِ الشَّعْبِيِّ, عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ, وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ, وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ, وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِمَّا يُلْبِسُونَ بِهِ عَلَى مَنْ لَا عِلْمَ مَعَهُ احْتَجُّوا بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ} وَبِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} [الزخرف: ٨٤] وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَطْلُبُونَ بِهِ الْفِتْنَةَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} [آل عمران: ٧] وَعِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} فَهُوَ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: مِمَّا جَاءَتْ بِهِ السُّنَنُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ, وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ, {يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} [البقرة: ٧٧] , {يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ} [الأنبياء: ١١٠] وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} [الزخرف: ٨٤] فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ إِلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ, وَإِلَهُ مَنْ فِي الْأَرْضِ, إِلَهٌ يُعْبَدُ فِي السَّمَاوَاتِ, وَإِلَهٌ يُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ, هَكَذَا فَسَّرَهُ الْعُلَمَاءُ

678 - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: نا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّارُ قَالَ: نا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ, عَنْ خَارِجَةَ بْنِ مُصْعَبٍ, عَنْ سَعِيدٍ, عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} [الزخرف: ٨٤] قَالَ: هُوَ إِلَهٌ يُعْبَدُ فِي السَّمَاءِ, وَإِلَهٌ يُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ"

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيمَا ذَكَرْتُهُ وَبَيَّنْتُهُ مُقْنِعٌ لِأَهْلِ الْحَقِّ إِشْفَاقًا عَلَيْهِمْ, لِئَلَّا يُدَاخِلَ قُلُوبَهُمْ مِنْ تَلْبِيسِ أَهْلِ الْبَاطِلِ مِمَّنْ يَمِيلُ بِقَبِيحِ مَذْهَبِهِ السُّوءِ إِلَى اسْتِمَاعِ الْغِنَاءِ مِنَ الْغِلْمَانِ الْمُرْدِ يَتَلَذَّذُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِمْ, وَلَا يُحِبُّ الِاسْتِمَاعَ مِنَ الرَّجُلِ الْكَبِيرِ, وَيَرْقُصُ وَيُزَمِّرُ, قَدْ ظَفَرَ بِهِ الشَّيْطَانُ فَهُوَ يَلْعَبُ بِهِ مُخَالِفًا لِلْحَقِّ, لَا يَرْجِعُ فِي فِعْلِهِ إِلَى كِتَابٍ وَلَا إِلَى سُنَّةٍ, وَلَا إِلَى قَوْلِ الصَّحَابَةِ, وَلَا مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ, وَلَا قَوْلِ إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ, وَمَا يُخْفُونَ مِنَ الْبَلَاءِ مِمَّا لَا يَحْسُنُ ذِكْرُهُ أَقْبَحُ, وَيَدَّعُونَ أَنَّ هَذَا دِينٌ يَدِينُونَ بِهِ, نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ قَبِيحِ مَا هُمْ عَلَيْهِ, وَنَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ, إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ

679 - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّارُ قَالَ: قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: وَذَكَرَ الْجَهْمِيَّةَ فَقَالَ: هُمْ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ زَنَادِقَةٌ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ , وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ"

الحمد لله ختم الإمام هذا الباب العظيم وفيه مسائل كما قلنا؛ اثبات العلو، واثبات استواء الله عز وجل على عرشه، وذكر فيه طائفة الحلولية الذين قالوا بأن الله في كل مكان بذاته، وذكر الشُبَه التي عندهم من قول الله عز وجل: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد:3]، فبيَّن تفسير ذلك لما قد يشتبه بأن تفسير الباطن تحديدًا كان من شبهات الحلولية أنهم يقولون {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد:3] أي أنهم يريدوا أن يستدلوا به في أن الله في كل مكان، لذلك هنا أراد أن يأتي بالدليل؛ قال: (هُوَ الْأَوَّلُ: قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ , وَالْآخِرُ: بَعْدَ الْخَلْقِ , وَهُوَ الظَّاهِرُ: فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ يَعْنِي مَا فِي السَّمَاوَاتِ , وَهُوَ الْبَاطِنُ: دُونَ كُلِّ شَيْءٍ يَعْلَمُ مَا تَحْتَ الْأَرَضِينَ). إذًا الباطن هنا المقصود به أنه يعلم بواطن الأمور.

أما الحلولية فجعلوا الباطن كأنه في الأسفل وفي الباطن - تعالى الله عما يقولون - كما هو في الظاهر - فيريدوا بذلك أن يقولوا بأنه في كل مكان. وفي آخر الآية قال:{ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد: 3] ، فلما ذكر {بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد: 3] دل ذلك على أن المقصود بـ (الباطن) هنا أي أنه يعلم بواطن الأمور وما خفي، وهذا تفسير للسلف عمومًا، وهذا يستقيم مع باقي الآيات، لأن لابد تجمع الآيات كلها من مشكاة واحدة لأن الله عز وجل علو ذاته فوق السماوات فلا يمكن أن يقال بأن الله بذاته في كل مكان! لكن علمه يحيط بكل مكان. وقال فيه الإمام محمد بن الحسين: (وَمِمَّا يُلَبِّسُونَ بِهِ عَلَى مَنْ لَا عِلْمَ مَعَهُ) دليل آخر ذكره للحلولية: {وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ} [الأنعام: 3] وقوله: {وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ } [الزخرف: 84] .

{وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ} [الأنعام: 3] لها **أقوال ثلاثة عند أهل العلم**، وطبعًا لم يثبتوها قولًا للمعطلة أو للحلولية في ذلك، لكنهم قالوا:{وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ} [الأنعام: 3] تجمع مع قوله: {وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ } [الزخرف: 84] أي أنه هو إله من في السماوات وإله من في الأرض، هذا أحد الأقوال يفسرها الآية الثانية هذه ذكرها الآن {وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ} [الأنعام: 3] لأن طبعًا الحلولية يقولون {وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ} [الأنعام: 3] إذًا الله في كل مكان، هذا قولهم الباطل، لكن هنا

أهل السنة على أقوال منهم من استدل بقوله تعالى:{وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ} [الزخرف: 84] أن المقصود هو في السماوات إله وفي الأرض إله؛ لأهل السماوات إلهًا ولأهل الأرض أيضًا إلهًا، وهذا ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا في نقله؛ أي هو إله من في السماوات وإله من في الأرض.

القول الثاني نظروا للإضافة في الآية؛ تكملة الآية:{ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ} [الأنعام: 3] ، فلما استكملت الآية:{ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ} [الأنعام: 3] ، قالوا أن المراد بأن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض من سر وجهر، هذا المقصود، لأن تتمة الآية: { يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ} [الأنعام: 3] ، فـ {يَعْلَمُ} هنا متعلق بقوله: {فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} [الأنعام: 3] ، إذًا جعلوا المقصود بأن الله عز وجل يعلم ما في السماوات ويعلم ما في الأرض.

القول الثالث قالوا بقراءة الوقف؛ قال: {وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ} ويقف، وقال: {وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ}، فجعل {وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ} أي ذاته سبحانه وتعالى في السماوات- وقف تام – ثم يُستأنف الخبر{ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ}، وهذا اختيار ابن جرير الطبري في ذلك.

والأقوال كلها المعنى فيها يرد على الحلولية، وعلى أن الله عز وجل ثابت علوه سبحانه وتعالى فوق السماوات، وعلمه محيط بكل شيء سواء كانت الأولى أو الثانية أو قراءة الوقف أيضًا التي هي عند أهل العلم. هو قال أيضًا: وَعِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} فَهُوَ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: مِمَّا جَاءَتْ بِهِ السُّنَنُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ- هذا القول الثاني الذي قلناه الآن- وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ , {يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} [البقرة: ٧٧]. وأيضًا قال: وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} [الزخرف: ٨٤] فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ إِلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ , وَإِلَهُ مَنْ فِي الْأَرْضِ , إِلَهٌ يُعْبَدُ فِي السَّمَاوَاتِ , وَإِلَهٌ يُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ , هَكَذَا فَسَّرَهُ الْعُلَمَاءُ. فهذا القول الأول والثاني. والثالث الذي قلته لكم على قراءة الوقف وهو لم يبينها.

ثم ذكر الإمام أن هذا القول الذي يقولونه ليس فيه لا رد (إِلَى كِتَابٍ وَلَا إِلَى سُنَّةٍ , وَلَا إِلَى قَوْلِ الصَّحَابَةِ , وَلَا مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ , وَلَا قَوْلِ إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ) إلى غير ذلك. ثم بيَّن بأنهم الزنادقة الجهمية وعليهم لعنة الله، وهذا طبعًا كان بيان لمسألة العلو عندهم، لكن نقول

أن ما ألزموا به بعض أهل السنة والجماعة المبتدعة لما قلنا بالاستواء والعلو فقالوا اخترعوا لنا ألفاظًا كلفظ (الجهة) تحديدًا، ولفظ (المكان)، وهذه الألفاظ لم ترد في الكتاب ولا في السنة، وأهل السنة والجماعة كانوا يتحرجون من ذكر ذلك لكن يقولون هذه ألفاظ مجملة حتى لو قلت لنا الآن بأن المكان أو الجهة فنقول أن هذا لفظ مجمل عندنا لا نثبته ولا ننفيه؛ أي ليس ثابت عندنا مسألة الجهة لله أو المكان أو غير ذلك.

لكن نقول هنا إن ألقاها عليك أحد من أهل المبتدعة فنقول إن كانت الألفاظ المجملة التي أحيانًا تحتمل معنى صحيحًا في الكتاب والسنة وأحيانًا تحتمل معنى فاسدًا فنحن هنا لابد أن نفصل، فلن نرد بالكلية ولا نثبت بالكلية؛ فنقول لو كنت تقصد بالجهة أي أنه في جوف السماوات فهذا لا نقول به، أي إن كنت تلزمنا بأن لما نقول أن الله في السماوات وعلى السماوات بأن الجهة تكون في جوف السماوات نقول لا نلزمك بذلك، أما إن كنت تريد بالجهة أمرًا عدميًا أي هو ما فوق العالم فإنه ليس هناك فوق العالم شيء من المخلوقات أيضًا، ماذا تقصد بالجهة، أمر عدمي فوق العالم؟ لا يوجد مخلوقات فوق العالم، طيب تريد بالجهة أمرًا وجوديًا؛ أي الجهة وجودية وجعلت الله محصورًا في المخلوقات؟ فهذا أيضًا باطل ما نقول لك به؛ لا نقول بأن الله عز وجل يحيطه شيء من مخلوقاته، وهم ظنوا أنهم لو أثبتوا استواء الله على العرش أنه سيحيط به العرش ويجعل الله في جهة وهذا نفي لقدر الله عز وجل{وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ} [الزمر: 67] لا يقاس على خلقه. إذًا الجهة التي تقال هذه كلها لا نثبتها لله عز وجل. لكن إن كنت تقصد أن المقصود بالجهة بأن الله عز وجل فوق السماوات، نعم نحن نعلم أين السماوات، لكن هل مقصود بها الآن أن السماوات تحيطه أو تقله وبجوفها؟! نقول لا.

إذًا هذه معاني باطلة في الجهة لا نثبتها، ولم يقل أحد من السلف أن الله في جهة، وليست منصوصة عليها، لكن ما دام قلت فوق السماوات فالجهة فنعم نحن نعلم أين السماوات وجهة السماوات، لكن الله عز وجل لا يحيطه شيء، فمن هذا الباب سنقول نعم، لكننا لا يمكن أن نثبت اللوازم الباطلة التي يقولها هو في هذه المسألة، هذا في الجهة.

وتجد أيضًا **(الجسم)**، لما قالوا الجسم نقول ماذا تقصد بالجسم؟ ما ترتعد – كما يقال – وتخاف لكن نقول ماذا تقصد بالجسم؟ هل جسم أي تحيزه وتجعل له قدرًا؟ نقول لا نستطيع أن نقول ذلك، أما أنك تقول أن هناك جسم لا نعلم كيفيته فإن أردت ذلك فهذا ليس بباطل، لكن الباطل أنك أنت تريد أن تُجسِّم وتُكيِّف وأنك تقول ذلك مع أننا لا نقول بالجسم لأنه لم يثبت

عندنا فيه شيء، لكن أنت ماذا تقصد بالجسم أصالة؟ ولا عندنا جوهر ولا هذه الأمور التي هم يقولون بها، لكن نحن نقول نثبت الاستواء، والاستواء معلوم عندنا – أو غير مجهول – والكيف هو المجهول، هذا الذي نقوله ونثبته على ما قلناه.

فلو قلت بأن الجهة المقصود بها العلو نعم نقول بها، والمكان فوق العرش نقول نعم، لكن لو تريد أي جهة أخرى ومكان آخر لا نقول به. فنحن ننزه الله عز وجل عن أن السماوات تحيطه أو أن هو يقله شيء أو أن العرش يحيطه، أو غير ذلك، لكننا نقول لو قلت الجهة العلو نعم نقول الجهة العلو، والمكان نقول نعم المكان فوق العرش، لكن هل المكان يحيطه؟ لا يحيطه. يقله؟ لا يقله، لكن غير ذلك من اثبات الجهة والمكان عندك هذا لا نقول به ولا نثبته لأنه أصلًا لم يأت عندنا السند. هذا كان في بعض المسميات التي قالوها.

ومسألة التأويل والتفويض كنا قد تكلمنا عنها من قبل لكن لعلنا نتكلم عنها لأن هي أصل الإشكال عند هؤلاء كلهم الذين أرادوا أن يؤولوا في الاستواء؛ هو حرَّف وليس أوَّل طبعًا، سنبين، قال بالاستيلاء، وهذا كله لأنه يقول بالتأويل.

♦ ما معنى التأويل؟

التأويل ثابت عند المتقدمين، لنا معنيان في التأويل عند المتقدمين ومعنى أضيف عند المتأخرين في التأويل، لأنه جاءت الآيات في مسألة التأويل {يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ} [الأعراف: 53]، وأيضًا قول النبي ﷺ لابن عباس: [اللهم فقِّهْهُ في الدينِ] والزيادة عند مسند الإمام أحمد [وعلِّمْهُ التأْويلَ]، وأيضًا آية سورة آل عمران لما قال الله عز وجل:{ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ } [آل عمران: 7] ، ابن عباس في تفسيره يقول: وأنا من الراسخين من العلم الذين يعلمون التأويل أو قال: (تأويله تفسيره). إذًا أصبح الأول عندنا التأويل بمعنى التفسير، وهذا ثابت عن ابن عباس كما قلنا سواء بتفسيره لآية آل عمران أو بقول النبي ﷺ له.

والمعنى الثاني للتأويل هو أن يؤول إليه حقيقة الشيء، كقول الله عز وجل:{ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ } [الأعراف: 53]، أي يأتي حقيقة هذا اليوم الذي قد أخبرهم الله عز وجل عليه، أو كما جاءت في الآيات بأن الله عز وجل جعل أنواع الأنهار في الجنة أربع أنهار؛ {أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ

ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى} [محمد: 15] ، أنت لا تعلم حقيقة هذه الأنهار؛ هل الخمر مسكرة أم غير مسكرة؟ النشوة فيها اللذة.. ما تعلم، لكن الله أخبرك أنها موجودة، تأويل هذه التي هي: [أَعدَدتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ مالا عَينٌ رَأَت، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ] ، تأويل هذه الأمور هذه حقيقتها؛ وحقيقتها ستعلمها يوم القيامة. إذًا التأويل هنا يكون بمعنى ما يؤول إليه حقيقة الأمر الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل وهذا الثابت وسيأتي يوم القيامة. هذا كله كان ثابت عند السلف؛ التأويل بمعنى ما يؤول إلى حقيقة الشيء أو التأويل بمعنى التفسير.

أما عند المتأخرين زادوا عليه نوعًا لم يكن موجود عند السلف؛ وهو: صرف اللفظ عن ظاهره، وهذا طبعًا جاء مع دخول المتكلمة والصوفية وغير ذلك، فأرادوا أن يثبتوا معتقدات لهم فأتوا بالتأويل وهو صرف اللفظ عن الظاهر، أي ظاهر؟ الظاهر المتبادر إلى المعنى، وخاصة أن نصوص الصفات كما قلنا أن ظاهرها واضح؛ لما تأتي نصوص الاستواء أو الرحمة أو الغضب أو اليد أو الساق كل هذه المعنى فيها واضح، فهم جاؤوا قالوا نصرف اللفظ عن ظاهره المتبادر إلى الذهن. طيب قلنا لهم تنزلًا سننظر معكم هل الصرف اللفظي عن ظاهره لو قلتم التأويل فله أقسام أو له أنواع **أنك تريد أن تصرف اللفظ عن ظاهره له حالات:**

1- إما أنك تصرفه عن ظاهره بدليل صحيح من الكتاب والسنة فنقول هذا سيكون مقبولًا لا نزاع فيه بيننا وبينكم، كقول النبي ﷺ مثلًا [الجارُ أَحَقُّ بصَقَبِه] صقبه أي الشفعة هنا، أي ثبوت الشفعه للجار، الحديث على عموم الجار؛ أي جار يثبت له الشفعة، لكن جاء حديث للنبي ﷺ آخر قال:[فإذا وقَعَتِ الحُدودُ، وصُرِّفَتِ الطُّرُقُ، فلا شُفعةَ]، إذًا المقصود هنا في الجار ليس الجار أي جار، بل هذا جار الشريك الذي قبل التقسيم. إذًا هنا الشفعة تكون في الجار الشريك، فصرفنا [الجارُ أَحَقُّ بصَقَبِه] عن الظاهر للجار الشريك، لماذا؟ لأن عندنا دليل [فإذا وقَعَتِ الحُدودُ، وصُرِّفَتِ الطُّرُقُ، فلا شُفعةَ]، إذًا الشريك المقاسم الذي هو شريكك في المشاع هو الذي له الشفعة، أما الجار الذي هو قد قُسِّم ليس له الشفعة. فنقول هذا صرف اللفظ عن ظاهره بدليل، فهذا مقبول لا إشكال فيه.

2- أو يصرف اللفظ عن ظاهره بدليل لكن دليل ضعيف مرجوح؛ هو دليل لكن دليل مرجوح، كمثلًا قول الأحناف في قول النبي ﷺ: [أيما امرأةٍ نُكحتْ بغيرِ إذنِ وليِّها ؛ فنكاحُها باطلٌ, فنكاحُها باطلٌ, فنكاحُها باطلٌ] الأحناف قالوا المقصود هنا بالمرأة هذه الأمة المكاتبة، قالوا ليس المقصود المرأة الحرة، بل قالوا الأمة المكاتبة، وقالوا لا مانع أن تنكح المرأة نفسها إذا كانت

حرة، من أين أتيتوا بهذا؟ قالوا اجتهادًا. أخرجوا الحديث من العموم وجعلوه خاص بالمرأة المكاتبة وهذا دليل ضعيف ما عندهم غير اجتهاد فيها، فنقول صرفتم الظاهر من المرأة الحرة إلى الأمة المكاتبة بغير دليل صحيح، فنقول هذا اجتهاد بدليل ضعيف مرجوح. فهذا صرف بدليل مرجوح لا يرد عليه، لكن يوجد دليل عنده ممكن لكن دليل مرجوح.

3- أنك تحمل اللفظ على غير ظاهره بغير دليل، وهذا تلاعب بكتاب الله عز وجل، وهذا هو الذي وقع فيه الطوائف المبتدعة يصرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل، بغير قرينة، فأنت لما تأتي وتقول على (استواء) استيلاء أين القرينة في ذلك! حتى في اللغة ليس عندهم الاستواء بمعنى الاستيلاء. وهذا ليس في الصفات فقط بل أيضًا في باب القضاء والقدر تجدهم أيضًا يصرفون كثير من الأدلة. فالمبتدعة وقعوا في هذا الإشكال؛ الذي هو التأويل بصرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل ثابت في الكتاب ولا في السنة.

فلذلك أهل السنة والجماعة لما وجدوا هذا التأويل المردود بعضهم لما لم يجدوا لهذا التأويل دليل بعضهم كَفَّر من قالوا بالتأويل لأنه رد لكتاب الله، لما يأتي نصوص في الكتاب وأنت تحرف المعنى بمعنى آخر ليس لك قرينة أو دليل فبعضهم كَفَّر، والذين منعهم من تكفير مثلًا الأشاعرة لأن عندهم شبهة أدلة في اللغة لكن ليست في موضعها في مسألة تحريف الصفات الفعلية والصفات الخبرية، لكنه صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل فهذا مردود، وكثير ما يكون كما قلنا في باب الأسماء والصفات أيضًا وفي باب القدر وغير ذلك.

ولذلك عند السلف لا يمكن صرف اللفظ عن ظاهره إلا بدليل ودليل يكون صحيحًا ثابت في الكتاب والسنة، هذا التأويل. وأهل السنة والجماعة لا يؤولون في صفات الله عز وجل.

ثم الأمر الثاني الذي وقع فيه المبتدعة أيضًا هو **التفويض**، والتفويض هذا إشكال، شر.

♦ **ما معنى التفويض؟**

التفويض مصدر فوّض، كقوله: {وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ} [غافر: 44] في مؤمن آل فرعون، أو [وفَوَّضتُ أمري إليكَ] أي رددته إليك، أي رددت الأمر إلى الله عز وجل. فهذا لغة؛ رد الشيء.

ما معنى التفويض عند المتكلمين أو عند الطوائف المبتدعة في صفات الله عز وجل؟

التفويض؛ والكثير وحتى البعض من طلاب العلم يقعون في هذه الإشكالية، وطبعًا بعض الأصحاب في المذاهب قالوا به؛ المذاهب المختلفة، وقعوا في التفويض ويظنون أن هذا تفويض عند أهل السنة والجماعة. والتفويض الذي عند هؤلاء المبتدعة هو أن يثبت الصفة بغير معنى – التفويض في باب صفات الله عز وجل – وينسبونه إلى السلف زورًا وبهتانًا؛ يقولون أن التفويض الكف عن التفسير الذي يؤدي إلى المعنى، كأنهم يقولون لا نعلم معانيها، نثبت النصوص ونتوقف لأن هذا من المتشابه الذي لا نعلمه! وهذا إشكال عظيم جدًا لأنه فيه تجهيل للسلف وقبلهم فيه تجهيل للنبي ﷺ بل فيه سوء أدب مع الله عز وجل لأن الصفات الله عز وجل أنزلها على النبي ﷺ في الكتاب، والنبي ﷺ قرأها على الصحابة، فلما تقول أنت أننا نثبتها هكذا بلا تفسير وبلا معنى كأنك تجهل النبي ﷺ وتجهل الصحابة كأنهم لم يعلموا معناها، والصحابة لم يثبت أنهم سألوا النبي ﷺ عن هذا المعنى لأن المعنى مستقر عندهم.

ويستدلون زورًا على بعض أقوال السلف كالإمام أحمد (أمروها كما جاءت) وطبعًا "أمروها كما جاءت" أي كما جاءت بمعناها المتبادر وأمروها بدون تكييف، لذلك هناك تفويض للمعنى وهناك تفويض للكيفية، فأهل السنة لا يفوضون المعنى لكن يفوضون الكيفية، هم يثبتون المعنى ويمرونها كما جاءت أي بمعناها المتبادر إليهم لكنها بلا كيفية. وهذا الذي لابد أن يعلمه من هو على عقيدة السنة والجماعة أن عندنا التفويض في الكيفية وليس تفويضًا في المعنى، لأنك إذا فوضت المعنى إذًا أنت لم تثبت شيئًا، أثبت الآن النصوص بلا معنى كأن هذا الآيات التي في القرآن كلها ليست لها معنى، وكم من النصوص في القرآن في أسماء الله وصفاته وأنت تأتي تقول: لا أعلم المعنى، أفوض المعنى، أتوقف فيه، لا أعلم معناها! إذًا أنت بتعطل كل هذه النصوص، والله عز وجل ما أنزل هذه النصوص التي فيها اسمائه وصفاته إلا لأن معناها واضح للنبي ﷺ، ومعناها كان واضح للصحابة.

لذلك نقول لما تقول لا أعلم معناها وأفوض معناها إلى الله تعالى فهذا تجهيل لسلف الأمة وأيضًا فيه اتهام للنبي ﷺ بأنه لم يبين للصحابة، طيب كيف تنزل النصوص إلى النبي ﷺ ولا يبين للصحابة معناها! فأنت قلت الآن ليس عندنا المعنى، فمعنى ذلك أن النصوص نزلت والنبي ﷺ تلاها على الصحابة ولم يبينها للصحابة! فأنت تتهم النبي بالتقصير في البلاغ والله عز وجل قد قال له:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ } [المائدة: 67] ، ثم

في الآية الأخرى: {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل: 44] ، فهنا أمره الله بالبيان، وقد بيَّن النبي ﷺ، فأنت لما تقول الآن أفوض المعنى فأنت أولًا تتهم النبي ﷺ بعدم البيان، وتجهل سلف الأمة أنهم لم يعلموا ذلك وكأن النصوص هذه كلها ستُعطل ليس لها استفادة لأنك لا تعلم المعنى! ولذلك المفوض أشر من المؤول.

والذي يفوض المعنى كأنه يعبد عدمًا، فهو لما فوض المعنى فكل هذه الصفات عنده لا معنى له فيها، فكأنه عطل، أنت ماذا استفدت الآن لما تثبت النصوص فقط بدون معاني! لذلك المفوض أشر من المؤول، فالمؤول إن كان أيضًا فيه شر لكنه أثبت معنى غير المعنى الحقيقي لكنه أثبت معنى، لكن المفوض لم يثبت معنى. لذلك هم يدعون بأن التفويض كأنك أنت سلمت نفسك؛ أنت قلت أنا ما أعلم وتركت الأمر لكنك في الحقيقة أنت عطلت، ما أثبتت النصوص غير بالألفاظ وما أثبتت معاني لها. أما أهل السنة والجماعة فتفويضهم تفويض كيفية فقط.

كما أن المعطل أشر من المشبه، لأن المعطل شبَّه أولًا في نفسه وبعد أن شبَّه عطل، وأما المشبه فقد شبَّه مره واحدة، فالمعطل أتى بشرَّين – كما يقال – أنه أولًا شبَّه ؛ اعتقد التشبيه بين الخالق والمخلوق فلما اعتقد عطل بعد ذلك، لكن المشبه شبَّه مباشرة.

وقد سئلنا في دورة سابقة كذا أخ بيتكلموا عن أنهم يظنون أن التفويض تفويض معنى، وطبعًا متأثرين ببعض الحنابلة وبعض الشافعية الذين قالوا بذلك، ولم يفرق بين تفويض المعنى وتفويض الكيفية، وهم يظنون بقول الإمام أحمد (أمروها كما جاءت) والإمام أحمد بيَّن ذلك لأنه هو الذي قال أيضًا أن المعنى معلوم، وقال بقول الإمام مالك أيضًا في اثبات الصفة، فـ (أمروها كما جاءت) هنا ليس المقصود بها إمرار أن تنطق الألفاظ فقط، لأن المعنى مستقر، لكن **هو يقصد (أمروها) أي لا تتكلموا في الكيفية**، وهذا بالرجوع طبعًا لأقوال الأئمة كلهم. وكما قال أيضًا سفيان بن عيينة: (قراءتها تفسيرها) أي مجرد أنك ما تقرأ فهو تفسيرها، وهذا دلالة على أن المعنى واضح، لذلك قال "قراءتها تفسيرها"، فلما تقرأ هذه النصوص فهي مُفسَّرة لما تقرأ؛ "الاستواء" أنت تعلم أصل المعنى، ولما تقرأ "اليد"{يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح: 10] تعلم اليد ما المقصود بها،{غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ} [النساء: 93] تعلم الغضب، فهذا هو المقصود.

لذلك هذا معنى التأويل اجمالًا، طبعًا نحن ما فصلنا لكن بينا، ومعنى التفويض أيضًا، وما الذي يُقبَل عند أهل السنة والجماعة في التفويض، وما الذي لا يقبل؟ ومعنى التأويل أيضًا الذي يُقبل والذي لا يُقبل؟ وبينا ما قالوه في مسألة لزوم ثبوت الاستواء في مسألة الجهة

والمكان إلى غير ذلك، وأنك ماذا تقصد بالجهة وبالمكان؟ ونقول بأن إن أردت بالجهة العلو فنقول نعم بالعلو، أما الجهة التي تحدد فلا. وأما المكان أيضًا نقول نعم لو تقصد المكان أن الله مستوي فوق العرش نعم هذا مكان فوق السماوات السبع، لكن المكان لا يحيطه. نقول أن هذا لفظ لم يقله السلف لكن إن قلته لابد أن نفصل معك ونثبت ما يتوافق ولا نثبت ما لا يتوافق.

تطبيق على الذي قلناه:

الاستواء له معنى أم لا؟ علو، صحيح؟ الاستواء له معنى وهو العلو، إذًا لما أقول لك الاستواء تعلم بالعلو، يضاف الاستواء إلى الله عز وجل {ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ} [الأعراف: 54] ، إذًا استوى أي علا على العرش، هذا المعنى واضح. المفوض يقول: لا ما أقول بهذا، ما أعلم، استوى ولا أعلم المعنى.

طيب تفويض الكيفية وهي كيفية الاستواء؛ هل لما قلنا الاستواء على العرش أنت تثبت بأن الله عز وجل يجلس على العرش؟ وكيف الجلوس؟ وهل العرش يحيط أم لا يحيط؟ هذا معنى الكيفية، لو أردت أن تكيف ستقول يجلس ويحيطه العرش ويكون الجلوس بهيئة معينة لأنك عندك الآن جلوس للمخلوق؛ المخلوق لما بيجلس على الكرسي بيعلو، طيب هل لو جلس كالمخلوق فالكرسي في المخلوق لو سحبت الكرسي من تحت المخلوق سيقع، هل في الاستواء على العرش فهل العرش محيط به سبحانه وتعالى؟ هذا كله كيفية ما يمكن أن نقول بها لأننا لا نعلم كيفية الاستواء؛ أي كيفية حدوث الاستواء، فعل الاستواء نحن لا نعلمه لأنه {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ} [الشورى: 11] ، فلا يمكننا أن نقول بأن استواءه معناه أنه جلس على الكرسي وأن الكرسي سيحيط به على العرش وأنك إن سحبت الكرسي سيحدث كذا! هذه الكيفية نفوضها، نحن لا نعلمها، لكن معنى الاستواء لا نفوضه؛ لما أقول لك الاستواء فأنت علمت المعنى، لكن هل تكيفه؟ لا، لماذا لا تكيفه؟ لأن تكييف الاستواء في المخلوق أصلًا من مخلوق لمخلوق يفرق؛ أي أنك لو أتيت بمخلوق ضخم الجثة – الجسد – وجلس، غير المخلوق الضعيف الذي بيجلس، يوجد فرق في الكيفية أم لا؟ يوجد فرق، فإذا كان بين المخلوقين وأنت تعلمهم يوجد فرق فما بالك في الخالق الذي لا تعلم وهو غيب عنك وليس كمثله شيء! فلا تكيف.

فالمفوض تقول له ما الاستواء؟ يقول لك لا أعلم، لكن يقول لك أنا أثبته، لأنه يستطيع ألا يثبته لأن الآيات فيها، يقول أنا أثبت لكن أفوض المعنى إلى الله. والمؤول سيحرف، هو اعتقد

أنه تشبيه بالله أيضًا فحرَّف، هو يثبت لكن أثبت معنى. لذلك بعضهم يقول لك العبارة الشهيرة عندهم أن: (طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أحكم) وهذا بهتان! لأن طريقة السلف أسلم وأحكم وهم يظنون بأن السلف يفوضون؛ يقولون بأن السلف فوضوا المعنى، يقول لك هم فوضوا المعنى لذلك سلموا، لكن الخلف – الذين هم الأفقه عندهم والأحكم – فأولوا، وهم أغبى من الغباء كله، أنت هل تظن بأن الصحابة لم يفهموا المعنى وتركوه أسلم وجئتم أنتم الخلف الذين فهمتم وعندكم الحكمة ففسرتم الاستواء بالاستيلاء، واليد بالنعمة والقدرة، والرحمة بإرادة الثواب، والغضب بإرادة الإنتقام!

وسلموا أي أثبتوا وفوضوا، قالوا نحن لا نتكلم، سلموا أي تورعوا، بأنهم لم يثبتوا معاني وتركوا المسألة.

هم أصلًا لماذا بيقولوا ذلك؟ لأنهم الاثنين في مذهب واحد، فالذي قال بالمفوضة والذي قال بالمؤولة من عقيدة واحدة عندهم، فالأشاعرة عندهم مفوضة، وعندهم مؤولة، وهم لو ضربوا في بعض فسيبطلوا بعض، وهذا عجب! فهم أرادوا أن يحتووا بعض فبعضهم فوض والبعض منهم أول في الأشاعرة، فالإثنين على أصل واحد في البطلان، فأراد أن يقول لك أن السلف كان أسلم والخلف أحكم على أنهم يجتمعوا معًا، على الأصول التي عندهم أصلًا في العقيدة في العقل وغير ذلك وما ضربوا في بعض، مع أن الإثنين لو تنظر لهم هم ضد بعض! أنت واحد بتجهل واحد؛ أنت بتقول أنا لا أعلم أنا أثبتها وليس لها معنى، لا أعرفه، ويأتي الثاني يقول لك أنا أعرف المعنى، معناه ذلك أنت بتجهل هذا، وأنت بترمي هذا، لكن لأن الأصل عندهم واحد فلم يضربوا في بعض. لكن أهل السنة والجماعة ما عندهم إشكال أن الاثنين على بطلان.

لكن هم يريدون أن يرموا السلف بل بعضهم يتجرأ أو يرمي الإمام أحمد بذلك ويقول لك الإمام مالك قال ذلك!

فهو يقول لك أن السلف توقفوا من باب أنه أسلم ولم يتكلموا بالمعنى حتى لا يخوضوا في شيء متشابه. فهم يؤولوا كلام الإمام مالك والإمام أحمد على أنهم يقصدون بذلك أنهم يثبتوا بتفويض المعنى، وهذا ما تجده أصلًا عند السلف، لكن هو كله باطل على باطل، والذين قالوا هذه العبارة كما قلت حتى لا يضرب بعضهم بين بعض.

والإشكال أن البعض بيخلط بين الكيفية وبين المعنى، يظن أن اثبات المعنى سيلزمه اثبات الكيفية، فأنا لما أقول لك المعنى الكلي في الذهن لليد فلا تضيفها لشيء؛ لا تضيفها لا لخالق

ولا مخلوق، لكن لما أقول لك يد ففي الذهن أنت بتعلم معنى ما هي اليد، فهل لما أقول لك اليد مثل أن أقول لك عين مثل أن أقول لك ساق؟ فلو لم يوجد معنى في الذهن كلي إذًا أنا لما أقول لك يد في ذهنك فستكون مثل العين مثل الساق، وهذا خطأ لأنه يوجد معنى كلي لليد عندك تفهمه في الذهن، لكن لما يخرج من الذهن فيضاف إلى الخالق أو المخلوق فسيتغير هنا، هذه هي الكيفية التي بتتغير. لكن هو لما يقول لك أنا لا أعلم المعنى، طيب كيف لا تعلم المعنى فأنت الآن كيف تفوض؟ كيف ستفوض فتقول لا أفهم؟ إذًا عندك كل النصوص مثل بعض. طيب ما الذي جعلك أن تفهم ما معنى سميع وبصير؟ المعنى الكلي في الذهن للسمع والبصر، مثلها مثل الرحمة والغضب واليد والساق والأصابع، ولا يشترط أنك تكيف، لماذا لن تكيف؟ لأن الذات عندك لا تعلمها فتكيفها. لكن المشكلة الذي جعله يقع في التعطيل أنه رفع هذا المعنى الكلي في الذهن، لم يقل به في حق الله ظنًا أنه لو قاله أو أثبته عنده في عقله أنه سيشبه، وهذا الذي فهمه الصحابة، هو أبو رزين لما جاء وقال (أيضحك ربنا؟) ثم اتجه مباشرة على (لن نعدم من رب يضحك خيرًا) فهل هو لم يفهم الضحك! فهو إن لم يكن يفهم الضحك فكيف قال: (لن نعدم من رب يضحك خيرًا)؟! لكنه فهم المعنى وما سأل، والذي يبين لك أنه فهم أنه أعطاك الثمرة؛ أن النتيجة أن ربنا بيضحك أنك سترى منه الخير، وترى منه الرضا، وترى منه الإنعام، إذًا لابد أنه قد فهم، والنبي ﷺ أقره على هذا، ولم يقل له: ماذا فهمت من الضحك؟ أو قف، أو أثبت أنك لم تفوضها، أو نحن لا نعرف معناها لكن معناها عند ربنا فقط!! هل قال له النبي ﷺ ذلك؟! بل أقره على ما قال، وهذا صحابي، واحد جاء بيسأل يثبت فقط، أراد أن يثبت الصفة، ومادام ثبتت فقد فهم المعنى لأن المعنى مستقر.

فلابد تعتقد أن نصوص الصفات واضحة ليست متشابهة، فالإشكال عند هؤلاء أنه يريد أن يقول لك أن نصوص الصفات متشابهة! كل المبتدعة يريدوا أن يؤصل لك أصل أن نصوص الصفات متشابهة، لكن أنت لابد أن يستقر عندك هذا الأصل، لكن هذا هو أصل الإشكال كله، فلابد أنك تُفهمه وأنك تعتقد أن نصوص الصفات واضحة ظاهرة محكمة ليس فيها تشابه، وظاهرة المعنى، ولم يتكلم فيها أحد في زمن النبي ﷺ ولا في الصحابة ولم يشكل عليهم، والنصوص نزلت عليهم، فـ (اليد) نزلت، فهل جاء أحد وقال للنبي ﷺ هل اليد هي القدرة أم النعمة يا رسول الله ﷺ؟ ثبتت اليد {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: 75]، {يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح: 10]، ما تكلموا فيها، ولا يُتصور أن الصحابة الذين سألوا عن كل الفروع الفقهية هذه لن يسألوا عن صفات الله عز وجل لو كانت غير واضحة، فإذا كانوا {يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ} [الأنفال: 1]، و{يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ} [البقرة: 219]، و{وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ}

[البقرة: 222] ، كل هذا سألوا عليه في الفروع الفقهية، وما يسألوا عن الصفات؟! فما هو الأهم؟ أن يتعرفوا على الله عز وجل، فلو جهلوها لسئلوا عنها، والكتاب كله ما تجد فيه سؤال عن كيفية الصفة، ولا عن معنى الصفة، فالأمر واضح حقيقة لكن سبحان الله عقول طارت في هذا الباب وما كتب لها الله الهداية.

نقف عند هذا؛؛ ندخل إن شاء الله الأسبوع القادم في باب جديد وهو باب الكلام، وهذا أيضًا من الأمور التي فيها طامات عندهم في مسألة الكلام، فلما تسمع لكلامهم في مسألة الكلام ما بين النفي أو التأويل تجد عجبًا. نقف عند **كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ**

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة السابعة والخمسون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد على موعد مع الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – وإن شاء الله اليوم ندخل في باب جديد من **كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ**، ومازلنا في مباحث وأبواب الأسماء والصفات واثباتها عند أهل السنة والجماعة. سنبدأ إن شاء الله بالكلام عن مسألة كلام الله عز وجل واثبات صفة الكلام لله عز وجل، وأن القرآن كلام الله عز وجل، وأن الله عز وجل كلم موسى وكلم كثير من المخلوقات غير موسى عليه السلام، ولكن هذه من المسائل التي فارق فيها أهل السنة والجماعة المبتدعة على اختلاف طوائفهم، لأن أهل السنة والجماعة يثبتون صفة الكلام لله عز وجل، وأن الله عز وجل قد تكلم مع موسى، وأن الله عز وجل قد تكلم بالقرآن وسمعه جبريل عليه السلام ثم نزل به إلى النبي ﷺ ليبلغه للأمة. والله عز وجل تكلم مع مخلوقات أخرى؛ كما تكلم الله عز وجل مع السماوات والأرض {فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت: 11] ، وتكلم الله

عز وجل مع الجنة وتكلم مع النار ثم اختصموا إلى الله عز وجل، فتكلم الله عز وجل كما قلنا مع بعض مخلوقاته.

فصفة الكلام صفة ثابتة لله عز وجل؛ صفة كمال لله عز وجل ثابتة له بأكثر من وجه من الوجوه، ثابتة له بما أخبرنا الله عز وجل به في الكتاب وفي السنة، فالآيات متواترة على اثبات كلام الله عز وجل، كما كلم الله عز وجل موسى { وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا} [النساء: 164] ، و{وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ} [الأعراف: 143] ، فكل هذا ثابت في كتاب الله عز وجل، وأيضًا أدلة أخرى كثيرة سيذكرها لنا المؤلف الآن في اثبات كلام الله عز وجل، منها {وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا} [النساء: 87] ، و { وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا} [النساء: 122] ، وأيضًا {وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ} [البقرة: 30] اثبات القول لله عز وجل، وأيضًا {فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ} [طه: 11] النداء من الله عز وجل لموسى وهذا يستلزم الكلام من الله عز وجل، وغير ذلك من التنوع في الآيات والأدلة على اثبات كلام الله عز وجل؛ سواء بالحديث، سواء بالقول، سواء بالكلام، سواء بالمناداة وأيضًا المناجاة{وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا} [مريم:52] بين الله عز وجل وبين عباده، فكل هذه فيها اثبات لصفة الكلام لله عز وجل.

وصفة الكلام عند أهل السنة والجماعة صفة كمال لله عز وجل – كما قلنا – لأنها أضيفت إلى الله، قال سبحانه وتعالى: {وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ} [التوبة: 6] ، فهنا أضيف الكلام إلى الله، والإضافة – كما هو معلوم وقلناه من قبل مرارًا – **الإضافة إلى الله على نوعين**؛ إضافة أعيان أو مباني، وإضافة صفات أو معاني، فلما تكون الأعيان كناقة الله، وبيت الله، وروح الله، هذه أعيان قائمة بذاتها، فهذه إضافة تشريف وتكريم، وإما تكون الإضافة إلى الله إضافة معاني مثل كلام الله ، رحمة الله، إلى غير ذلك، فهذه تكون إضافة صفة للموصوف. فهذا من أدلة اثبات صفة الكلام لله أن الله عز وجل قد أضاف الكلام إلى نفسه في أكثر من موضع، وأيضًا {إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي} [الأعراف: 144] ، قال هنا:{ بِكَلَٰمِي} أضاف الكلام إلى الله عز وجل، فهذا اثبات لصفة الكلام لله عز وجل؛ بالإضافة إليه. والآيات كما قلنا كثيرة في اثبات هذه الصفة.

ومنها أيضًا أن صفة الكلام قياس الأولى؛ فصفة الكلام كمال في المخلوق لأن المخلوق الذي يتكلم يوصف بالكمال غير الذي لا يتكلم عنده نقص، وكل صفة أثبتناها للمخلوق يمكن اثباتها لله فتثبت لله من باب أولى؛ فكما أن الكلام للمخلوق فمن باب أولى أن يكون الكلام صفة لله

عز وجل. وأهل السنة والجماعة يثبتون صفة الكلام لله عز وجل على الأصل الذي عندهم، والقاعدة التي لا تنخرم وهي مطردة {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: 11] .

إذًا نثبت لله عز وجل ما أثبته لنفسه، ووصف به نفسه ولكن بضابط؛ بأنه من غير تشبيه، وبغير تمثيل، ولا تكييف، ولا تحريف ولا تعطيل.

إذًا نقول الكلام صفة لله عز وجل، الكلام ثابت لله عز وجل، ولكن نحن لا نعلم الكيفية، فكيفية كلام الله عز وجل ليست ككلام المخلوق، لذلك لا نمثل ولا نشبه صفة الكلام لله بصفة الكلام للمخلوق، فنقول بأننا نثبت الكلام ونقف، فالمعنى معلوم في الكلام، وأن الله عز وجل قد تكلم، لكن لا يلزمنا من اثبات ذلك أن نثبت بل يجب علينا ألا نثبت كيفية الكلام؛ فلا نقول فم، ولا أسنان، ولا لسان، ولا لهاة، ولا غير ذلك كما قال المبتدعة سواء على نقيضين؛ الذين شبهوا فقالوا كلام الله ككلام المخلوق وأثبتوا هذا ووقعوا في التشبيه وهم المشبهة وهذا كفر مبين، وأيضًا المعطلة الذين أرادوا أن يفروا من اثبات صفة الكلام بحجة أن لو أثبتنا الكلام لله سنثبت له الفم والأسنان والشفاة واللسان إلى غير ذلك! نقول هذا محال لأن كلام الله عز وجل ليس ككلام المخلوق، لا نعلم الكيفية لأننا لم نر الله، ولم نر مثل لله عز وجل، ولم ير أحد الله فيوصفه لنا أو يكيفه لنا وهو الذي قال:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى:11].

كذلك أهل السنة والجماعة يثبتون أن كلام الله عز وجل بحروف وصوت لأنه جاءت الأدلة مثل قول الله عز وجل: {فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ } [النمل: 8] ،{نُودِىَ} المناداة تكون بصوت،{يَـٰمُوسَىٰٓ} [الأعراف: 144] ، أو {يَا آدَمُ} [البقرة: 33] ، وحرف النداء لابد أن يكون فيه صوت يُسمع، فلابد للمنادَى أن يسمع صوت المنادِي. إذًا الكلام لابد له من صوت، ولابد له من حروف تُسمع، وإلا ليس كما قال الأشاعرة الذين قالوا أن الكلام نفسي! وهذا من ضوابط الكلام عندنا، وكيف نقول ذلك؟ من الآيات التي جاءت باثبات المناداة وغير ذلك تبين بأن الكلام لابد أن يكون له صوت {وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ} [الأعراف:143] ماذا سمع موسى عليه السلام؟ لابد أن يكون سمع كلام الله عز وجل. وأيضًا لما تكلم الله عز وجل بالوحي سمعه جبريل وسمعه من في السماوات فحدثت الصعقة والجلجلة كما هو معلوم من الأحاديث، فهذا يدل على أن الله عز وجل يتكلم بكلام مسموع يسمعه من أراد الله عز وجل أن يسمع هذا الكلام.

لذلك قلنا بأن موسى عليه السلام لما سمع كلام الله طمع في الرؤية، وقالوا بعد أن سمع كلام الله عاف كلام الناس شهرًا بعد أن رجع من مكان كلامه مع ربه، قالوا من جمال وحسن سماعه لكلام الله عز وجل عافى كلام الناس شهرًا.

فنقول أهل السنة والجماعة يقولون بأن كلام الله عز وجل بصوت وبحرف. وهذا كله نقول تأسيسًا فقط لعقيدة أهل السنة والجماعة في اثبات الكلام. وأيضًا أهل السنة والجماعة يقولون بأن صفة كلام الله عز وجل – على قول شيخ الإسلام ابن تيمية وعلى قول أيضًا من الأئمة التي تقول: **قديمة النوع حادثة الأفراد**، أو تقول هي صفة ذاتية وفعلية، ذاتية أي أنها قديمة النوع بمعنى أن الله عز وجل لم يزل متصف بصفة الكلام؛ لم يأت عليه حال لم يكن متصفًا بالكلام، ولكنه مع قِدَم صفة الكلام فهي حادثة الأفراد؛ يتكلم وقتما شاء حيثما شاء بما شاء سبحانه وتعالى، وهذا في البشر موجود؛ أي ممكن رجل يسكت عامًا ما يتكلم، شهرًا، أو أسبوعًا، أو يومًا، ثم يتكلم بعد يوم، فهل نقول أن وقت سكوته لم يكن متكلمًا غير متصف بالكلام؟! نقول لا، هو صفة الكلام له لكنه تكلم عندما أراد أن يتكلم، وهذا كمال في حق المخلوق، أما المخلوق الذي يتكلم ليل نهار ولا يسكت فهذا ذم، يقول لك هذا لا يسكت يتكلم كثيرًا. لكن الذي يتكلم عندما يريد ويسكت أولًا لا يُسلب عنه صفة الكلام، وثانيًا هذا كمال فوق الكمال، ولله المثل الأعلى.

فلذلك نقول الكلام صفة ثابتة لله عز وجل، ذاتية له قديمة النوع سبحانه وتعالى متصف بها أزلًا، ثم هو أيضًا يتجدد كلامه عندما يريد سبحانه وتعالى، قال سبحانه وتعالى:{ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ} [الأنبياء: 2] ، إذًا الذكر قد يأتي مُحدث من الله عز وجل بما يريد. لذلك الله عز وجل تكلم عندما جاء موسى إلى الميقات، إلى الشجرة، إلى البقعة المباركة فتكلم، وتكلم الله عز وجل مع آدم بعد أن خلق آدم، وتكلم الله مع الملائكة {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ} [البقرة: 34] ، كل هذا كلام محدث في وقته عندما شاء الله عز وجل.

لذلك نقول بأن كلام الله عز وجل قديم النوع نعم لكنه أيضًا حادثة الأفراد المتجدد، وهذا لا يمنعنا أن نثبت ذلك بأن الحدوث على نوعين؛ حدوث للمخلوقات وهذا لا يعنينا، وحدوث في صفات الله عز وجل نعم. فنقول بأن كلام الله عز وجل قديم النوع حادثة الأفراد وهذا كمال فوق كمال، وإلا لو قلت بأن الكلام قديم فقط فإما تكلم قديمًا وسكت في غير محله كما تقول الأشاعرة، أو صفة ذاتية فقط وسكتوا، حتى الذي يقول هذا خطأ؛ الذي يقول أن صفة الكلام

صفة ذاتية أي لا تنفك فكأن الله يتكلم من أول خلقه إلى قيام الساعة لأن الصفة الذاتية لا تنفك! فهذا يقع فيه بعض الأغرار أيضًا ويقول صفة ذاتية ويسكت. وبعضهم يقول كما سيأتي معنا من الأشاعرة يقولون صفة قديمة؛ أي تكلم الله بكل شيء وقتما خلق! وبعد ذلك؟! طيب لما جاء موسى للميقات ماذا حدث؟ هل تكلم الله مع موسى قبل خلق موسى؟! ما يمكن، هل سمع الله عز وجل قول المرأة التي جاءت للنبي ﷺ قبل أن يخلقها؟! ما يمكن. إذًا لابد أن تكون الصفة فيها تجدد؛ حادثة الأفراد، وهذا ليس معناه بأن هذا وصف للخالق بالمخلوق لأن الحدوث هذا بتجدد الصفة بما يليق به سبحانه وتعالى لا يلزمه أن يكون حدوثًا في مخلوقاته.

إذًا أهل السنة والجماعة يثبتون صفة الكلام بهذا الضابط؛ قديمة النوع حادثة الأفراد، أو ذاتية فعلية، وهذا كمال على كمال. هذه كانت تأصيل أولًا لأهل السنة والجماعة في صفة الكلام، لأن طبعًا صفة الكلام علامة فارقة بين أهل السنة والجماعة والمبتدعة، فهم من نفيهم للكلام وبعد ذلك تكلمًا في نشأة علم الكلام والعقيدة إلى غير ذلك، لكن صفة الكلام محك اختلاف وظهور الفرق المبتدعة لأنهم على نقيضين؛ فرقة كما سيتكلم عنها المصنف الآن وهي **المعتزلة** التي قالت أن كلام الله مخلوق ولم تصف الله بصفة الكلام، كما أنهم لم يصفوه بصفات أخرى لكن جاؤوا في الكلام وقالوا مخلوق، ومعلوم أن هذه كانت سببًا في فتنة خلق القرآن في زمن الإمام أحمد وتسلط المعتزلة على أهل السنة في هذا الأمر ومع الخلفاء الذين كانوا موجودين بالدولة العباسية المأمون وغيرهم؛ الفتنة التي تصدى فيها الإمام أحمد للذين قالوا فيها بأن القرآن كلام الله مخلوق، وجعلوا أن الله لا يتصف بالكلام بل هو يخلق الكلام في مخلوقاته – كما سيأتي – وهذه هي المعتزلة، ولهم شُبَه سنبينها ونرد عليها.

وعلى النقيض جاء أيضًا بمن شبَّه كلام الله بكلام المخلوق، وهؤلاء **المشبهة**، ومن جاؤوا أيضًا وأرادوا أن يفروا من قول المعتزلة وظنوا بأنهم في الوسط، وهم ليسوا في الوسط، وهم **الأشاعرة**، قالوا سنثبت الكلام لكننا لا نثبت الكلام كما تقولون يا أهل السنة والجماعة أنه بحرف وصوت وكلام متجدد ومحدث إن أراد الله عز وجل وغير ذلك، لا، لكن نقول كلام نفسي أو عنده كلام قديم وهذا الكلام القديم الذي قاله الله عز وجل عندما أراد أن يخلق ويتكلم فهذا يسمى كلام قديم، ثم أيضًا بعد ذلك كلام نفسي الذي هو أعلمه جبريل في نفسه؛ ألقى الروع في نفس جبريل على أنه ما يريده الله فتكلم جبريل بالكلام الذي قاله! كلام باطل – سنحاول أن نفصله إن شاء الله – لكنهم أردوا أن يردوا على المعتزلة ولكن الحق بأن المعتزلة ضحكوا عليهم، لكن لما تنظر عقلًا تجد مع أنه باطل وهذا باطل لكن كلام المعتزلة عقلًا يسير على أصولهم؛ أي لما تتبع أصول المعتزلة فيقول كلامهم مع أنه باطل

لكنه عقلًا منضبط عندهم، لكن الأشاعرة ليس لهم أصل؛ فكلامهم في صفة الكلام يضحك الناس عليهم أن يقولوا كلام نفسي!

هو لماذا المعتزلة نفوا صفة الكلام؟ قالوا لأن لازم الكلام عندنا سيكون حروف وأصوات وفم ولسان وكذا وكذا، إذًا تشبيه، إذًا نغلق الباب. إذًا عندهم على الأصل أن أي صفة بيثبتوها لله ظنوا أن فيها تشبيه بالمخلوق، فعطلوا الصفات، وأن كل هذه أعراض عندهم وحدوث أعراض، هذا على أصولهم هم وما ساروا عليه. لكن الأشاعرة هنا ليس على أي أصل من أصولهم، فاخترعوا اختراع بأن الكلام كلام نفسي، وأن هذا يسمى نفسي، وأثبتوا كلام وليس أثبتوا كلام، وفي الآخر كما سنبين ملخص كلامهم قالوا مثلما قالت المعتزلة أن القرآن مخلوق، لأن لما يقولوا بأن الكلام هذا قد أعلم الله عز وجل أو ألقى في روع جبريل هذا الكلام، فعلمه جبريل، فمن الذي تكلم عندهم؟ جبريل، طيب ولما جبريل يتكلم فهل كلام جبريل مخلوق أم كلام جبريل ماذا؟ مخلوق، لأن جبريل مخلوق، إذًا الكلام الذي في أيدينا – الذي هو في المصحف – مخلوق، وليس كلام ربنا، لم يتكلم به الله عز وجل، لكن هو كلام ألقاه إلى جبريل وجبريل تكلم به ثم كُتِب، ففي الآخر سيكون القرآن مخلوق!! فأنتم ما فعلتم شيء، مثلكم مثل المعتزلة في لازم قولهم، فهم لا يقولون مخلوق طبعًا بل يقولون هو كلام الله يتكلم لكن كلام نفسي واخترعوا أبيات – كما سيأتي – على الأخطل (إِنَّ الكَلَامَ لَفِي الفُؤَادِ وَإِنَّما... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الفُؤَادِ دَلِيلَا) سنبين إن شاء الله. المهم أن هؤلاء أيضًا ضلوا في هذا الباب.

فانظر كل الفرق هذه ضلت في هذه الصفة، وكانت علامة فارقة، بخلاف أهل السنة والجماعة الذين ساروا على نهج السلف الصالح، وساروا على نهج الصحابة، وعلى ما جاء في الكتاب والسنة، فأثبتوا صفة الكلام لله عز وجل كما بيناها في المقدمة، ثم سنبين إن شاء الله على ما يأتينا من المصنف من الأدلة على اثبات هذه الصفة، وسنبين إن شاء الله شبهات المعتزلة والرد عليها، وشبهات أيضًا الأشاعرة والرد عليهم في ذلك، فنقرا الأول؛؛

51- كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَحْمُودُ عَلَى كُلِّ حَالٍ , وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنِ ادَّعَى أَنَّهُ مُسْلِمٌ ثُمَّ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى فَقَدْ كَفَرَ , يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ رَدَّ الْقُرْآنَ وَجَحَدَهُ , وَرَدَّ السُّنَّةَ , وَخَالَفَ جَمِيعَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ , وَزَاغَ عَنِ الْحَقِّ , وَكَانَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى

وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥] وَأَمَّا الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ: فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذكره قَالَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} [الأعراف: ١٤٣] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي} [الأعراف: ١٤٤] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ طه: {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى , وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى. إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ النَّمْلِ: {فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [النمل: ٩] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ وَالنَّازِعَاتِ: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى}

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى فَقَدْ رَدَّ نَصَّ الْقُرْآنِ وَكَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ فَإِنْ قَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ كَلَامًا فِي الشَّجَرَةِ , فَكَلَّمَ بِهِ مُوسَى قِيلَ لَهُ: هَذَا هُوَ الْكُفْرُ , لِأَنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّ الْكَلَامَ مَخْلُوقٌ , تَعَالَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ وَيَزْعُمُ أَنَّ مَخْلُوقًا يَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ , وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْقَوْلِ وَأَسْمَجِهِ وَقِيلَ لَهُ: يَا مُلْحِدُ , هَلْ يَجُوزُ لِغَيْرِ اللَّهِ أَنْ يَقُولَ: إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ؟ نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَكُونَ قَائِلُ هَذَا مُسْلِمًا , هَكَذَا كَافِرٌ يُسْتَتَابُ , فَإِنْ تَابَ وَرَجَعَ عَنْ مَذْهَبِهِ السُّوءِ وَإِلَّا قَتَلَهُ الْإِمَامُ , فَإِنْ لَمْ يَقْتُلْهُ الْإِمَامُ وَلَمْ يَسْتَتِبْهُ وَعُلِمَ مِنْهُ أَنَّ هَذَا مَذْهَبُهُ هُجِرَ وَلَمْ يُكَلَّمْ , وَلَمْ يُسَلَّمْ عَلَيْهِ وَلَمْ يُصَلَّ خَلْفَهُ , وَلَمْ تُقْبَلْ شَهَادَتُهُ , وَلَمْ يُزَوِّجْهُ الْمُسْلِمُ كَرِيمَتَهُ

680 - وَحَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: نا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: نا أَبُو طَالِبٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ عَمَّنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى؟ فَقَالَ: «يُسْتَتَابُ, فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ» , وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِعَيْنِهَا يَقُولُ: مَنْ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى , فَهُوَ كَافِرٌ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ»

681 – حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الطَّيَالِسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ الْكَوْسَجُ قَالَ: قَالَ أَحْمَدُ: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: "مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى فَيُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ»

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا السُّنَنُ الَّتِي جَاءَتْ بِبَيَانِ مَا نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ بَيْنَهُمَا رَسُولٌ مِنْ خَلْقِهِ, تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُلْحِدُ الَّذِي قَدْ لَعِبَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ

682 –حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَقْرٍ السُّكَّرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيُّ,: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ الْمِصْرِيُّ, وَأَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْمِصْرِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ,: أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ, عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ, عَنْ أَبِيهِ, أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا رَبِّ أَرِنَا آدَمَ الَّذِي أَخْرَجَنَا مِنَ الْجَنَّةِ, فَأَرَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ, فَقَالَ: أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ؟ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: نَعَمْ, قَالَ: أَنْتَ الَّذِي نَفَخَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ, وَعَلَّمَكَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا, وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ فَسَجَدُوا لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ, قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ لَهُ آدَمُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى قَالَ: أَنْتَ نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ أَنْتَ الَّذِي كَلَّمَكَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ, وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ خَلْقِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ, قَالَ: فَمَا وَجَدْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَلِمَ تَلُومُنِي فِي شَيْءٍ قَدْ سَبَقَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ الْقَضَاءُ قَبْلِي؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى, فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى

683 – وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ, حَدَّثَنِي أَبُو مَسْعُودٍ أَحْمَدُ بْنُ الْفُرَاتِ قَالَ: أَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ, حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ, عَنْ حُمَيْدٍ, عَنِ الْحَسَنِ, عَنْ جُنْدَبٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَدِهِ, وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ, وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ, وَفَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ, فَأَخْرَجْتَ وَلَدَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي بَعَثَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَكَلَّمَكَ, وَآتَاكَ التَّوْرَاةَ,

وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا؟ أَنَا أَقْدَمُ أَمِ الذِّكْرُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى, فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»

684 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ, حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ, حَدَّثَنَا سُفْيَانُ, عَنْ عَمْرٍو, عَنْ طَاوُسٍ, سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَقَالَ مُوسَى أَنْتَ آدَمُ أَبُونَا أَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ وَأَشْقَيْتَنَا قَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ, وَخَطَّ لَكَ يَعْنِي التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ, أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ قَالَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى, فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى

685 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ, حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ الْوَاسِطِيُّ, أَخْبَرَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيَّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو, عَنْ أَبِي سَلَمَةَ, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى, فَقَالَ مُوسَى: أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ, وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ, وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ, ثُمَّ أَخْرَجَكَ مِنْهَا؟ قَالَ آدَمُ لِمُوسَى: أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا وَكَلَّمَكَ تَكْلِيمًا وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ التَّوْرَاةَ" وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

686 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ, حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقُ, حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ, عَنْ قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ, عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ, عَنْ عِكْرِمَةَ, عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اصْطَفَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْخُلَّةِ, وَاصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْكَلَامِ, وَاصْطَفَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرُّؤْيَةِ»

687- وَحَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ, حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ, حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ, حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ, عَنْ عَاصِمِ بْنِ سُلَيْمَانَ, عَنْ عِكْرِمَةَ, عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اصْطَفَى إِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ, وَاصْطَفَى مُوسَى بِالْكَلَامِ, وَاصْطَفَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرُّؤْيَةِ

688- حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَصَّاصُ, وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ قَالَا: نا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ, ثنا خَلَفُ بْنُ خَلِيفَةَ, عَنْ حُمَيْدٍ الْأَعْرَجِ, عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ, عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَوْمَ كَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى

عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ وَكُمَّةُ صُوفٍ , وَكِسَاءُ صُوفٍ , وَعَصَى رَاعٍ , وَنَعْلَاهُ مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ غَيْرِ ذَكِيٍّ»

689 - أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الْجَوْزِيُّ , ثنا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ , ثنا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ , عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عِيسَى الرَّقَاشِيِّ , حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ , حَدَّثَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الطُّورِ كَلَّمَهُ بِغَيْرِ الْكَلَامِ الَّذِي كَلَّمَهُ بِهِ يَوْمَ نَادَاهُ؟ فَقَالَ لَهُ مُوسَى يَا رَبِّ هَذَا كَلَامُكَ الَّذِي كَلَّمْتَنِي بِهِ قَالَ يَا مُوسَى إِنَّمَا كَلَّمْتُكَ بِقُوَّةِ عَشَرَةِ آلَافِ لِسَانٍ , وَلِي قُوَّةُ الْأَلْسِنَةِ كُلِّهَا , وَأَنَا أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ»

690 - حَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ , ثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ , ثنا أَبُو مَعْشَرٍ , عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ: «إِنَّمَا كَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَدْرِ مَا يُطِيقُ مُوسَى مِنْ كَلَامِهِ , وَلَوْ تَكَلَّمَ بِكَلَامِهِ كُلِّهِ لَمْ يُطِقْهُ شَيْءٌ»

691 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: ثنا عَبْدُ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقُ قَالَ: ثنا أَبُو النَّضْرِ , عَنْ مَعْمَرٍ , عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا شَبَّهْتَ صَوْتَ رَبِّكَ تَعَالَى حِينَ كَلَّمَكَ قَالَ: شِبْهُ صَوْتِ الرَّعْدِ حِينَ لَا يَتَرَجَّعُ

692 - حَدَّثَنَا أَبُو الطَّيِّبِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ الْهَرَوِيُّ قَالَ: نا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَجَّاجِ الْمَرْوَزِيُّ , وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَا: نا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ مَعْقِلِ بْنِ مُنَبِّهٍ , قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ يَقُولُ: " لَمَّا اشْتَدَّ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَرْبَهُ قَالَ لَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ادْنُ مِنِّي فَلَمْ يَزَلْ يُدْنِيهِ حَتَّى شَدَّ ظَهْرَهُ بِجِذْعِ الشَّجَرَةِ فَاسْتَقَرَّ وَذَهَبَتْ عَنْهُ الرِّعْدَةُ , وَجَمَعَ يَدَيْهِ فِي الْعِصِيِّ , وَخَضَعَ بِرَأْسِهِ وَعُنُقِهِ , فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنِّي قَدْ أَقَمْتُكَ الْيَوْمَ مَقَامًا لَا يَنْبَغِي لِبَشَرٍ مِنْ بَعْدِكَ أَنْ يَقُومَ مَقَامَكَ , أَدْنَيْتُكَ مِنِّي حَتَّى سَمِعْتَ كَلَامِي وَكُنْتَ بِأَقْرَبِ الْأَمْكِنَةِ مِنِّي قَالَ: وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

693 - حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِيُّ قَالَ: نا الْحَسَنُ بْنُ حَمَّادٍ سَجَّادَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ هَاشِمٍ , عَنْ جُوَيْبِرٍ , عَنِ الضَّحَّاكِ , عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ جَلَّ سُبْحَانَهُ نَاجَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمِائَةِ أَلْفِ

وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ كَلِمَةٍ , وَصَايَا كُلُّهَا , فَكَانَ فِيمَا نَاجَاهُ أَنْ قَالَ لَهُ: يَا مُوسَى إِنَّهُ لَمْ يَتَصَنَّعِ الْمُتَصَنِّعُونَ إِلَيَّ بِمِثْلِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا , وَلَمْ يَتَقَرَّبِ الْمُتَقَرِّبُونَ إِلَيَّ بِمِثْلِ الْوَرَعِ عَمَّا حَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ , وَلَمْ يَتَعَبَّدْ لِيَ الْمُتَعَبِّدُونَ بِمِثْلِ الْبُكَاءِ مِنْ خِيفَتِي قَالَ مُوسَى: يَا إِلَهَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا , وَيَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ , وَيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ: وَمَا أَعْدَدْتَ لَهُمْ وَمَاذَا جَزَيْتَهُمْ؟ قَالَ: قَالَ: أَمَّا الزَّاهِدُونَ فِي الدُّنْيَا فَإِنِّي أُبِيحُهُمْ جَنَّتِي يَتَبَوَّءُونَ فِيهَا حَيْثُ شَاءُوا , وَأَمَّا الْوَرِعُونَ عَمَّا حَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَمْ يَبْقَ عَبْدٌ إِلَّا نَاقَشْتُهُ الْحِسَابَ , وَفَتَّشْتُهُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ إِلَّا الْوَرِعِينَ , فَإِنِّي أَسْتَحْيِيهِمْ وَإِنِّي أُجِلُّهُمْ وَأُكْرِمُهُمْ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ , وَأَمَّا الْبَكَّاءُونَ مِنْ خِيفَتِي فَأُولَئِكَ لَهُمُ الرَّفِيقُ الرَّفِيعُ الْأَعْلَى لَا يُشَارَكُونَ فِيهِ"

694 - حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ قَالَ: ثنا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَ: حَدَّثَنِي قَاسِمٌ الْعُمَرِيُّ , عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ , عَنْ أَبِيهِ , عَنْ جَدِّهِ قَالَ: شَهِدْتُ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيَّ وَهُوَ يَخْطُبُ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ وَذَلِكَ يَوْمُ النَّحْرِ قَالَ: "ارْجِعُوا فَضَحُّوا تقبل اللَّهُ مِنْكُمْ , فَإِنِّي مُضَحٍّ بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا , وَلَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا , تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمَ عُلُوًّا كَبِيرًا ثُمَّ نَزَلَ فَذَبَحَهُ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيمَا ذَكَرْتُهُ مِنْ هَذَا الْبَابِ مَقْنَعٌ لِمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ وَعَنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والآيات الْمَذْكُورَةِ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَكْلِيمًا , وَالْكَلَامُ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِلَا رَسُولٍ بَيْنَهُمَا

كما قلنا الإمام – رحمة الله عليه – ذكر في هذا الكتاب كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تكليما، وقلنا فيها اثبات كلام الله عز وجل، وذكر هنا الآيات أولًا أصَّل تأصيلًا على أنه قد جاء القرآن باثبات هذه الصفة لله عز وجل وكلام الله لموسى، فأراد أن يقول أن هذا ثابت بالكتاب وبالسنة وبإجماع أهل العلم، فمن رد الآيات التي جاءت في القرآن بكلام الله عز وجل لموسى فهذا تكذيب للقرآن، وأيضًا من خَالَفَ جَمِيعَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ, وَزَاغَ عَنِ الْحَقِّ فأيضًا قد خالف الإجماع، كذلك قال: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}

[النساء:115] ، فهذه مخالفة للإجماع، قال:{نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} ومخالفة الإجماع محرمة كما جاءت في الآيات.

فالحجة ثابتة في القرآن، والحجة ثابتة من السنة، والحجة ثابتة أيضًا بإجماع أهل العلم، لذلك من رد ذلك ففيه تكذيب للقرآن، لذلك هو قال:(يُسْتَتَابُ) وهذا الذي جعل خالد القسري أن يذبح الجعد بن درهم لأنه قال أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى، فنفى الخلة لإبراهيم ونفى الكلام لموسى، فهذا تكذيب لما جاء في القرآن {وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: 125] ، و{ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} [النساء: 164] ، و{وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ} [الأعراف: 143] ، كل هذه تكذيب، لذلك كفر بتكذيبه لكلام الله عز وجل.

ثم استدل بالآيات على كلام الله عز وجل لموسى ومنها {وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} [النساء:164] وهنا من المتكلم؟ (اللهُ) سبحانه وتعالى – جاء هنا بالرفع – وإلا طبعًا هو معلوم أن المعتزلة أو بعضهم يقرأون (وكلم اللهَ موسى تكليما) فجعلوا كلام موسى لله عز وجل، و{وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ} [الأعراف: 143] لم يستطع أن يغير فيها أو يحرف لأن الأولى تحريف، وهذا تحريف كما قلنا لفظي بغير علامات الإعراب لأنه عنده (كلم اللهَ موسى) فهذا تحريف لفظي ولكنه من غير حركات إعراب لأن (موسى) ليس فيه حركه إعراب فجعله فاعله، وهذا طبعًا تحريف كما قلنا، فـ (كلم الله) هنا تحريف بحركة إعرابية لأن (الله) عز وجل تغير فيه من الرفع إلى المفعولية، ثم {وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ} [الأعراف: 143] فهنا جاء الكلام تصريحًا من الله عز وجل لموسى، ما استطاع أن يغير فيها شيئًا المعتزلي فبُهِت بذلك.

وأيضًا استدل من قوله: {فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ} [طه: 11] والنداء هنا لابد فيه من كلام، بل هو فيه اثبات للكلام لأنه فيه صوت، لأن {فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ * إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ} [طه: 11-13] إلى آخر الآيات، إذًا المناداة تستلزم الكلام، و {فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا } [النمل: 8] إلى آخر الآيات، أيضًا هنا مناداة، {فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ} [القصص: 30] وهذه الآية فيها شبهة عند المعتزلة سنبينها{فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [القصص: 30]، فهنا هذه أيضًا المناداة اثبات لصفة الكلام.

وقال أيضًا في سورة النازعات: {هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ * إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى} [النازعات: 15-16] ، مناداة أيضًا وفيها اثبات الكلام.

هنا يبين الشيخ الإمام الآجري – رحمة الله عليه – المعتزلة؛ هو هنا تعرض للمعتزلة، ونحن الأول سنبدأ الكلام بالمعتزلة، وإن تيسر الوقت سنثني بالأشاعرة وإلا نرجئ الأشاعرة في درس قادم، لكن على حسب الوقت إن شاء الله.

لكن هنا هو تعرض **للمعتزلة**، وهم الذي نفوا الكلام بالكلية، وهم الذين أيضًا قالوا بخلق القرآن، وأن كلام الله مخلوق، إلى غير ذلك.

الشُبَه التي عند المعتزلة في مسألة كلام الله عز وجل:

1- الشبهة الأولى:

قال:(فَإِنْ قَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ كَلَامًا فِي الشَّجَرَةِ , فَكَلَّمَ بِهِ مُوسَى) هذه شبهة عندهم هذه الآية تحديدًا قالوا:{ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} [القصص: 30] ، فهنا قالوا بأن الكلام من الشجرة، ادعوا أن الآية تبين أن الكلام من الشجرة، وإلحاقًا لباطلهم قالوا بأن الله عز وجل خلق الكلام، خلق الحروف وهذه الكلمات وجعلها في الشجرة، والشجرة هي التي تكلمت بذلك، قالوا لأن الآية تقول ذلك. ما هي الشبهة التي عندهم؟ بأنهم جعلوا الشجرة ابتداء الغاية، الآية بتقول: {فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ} إذًا هنا قال أن ابتداء الغاية من الشجرة، إذًا الكلام من الشجرة! وهذا باطل، لذلك هو يقول هنا هم قالوا ذلك، إذًا الكلام من الشجرة، فالشجرة تكلمت، فيكون الله قد خلق الكلام في الشجرة، فيكون الكلام مخلوق وليس من الله عز وجل، لماذا؟ لأنه جعل الشجرة ابتداء الغاية في الآية، وهذا يلزمه حدوث الكلام في الشجرة، إذًا يلزمه أن الله خلق الكلام في الشجرة والشجرة تكلمت بذلك.

وهذا كلام المعتزلة الذي أشار إليه هنا الإمام الآجري، وهو رد باللازم، لكن يوجد رد أصلًا عليهم ثم رد باللازم؛ هو لما قال:(فَإِنْ قَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ كَلَامًا فِي الشَّجَرَةِ , فَكَلَّمَ بِهِ مُوسَى قِيلَ لَهُ: هَذَا هُوَ الْكُفْرُ) لماذا هو الكفر؟ (لِأَنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّ الْكَلَامَ مَخْلُوقٌ, تَعَالَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ وَيَزْعُمُ أَنَّ مَخْلُوقًا يَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ) لماذا؟ لأن هم لما قالوا بأن الكلام خلق بالشجرة والشجرة تكلمت فهل الشجرة ستقول {إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} ؟! مخلوق يدعي

الربوبية أو يدعي الألوهية فكان هذا كفر. فلازم هذا الكلام بأن الشجرة قالت ذلك، إذًا الشجرة ادعت الألوهية والربوبية، وهذا كفر مبين، فهذا لازم القول.

والصحيح أن الرد عليهم من أول الآية {فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ} نودي من أين؟ {مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ}، إذًا {فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ} إذًا المقصود هنا بأن لما تقول مثلًا: "سمعت كلام زيد من البيت" هل مقصود أن البيت هو الذي تكلم؟ أم زيد في البيت وتكلم من ناحية البيت؟ هذا هو المقصود، {فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ}، إذًا ليست الشجرة هي التي تكلمت. حتى العرب ما تقول ذلك، بل تقول بأن الكلام جاء من هذه الجهة، إذًا هو نودي، الله عز وجل تكلم به لما جاء موسى للميقات وليس معناه بأن الشجرة هي التي تكلمت، والعرب لا تقول ذلك كما قلت تقول "سمعت كلام زيد من البيت" طيب "من البيت" هنا هل البيت الذي تكلم؟! لا، من جهة البيت، أو ابتداء جاء كلام زيد من البيت. إذًا النداء كان في البقعة المباركة عند الشجرة، هذا هو المقصود، لا أن ابتداء الغاية من الشجرة وليس البيت هو المتكلم كما قلنا في المثال الذي في لغة العرب، ولا أن الشجرة هي المتكلمة، والذي يدل على ذلك أنه قال: {إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ} [القصص:30]، فلا يمكن أن تكون الشجرة. وقلت أن هذه إحدى الشبهات التي عندهم، وهو قد بيَّن أن هذا كفر، هذا طبعًا تحريف أصالة لما جاء في الكتاب.

(وَقِيلَ لَهُ: يَا مُلْحِدُ , هَلْ يَجُوزُ لِغَيْرِ اللَّهِ أَنْ يَقُولَ: إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ؟ نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَكُونَ قَائِلُ هَذَا مُسْلِمًا)، وهو طبعًا قال:(كَافِرٌ يُسْتَتَابُ) وهذه سنبينها لاحقًا؛ هل من قال هذا الكلام هو كافر عينًا؟ أم الكلام كفر ولابد فيه من إزالة شبهة وإقامة حجة عليه؟ وهذه ترجع لمسألة القول بخلق القرآن هل العلماء كفَّروا من قال بذلك أم لا؟ سنعرج عليها إن شاء الله. (فَإِنْ تَابَ وَرَجَعَ عَنْ مَذْهَبِهِ السُّوءِ وَإِلَّا قَتَلَهُ الْإِمَامُ , فَإِنْ لَمْ يَقْتُلْهُ الْإِمَامُ وَلَمْ يَسْتَتِبْهُ وَعُلِمَ مِنْهُ أَنَّ هَذَا مَذْهَبُهُ هُجِرَ وَلَمْ يُكَلَّمْ , وَلَمْ يُسَلَّمْ عَلَيْهِ وَلَمْ يُصَلَّ خَلْفَهُ)- جعله كافر وارتد – (وَلَمْ تُقْبَلْ شَهَادَتُهُ , وَلَمْ يُزَوِّجْهُ الْمُسْلِمُ كَرِيمَتَهُ).

ومادام قال (يُسْتَتَابُ) إذًا كفَّره، فحتى لو قال: (يُسْتَتَابُ) فقط، أو قال: (كَافِرٌ يُسْتَتَابُ) هذا تاكيدًا، فهو يقول كافر ولابد يستتاب، لأن ممكن يكون عنده تاويل أو شبهة عنده فتُرفع عنه الشبهة هذه، أي يبين له الحق فيرجع، لكن هو هنا هل (كَافِرٌ يُسْتَتَابُ) يُقصد به كفر نوع أم

كفر عين؟ لذلك هو قال (يُسْتَتَابُ) فكأن كلامه هنا يبين بأنه قد وقع في الكفر، لكنه أولًا لابد أن يستتاب، رجع رجع، فإن لم يرجع إذًا يقام عليه حد المرتد كما قال.

بعض أهل العلم قالوا كافر عينًا، وبعض أهل العلم قالوا أنه كافر نوعًا ولا يكفر عينًا حتى أولًا تقام عليه الحجة، هو هنا لما يقول (يُسْتَتَابُ) إذًا كفره، لأنه لا يستتاب إلا الكافر، فلما يقول (يُسْتَتَابُ) إذًا هذا وقع عنده في الكفر فلابد أنه يستتاب. هو فقط يريد أن يقول أنه لا يُقطع عنقه هكذا، بل لابد أن يؤتى ويبين ترجع أو لا ترجع، لأنه كذب القرآن، هو يرى أن تكذيب الكلام هذا تكذيب للقرآن، الله عز وجل كلم فهو يكذب القرآن فقال كافر. فكلام الشيخ أنه عنده كافر عينًا؛ كفر بهذا الكلام لأنه تكذيب للقرآن.

هي الإشكالية كلها في الإمام أحمد، فالإمام أحمد أشد من كان على الناس في مسألة خلق القرآن، ومع ذلك لما جاء الإمام أحمد وقالوا نخرج على المأمون قال: لا. ومعلوم بأنه متفق عند أهل السنة الجماعة وإجماعًا أنه لا يجوز تولي الكافر على المسلم، فلو كان عنده الإمام كافر لقال لابد له أن يُخرَج عليه إلا تمنع المفسدة، لكن لا يجوز تولي الكافر على المسلمين، لابد من الخروج عليه، وأنا أعجب من الناس التي لا تفهم أي شيء وينازعون في مسألة فيها إجماع! ممكن ما يتم الخروج نتيجة المصلحة والمفسدة، هذا أمر آخر، لكن إجماع عند علماء السلف نقول لو كان الإمام كافرًا هكذا وكُفِّر أو هو كافرًا أصلي فهنا يجب الخروج عليه لوضع إمام مسلم، لكن طبعًا هذه لها ضوابط عند أهل العلم، لكن البعض لا يفهم أنه لا يجوز تولي الكافر على المسلم أصالة، فهذا وجوبًا، لكن ممكن يُمنَع لعدم المقدرة هذا أمر آخر، وهذه المسألة طبعًا تحتاج لتعيين أنه قد كفر، لكن أنا أتكلم على أصل المسألة فقط، لأن البعض لا يفقه هذه المسألة ويظن أن يمكن أن يكون هناك إمام كافر على المسلمين! وهذا لا يمكن بإجماع أهل العلم، بل يجب على المسلمين أن ينزعوا لأن {وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا} [النساء: 141] ، فالإسلام يعلو ولا يُعلى عليه.

نحن بنتكلم في ضوابط عامة، أما تعيين ذلك على ولي الأمر هذه مسألة أخرى تمامًا ليس محلها الآن. لذلك هو يقول هنا الإمام أحمد لما سُئل فقال: لا يخرجوا. فدل ذلك على أنه لم ير الخروج، ولأن طبعًا أهل السنة والجماعة أيضًا لا يرون الخروج على الحاكم المسلم، حتى لو عاصي أو فاسق لا يرى الخروج عليه، إذًا لما منعهم من ذلك فقالوا إذًا الإمام أحمد لم ير تكفيره. لذلك هذه المسألة وأقول هي محل خلاف، لكن الإمام أحمد وهو أشد الناس في هذه المسألة لأن هو الذي ابتُلي فيها وامتُحن ومع ذلك ثبت عنه بأنه قال بعدم جواز الخروج، دل

ذلك على أنه لم ير بتكفيرهم، وإن كان كثير من أهل العلم يروا بتكفيرهم لردهم للقرآن، لكن هم طبعًا عندهم شبهات؛ الشبهة الأولى التي قلناها؛ شبهة الشجرة.

2- الشبهة الثانية:

أنهم يقولون بأن الله عز وجل في قوله تعالى: {ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ} [الزمر: 62] ، فقالوا إذًا كل شيء خلقه الله عز وجل ويدخل في "الشيء" الكلام، **ولكن عجب أن يقول هذا المعتزلة، فأين العجب؟**

لماذا العجب؟ هم قالوا {ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ} [الزمر: 62] وكل شيء هذه يدخل فيها الكلام، فجعلوا الكلام مخلوق، وخلق أصوات وكلام مخلوقات تتكلم به، فلماذا العجب أن يقول المعتزلة ذلك؟ قالوا الكل مخلوق؛ الشمس مخلوق، والقمر مخلوق، والنجوم مخلوقة وكل شيء مخلوق، أين العجب من كلامهم؟

ما هي أصول المعتزلة التي تكلمنا عنها؟ ماذا يقولوا المعتزلة في القدر؟

قالوا أن العباد بتخلق أفعالها بنفسها، وأن الله لم يخلق أفعال العباد خاصة المذمومة، فالعجب أنهم لما قالوا أن {ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ} أرادوا أن يستدلوا بـ {خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ} فأدخلوا الكلام وهم أصلًا أخرجوا من {كُلِّ شَيۡءٖۖ} خلق أفعال العباد! لذلك قلنا عجب! فهذا بطلان في اعتقادهم وعدم ثباتهم على أصولهم حتى التي قالوا بها. هذا أولًا الرد عليهم من كلامهم.

لكن نرد عليهم من الآيات من قوله تعالى:{ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ} [الأعراف: 54] ، ففرَّق الله عز وجل بين الخلق وبين الأمر، فالخلق خلق للمخلوقات والكائنات، والأمر هو أمر الله عز وجل وهو منه القرآن ومنه كلام الله عز وجل، لأن الأمر هو الأوامر والنواهي، {رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ} [الشورى: 52] ، فبيَّن أن القرآن من أمر الله عز وجل، وكلام الله عز وجل أيضًا من أمره، ففرق بين الخلق وبين الأمر فكان كل الخلق من مخلوقاته سبحانه وتعالى، والأمر غير الخلق، عطف يقتضي المغايرة. إذًا هنا لابد أن تفرق بين الخلق وبين الأمر، وأوامر الله عز وجل ليست مخلوقة، وهو كلام الله عز وجل، لأنه لو كان الأمر مخلوق فلازم أن يكون مخلوق آخر خلق، وتدخل في التسلسل إلى ما لا نهاية؛ طيب من الذي خلق المخلوق الآخر الذي خلق الأمر لو كان الأمر مخلوقًا؟! لكن الأمر من كلام الله، فهو صفة لله عز وجل وليس مخلوقًا. فهنا هم استدلوا أولا بـ {خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ} .

وأيضًا الرد بأن {كُلِّ شَيۡءٖ} [الزمر: 62] لا تفيد العموم كله، لأن قد جاءت (كل) في القرآن ولا تفيد العموم في كل شيء، قال سبحانه وتعالى عن بلقيس: { وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ} [النمل:23] وهي لم تؤت من كل شيء، بل عرشها ليس عندها مثل ما عند سليمان عليه السلام أصالة، وقوله تعالى:{ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ} [الأحقاف: 25] ، هل هي دمرت كل شيء؟ لا، بل المساكن فقط هي التي دُمرت. إذًا الصحيح بأن {خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ} لا يدخل فيها صفات الله عز وجل وكلام الله عز وجل، لأن هذا من أمر الله عز وجل ومن صفاته، وصفاته غير مخلوقة، هذه شبهة ثانية.

3-الشبهة الثالثة:

استدلوا من قوله تعالى:{ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا } [الزخرف: 3] ، من أين طيب الشبهة؟ قالوا {جَعَلۡنَٰهُ} أي خلقناه، أو على الأقل حدث، فيه فعل، فيه حدوث، وقالوا فيه خلق.

لكن هنا لابد أن ترجع للغة؛ تقول أن (جعل) قد يتعدى لمفعول، أو يتعدى إلى مفعولين، فإن تعدى إلى مفعول واحد فكان "جعل" بمعنى (الخلق) {وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ} [الأنعام: 1] ، و{ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ} [الأنبياء: 30] ، فهنا تعدى إلى مفعول واحد فقط. لكن لو تعدى الجعل إلى مفعولين لم يكن بمعنى الخلق، بل يكون بمعنى صفة لله عز وجل، ليس بمعنى خلق لله عز وجل، منها: {وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ } [النحل: 91] ، فهنا تعدت، فليست بمعنى الخلق، فلا تقول أن {جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ} أي "خلقتم الله"! لا. إذًا متى تكون (جعل) بمعنى (خَلَق) لما تكون لمفعول واحد، وأما (جعل) إذا تعدد لمفعولين فلا يشترط أن تكون صفة لكن ليست بمعنى الخلق، منها أيضًا قوله تعالى: {وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ } [البقرة: 224] ، هنا ليس بمعنى (خلق). إذًا (جعل) بمعنى (خلق) هذه ليست على بابها في اللغة، لكن فقط لو جاءت لمفعول واحد فيكون بمعنى (خلق)، لكن لو تعدت إلى مفعولين مثل: { إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا } [الزخرف: 3] مفعولين، فهنا أيضًا ليس بمعنى الخلق. فهذه كانت الشبهة الثالثة عندهم.

وكلها شبهات باطلة كما قلنا طبعًا لأن آيات القرآن واضحة وصريحة فيها، لذلك بيَّن المؤلف بأن من قال ذلك كما قال: (سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ عَمَّنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى؟ فَقَالَ: «يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ») لأن المشكلة هنا في تكذيب القرآن، فهو لم يتكلم عن الكلام فقط، بل تكلم عن كلام الله لموسى، لأنه لما يأت: و{وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ

لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ} [الأعراف: 143] أنت ماذا ستفعل فيها؟! آية صريحة جدًا لمن يقرأ اللغة العربية حتى لو قلت بالأولى وأردت أن تحرفها (وكلم الله) بدل (اللهُ)، لكن ماذا تفعل في الثابتة الثانية؟! لذلك هو قال: (فَهُوَ كَافِرٌ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ).

ثم ذكر الحديث – وقد تكلمنا عنه – حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام، واثبات فيه أن آدم عليه السلام قال: (أَنْتَ نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ أَنْتَ الَّذِي كَلَّمَكَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ, وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ خَلْقِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ , قَالَ: فَمَا وَجَدْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ...) إلى آخر الحديث وقد شرحناه مرارًا في مسألة الحجة وكيف حج آدم موسى على قول النبي ﷺ، لكن الحديث فيه اثبات أن آدم عليه السلام لما تكلم مع موسى أثبت كلام الله عز وجل لموسى في هذا الموطن، فقال:(فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى , فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى) عليهما السلام.

لماذا حج آدم موسى؟ ماذا قال موسى لآدم عليهما السلام واحتجاج آدم على موسى؟

قال له: (أَنْتَ الَّذِي نَفَخَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ , وَعَلَّمَكَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا , وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ فَسَجَدُوا لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ , قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟)

موسى عليه السلام على ماذا لام آدم عليه السلام؟ لامه على الخروج من الجنة وليس الأكل من الشجرة، هذه خلاصة المسألة؛ على مصيبة الخروج وليس على المعصية، لماذا بنقول أنه لامه على مصيبة الإخراج وليس على أكله من الشجرة؟ لأن آدم عليه السلام لما فعل المعصية قد تاب، قال الله عز وجل:{ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ } [البقرة: 37]، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، فكيف يأتي موسى وهو من أولي العزم من الرسل أن يلوم آدم على ذنب قد تاب منه! لا يصح، إذًا لا يكون اللوم على الذنب، لكن هو لامه على الخروج، والخروج هذا مصيبة. هو آدم لما أكل من الشجرة هل كان يعلم أنه سيخرج؟ ما يعلم، هو فعل الذنب وتاب منه، فنتيجة الذنب أن ربنا كتب الخروج. وكتابة الخروج هذا من الجنة – التي هي المصيبة أننا خرجنا من الجنة وكان زماننا نحن في الجنة الآن ولكن كله بقدر من الله – فهو أراد هنا موسى عليه السلام أن يلوم آدم على الخروج، وما يُظن أن موسى وهو من أولي العزم من الرسل سيعايره أو يلومه على ذنب قد تاب منه، هذا الصحيح، لأن المسألة فيها كلام ونحن بنختصر الآن.

إذًا آدم عليه السلام قال أتلومني على أمر قد كتبه الله؟ ألم تجد ذلك في الكتاب؟ فهنا قال النبي ﷺ (فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى) لماذا؟ لأن سيدنا آدم حج موسى بشيء موجود في الكتاب ليس

له ذنب فيه، فالمصيبة والخروج مقدرها الله عز وجل ليست له، لذلك نحن في المصائب ليس لنا نقول غير الصبر والاسترجاع وغير ذلك، لكن المعائب التي هي الذنوب والمعاصي لابد من التوبة والمغفرة ونلوم أنفسنا، لأننا نحن الذين فعلناها.

قال أيضًا: (قَالَ آدَمُ لِمُوسَى: أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا وَكَلَّمَكَ تَكْلِيمًا) – تأكيد؛ "كلمك تكليمًا"– (وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ التَّوْرَاةَ").

ثم ذكر الأثر عن ابن عباس – وفيه نظر طبعًا – (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اصْطَفَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْخُلَّةِ , وَاصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْكَلَامِ , وَاصْطَفَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرُّؤْيَةِ) طبعًا هذا أثر موقوف عن ابن عباس، وهذا فيه نزاع الذي قلناه وكان ابن عباس له قولان في المسألة؛ القول الأول وهو قول النبي ﷺ لما سُئل قال: [نور إنِّي أراهُ] أو على قوله [نور أَنَّى أراهُ] والقول الثاني قال:[رَأيتُ نورًا]وسكت، لذلك ابن عباس يُنقل عنه هكذا ويُنقل عنه هكذا في المسألة. لكن هذا الكلام طبعًا أنه (اصْطَفَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرُّؤْيَةِ) الصحيح عند أهل العلم كما قالت عائشة رضي الله عنها وأرضاها من قال بأن محمد قد رأى ربه قد اقشعر رأسي أو بدني ممن قال ذلك، وهذا هو الصحيح أن ممكن يُحمل كلام ابن عباس على اصطفاء النبي ﷺ بالرؤية القلبية وليست بالرؤية البصرية للأحاديث اللي جاءت بأنه قد رأى ربه في المنام لما جاء كلمه وقال: [يا مُحمَّدُ، فِيمَ يختصِمُ الملأُ الأعلى؟ فقلتُ : لا أدري يا ربِّ، فوضعَ كفَّهُ بينَ كتفيَّ، حتَّى وجدتُ بردَ أَنامِلِهِ بينَ ثديَيَّ] إلى آخر الحديث الذي رأى فيه النبي ﷺ ربه في المنام.

هنا يقول (اصْطَفَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْخُلَّةِ , وَاصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْكَلَامِ , وَاصْطَفَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرُّؤْيَةِ) النبي ﷺ له ذلك كله؛ لأن الله عز وجل كما اصطفى ابراهيم بالخلة اصطفى أيضًا محمد ﷺ بالخلة لما قال النبي ﷺ: [فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا]

فثبتت الخلة أيضًا للنبي ﷺ. وثبت الكلام للنبي ﷺ بأن الله عز وجل كلم ربه في المعراج لما كتب عليه الصلوات الخمس فنزل فرجع فالله عز وجل خفف الخمسين صلاة إلى أن أصبحت خمسة؛ خمسة في العمل وخمسين في الأجر كما جاء في معنى الحديث، فأيضًا كلم

النبي ﷺ الله عز وجل. ثم الرؤية هذه على الخلاف الذي بيناه بأن الصحيح بأن النبي ﷺ لم ير ربه يقظة، وإن كان رأى الله عز وجل منامًا.

ثم حديث عبد الله بن مسعود قال: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَوْمَ كَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ وَكُمَّةُ صُوفٍ , وَكِسَاءُ صُوفٍ , وَعَصَى رَاعٍ , وَنَعْلَاهُ مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ غَيْرِ ذَكِيٍّ)، الحديث والله أعلم فيه تضعيف لكن طبعًا الآيات تبين بأنه كان معه العصا، لما جاءت الآيات في سورة طه: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ} [طه: 17-18] ، إلى غير ذلك من الآيات التي كان فيها يحمل العصا، فالمسألة فيها اثبات كلام الله عز وجل لموسى هذا الذي يعنينا في هذه الآثار والتي في بعضها ضعف.

وأيضًا الذي يليه: (يَا رَبِّ هَذَا كَلَامُكَ الَّذِي كَلَّمْتَنِي بِهِ..) إلى آخر ذلك، أيضًا هذا الحديث قالوا منكر أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، الحديث الذي فيه (كَلَّمْتُكَ بِقُوَّةِ عَشْرَةِ آلَافِ لِسَانٍ) إلى غير ذلك.

وأيضًا (إِنَّمَا كَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَدْرِ مَا يُطِيقُ مُوسَى) نعم هذا صحيح ممكن في معنى هذا الحديث بأنه كلمه بقدر ما يطيق، مع أن موسى عليه السلام ورد في الأثر بأنه بعد أن كلم ربه ورجع عافى كلام الناس.

♦ نحتاج أن نتكلم عن الأشاعرة في صفة الكلام؛؛

كنا قد تكلمنا عن قول المعتزلة بأنهم نفوا الكلام بالكلية، وبينا في الأول عقيدة أهل السنة والجماعة في الكلام، جاء الأشاعرة الذين قد ضلوا في هذا الباب أيضًا في مسألة صفة الكلام، وقالوا سنثبت الكلام وطبعًا هم لم يرتضوا بقول المعتزلة أن كلام الله عز وجل مخلوق، ولكن قالوا سنثبت الكلام ولكن عندهم الكلام قالوا ليس ككلام أهل السنة والجماعة.

أولا طبعًا هذا الكلام قول الكلابية وقول الأشاعرة؛ الإثنين أفراخ، ابتدأ كلام عبد الله بن كلاب – الكلابية – هذا الكلام وسار على نهجه الأشاعرة بعد ذلك، على أن المعتزلة أول من قالوا بأن كلام الله مخلوق فأول من قال بكلام الله قديم هم **الكلابية**، وسار على النهج بعد ذلك

الأشاعرة. إذًا هم أول من أحدثوا قول أن كلام الله قديم، كما أن **المعتزلة** أول من أحدثوا أن كلام الله مخلوق. ثم قالوا: كلام الله معنى نفسي، قالوا كلام الله قديم وهو معنى نفسي.

سار على كلام الكلابية عبد الله بن سعيد بن كلاب الأشاعرة في ذلك، بل أولًا الأشعري نفسه أبو الحسن استحسن هذا الكلام وسمعه واستحسنه قبل أن يتوب طبعًا ويرجع لأهل السنة والجماعة، لأن المعتزلة كانوا يقولون بخلق القرآن، وترك الأشعري مذهبه وذهب فسمع بكلام عبد الله بن كلاب فاستحسنه أولًا؛ استحسن كلام عبد الله بن كلاب بأن كلام الله قديم وأنه كلام نفسي، وسار بعد ذلك الأشاعرة على نفس المذهب في مسألة بأنهم يثبتوا الكلام لكن يقولون بأن أولًا كلام قديم وكلام نفسي وله معنى.

وهذا المعنى النفسي يقولون هو معنى واحد، ما المقصود بمعنى واحد؟ أن الله عز وجل ألقى في روع جبريل ما يريده، فعلم جبريل ما يريده الله، فلما تكلم جبريل به بالسريانية كان إنجيلًا، تكلم قبله بالعبرانية كان توراة، تكلم بالعربية كان قرآنًا، إذًا عندهم الكلام معناه واحد؛ تكلمته أنت بالسريانية أو بالعبرانية أو بالعربية هو عندهم المعنى موجود واحد، لكنه متعدد من جهة ما أُلقي في روع جبريل؛ ما يلقى بالعربية أو بالسريانية أو بالعبرانية فالمعنى واحد لكنه تكلم بها حسب ما تكلم، فقالوا كلام الله قديم؛ تكلم به قديمًا الله عز وجل ثم ألقاه في روع جبريل ثم تكلم به جبريل بعد ذلك بالعربية فسار القرآن الذي معنا، تكلم قبلها بالعبرية فصار توراة، وتكلم بالسريانية فصار إنجيلًا.

فيقولون أن الله لم يتكلم لا بصوت ولا بحرف، وأن الله عز وجل ألقى ما يريده سبحانه وتعالى في روع جبريل فتكلم جبريل، أعلمه في نفسه ما يريده، فهذا يسمى كلام، وقالوا يستحيل أن يكون كلام الله عز وجل بحرف وصوت، ولكن أثبتوا الكلام نعم؛ يقولون الكلام صفة لكن ليس كلام بحرف وصوت، لماذا؟ قالوا لو قلنا حرف وصوت إذًا شبهنا الخالق بالمخلوق، وقالوا عندنا أدلة على مسألة الكلام النفسي، قالوا وجدنا في كلام العرب قول الشاعر ونسبوه للأخطل: (إِنَّ الكَلَامَ لَفِي الفُؤَادِ وَإِنَّما... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الفُؤَادِ دَلِيلَا)، فقالوا " إِنَّ الكَلَامَ لَفِي الفُؤَادِ" إذًا الشيء الذي في القلب يسمى كلامًا. فهذا دليل أول عندهم.

ودليل ثاني قالوا عمر رضي الله عنه وأرضاه في سقيفة بني ساعدة لما توفي النبي ﷺ وذهبوا إلى سقيفة بني ساعدة لاختيار الخليفة قال – هم يقولون – **[فزَورتُ في نَفسي كَلاماً]** فقالوا إذًا عمر قال "فزورت في نفسي كلاما" إذًا الكلام يحتمل شيئين؛ يحتمل أن يكون بصوت وحرف، ويحتمل أن يكون معنى نفسي والله عز وجل كلامه لابد أن يكون معنى نفسي، لأنه

لا يكون بصوت وحرف لأن هذا كلام المخلوق! وهم أرادوا أن يدخلوا الكلام النفسي في معنى الكلام كأنهم أولًا سحبوا المخالف على أن يقول أن الكلام على قسمين؛ كلام بصوت وحرف، وكلام نفسي. وصوت وحرف ممتنع عندهم في حق الله عز وجل، فقالوا إذًا الكلام نفسي. وهم ظنوا أنهم هكذا ردوا على المعتزلة فالمعتزلة يقولوا أن الكلام مخلوق، فقالوا لا، نحن أثبتنا الكلام لكن الكلام نفسي، واستدلوا بما قلنا على ذلك.

وهذا الكلام كما قلت ضحك منه المعتزلة وأضحك منه كل من عنده عقل لأنه كلام ليس حتى على الأصول التي عندهم، لذلك أنا قلت بأن المعتزلة بنفيهم ساروا على أصولهم الباطلة وما خالفوا أصولهم؛ على أنهم بينفوا الصفات كلها بحجة التشبيه والتمثيل فبينفوا، ففي الكلام مثل السمع مثل البصر مثل كل شيء، لكن هؤلاء (الأشاعرة) اخترعوا اختراعات منها أولًا الشعر الذي قلناه الآن، ومنها قول عمر رضي الله عنه.

طبعًا سنوجز لكن سنرد؛؛

أولًا طبعًا هم ينسبون الشعر للأخطل وهو شاعر نصراني وقلنا دواوينه مختلطة كما قالوا في الاستواء، لكن حتى هذا بتتبع كلام هذا البيت لم يجدوا القول للأخطل (إِنَّ الكَلَامَ لَفِي الفُؤَادِ) بل وجدوا أن الشاعر أصلًا قال: (إِنَّ البيان لَفِي الفُؤَادِ وَإِنَّما... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الفُؤَادِ دَلِيلَا) قالوا (إن البيان لفي الفؤاد) ولم يقل (إن الكلام لفي الفؤاد)، هذا في البيت. لكن قالوا أصالة لو رجعنا للغة العرب لم نجد عند العرب قاطبة أن الكلام عندهم يكون معنى نفسيًا؛ أي لا تجد في لغة العرب أن الكلام يحتمل أن يقصد به معنى نفسيًا، بل العلماء العرب كلهم يقولون أن الكلام لابد له من حرف وصوت حتى يسمى كلام. لذلك قلت أن المعتزلة فهموا؛ لما عرفوا أن الكلام لابد له من حرف وصوت نفوا، مع أن نفيهم باطل، لكن الأشاعرة كأنهم أعاجم ليسوا بعرب اخترعوا شيئًا ليس في لغة العرب، وحتى البيت ليس (إن الكلام) لكن (إن البيان). وطبعًا فارق أنك تقول: (إِنَّ البيان لَفِي الفُؤَادِ وَإِنَّما... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الفُؤَادِ دَلِيلَا) فنقول أنهم اخترعوا ذلك على الأخطل، والأخطل لم يقل ذلك، وحتى لو قال فقد كان نصرانيًا، لكن يظل أن لفظة (الكلام) ليست محفوظة في البيت، لكن المحفوظة في البيت هي (إن البيان). لذلك لا يسوغ لهم الاحتجاج في اللغة بهذا البيت أصالة؛ أولًا لا ثبوت على الأخطل، وثانيًا إن ثبت فلم يثبت بلفظة (الكلام) بل يثبت بلفظ (البيان)، فليس لهم دليل. وأيضًا لو رجعوا لكتب العرب لا تجد عند العرب على أن الكلام يكون نفسيًا.

والشاعر كان من النصارى، والنصارى ضُلال، وأصل المشكلة أيضًا أن النصارى عندهم ضلال في مسألة "الكلمة"، لماذا؟ هم يرون بأن عيسى كلمة الله، وكلمة الله عندهم أضيفت إلى الله فأصبحت صفة، لذلك يتفرع عليه أن عيسى يقولون فيه بالكلام الباطل عن الله عز وجل فقد أصبح عندهم صفة لله فأخذ منها من الله، ونحن عندنا الحق أن عيسى كلمة من الله ليست صفة، لأن عيسى خُلق بكلمة من الله، لقوله سبحانه وتعالى:{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} [آل عمران: 59] ، إذًا خُلق بكن، إذًا هو خُلق بكلمة من الله، وليس عيسى كلمة الله. لذلك هم عندهم أصالة ضلال في مسألة الكلام هذه لأنهم جعلوا أنه صفة لله، فالنصارى ضلت في باب الكلام نفسه، فأنت إضافة إلى ذلك تأخذ من نصراني في مسألة الكلام! فضلال على ضلال. فممكن يكون الكلام هذا منقول بأن من ديانة النصارى له في بيت الشعر وليس من لغة العرب كما قلنا ذلك، إذًا الكلمة ليست محفوظة ولا يسوغ الاحتجاج بها.

أما قول عمر رضي الله عنه: [فزَورتُ في نَفسي كَلاماً] أولًا الرواية المحفوظة عن عمر ليست (فزورت في نفسي كلامًا) لكن (فزورت في نفسي مقالًا)، ولو قلنا على فرض صحته هو قال "زورت في نفسي كلامًا" ولم يقل "قلت في نفسي كلامًا"، وزورت الشيء أي جملته؛ أعددت في نفسي سواء "كلامًا" أو "مقالًا"، فمعنى ذلك (زورت في نفسي) – لو قلنا كلامًا حتى – زور أي أعد في نفسه شيئًا سيقوله كلامًا، لكنه لما جاء أبو بكر وقال غير ما أراد أن يقوله بعد ذلك. فلما قال (زورت في نفسي) لم يقل (فقلت في نفسي)، فهناك فرق لما يقول (قلت في نفسي) إذًا هو قال في نفسه كلامًا، لكن ما قال، بل قال (فزورت) أي أنت أعددت شيء وسماه – لو قلنا تنزلًا "كلامًا" أو "مقالًا" – على أنه "زورت في نفسي كلامًا سأقوله"، ولما أقوله فسيكون كلام، صحيح أم لا؟ هذا هو المعنى، وليس معنى ذلك بأنه ليس فيه دلالة على أن الكلام يكون في النفس.

وطبعًا هذا أضعف ما يكون حتى لو ثبت ذلك فهناك جيوش من الأدلة الأخرى التي تبين بأن كلام الله عز وجل في النداء، وفي المناجاة، وعند العرب أن معنى الكلام لابد أن يكون بصوت وحرف، وليس الكلام النفسي.

ثم قالوا مصيبة أخرى – طبعًا هذا الذي قالوه كلام نفسي – قالوا الكلام قديم، فهم قالوا يثبتوا صفة الكلام فقالوا الكلام قديم. فهم قالوا الكلام قديم تكلم الله عز وجل بالكلام هذا كله قديمًا عندما أراد أن يتكلم به! طيب وبعد ذلك؟ طيب ولما جاء موسى للميقات؟

فنقول هنا جعلوا الله كلامه قديم، وقالوا غير مخلوق لكن قديم، قالوا لأن الكلام المتجدد يُنسب للخلق، الكلام المُحدث، والله عز وجل يقول:{ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ} [الأنبياء: 2] ، فجعلوا الإحداث في الكلام كأنه على سبيل الخلق، فأرادوا أن ينزهوا الله عز وجل عن الإحداث أو التجدد أو حادثة الأفراد فقالوا الكلام قديم كما قالوا في السمع – لو تذكروا وتكلمنا فيه من قبل – فقالوا سمع الله عز وجل قديم! وهذا طبعًا الكلام لازمه في النهاية – لأنهم يقولون الآن بأن الكلام نفسي وأن الله لم يتكلم به، وأن الكلام هذا أعلمه لجبريل فتكلم به جبريل، إذًا الكلام الذي بين الدفتين الآن لم يتكلم به الله عز وجل وأن الذي تكلم به جبريل أصالة وأعلمه الله لجبريل عندهم، إذًا المتكلم هنا هو جبريل، والكلام هذا الذي نطق به هو جبريل، إذًا هذا ليس بكلام لله عز وجل! إذًا اللزوم على أنهم جعلوا الكلام هذا مخلوق، القرآن مخلوق، لأنه أصبح الآن هو كلام جبريل، إذًا أصبح لازم قولهم رجعوا إلى أن الكلام مخلوق؛ القرآن الذي عندهم مخلوق.

طبعًا هذا مجمل كلام الأشاعرة أو بعض استدلالتهم في هذه الصفة ضلوا فيها أيضًا، ويظن البعض أنهم أثبتوا الكلام، لكن كلامهم ليس ككلام أهل السنة والجماعة، بل هو مردود عليهم، بل هم أشد ضلالًا من المعتزلة، فالمعتزلة كانوا واضحين في البطلان، أما هؤلاء يلتفون ويتكلمون على أننا نثبت الكلام وفي النهاية هو ليس بكلام لكن كلام نفسي فقط! وهذا كله أيضًا على نفس المنهج أرادوا أن يفروا من التشبيه فوقعوا في التحريف، وهذا تحريف لأن الآيات كما بينا ولغة العرب تبين بأن الكلام الذي يعلمه العرب لابد أن يكون كلامًا بصوت وحرف، ولو هم كانوا من الذكاء كأهل السنة والجماعة لنفوا التكييف والتشبيه وقالوا نثبت الكلام ولا نعلم الكيفية ونثبت الكلام وانتهت المسألة على القاعدة التي عندنا أن: (المعنى معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة) كما هو متقرر عند أهل السنة والجماعة.

هذا كان تعريج، والإمام ما ذكر طبعًا الكلام في مسألة الأشاعرة ونزل على المعتزلة وبيَّن المعتزلة، وقد بينا فيه بقدر ما نستطيع، وإلا من أراد التوسع يرجع لـ (معارج القبول) وتقريبًا في (التوحيد لابن خزيمة) توسعنا فيه أكثر من ذلك في هذا الباب.

فنقف عند بَابُ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ، هذا إن شاء الله يكون باب جديد في مسألة النزول، وهذه أيضًا من الأمور التي خالف فيها المبتدعة أهل السنة والجماعة.

المحاضرة الثامنة والخمسون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري؛ هذا الكتاب البديع الذي هو أصل من أصول أهل السنة والجماعة، نسأل الله عز وجل أن ييسر لنا شرح هذا الكتاب وينهيه علينا على خير ونستفيد منه وننتفع بما فيه من علوم، وأن نعمل به وننشر ذلك بين الناس.

مازلنا في الجزء الخاص بتعرض المصنف لبعض مسائل الصفات والرد على بعض الطوائف في هذا الباب من المعتزلة ومن الأشاعرة، وإن كان مقصده أصالة كان في الرد على المعتزلة، والصفة التي معنا هي فاصلة بين أهل السنة والجماعة وبين الطوائف المبتدعة، وهي مسألة نزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا في كل ليلة وإيمان أهل السنة والجماعة كما هو معلوم في باب الأسماء والصفات أنه ما أثبته الله عز وجل لنفسه من الأسماء والصفات وما أثبته له النبي ﷺ فأهل السنة الجماعة يؤمنون به كلٌ على ظاهره، ويثبتونه كما جاء في الكتاب وفي

السنة بقاعدة أن: (النزول معلوم، وأن الكيف مجهول، وأن الإيمان به واجب، وأن السؤال عنه بدعة) كما سيأتي بأن الأحاديث تليت من النبي ﷺ على الصحابة رضوان الله عز وجل عليهم فلم يسألوا النبي ﷺ عن كيفية النزول، وهل ينزل أو لا ينزل؟ وهل الذي ينزل ذاته، أم الذي ينزل أمره، أم ملائكته، أم رحمته، أم ماذا؟ بل سمعوا الأحاديث من النبي ﷺ وعلموا ظاهرها بأن الله ينزل إذًا هو ينزل، ولم يسألوا النبي ﷺ عن كيفية النزول ولا كيف ينزل أم لا فأثبتوا ما أثبته لهم النبي ﷺ بمعنى هم يعلمونه ولكنهم فوضوا فقط كيفية النزول التي هي على أصلهم كما فوضوا كيفية اليد والسمع والإتيان والمجيء إلى غير ذلك من باب الأسماء والصفات، فهم يفوضون الكيفية ويثبتون المعنى.

وأما المبتدعة الذين ضلوا في هذا الباب فإنهم إما ردوا – كما هو حال **المعتزلة** – يردون كل هذه الصفات خاصة الصفات الفعلية الاختيارية التي تكون من الله عز وجل، وهذا المبحث؛ مبحث الصفات الفعلية هو العلامة الفارقة بين أهل السنة وغيرهم من الطوائف كلهم؛ إما بين من يرد الصفة بالكلية، وإما من يحرف النزول كما سيأتي معنا من **الأشاعرة** الذين يحرفون النزول ويقولون الذي ينزل هو رحمة الله أو ينزل الملك إلى غير ذلك من التحريفات الباطلة في هذا الباب.

لكن أهل السنة والجماعة يؤمنون به، ويثبتون بذلك، بل ويجعلون لهذه الأحاديث ثمرة لأنه – كما سيأتي معنا – إن كان الله عز وجل يحدث أنه ينزل إلى السماء الدنيا في هذا الوقت – وهو ثلث الليل الأخير على الراجح – فيقول الله عز وجل كما في السنة كما سيأتي بأنه يستجيب لمن يدعو، ويغفر للمستغفر، ويتوب على التائب إلى غير ذلك، ويرحم من يريد، فهذا كله فضل من الله عز وجل في هذا الوقت المبارك، فهذه ساعات استجابة، فالمؤمن النقي التقي الذي آمن بذلك ويعلم بأن الله عز وجل هو الذي ينزل سبحانه وتعالى نزولًا يليق بجلاله لا نعلم كيفته لكننا نؤمن به فهذا باب عظيم من أن يقوم المرء لله رب العالمين في هذا الوقت المبارك؛ وقت السحر أو وقت ثلث الليل، فيدعو الله عز وجل لأنه يعلم أن هذا الوقت الله عز وجل يعطي من قام له سبحانه وتعالى فدعاه فاستغفره أو تاب عليه أو دعا الله عز وجل فيكون هذا وقت استجابة. فأهل السنة والجماعة يستمتعون ويتمتعون في هذه الأوقات التي يؤمنون بها.

وأما الذين خابوا وخسروا ولم يؤمنوا بذلك ولم يعتقدوا فيه اعتقاد أهل السنة والجماعة أنَّى لهم أن يستجاب لهم! أي أنَّى لأحد يقوم في الليل يستجاب له وهو لا يؤمن بأن الله عز وجل ينزل

في السدس الأخير من الليل ولكن الذي ينزل الملك أو ينزل الرحمة أو ينزل أي شيء آخر كما يقولون! فهذا كيف يكون دعاءه يُستجاب عند الله وهو لا يؤمن أصالة بأن الله عز وجل ينزل في هذا الوقت!

لذلك ثمرة الإيمان بهذا الباب عظيمة جدًا عند أهل السنة والجماعة؛ تجد أهل التقوى وأهل الصلاح يحرصون على ألا يغيب عنهم هذا الوقت ولو بقدر لحظات وبقدر دقائق وبقدر سويعات – كما يقال – بأنه لا يغيب عنه كل يوم ثلث الليل بأنه يقوم لله عز وجل فيدعو الله عز وجل. وكيف ينام المرء وهو يعلم أن الله عز وجل في هذا الوقت قد نزل إلى السماء الدنيا ثم يقول سبحانه وتعالى على أنه يستغفر للمستغفر، ويتوب على التائب، ويجيب دعوة الداعي!

فهذه الأحاديث سنبينها التي سنقرأها الآن التي فيها نزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا، وإن تيسر نبين أيضًا كلام المخالفين.

52- بَابُ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْإِيمَانُ بِهَذَا وَاجِبٌ , وَلَا يَسَعُ الْمُسْلِمَ الْعَاقِلَ أَنْ يَقُولَ: كَيْفَ يَنْزِلُ؟ وَلَا يَرُدُّ هَذَا إِلَّا الْمُعْتَزِلَةُ وَأَمَّا أَهْلُ الْحَقِّ فَيَقُولُونَ: الْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ بِلَا كَيْفٍ , لِأَنَّ الْأَخْبَارَ قَدْ صَحَّتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ» وَالَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا هَذِهِ الْأَخْبَارَ هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا الْأَحْكَامَ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ , وَعِلْمَ الصَّلَاةِ , وَالزَّكَاةِ , وَالصِّيَامِ , وَالْحَجِّ , وَالْجِهَادِ , فَكَمَا قَبِلَ الْعُلَمَاءُ عَنْهُمْ ذَلِكَ كَذَلِكَ قَبِلُوا مِنْهُمْ هَذِهِ السُّنَنَ , وَقَالُوا: مَنْ رَدَّهَا فَهُوَ ضَالٌّ خَبِيثٌ , يَحْذَرُونَهُ وَيُحَذِّرُونَ مِنْهُ

695 – حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: نا أَبُو مَعْمَرٍ الْقَطِيعِيُّ قَالَ قَالَ عَبَّادٌ يَعْنِي ابْنَ الْعَوَّامِ: قَدِمَ عَلَيْنَا شَرِيكٌ وَاسِطَ فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّ عِنْدَنَا قَوْمًا يُنْكِرُونَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا , فَقَالَ شَرِيكٌ: إِنَّمَا جَاءَنَا بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَنْ جَاءَ بِالسُّنَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةِ , وَالصِّيَامِ , وَالزَّكَاةِ , وَالْحَجِّ , وَإِنَّمَا عَرَفْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ"

696 - وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَصَّاصُ قَالَ: نا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَيْسَ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا اتِّبَاعُهَا بِفَرْضِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ, وَالْمَسْأَلَةُ بِكَيْفَ فِي شَيْءٍ قَدْ ثَبَتَتْ فِيهِ السُّنَّةُ مَا لَا يَسَعُ عَالِمًا, وَاللَّهُ أَعْلَمُ»

طبعًا واضح من كلام الإمام أول شيء الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام وعلم الصلاة والزكاة هم الذين نقلوا لنا صفات الله عز وجل، أي لا فارق وهو كما قلنا في مقدمات سابقة.. ما الهدف؟ أن الذين نقلوا أي فتشوا، أي دققوا، أي أنهم لم يتركوا شاردة ولا واردة في كل هذه الفروع الفقهية – إن صح القول بأنها فروع – الزكاة والصلاة والحج والصوم والجهاد وكل هذا نقلوا لنا فيه السنة، هم الذين نقلوا أيضًا لنا أحاديث الصفات، فلو كان في أحاديث الصفات شيء غامض غير مفهوم أو غير واضح لبينوه لنا، لأنهم لما نقلوا لنا أحاديث الصيام والزكاة ماذا فعلنا فيها؟ أخذناها على ما هي عليها من فهمهم لها ومن تفسير الصحابة لهذه الأحاديث والعمل بها، فعملنا بها. فكذلك مثلها الأحاديث التي جاءت في العقيدة، بل هي الأهم، لو كان عندهم فيها إشكال ما تركوها هكذا ونقلوها لنا وتركوها لنا كما يقال السلف أسلم وعلم الخلف أحكم! لا، هم السلف أسلم وأحكم؛ هم أسلم وأتقى وأورع إلى الله، وهم أيضًا أحكم في الفهم وفي العمل بذلك، وليس للخلف في ذلك مزية في شيء، لماذا؟ لأنهم كما أنهم سألوا عن كل شيء حتى عن قضاء الحاجة فكذلك لو كان عندهم إشكال في هذه المسائل ما تركوها مع النبي ﷺ بدون سؤال منهم، ولا يقول أحد أنه لم يُنقل، طيب لماذا يُنقل ما كان في الصلاة والزكاة والحج والجهاد وكل هذا ولا يُنقل فقط أحاديث الصفات والأسماء؟! بل هي أعظم أنها تُنقل لأنها لله عز وجل، وهم جاؤوا أصلًا لعبادة الله، وهذا هو الكلام عن الله عز وجل، فمن باب أولى أنه لو كان فيها شيء قيل لابد سيُنقل لنا، فإذا كان دون ذلك قد نُقل فالأهم والأعظم من ذلك لا يمكن أن يُتصور كما هم يقولون: لا لم يُنقل شيء وهم سلموا! لا، بل هم سلموا وأحكموا في الفهم وفي المعنى، فهذا الذي يقوله.

ثم استشهد بكلام عن الإمام الشافعي لما قال: (وَلَيْسَ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا اتِّبَاعُهَا بِفَرْضِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ, وَالْمَسْأَلَةُ بِكَيْفَ فِي شَيْءٍ قَدْ ثَبَتَتْ فِيهِ السُّنَّةُ مَا لَا يَسَعُ عَالِمًا, وَاللَّهُ أَعْلَمُ)، وهذا اعتقاد الإمام الشافعي، فالذين يأتوا من بعض أصحاب المذاهب فلما تقول له أنت الذي تأتي به هذا ولو جئتنا بخمسين ألف عالِم من الخلف يقولون بقول الأشاعرة وغيرهم، أين أنت الآن من أئمة المذهب مثلًا أو الإمام الشافعي، أو الإمام أحمد، أو الإمام مالك، أو الإمام أبو حنيفة! هل قالوا مثل ما قال من بعدهم بثلاثمائة أو أربعمائة سنة! ما قالوا

بذلك، ارجع لنصوص الإمام الشافعي في كيفية قوله في الإيمان بما ورد في الأسماء والصفات وفيما وصف الله عز وجل به نفسه وغير ذلك والتسليم بظاهر المعنى تعلم أن هذا هو اعتقاد أصل الأئمة عندنا، ولا يهمنا من جاء من بعدهم من أصحابنا وغير ذلك، لا أحد يؤخذ بكلامه ما دام قد خالف قول النبي ﷺ، لكن حتى نقول الأئمة لما تقول له طيب أنت الآن تتكلم عن إمام المذهب فإمام المذهب ما قال بذلك، لماذا تتبع إمام المذهب في الفقه ولا تتبعه في العقيدة؟! لماذا خالفت إمام المذهب في العقيدة؟ هذا لو قلنا تنزلًا بالمذهبية في هذه المسألة، والمسألة كلها لا مذهبية في هذه المسألة، هذا الكتاب والسنة، هذه عقيدة، أصل من الأصول ليس فيه تقليد. لكن نقول أنت الآن ارجع للإمام مالك؛ للمالكية، وارجع للحنابلة الذين أيضًا بعض الأصحاب في المذهب عندهم إشكاليات في بعض المسائل، ارجعوا للإمام أحمد بن حنبل ماذا قال فيه؟ وارجعوا أيضًا للإمام مالك ماذا قال فيه؟ الذين يتقيدون بمسألة المذهبية في ذلك يُرَد عليهم بأئمة المذهب الذين قالوا بعقيدة أهل السنة والجماعة صافية نقية وليس عندهم من هذه الإشكاليات شيء.

697- وَحَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الطَّيَالِسِيُّ , حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ الْكَوْسَجُ قَالَ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ يَعْنِي ابْنَ حَنْبَلٍ: يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ , حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا , أَلَيْسَ تَقُولُ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ؟ وَيَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَعْنِي رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ؟ وَلَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ وَاشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى وَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ , وَإِنَّ مُوسَى لَطَمَ مَلَكَ الْمَوْتِ. قَالَ أَحْمَدُ: «كُلُّ هَذَا صَحِيحٌ», قَالَ إِسْحَاقُ: «هَذَا صَحِيحٌ , وَلَا يَدْفَعُهُ إِلَّا مُبْتَدِعٌ أَوْ ضَعِيفُ الرَّأْيِ»

هذا كلام من؟ بعد أن انتهى من الشافعي نسب إلى الإمام أحمد وجاءه بصفات خبرية (وَلَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) سيأتي باب "على صورته" وما المقصود منه، والصحيح أن (الهاء) تعود إلى الله عز وجل. (وَاشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى وَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ) اثبات القدم لله عز وجل. وفيه أيضًا الشكاية من النار إلى الله عز وجل وكلام الله مع النار ففيه اثبات الكلام، (وَإِنَّ مُوسَى لَطَمَ مَلَكَ الْمَوْتِ قَالَ أَحْمَدُ: كُلُّ هَذَا صَحِيحٌ)، إذًا هذه عقيدة أهل السنة والجماعة وإمام المذهب عند الحنابلة.

698 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ بِطَرَسُوسَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ قَالَ: سَمِعْتُ مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ الزَّائِغُونَ فِي الدِّينِ يَقُولُ: قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوُلَاةُ الْأَمْرِ بَعْدَهُ سُنَنًا الْأَخْذُ بِهَا اتِّبَاعٌ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَةِ اللَّهِ , وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى , لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ تَغْيِيرُهَا وَلَا تَبْدِيلُهَا , وَلَا النَّظَرُ فِي شَيْءٍ خَالَفَهَا , مَنِ اهْتَدَى بِهَا فَهُوَ مُهْتَدٍ , وَمَنِ اسْتَنْصَرَ بِهَا فَهُوَ مَنْصُورٌ , وَمَنْ تَرَكَهَا اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ , وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى , وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»

هو ثلَّث بالإمام مالك؛ فكأنه يقصد – جزاه الله خيرًا – أنه يأتي بأئمة المذاهب الثلاثة، فهنا حتى الإمام مالك بن أنس، ونسب طبعًا القول لعمر بن عبد العزيز: (سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوُلَاةُ الْأَمْرِ بَعْدَهُ سُنَنًا الْأَخْذُ بِهَا اتِّبَاعٌ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَةِ اللَّهِ , وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى , لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ تَغْيِيرُهَا وَلَا تَبْدِيلُهَا , وَلَا النَّظَرُ فِي شَيْءٍ خَالَفَهَا) ويقول على الاتباع {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 115] . إذًا هذا اتباع للسلف، فيبين لنا أن كلام عمر بن عبد العزيز والإمام مالك أن هذا اتباع لما كان عليه السلف، وكل القرون الخيرية ما خالفت في هذا الأمر، بل جاءت المخالفة والبدعة بعد ذلك، وأثناء القرون حدث طبعًا ظهور للمعتزلة وظهور غير ذلك لكن ما جاء بعد القرون الخيرية هو انتشار الفرق المبتدعة والتأصيلات التي عندها وهذا كله مخالف لسلف الأمة ومخالف لإجماع الأمة أصالة، أي ما يكفي أنك تقول ما قلت أنت به الآن ائتني بواحد في القرون الخيرية قال به. أصلًا من افترائهم أن الإمام مالك الذي اشتُهر عنه قاعدة الاستواء معلوم – الإيمان بكل شيء معلوم – والكيف مجهول ادَّعُوا عليه أصلًا زورًا بأنه يقصد هنا بأن الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة أو غير معقول الذي قال بها بأنه وافق قولهم هم في التحريف والتأويل مع أنه نص صريح في عقيدة أهل السنة والجماعة لأنه يُثبت المعنى وينفي الكيف فقط، فيقول لا، هو يفوض كل شيء ينفي الكيف ويفوض أيضًا، معلوم لفظًا ليس معلوم معنى! انظر كيف التجرؤ!! مع أنها من أصول كلام مالك الذي لو تتبعت كلامه ستجد أن هؤلاء كلهم يثبتون المعنى ولا يقولون بتفويض المعنى مطلقًا. فهو الإمام – جزاه الله خيرًا – أتى بالأئمة الثلاثة فيما نُقل عنهم. والإمام أبو حنيفة له كلام أيضًا باستثناء طبعًا مسألة مرجئة الفقهاء، لكن له كلام أيضًا في هذا الباب كعقيدة أهل السنة والجماعة.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ بِسُنَنٍ ثَابِتَةٍ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَنْ رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قِيلَ: رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَرَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ كَذَلِكَ , وَرَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ كَذَلِكَ وَرَوَاهُ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ كَذَلِكَ , وَرَوَاهُ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ كَذَلِكَ , وَرَوَاهُ رِفَاعَةُ الْجُهَنِيُّ كَذَلِكَ , وَرَوَاهُ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ كَذَلِكَ كُلُّ هَؤُلَاءِ رَوَوْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرُهُمْ بِمَعْنًى وَاحِدٍ , وَسَنَذْكُرُ ذَلِكَ عَنْهُمْ بِالْأَسَانِيدِ الصِّحَاحِ الَّتِي لَا يَدْفَعُهَا الْعُلَمَاءُ

699 - أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْمِصْرِيُّ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ , عَنِ ابْنِ شِهَابٍ , عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَغَرِّ , وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا , حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ , وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ"

700 - وَأَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ , وَخُشَيْشُ بْنُ أَصْرَمَ , قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ , عَنْ مَعْمَرٍ , عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ , وَالْأَغَرُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ , أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ لَيْلَةٍ , حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ , وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ"

701 - أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ الْبُخَارِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ لُوَيْنٌ قَالَ: نا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ , عَنِ الزُّهْرِيِّ , عَنْ أَبِي سَلَمَةَ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ , فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ , مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ , حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ" فَبِذَلِكَ كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ آخِرَ اللَّيْلِ

702 - حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ قَالَ: نا أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ , عَنِ الزُّهْرِيِّ , عَنْ أَبِي سَلَمَةَ , وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَغَرِّ

صَاحِبِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُمَا سَمِعَا أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ , حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ , فَيَقُولُ: مَنْ يَسْأَلُنِي أُعْطِهِ , وَمَنْ يَدْعُنِي أَسْتَجِبْ لَهُ , وَمَنْ يَسْتَغْفِرْنِي أَغْفِرْ لَهُ" فَلِذَلِكَ يُفَضِّلُونَ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ عَلَى أَوَّلِهِ

703 - حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ نَصْرٍ قَاضِي حَلَبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُؤَمَّلُ بْنُ إِهَابٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ سُعَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ , عَنْ أَبِي صَالِحٍ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ , وَأَبِي سَعِيدٍ , عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ , عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْأَغَرِّ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ , وَأَبِي سَعِيدٍ , عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ , عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْأَغَرِّ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ , وَأَبِي سَعِيدٍ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْهِلُ , حَتَّى إِذَا كَانَ شَطْرُ اللَّيْلِ نَزَلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ"

704 -وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّا الْمُطَرِّزُ قَالَ: حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ دِينَارٍ قَالَ: ثنا مُصْعَبُ بْنُ الْمِقْدَامِ , عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ , عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ , عَنِ الْأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ , عَنْ أَبِي سَعِيدٍ , وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: شَهِدَا بِهِ عَلَى نَبِيِّهِمَا أَنَّهُمَا سَمِعَاهُ يَقُولُ أَوْ قَالَ: سَمِعْتُهُمَا يَشْهَدَانِ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ هَبَطَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَقَالَ: «هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟»

705- أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ بُنْدَارٌ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ غُنْدَرٌ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ , عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ , عَنِ الْأَغَرِّ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا: شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ مِنْ ذَنْبٍ؟" قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»

706 - وَأَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُصْعَبٍ قَالَ: نا يَزِيدُ يَعْنِي ابْنَ هَارُونَ قَالَ: أَنَا شَرِيكٌ , عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ , عَنِ الْأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ , عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ , وَأَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُمَا شَهِدَا بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَأَنَا أَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِمَا: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا , فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ يُتَابُ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى "؟

709- وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي حَسَّانَ الْأَنْمَاطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: نا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ أَبِي الْعِشْرِينَ قَالَ: نا الأوزاعي قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي هِلَالُ بْنُ أَبِي مَيْمُونَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي رِفَاعَةُ بْنُ عَرَابَةَ الْجُهَنِيُّ قَالَ: صَدَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ قَالَ: ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي, مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي أُعْطِيهِ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي أَسْتَجِيبُ لَهُ؟ مَنْ ذَا يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ"

710 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَّاحِ قَالَ: نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُلَيَّةَ, عَنْ هِشَامٍ الدَّسْتُوَائِيِّ, عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ, عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ, عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ, عَنْ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ أَوْ قَالَ: ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا يَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي, مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ, مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ, مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ, حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ وَقَالَ مَرَّةً: حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ"

711 - وَحَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: نا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ, عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ, عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ, عَنْ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ قَالَ ابْنُ صَاعِدٍ: هَكَذَا قَالَ لَنَا: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ وَيَقْصُرُ مِنَ الْإِسْنَادِ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ فَحَدَّثَنَاهُ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ, وَيَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ, وَزِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ الدَّسْتُوَائِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ, عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ, عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ, عَنْ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْكَدِيدِ أَوْ قَالَ: بِقُدَيْدٍ جَعَلَ رِجَالٌ مِنَّا يَسْتَأْذِنُونَ عَلَى أَهْلِيهِمْ فَيَأْذَنُ لَهُمْ, فَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ خَيْرًا, وَقَالَ: "إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ أَوْ قَالَ: ثُلُثُهُ يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا, فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي, مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ"

713 - وَأَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ إِسْحَاقَ , وَعَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ الطَّرِيقِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ , عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْهَجَرِيِّ , عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ ثُلُثَ اللَّيْلِ الْبَاقِي , ثُمَّ يَهْبِطُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَيْهِ» , وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ يَدَهُ: أَلَا عَبْدٌ يَسْأَلُنِي أُعْطِيَهُ؟ قَالَ: فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ "

714 - وَحَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: نا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنَا زَائِدَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ الْهَجَرِيُّ , عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ ثُلُثَ اللَّيْلِ الْبَاقِي , ثُمَّ يَهْبِطُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا , فَيَبْسُطُ يَدَهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ: أَلَا عَبْدٌ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ "

715 - أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ , حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: أَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ , عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ , عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ , عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا , فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ "؟

717 - وَأَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي دَاوُدَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ , وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: حَدَّثَنَا فُضَيْلُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ , عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْوَلِيدِ , عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَنْزِلُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حَيْثُ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ , فَيَقُولُ: أَلَا عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ أَلَا ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ يَدْعُونِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ أَلَا مُقَتِّرٌ عَلَيْهِ رِزْقُهُ يَدْعُونِي فَأَرْزُقَهُ؟ أَلَا مَظْلُومٌ يَدْعُونِي فَأَنْصُرَهُ؟ أَلَا عَانٍ يَدْعُونِي فَأَفُكَّ عَنْهُ "؟ قَالَ: فَيَكُونُ كَذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ " وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

718 - أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَنَا مَعْمَرٌ , عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْبَيْلَمَانِيِّ قَالَ: " مَا مِنْ لَيْلَةٍ إِلَّا يَنْزِلُ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ , فَمَا مِنْ سَمَاءٍ إِلَّا وَلَهُ فِيهَا كُرْسِيٌّ , فَإِذَا نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ خَرَّ أَهْلُهَا سُجَّدًا حَتَّى

يَرْجِعَ , فَإِذَا أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا: أَطَّتْ وَتَرَعَّدَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , وَهُوَ بَاسِطٌ يَدَيْهِ يَدْعُو عِبَادَهُ: يَا عِبَادِي مَنْ يَدْعُنِي أُجِبْهُ؟ وَمَنْ يَتُبْ إِلَيَّ أَتُبْ عَلَيْهِ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرْنِي أَغْفِرْ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلْنِي أُعْطِهِ؟ مَنْ يُقْرِضْ غَيْرَ مُعْدَمٍ وَلَا ظَلُومٍ , أَوْ كَمَا قَالَ"

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيمَا ذَكَرْتُهُ كِفَايَةٌ لِمَنْ أَخَذَ بِالسُّنَنِ , وَتَلَقَّاهَا بِأَحْسَنِ قَبُولٍ , فَلَمْ يُعَارِضْهَا بِكَيْفَ وَلِمَ؟ وَاتَّبَعَ وَلَمْ يَبْتَدِعْ

719 - حَدَّثَنَا ابْنُ صَاعِدٍ أَبُو مُحَمَّدٍ قَالَ: نا الْحُسَيْنُ بْنُ حَسَنٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَنَا ابْنُ مُبَارَكٍ قَالَ: أَنَا يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ , عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: بَلَغَنَا عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: «الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَنِ نَجَاةٌ»

720 - حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ: نا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ مُدْرِكٍ الْقَاصُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ خَارِجَةَ قَالَ: نا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ الأوزاعي , وَالثَّوْرِيَّ , وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ , وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ: عَنِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا الصِّفَاتُ؟ فَكُلُّهُمْ قَالَ: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا تَفْسِيرٍ»

نبدأ من آخر شيء قرأته ونسأل بما تكلمنا فيه من قبل؛ ما معنى ما جاء عن الأوزاعي والثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن (**الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا الصِّفَاتُ؟ فَكُلُّهُمْ قَالَ: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا تَفْسِيرٍ»**)؟

هذه مسألة مهمة جدًا لأن هذه يتعلق بها المبتدعة يقولون أنتم تقولون: (**أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا تَفْسِيرٍ**) إذًا بلا معنى، فأنتم بتفسروها إذًا ستقولون معانيها، إذًا أنتم تفوضوا المعنى وتثبتوا اللفظ!

ما معنى (**بِلَا تَفْسِيرٍ**)؟ هو لما قال كلمة (**بِلَا تَفْسِيرٍ**) هو ماذا بيفسر؟ تفسير الآيات، المعاني، عمومًا التفسير هكذا. المقصود هنا بالتكييف أي لا نكيفها أو لا نحرفها ولا نؤولها، لكن هنا ستقول كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (درء التعارض) "أن هذا لفظ مجمل"، إن كنت تقصد بلا تفسير أي بلا تفسير للمعنى فهذا باطل لأن هذا مخالف لعقيدة السلف كما ورد عن الإمام مالك نفسه لما قال (الاستواء معلوم) إذًا المعنى معلوم، والكيف هو المجهول.

إذًا تفسير المعنى عند السلف بالاتفاق معلوم، كما قال مالك وغيره، ولكن لو كنت تقصد بلا تفسير أي تفسير للكيفية فهذا الذي نقوله نعم نحن لا نفسر الكيفية لأننا لم نر الله عز وجل، ولا نعلم كيفية صفاته سبحانه وتعالى لأننا لم نره، ولم نر نظيرًا أو مثيلًا له، ولم يخبرنا الصادق المصدوق وهو النبي ﷺ عن هذه الكيفية، لكننا آمنا بها على معناها الذي نزل عندنا. إذًا هنا (بِلَا تَفْسِيرٍ) ممكن تقول مجمل نعم لكننا نسألك ماذا تقصد؟ لأن هي ثابتة عندنا لأنها تحتمل وتحتمل، لكن الذي جعلنا نقول أن (لَا تَفْسِيرٍ) لا يقصد بها المعنى ما جاء عندنا في السنة عن اثبات المعاني، وأن السلف ما يقصدون أن المقصود به المعنى، لأن البعض يقول لك الجملة أنت عندكم تقولوا (بِلَا تَفْسِيرٍ) – وهؤلاء طبعًا المفوضة الذين يقولون ذلك – فيقولون أنتم السلف مفوضة، فنقول لهم لا، انظر إلى معنى (بِلَا تَفْسِيرٍ) ما المقصود به؟ ففي معنى يُحمل والذي هو (بِلَا تَفْسِيرٍ) أي "بلا تفسير الكيفية"، ومعنى لا يمكن نقبله عندنا وهو "بلا تفسير المعنى"،لأن تفسير الكيفية هو:{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ} [آل عمران:7]، كما جاء في سورة آل عمران.

طيب؛؛ هذه الأحاديث التي قرأها أخونا الكريم في مسألة النزول وفيها عدة أحاديث رواها فوق ثمانية عشرة من الصحابة، والبعض قالوا ثمانية وعشرين من الصحابة لما قال الإمام الآجري وذكر بعض الصحابة في مسألة كأنها متواترة في المعنى – أقول متواترة في المعنى– في نزول الله عز وجل نزولًا يليق بجلاله السماء الدنيا، وجاءت الأحاديث هنا غالبها على الثلث الأخير، وجاءت بعض الروايات حين مضي شطر الليل، فكأنه بعد النصف، وفي روايات أيضًا حين يمضي ثلث الليل الأول، فكأنه بعضها وغالبها في الثلث الأخير، وبعضها بعد نصف الليل بعد الشطر، والبعض بعد الثلث الأول، والحقيقة تُحمل كلها على بعض على أنها المقصود منها لأن الذي اختُص بعد ذلك هو الثلث الأخير من الليل الذي يكون فيه نزول الله عز وجل كما جاءت الأحاديث تبين فيها بأن الله عز وجل يقول: (أَلَا عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ أَلَا ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ يَدْعُونِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ أَلَا مُقَتِّرٌ عَلَيْهِ رِزْقُهُ يَدْعُونِي فَأَرْزُقَهُ؟ أَلَا مَظْلُومٌ يَدْعُونِي فَأَنْصُرَهُ؟). أو في بعض الروايات التي هي أصح من ذلك فيها أيضًا الله عز وجل يبسط يده بعد النزول؛ ينزل ثم يبسط يده سبحانه وتعالى ويقول ألا عبد يسألني فأعطيه؟ أو ألا من سائل فأعطيه سؤله؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ كل هذه الروايات المتعددة جاءت بأن الله عز وجل ينزل بهذا الوقت المبارك نزولًا يليق بجلاله، وفيه أيضًا (يَبْسُطُ يَدَهُ) فيه اثبات صفة البسط لله عز وجل مع صفة اليد، وأيضًا نثبتها كما جاءت لا نعلم الكيفية.

لكن في هذه الأوقات المباركة فتح الله عز وجل لنا بابًا للاستغفار وللمغفرة وللتوبة وللدعاء، فهذه فرصة لكل مسلم أنه يقوم في هذا الوقت فيدعو الله عز وجل فيُستجاب له، أو يستغفر الله عز وجل فيغفر له، أو يتوب فيتوب الله عز وجل عليه. وطبعًا هذه من الصفات التي ثبتت في السنة؛ أي ما تجد لها من الكتاب، صفة النزول في الثلث الأخير من الليل أقصد تحديدًا، وطبعًا الإتيان والمجيء هذا جاءت فيه آيات {وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر: 22] ، وغير ذلك والإتيان، لكن نقول النزول في الثلث الأخير من كل ليلة هذه ثبوتًا جاءت في السنة.

وأهل السنة والجماعة كما قلنا يثبتون ذلك لله عز وجل، وأن هذه من الصفات الفعلية والخبرية لله عز وجل؛ فعلية طبعًا لأنها فعل، وخبرية من باب أننا لا يمكن أن نثبتها إلا إن أخبرنا الله عز وجل عليها، لكن هي من الصفات الفعلية، حديث نزول الله عز وجل هي من الصفات الفعلية.

لكنها هنا فيها مسألة؛ قلنا أهل السنة والجماعة يثبتون النزول، ولكن هنا توجد مسألة خلافية عند أهل السنة والجماعة في مسألة هل يخلو العرش منه سبحانه وتعالى حال نزوله أم لا؟ وهذه مسألة قلت فيها خلاف بين أهل السنة والجماعة على أقوال؛

فعندنا الآن **نزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا هل يخلو العرش منه أم لا يخلو؟ وهذه المسألة على ثلاثة أقوال:**

نجمل الأقوال ثم نبين؛؛

القول الأول: قالوا ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كما ثبت ويخلو العرش منه؛ وهو قول الإمام ابن منده؛

القول الثاني: أنه ينزل ولا يخلو منه العرش؛ وهو قول جمهور أهل الحديث، ومنهم الإمام أحمد، وحماد بن زيد، واسحاق بن راهويه، وطبعًا عثمان بن سعيد الدارمي، هذا الذين قالوا بأنه ينزل ولا يخلو منه العرش؛

القول الثالث: قالوا نثبت نزولًا ولا نعقل معناه، هل بزوال من العرش أم بغير زوال؟ قالوا لا نتكلم فيها نثبت النزول فقط، وهذا القول الثالث قال به ابن بطة والحافظ عبد الغني المقدسي، ورحم الله الجميع وهم من أهل السنة والجماعة. ومعنى "لا نعقل" هنا أي لا نقول خلى العرش أو لا يخلو منه العرش.

القول الأول: الذين قالوا ينزل ويخلو منه العرش:

وقلنا هذا قول الإمام ابن منده، وهذه المسألة هي متفرعة عن مسألة اثبات الانتقال في صفات الله عز وجل؛ اثبات الحركة في بعض صفات الله عز وجل، **انتبهوا**.. الذي قال ينزل ويخلو منه العرش هو عنده يثبت ما يسمى في بعض الصفات التي هي صفات الحركة؛ جنس الحركة التي هي كالمجيء، كالإتيان، كالنزول، هذه صفات ثابتة لله عز وجل، فهذه عند بعض أهل العلم يقولون هذه أنواع لجنس الحركة، ولا يوجد وصف عندنا عند أهل السنة والجماعة بالحركة لكن قالوا هذه من جنس الحركة. فهناك من قال بأن هذه الصفات فيها انتقال؛ أي يستلزم النزول والإتيان والمجيء أن يكون فيه حركة وانتقال، وهذه مسألة خلافية أيضًا؛ فالبعض يقول بأنه يثبت مسألة الانتقال أو الحركة، والبعض لا يثبتها.

ومسألة الانتقال والحركة قبل أن نرجع نحن بينا ثلاثة أقوال في مسألة خلو العرش لكن قلت الذي جعل أن يقال ينزل ويخلو منه العرش هو يرى بأن هذه الصفات التي فيها الحركة أو جنس الحركة فيجوز فيها الانتقال، إذًا يجوز فيها خلو العرش، وقلنا هذه المسألة أصلًا فيها خلاف؛ مسألة الانتقال هذه، حتى بين أصحاب الإمام أحمد المنتسبين لأهل السنة والجماعة والحديث على مسألة الانتقال والحركة البعض يثبت الانتقال والبعض لا يثبت الانتقال والحركة، وهذه تكلم فيها شيخ الإسلام ابن تيمية – حتى لا أدخل فيها كثيرًا – يقول بأننا لا نوصف الله بالحركة لكنها هي جنس؛ أي من الأجناس، وأن هذه الصفات البعض يقول الملازمة فيها الانتقال كما بيّنا.

إذًا الذين قالوا بالانتقال فقالوا هنا اللزوم يلزمه انتقال، لأن حقيقة النزول عند العرب هو الانتقال.. **انتبه** هو ما شبَّه، وهو من أهل السنة، لكن يقول كما أن الاستواء نظيره عند العرب فيه القعود أو فيه العلو والارتفاع، فالنزول عند العرب فيه الانتقال، والذي قال به ابن حامد هذا الكلام؛ قال أن النزول فيه انتقال، والانتقال يليق به سبحانه وتعالى لا نعلم كيفية الانتقال لكن فيه انتقال، لأن النزول عند العرب المعنى منه فيه انتقال كما أن معنى الاستواء فيه علو وغير ذلك، كما أن الكلام أيضًا عند العرب فيه صوت وحرف. وأنا قلت أن هذا ليس فيه تشبيهًا عنده ولكن يقول بالانتقال لأن معنى النزول في العرب الانتقال، فيقول إذًا فيه انتقال، ولكن يقول انتقال بما يليق بجلال الله عز وجل كما قلنا في الاستواء، وكما نقول في الصوت، وكما نقول في غير ذلك. لذلك هؤلاء يقولون بأن النزول فيه انتقال إذًا يخلو منه العرش، ويثبتون النزول حقيقة لكنهم لا يعلمون كيفية النزول.

وطبعًا انتبهوا لأن ليس في اثبات ذلك محظور عندهم لأنهم يثبتونه بكمال؛ أي ليس الانتقال صفة نقص ويقولون هو صفة كمال أيضًا لله، لأن هذا لازم معنى الصفة كالهبوط فقد جاء (يَهْبِطُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا) أيضًا في بعض الروايات، والذهاب، وقلنا المجيء والانتقال وكل هذا من لوازم الفعل لا إشكال فيه؛ من لوازم الفعل الذي هو فيه الذهاب والإتيان والهبوط والنزول لازمه مسألة الانتقال. فقالوا إذًا هو كمال أيضًا ولا يستلزم اثبات ذلك نقص من الوجوه في حق الله عز وجل، فنقول ينزل ويخلو منه العرش.

القول الثاني: قالوا ينزل ولا يخلو منه العرش:

وهذا تصريح الإمام أحمد لما سُئل قال ينزل قال إن العرش لا يخلو منه، كذلك كان قول اسحاق بن راهويه وله قصة مع الأمير الذي كان معه أشكل عليه ذلك فقال له في مسألة النزول هل يخلو منه العرش أم لا؟ فقال لم تتكلم بهذا وأصلح الله الأمير؟ على أنه بين له قال أتؤمن بالاستواء؟ قال نعم؛ هل تعلم كيف الاستواء؟ أو هل أن الله فوق العرش؟ قال نعم، فقال له أيضًا هل تعلم كيف يكون الاستواء؟ قال لا، قال إذًا لا تسأل عن هذا. فأراد أن يرده؛ أي لا تسأل عن كيفية النزول يخلو أو لا يخلو لكن الصحيح بأنه ينزل، وأيضًا أثبت له عدم خلو العرش لأنه على عرشه، أي جمع قال سنثبت النزول ونثبت أيضًا أن الله عز وجل مستوي على عرشه. هؤلاء أصحاب هذا القول قالوا بأن الله عز وجل ينزل ولا يلزم ذلك الخلو من العرش، ولا يُعتَرض على ذلك بأن النزول يلزم منه خلو العرش، وستجد أن هؤلاء لا يثبتون مسألة الانتقال لو رجعت للتأصيل فيها لأن المسألة هذه أصلها أنا أقول في مسألة اثبات الحركة أو الانتقال لهذه الصفات.

القول الثالث: قالوا نثبت نزولًا ولا نعقل معناه هل هو بزوال أم بغير بزوال:

وقلنا أن هذا منسوب للإمام ابن بطة من أهل السنة والجماعة، والحافظ عبد الغني المقدسي أيضًا، فقالوا كما قال ابن بطة نقول: "ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا كيفما شاء، لا نصف نزوله ولا نحده، ولا نقول بأن نزوله يزال منه"؛ أي نزوله يزول منه العرش أم لا يزول منه العرش؟ أو يخلو منه العرش أو لا يخلو منه العرش؟

والصحيح من الأقوال أن نأخذهم كما هم؛ إما أن نقول بقول ابن بطة بأن تثبت النزول ولا تتعرض للزوال؛ هل يزول منه العرش أم لا يزول من العرش. فقول ابن بطة هو لم يتعرض للمسألة لكنه لو تسأله سيقول هو مستوي على عرشه ويقول أيضًا هو ينزل للسماء الدنيا، لكن

الإمام أحمد ومن معه أقروا بأنه لا يخلو منه العرش، وقلت أن أصل المسألة في مسألة الانتقال، فخذوا الأقوال كما هي. والمسألة خلافية بين أهل السنة والجماعة، فكلٌ له فيه قول لكن أنا بينت بأن الذين قالوا بخلو العرش لأنه عنده يقول بالانتقال وقال الانتقال ليس فيه شيء.

فهذا قول أهل السنة والجماعة.

المبتدعة طبعًا في هذا الباب – حتى نجمل فيه الكلام – بأنهم لم يثبتوا النزول؛ وهم **المعتزلة**، وأما **الأشاعرة** قالوا باثبات أن الذي ينزل الملك أو ينزل الرحمة، طيب قلنا لهم كيف ينزل الملك ويقول: (**مِنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟**) كيف يقول الملك "من يدعوني" وهذا دعاء عبادة؟ وهل الملك ينزل ليقول لنا النبي ﷺ أننا سندعو الملك أم أن الله عز وجل هو الذي ينزل سبحانه وتعالى ويقول: (**مِنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟**) فكيف يستقيم هذا الكلام على أن يكون الذي ينزل هو الملك الذي يقول ذلك! فهذا كفر أنك كيف ستدعو الملك، أتدعو الملك أم تدعو الله عز وجل! فهذا الكلام لا يستقيم أصالة.

فهم قالوا لا ينزل الله عز وجل ونفوا صفة النزول وحرفوا؛ قالوا إما الملك هو الذي ينزل، وتوجد روايات طبعًا فيها إيهام أن ممكن يُحمَل، فيقول مثلًا في بعض الروايات التي هي معنا الآن التي فيها المبنية للمجهول مثل (**هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابَ لَهُ؟**) فيها بعض العبارات المبنية للمجهول كأنها يمكن أن يقال فيها الملك، لكن هناك عبارات فيها روايات صريحة في أن الذي يقول ذلك هو الله عز وجل، فكيف يتأتى للملك أن يقول ذلك بأن هو الذي يغفر وهو الذي يتوب وهو الذي يُدعى؟! فهذا شرك، فهذه عبادة لغير الله عز وجل.

وقلنا بأن هذا تواتر في المعنى بين الصحابة في رواية هذا الحديث ولم يُنقل عنها الكلام كما في مسألة التفسير أو المعنى أن يسألون عنه، لكنهم قرروا هذا المعنى الذي في الحديث وهم فقط فوضوا الكيفية.

ثم ختم الباب لما ذكر الإمام: (**فِيمَا ذَكَرْتُهُ كِفَايَةٌ لِمَنْ أَخَذَ بِالسُّنَنِ , وَتَلَقَّاهَا بِأَحْسَنِ قَبُولٍ , فَلَمْ يُعَارِضْهَا بِكَيْفَ وَلِمَ؟ وَاتَّبَعَ وَلَمْ يَبْتَدِعْ**). وهذا كلام درر حقيقة لوحده هذا يحتاج لمحاضرات أن يقول أنت لو يأتيك دليل واحد فقط ثبت عندك من السنة لمن كان له اعتقاد سديد وصائب فيعمل به، ولا يهمه تكرار الأدلة، دليل واحد يثبت لك، لذلك هو يقول: (**فِيمَا**

ذَكَرْتُهُ كِفَايَةٌ لِمَنْ أَخَذَ بِالسُّنَنِ) أي الذي حقًا يعمل بالسنن ولا يَدَّعِي أنه يعمل بالسنن لكنه يعمل بالعقل أو بأصول أخرى، أما من يعمل بالسنة عندما يأتيه الدليل من السنة فيعمل به.

قال: (وَتَلَقَّاهَا بِأَحْسَنِ قَبُولٍ) لأنه جاء عن النبي ﷺ فلابد أن يقول سمعًا وطاعة، (فَلَمْ يُعَارِضْهَا بِكَيْفَ وَلِمَ؟) وهنا لم يدخل العقول في هذه المسألة بل سمع وطاعة، وهذا الذي كان يفعله الصحابة كما بينا في أكثر من حديث لما سألوا النبي ﷺ عن بعض الصفات وأخبرهم كأبو رازين وغير ذلك وهذه الأحاديث؛ لم يسألوا كيف ينزل؟ ولم ينزل؟ وهل ينزل أمره أم ينزل الملك، أم ينزل رحمته؟ كما جاء في بعض الكلام، كل هذا لم يقولونه بل سارعوا في الثمرة بأنهم يحرصون على الوجود في هذا الوقت ليجنوا ثمرة هذا الوقت الذي فيه الاستجابة.

(وَاتَّبَعَ وَلَمْ يَبْتَدِعْ) وهذا هو الأصل؛ أن المرء ما دام جاءته السنة يتبع خلفه والحق أن فيه راحة، أي أنت الآن كيف تكلف نفسك؛ الآن جاءت النصوص وعن الصحابة كلهم يقولون بالنزول، فأنت تظل تقول: هل هو الذي بينزل؟ لا غير ممكن أن يكون هو! طيب لماذا قالوا ذلك؟ ما الشبه الباطلة التي عندهم؟ قالوا النزول سيستلزم بأنه الآن تقله السماء، والحيز والإحاطة، وفي رواية هنا (يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا) فقالوا هذا لا يمكن لأنهم هنا نظروا بالتشبيه أولًا؛ شبهوا الخالق بالمخلوق فعطلوا أو حرفوا، وهذا هو الفساد في المسألة. لكن الاتباع يقول أنه:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: 11] ، انتهت المسألة، هو كله {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ } سبحانه وتعالى؛ أي لا نستطيع أن نفقه كيفية النزول لكننا سنثبته لأنه جاء عن النبي ﷺ {وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ } [النجم:3-4]، فهذا هو تمام الاتباع، وأما غير ذلك من عرض هذه الباب على العقول ولأنه باب غيبي ولا يُعرَض على العقول أصالة، لكن لا يمكن تعرض الغيب على العقول، فأنت لو سألته فقط الروح التي بداخلك الآن أين هي؟ كيف تصعد وتنزل؟ وأين الروح وأخرج لي الروح من الجسد وهي روحك! ما يستطيع أن يأتي بالروح لأنها غيب عنده، فما بالك بالله عز وجل! لذلك قال هذا الكلام.

ثم قال أيضًا نقل (عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: «الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَنِ نَجَاةٌ») والحق هذا؛؛ أنت ما دام كما قال علماؤنا إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بدليل فافعل، وكان السلف ما يفعلون شيء إلا بدليل، فأنت مادام معك الدليل فقد اعتصمت بالله عز وجل فمعك الدليل من الكتاب والسنة فانتهى الأمر عندك، فلما يسألك أحد فيكون سلاحك هو الدليل، فالاعتصام بالسنة نجاة حتى لو فهمت خطأ فأنت معك دليل، كما قال النبي ﷺ عن

القاضي إن اجتهد فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر، لكن عندك دليل تسير خلفه وطبعًا يعضده فهم الصحابة والنبي ﷺ له وغير ذلك. فالاعتصام بالسنة هو حقًا النجاة؛ وكلما بَعُد المرء عن السنة وقع في الهلكة. لذلك حتى في أمور الاستدلالات الفقهية كلما كان المرء معتصم بالكتاب والسنة في استدلالاته لا يُخطئ إلا لو كان في فهم الدليل، لكن كلما يبعد عن ذلك ويأتي إلى الأدلة الأخرى التي فيها غير الكتاب والسنة معرض فيها طبعًا للوقوع في الخطأ.

ثم ختم: (قَالَ: سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ, وَالثَّوْرِيَّ, وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ, وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ) طبعًا الأئمة كبار هؤلاء كل واحد في بلد؛ الأوزاعي في الشام، والثوري في العراق، ومالك بن أنس في المدينة، والليث بن سعد في مصر، مشارق الأرض ومغارب الأرض (عَنِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا الصِّفَاتُ؟ فَكُلُّهُمْ قَالَ: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا تَفْسِيرٍ)، وكما بينا معنى "التفسير" في ذلك. فكأنك تقول أن هذا اتفاق بين علماء السلف في هذه الأزمنة على ما نقوله. فلما يأتي أحد بعد ذلك ويقول لك أن السلف أسلم والثاني أحكم وهم لم يفهموا، بل فهموا ذلك وبينوا لنا ذلك.

نقف عند بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ بِلَا كَيْفٍ، هذه نرجئها إن شاء الله للأسبوع القادم مع مسألة أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن في باب آخر، لعلنا إن شاء الله نجمع البابين معًا.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة التاسعة والخمسون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى– وما زلنا في فصول هذا الكتاب الماتع عظيم النفع الذي حَريّ بكل طالب العلم أن يتدارس هذا الكتاب ويتقنه ويضبطه، ثم ينشره ويعلمه للناس، به صفوة وتفصيل وأصول عقيدة أهل السنة والجماعة في أبواب شتى، وفيه أيضًا الرد على المخالفين من الطوائف المبتدعة. وقد أحسن المصنف – عليه رحمة الله تعالى – في سرد أبواب هذا الكتاب وفي استدلالاته من الكتاب والسنة وآثار الصحابة، فأظهر لنا حقيقة كتابًا عظيمًا بديعًا جدًا في أصول أهل السنة والجماعة.

مازلنا في هذا القسم في الرد على الفرق المبتدعة في باب الأسماء والصفات؛ أسماء الله عز وجل وصفاته، وقد تعرض فيه للمعتزلة أصالة، وإشارة بعد ذلك بالشروحات لغيرهم من الطوائف المبتدعة من الأشاعرة والماتريدية والكلابية إلى غير ذلك.

وقفنا عند بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ بِلَا كَيْفٍ، وهنا يظهر من تبويب الإمام الآجري أنه يرى بأن الأحاديث التي سيتلوها علينا باثبات صفة الصورة لله عز وجل، وأن الله عز وجل خلق آدم على صورته لما قال (بِلَا كَيْفٍ) يكون يقصد بـ (الهاء) هنا في التبويب تعود إلى الله عز وجل؛ إذًا على صورة الله. وهذا الذي سنبينه لأن هذه المسألة مما وقع فيها الخلاف بين أهل السنة والجماعة، وفيه خلاف أيضًا مع المعطلة في ذلك أو المعتزلة، فهناك خلاف أصالة بين المعطلة في هذا الباب، وهناك خلاف أيضًا زل فيه بعض أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، أو أخطأ فيها – إن صح القول – كالإمام ابن خزيمة عليه رحمة الله تعالى ومن وافقه في هذا القول في رد حديث – كما سيأتي معنا – [إِنَّ اللَّهَ خلقَ آدمَ على صورةِ الرَّحمنِ] ، والخلاف كله كما سيأتي معنا في الأحاديث على (الهاء) التي في الحديث تعود إلى من لما قال النبي ﷺ [إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ] (الهاء) في (صورتِه) كما سيأتي معنا والضمير عائد على من؟ عائد على الله؟ أم عائد على آدم؟ أم عائد على المضروب؟ هذه مما اختلفوا فيها على أقوال سنبين إن شاء الله التفصيل في الأقوال والرد فيها، لكن نقرأ أولًا. لكنه أولا طبعًا هو باب عظيم لأن عندنا عند أهل السنة والجماعة الله عز وجل له صفة الصورة كما سيأتي معنا في اثباته؛ سواء من هذا الحديث أو حتى من أحاديث أخرى فيها اثبات الصورة لله عز وجل.

53- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ بِلَا كَيْفٍ

721- حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ هَارُونُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: نا ابْنُ أَبِي عُمَرَ يَعْنِي مُحَمَّدًا الْعَدَنِيَّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ, عَنْ أَبِي الزِّنَادِ, عَنِ الْأَعْرَجِ, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»

722- وَأَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْهَيْثَمِ النَّاقِدُ قَالَ: نا أَبُو مَعْمَرٍ الْقَطِيعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ, عَنْ أَبِي الزِّنَادِ, عَنِ الْأَعْرَجِ, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ, فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»

723- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونٍ الْخَيَّاطُ الْمَكِّيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ, عَنْ أَبِي الزِّنَادِ, عَنِ الْأَعْرَجِ, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ, عَنْ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنُ عَجْلَانَ , عَنْ سَعِيدٍ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو الزِّنَادِ فِي حَدِيثِهِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ضَرَبْتُمْ فَاجْتَنِبُوا الْوَجْهَ , فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»

وَقَالَ ابْنُ عَجْلَانَ: عَنْ سَعِيدٍ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "لَا تَقُلْ: قَبَّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ , وَلَا وَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ , فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ "

724 - وَحَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَيْضًا قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى أَبُو مُوسَى قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ , عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ , عَنْ سَعِيدٍ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ , عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ , فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»

725 - وَأَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ الْبُخَارِيُّ قَالَ: نا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: نا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ , عَنِ الْأَعْمَشِ , عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ , عَنْ عَطَاءٍ , عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ , فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ»

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ مِنَ السُّنَنِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْإِيمَانُ بِهَا , وَلَا يُقَالُ فِيهَا: كَيْفَ؟ وَلِمَ؟ بَلْ تُسْتَقْبَلُ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّصْدِيقِ , وَتَرْكِ النَّظَرِ , كَمَا قَالَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ

726 - حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ كُرْدِيٍّ قَالَ: نا أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَرُدُّهَا الْجَهْمِيَّةُ فِي الصِّفَاتِ وَالْإِسْرَاءِ وَالرُّؤْيَةِ وَقِصَّةِ الْعَرْشِ؟ فَصَحَّحَهَا وَقَالَ: «قَدْ تَلَقَّاهَا الْعُلَمَاءُ بِالْقَبُولِ , تُسَلَّمُ الْأَخْبَارُ كَمَا جَاءَتْ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ: وَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُثْمَانُ ابْنَا أَبِي شَيْبَةَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ يَسْتَأْذِنَانِهِ أَنْ يُحَدِّثَا بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَرُدُّهَا الْجَهْمِيَّةُ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: حَدِّثُوا بِهَا , قَدْ تَلَقَّاهَا الْعُلَمَاءُ بِالْقَبُولِ , وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: تُسَلَّمُ الْأَخْبَارُ كَمَا جَاءَتْ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ , فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قِيلَ فِيهِ , ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: نُؤْمِنُ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ الَّتِي جَاءَتْ ,

كَمَا جَاءَتْ , وَنُؤْمِنُ بِهَا إِيمَانًا , وَلَا نَقُولُ: كَيْفَ؟ وَلَكِنْ نَنْتَهِي فِي ذَلِكَ إِلَى حَيْثُ انْتُهِيَ لَنَا , فَنَقُولُ مِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ كَمَا جَاءَتْ

هذه الأحاديث التي ذكرها الإمام الآجري في هذا الباب بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ بِلَا كَيْفٍ)، ذكر عدة أحاديث؛ (لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ , فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)، و (إِذَا ضَرَبْتُمْ فَاجْتَنِبُوا الْوَجْهَ, فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) و (لَا تَقُلْ: قَبَّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ, وَلَا وَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ, فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) و (لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ , فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ).

هذا الباب فيه عدة أحاديث، نهي أولًا النبي ﷺ على أن يُضرَب الوجه، ثم بيَّن العلة؛ قال: **(فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)** في أكثر من رواية، وجاءت أحاديث أخرى **[إِنَّ اللَّهَ خلقَ آدمَ على صورةِ الرَّحمنِ]** . فمبدئيًا هذا الباب مما حدث فيه خلاف بين أهل السنة وبين المعطلة، وبين أفراد من أهل السنة في مسألة اثبات هل هذه الأحاديث المسألة كلها عائدة على الضمير الذي جاء في **(خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)** (الهاء) في الضمير **(عَلَى صُورَتِهِ)** يعود لمن؟ على أقوال ثلاثة:

القول الأول: هو قول أهل السنة والجماعة على أن الضمير عائد في **(عَلَى صُورَتِهِ)** على الله عز وجل، وفي هذا الحديث اثبات صفة الصورة لله عز وجل. وصفة الصورة لله عز وجل تُثبَت سواء من هذا الحديث الذي جاء تصريحًا من الأحاديث لأنه قال **(عَلَى صُورَتِهِ)** ثم جاء حديث آخر **(على صورةِ الرَّحمنِ)** ، وصورة الرحمن قالوا نص في المسألة؛ إضافة "الصورة" إلى الرحمن، فدل ذلك على أن المقصود هنا بالصورة اضافتها إلى الله عز وجل إذًا على صورة الله عز وجل. فكأن المقصود من الحديث بأن نهى النبي ﷺ عن ضرب الوجه لأنه أولًا فيه نهي عن ضرب الوجه ثم بيَّن بأن آدم خُلِق على صورة الرحمن.

كيف خُلق على صورة الرحمن؟ أي أن الله عز وجل له صورة، وآدم له صورة، وخُلق آدم وبنو آدم بعد ذلك على صورة الرحمن، وعلى التأصيل عند أهل السنة والجماعة باثبات أي صفة فيها تشارك بين الخالق وبين المخلوق كالسمع والبصر واليد مثلًا والكلام بتُثبَت بما يليق بجلال الله عز وجل، فنقول صورة الرحمن؛ الله يسمع ويتكلم ويبصر هذه صورة، فخلق آدم على صورة الرحمن من حيث أنه يسمع ويتكلم ويبصر. إذًا ليست المسألة فيها تشبيهًا، وليست فيها حلولًا أو اتحادًا أو غير ذلك، بل المسألة كلها بأن لله صورة، والله عز وجل تشريفًا

وتكريمًا خلق آدم على صورة الله عز وجل، فاثبات الصورة أولًا للرحمن، وأن آدم خُلق على صورة لكن بكيفية. لذلك قال الإمام: **(خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ بِلَا كَيْفٍ)**، هذا الإيمان؛ أي نؤمن بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن بلا كيف أي لا نكيف هذه الصورة لكن سنثبتها، كما أننا لا نكيف الاستواء ولا الغضب ولا اليد ولا القدم ولا الساق فأيضًا لن نكيف الصورة.

من حيث الأصل اثبات صفة الصورة لله ثابتة من غير هذه الأحاديث، نقول أولًا هي صفة ذاتية خبرية ثابتة لله عز وجل، وثابتة من غير هذه الأحاديث؛ ثابتة من حديث أبي سعيد الخدري في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة لما قال **فيأتيهم الجبار في صورته** التي رأوه فيها؛ هم أول ما دخلوا على الصراط تمثَّل كل من كان يعبد شيئًا فأنزل الله جن يتمثل بالقمر والشمس وغير ذلك فيُكوَّر وينزل، ثم هنا رأى المؤمنون الله عز وجل في صورته، ثم جاءهم بعد ذلك – في الحديث الطويل الذي معنا الآن – فيأتيهم الجبار في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم، فيقولون أنت لست بربنا، قال هل بينكم وبينه علامة؟ قالوا نعم ثم يأتيهم في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيكشف عن ساق فيخرون سجدًا.

إذًا هنا الحديث فيه **أولًا اثبات صفة الصورة لله عز وجل**، بل فيه أنه يأتيهم بصورة على غير الصورة – تحويلًا – وكل هذا يليق بما يليق بجلال الله، لأنه اتأهم رأوه أولًا على الصراط بصورته التي عرفوها، ثم جاءهم في غير الصورة فقالوا أنت لست بربنا، فقال هل بينكم وبينه علامة؟ قالوا نعم، قال ثم يأتيهم في صورته التي يعرفونها فيكشف عن ساق فيخرون سجدًا. إذًا جاء بصورة سبحانه وتعالى، أولًا فيه اثبات الصورة له، ثم أيضًا جاء بصورة غير الذي يعرفونها ففيه التحويل ولا إشكال في ذلك، وكله بما يليق به سبحانه وتعالى، فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا كما جاء عند البخاري ومسلم. هذا الأول في اثبات الصورة قبل أن ندخل في أحاديث الباب نثبت أن الصفة ثابتة.

ثم يأتي أيضًا حديث النبي ﷺ في الرؤية المنامية عند أحمد والترمذي عن معاذ وغيره من الصحابة لما قال: [**رأيتُ ربِّي في أحسَنِ صورةٍ ، فقال لي: يا محمَّدُ، فيمَ يختَصِمُ الملأُ الأعلى؟**] الحديث المشهور بذلك ثم قال شعرت ببرد أنامله، وفي رواية شعرت ببرد أصابعه بين كتفي أو بين ثديي إلى آخر هذا الحديث. قلنا فيه أيضًا اثبات أحسن صورة بل فيه أن الصور تتفاضل، وأنه فيه دلالة على التحويل أيضًا لله عز وجل، لكن فيه اثبات الصورة لله عز وجل.

إذًا أولًا الصورة لله عز وجل ثبتت كما جاء من حديث أبي سعيد في البخاري ومسلم، وحديث معاذ في السنن وعند الإمام أحمد والترمذي.

ثم هنا الباب الذي معنا هذا الذي اختلفوا فيه؛ أهل السنة يثبتون الصورة، وطبعًا المعطلة والمعتزلة ينفون ذلك، فجاءوا في هذه الأحاديث التي فيها الروايات كلها (عَلَى صُورَتِهِ)، ثم رواية واحدة فقط من حديث (جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ , عَنِ الْأَعْمَشِ , عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ , عَنْ عَطَاءٍ , عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ , فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ»). والذي اللي قال بهذا الحديث هو ابن خزيمة ، فابن خزيمة طبعًا هو الذي قال الإشكال هنا في القول الثاني، والألباني الذي تقولوا عنه التساهل ضعَّف الحديث لكن الحديث مصححه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، واسحاق بن راهويه، وجُل أهل السنة والجماعة، لكن الإمام الألباني سار على كلام ابن خزيمة وزاد عنه علة فوق الثلاث.

ولو كان هو من المتساهلين في تحسين الأحاديث أو التصحيح فلن يكون في التضعيف يضيق، كيف يضعف حديث لو كان هو متساهل في التصحيح! إذًا في التضعيف لن يضعف بسهولة. فهو عندما يخالف الجهابذة ويُضعف إذًا المسألة عنده علم. فلو كان من مبدأه أنه متساهل في التصحيح لكان يصحح هذا لأنه مصححه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين واسحاق بن راهويه، لكن هو سار على كلام ابن خزيمة، وهو في تحقيق الشيخ للحديث أنه قال لست مقلدًا في هذه وهذا الذي يترائى لي، فأثبت العلل وهو زاد علة. والكلام مردود عليه حقيقة لأن الحق الحديث ثابت، وهذا الذي قاله هنا الإمام الآجري قال: (هَذِهِ مِنَ السُّنَنِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْإِيمَانُ بِهَا , وَلَا يُقَالُ فِيهَا: كَيْفَ؟ وَلِمَ؟ بَلْ تُسْتَقْبَلُ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّصْدِيقِ, وَتَرْكِ النَّظَرِ). فحتى الإمام الآجري على تبويب الباب لما قال: (عَلَى صُورَتِهِ بِلَا كَيْفٍ) إذًا يرى على صورة الرحمن، فهو يعمل بالحديث، وسنبين ذلك، حتى أنه قال أن الإمام أحمد سُئل عن الأحاديث هذه التي تردها الجهمية ومنها هذا الحديث فقال تلقاها أهل العلم بالقول.

لكن سنثبت أن هناك خلاف، والخلاف هنا في هذا الباب على مسألة هل الضمير في هذه الأحاديث في (عَلَى صُورَتِهِ) يعود إلى الله عز وجل؟ هذا قول. والقول الثاني يعود على آدم عليه السلام، والقول الثالث يعود على المضروب (لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ , فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) بعضهم قال (صورته) الأولى على صورة الرحمن، والقول الثاني على صورة آدم (خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) حتى أنه توجد رواية أخرى طوله سبعون ذراعًا. والقول الثالث قالوا أن الله خلق آدم على صورة المضروب.

♦ **وهذا القول سنبدأ به؛ أن الضمير يعود على المضروب:**

فقالوا هنا إذًا (الهاء) ليس لكم فيها دليل على الصورة. أنا قد بينت تأصيل أن الصورة لله ثابتة في أحاديث أخرى، لكن المبتدعة الجهمية والمعتزلة ردوا هذا وقالوا لا نثبت الصورة – طبعًا على أصولهم – وقالوا هنا في الحديث (الهاء) ليست عائدة على الله، بل عائدة على المضروب، قالوا ما عندكم؟ قالوا السياق يقول بأن النبي ﷺ نهى عن تقبيح الوجه أو على ضرب الوجه قال: (**فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**) أي خلق آدم على صورة المضروب؛ فلو عمرو هو المضروب وزيد الذي يضرب، فعمرو الذي سيُضرب لو ضربته على الوجه فكأنك ضربت على هيئة صورة آدم الذي قد خُلِق عليها، ففيها انتقاص من آدم عليه السلام وغير ذلك. قالوا إذًا الضمير هنا عائد على المضروب وليس لكم في الحديث اثبات شيء أن الصورة لله عز وجل أو غير ذلك، والسياق يقول بأن الله خلق آدم على صورة المضروب لذلك نهى الشرع عن أن تقبح الوجه وتجتنب ذلك وزجر النبي ﷺ لذلك قال في رواية: (**لَا تَقُلْ: قَبَّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ , وَلَا وَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ , فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**) فقالوا هنا السياق يقول بأن المقصود أن الضمير هنا يعود على المضروب، فأنت إذا أردت أن تقبح فلا تقبح الوجه ولا تضرب الوجه لأن الله عز وجل خلق آدم على صورة هذا المضروب فكأنك أنت تعديت على آدم عليه السلام أو على الله عز وجل.

وهذا الكلام طبعًا أصالة كلام الجهمية والمعطلة، والذين جعلهم يقولون ذلك أنهم أرادوا ألا يشبهوا، ونفوا أن يكون الضمير عائد على الله عز وجل أنهم قالوا هذا تشبيه؛ وأنه كيف يكون صورة الله كصورة الآدمي ويكون هذا تشبيهًا، فأرادوا أن يفروا من ذلك فجعلوا الضمير يعود على المضروب، وقالوا الذي معنا يبين ذلك.

وهذا القول طبعًا لم يرتضه أهل السنة والجماعة، وأنه حتى الإمام أحمد لما سُئل قال إن الله خلق آدم على صورته، قال وكيف كان آدم قبل خلقه؟ وإن كان هذا الكلام سيفيدنا في القول الثاني أيضًا. فقالوا أن السياق لا يدل على ذلك وأن الضمير لا يمكن أن يكون عائد على المضروب، وأن هذا من كلام المبتدعة في عدم اثبات صفة الصورة لله عز وجل، حتى أن الإمام أحمد لما سُئل قال سألت أبي على قول من يقول من الجهمية أو على صورة الرجل، قال: كَذِب؛ أي لما سئل الإمام أحمد على من يقول بأن الضمير يعود على صورة الرجل المضروب، قال: كَذِب هذا قول الجهمية، فأي فائدة في هذا؟ أي ما الفائدة أنك يأتيك النهي على ألا تقبح الوجه فإن آدم خُلق على صورة المضروب! وقالوا والزيادة– لأن هناك زيادة

أخرى قالوا "أن الله خلق آدم على صورته سبعون ذراعًا" – طيب كيف يكون المضروب؟! إذًا لا يمكن أن يكون المقصود هنا المضروب.

فنقول هنا لا شك أن هذا رد للحديث أو تاويل ليس له حتى قرينة، لو قلنا ذلك، وهذا القول كما قلنا هو القول الأول، وتُعقِّب بكثير؛ أولًا من التعقب الذي تعقبه شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا قالوا الأصل من الذي خُلِق أولًا؟ آدم. فأنت أردت أن تقول أن الله خلق آدم على صورته، وهم يقولون أن الله خلق آدم على صورة المضروب، فلا تشبه المخلوق أولًا بالمخلوق متأخرًا! فلا تقول أن آدم هو الذي خُلِق على صورة المضروب – على عمرو – بل عمرو هو الذي خُلق على صورة آدم عليه السلام. إذًا هذا الكلام لا يستقيم، ولا يصح ذلك أصالة. ولأن ذرية آدم هم الذين خُلقوا على صورة آدم، وليس آدم هو الذي خُلق على صورة ذريته! إذًا هذا الخطاب ما يقال للمتأخر بأن الأول خُلق على صورته، فهذا لا نقبله.

فهذا القول الأول وقلنا أن هذا قول الجهمية، وهذا مردود بما بيناه.

- **<u>القول الثاني: قالوا بأن الضمير يعود على آدم</u>:**

(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) أي على صورة آدم.

هو أين الإشكال؟ لذلك الإمام أحمد لما سُئل قال وأي صورة كانت لآدم قبل خلقه؟ أي كيف أن الله خلق آدم على صورته! فهذا تكرار ما يفيد، قال: وأي صورة كانت لآدم قبل خلقه؟ بعضهم قال أن الله صور آدم أولًا على صورته، ثم خلقه! وهذا كلام باطل. وبعضهم قال هنا أيضًا وأي كانت صورة آدم خلقه كما قال الإمام أحمد؟ فهذا الكلام لا يستقيم أن خلق الله صورة آدم على صورته على صورة آدم! طيب ما الذي استُفيد من ذكر هذا الكلام! ما الفائدة في ذلك أن يقول أن الله خلق آدم على صورته! طيب هي على صورته إذًا على صورته، لذلك قال الإمام أحمد وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه؟!

إذًا هنا الكلام قالوا أيضًا لا يستقيم، وما علاقة الوجه بخلق آدم على صورته؟ أي ما علاقة النهي عن تقبيح الوجه – كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية – أن الله خلق آدم على صورته! فلو كان المنع بأن المسألة من صورة آدم إذًا المنع من ضرب كل شيء ليس الوجه فقط، أي ليس تقبيح الوجه فقط بل سائر الجسد وسائر الأجسام كلها مثل آدم، إذًا المسألة ليست في الوجه، ما الداعي أن يقال في الوجه فقط!

لكن هو الحقيقة الذين قالوا بذلك على قسمين؛ قسم لأنهم ضعفوا حديث (على صورةِ الرَّحمنِ)؛

- **وهذا القول الثالث** – وهو قول أهل السنة والجماعة – لما ضعفوا حديث (على صورةِ الرَّحمنِ) فأولوا الحديث على غير ذلك، ليس على الرحمن، فقالوا خلق آدم على صورة آدم، وهذا الذي وقع فيه الإمام ابن خزيمة، وطبعًا هو إمام أهل السنة والجماعة، وفي هذا الباب هو سيد وهو إمام للمسلمين وله كتاب عظيم (كتاب التوحيد لابن خزيمة) في باب الأسماء والصفات، لكنه ضعَّف هذا الحديث بعلل؛ حديث [صورةِ الرَّحمنِ] فلما ضعف حديث (صورةِ الرَّحمنِ) رجع للأحاديث الأخرى فصرف (الهاء) في الضمير إلى أن تكون إلى آدم، وليست إلى الله.

ومع ذلك لا يُقبَل، فأنت حتى لو ضعفت حديث (صورةِ الرَّحمنِ) فلماذا تخرج الحديث عن ظاهره ويكون الضمير يعود لآدم! لذلك أهل العلم ردوا ذلك واعتبروا أن هذه من الزلات التي وقع فيها ابن خزيمة تغفر له إن شاء الله في بحر حسناته.

لكن هو لما ضعَّف الحديث سنعرج تعريجًا حديثيًا قليلًا حتى نبين أنه ضعَّف الحديث من ثلاثة علل؛ وهو حديث قال: (إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: نا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ, عَنِ الْأَعْمَشِ, عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ, عَنْ عَطَاءٍ)، ابن خزيمة ضعَّف من ثلاثة علل:

العلة الأولى: قال الأعمش مدلس وقد عنعن؛

والعلة الثانية: قال أن هذا الحديث له روايتان الرواية هذه ورواية أخرى عن سفيان، وسفيان لم يصل الحديث إلى ابن عمر بل أرسله، فعندنا رواية مرسلة من سفيان ورواية موصولة من الأعمش، مقارن، والأعمش وصل لابن عمر، فأعلوا رواية سفيان المرسلة برواية الأعمش الموصولة، قالوا هذا تعليل؛ لأن سفيان شأنه عظيم كأنهم قدموا سفيان على الأعمش، فقالوا سفيان الثوري أرسل والأعمش وصل فكان لعلة، إذًا علة ثانية؛

والعلة الثالثة: قالوا حبيب بن أبي ثابت مدلس وقد عنعن عن عطاء، والمدلس إذا عنعن لا يُقبل عنعته إلا إذا صرح بالتحديث يقولون "حدثنا" أو "سمعت"، لأنه مدلس، فالمدلس ماذا بيفعل عندما يعنعن؟ وهذه مسألة مهمة ستفيدنا في الرد؛ أن المدلس يريد أن يختصر الاسناد يعلو به؛ أي لا يريد أن يُطوِّل الاسناد فيأتي يختصر بعض الشيوخ الذين هم من طبقته أو قريبين منه فيعنعن، لأنه لو صرَّح بالتحديث فسيكون كذب، فلما يقول مثلًا "حبيب بن أبي ثابت عن عطاء" هو لما قال (عن) لم يقل أنه (حدثني عطاء) فمعنى ذلك أنه يحتمل أن يكون

عن واحد، والواحد هذا هو الذي عطاء حدَّثه، فهو لا يقول (حدثنا) لكن يقول بالعنعنة ليقلل من الاسناد، لكنه هو متأكد عنده بأن هذا حدثه عن عطاء لكن نحن لا نعلم، فيسمى هذا تدليس. والعلة في التدليس عند هؤلاء أنه يريد أن يعلو بالاسناد؛ يجعل الاسناد عالي عنده، وانتبه لأن هذه مهمة. فهنا قالوا (حبيب بن أبي ثابت عن عطاء) وهو مدلس.

إذًا أصبح ثلاث علل عند ابن خزيمة. والشيخ الألباني – رحمة الله عليه – زاد؛ فهو قال بهذه العلل الثلاث ثم قال: و(**جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ**) الأول – الذي هو في أول الاسناد قبل الأعمش – قال اختلط بآخره وفيه سوء حفظ في آخر عمره فقالوا قد يكون الحديث هذا من سوء الحفظ فيُضعَّف لذلك.

وأهل العلم الحقيقة ردوا على هذا الكلام؛ أولًا قالوا أن ارسال سفيان لا يعلل وَصْل الأعمش؛ أي لا يكون علة لما وصله الأعمش، فالأعمش أيضًا من أساطين أهل الحديث عالِم، فسفيان الثوري لا يقدح في وصل الأعمش؛ فنعم هو سفيان الثوري وقف عند الحديث ولم ينسبه لابن عمر، والأعمش زاد ووصله لابن عمر وهو معه وهو ثقة والثاني ثقة. نحن نتكلم الآن في علة الارسال؛ قالوا هذه علة، ونقول هذه ليست بعلة، فسفيان على قدر وهو أمير المؤمنين في الحديث، والأعمش كذلك، لكن ليس ارسال سفيان قدح في وصل الأعمش في شيء؛ فهو وقف عند الحديث في الارسال والثاني أوصل الحديث فهذا لا يضعفه، وهذا رد على من قالوا بأن هذه علة للتضعيف، قالوا ليس فيها تضعيف، فهو وقف عند ابن عمر وما نسب لابن عمر وقف عند ذلك. فهذه العلة الأولى.

ثم قالوا أيضًا الأعمش قالوا وسفيان أيضًا بيدلس فأنتم لماذا رجعتم إلى الأعمش في تدليسه ولم ترجعوا إلى سفيان في تدليسه وأخذتم برواية سفيان أصالة فيها؟!

ثم قالوا حبيب بن أبي ثابت مدلس وقد قال عن عطاء؛ وهذه فيها لفتة جميلة في أهل الحديث؛ أن حبيب بن أبي ثابت تابعي، وعطاء تابعي، فقالوا حبيب بن أبي ثابت عنعن عن عطاء، وعنعنة حبيب بن أبي ثابت عن عطاء تقوي عندنا مع أنه مدلس لكن تقوي عندنا بأن السند محمول على الاتصال، لماذا؟ قالوا هو المدلس لماذا يعنعن؟ حتى يعلو بالاسناد، صحيح؟ طيب.. حبيب بن أبي ثابت عنعن عن عطاء وعطاء من طبقة حبيب بن أبي ثابت، فلو كان يريد حبيب بن أبي ثابت أن يعلو بالاسناد لذكر عن ابن عمر مباشرة وما قال "عن عطاء"، وهذا يناسبه لو كان مدلسًا يريد أن يدلس في هذا السند، لكنه لما ذكر عطاء وهو من طبقته

دل ذلك على أن هنا ينتفي التدليس، وقرينة أقول، هي قرينة عند بعض أهل العلم لما يكون من طبقة واحدة ويذكره بالعنعنة إذًا هنا يقوي ألا يكون فيه تدليس، أقول يقوي.

وهذا رد العلماء، ليس ردي أنا، هذا رد العلماء في هذا الكلام على ثلاثة علل لابن خزيمة. ثم لما زاد الإمام الألباني في مسألة "جرير بن عبد الحميد" قلنا نعم جرير بن عبد الحميد ساء حفظه في آخر عمره واختلط، لكن أنت ليس عندك اثبات على أن هذا الحديث ممن تكلم به في آخر عمره، إذًا الأصل أنه ثقه، ويُحمل على ما تكلم به قبل اختلاطه، فكثير من الرواة اختلطوا في آخر عمرهم ولم يرد حديثهم بالكلية إلا إذا عُلِم أن هذا مما رواه في الآخر أو ممن شُك فيه. فنقول أن هذه ليست علة حقيقة لأن هو ثقة ويُقبل حديثه.

أنا أقول هذا رد مجمل لأن طبعًا أنا بختصر في مسألة المصطلح لعدم التوسع فيها.

لكن نقول أنه لما ذُكرت هذه الأحاديث على الإمام أحمد، قال الإمام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين وهؤلاء الثلاثة من أساطين أهل العلم أثبتوا أو قالوا العمل بالقبول على هذا الحديث.

فالصحيح الراجح نقول هو القول الثالث في المسألة أن (الهاء) في (عَلَى صُورَتِهِ) عائدة هنا على الرحمن في أن الله عز وجل خلق آدم على صورة الرحمن واثبات للحديث الذي ذكره: (**لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ , فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ**)، ولذلك حتى لما قال أبو بكر وعثمان بن أبي شيبة الأخوان أرسلوا للإمام أحمد يسألون عن هذه الأحاديث هل يروياها أم لا والتي فيها طبعًا رد على المعطلة والجهمية فيستأذنانه فقال: (**حَدِّثُوا بِهَا، قَدْ تَلَقَّاهَا الْعُلَمَاءُ بِالْقَبُولِ، وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: تُسَلَّمُ الْأَخْبَارُ كَمَا جَاءَتْ**) ، أي إمرارها كما جاءت بالمعنى المتبادر للذهن.

فنقول هنا الضمير يعود على الله عز وجل، وأن الله عز وجل خلق آدم على صورة الرحمن، ونقول أن هذا ثابت عند جمهور أهل السنة والجماعة، وأن الخبر هنا ثابت أيضًا عن النبي ﷺ، وهنا فيها اثبات صفة الصورة كما قلنا وهو الذي ثبت من قبل في الأحاديث.

هذا ملخص ما في هذه المسألة (**بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**).

ندخل في الذي يليه (بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ قُلُوبَ الْخَلَائِقِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ بِلَا كَيْفٍ)، وهذا الباب فيه عدة روايات أيضًا؛؛

54 بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ قُلُوبَ الْخَلَائِقِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ بِلَا كَيْفٍ

727- حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِئُ, حَدَّثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هَانِئٍ الْخَوْلَانِيُّ, أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيَّ, أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَزَّ, كَقَلْبٍ وَاحِدٍ, يَصْرِفُ كَيْفَ شَاءَ», ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قَلْبِي لِطَاعَتِكَ»

728- حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ إِدْرِيسَ الْقَزْوِينِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدَكَ الْقَزْوِينِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِئُ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ مِثْلَهُ إِلَى آخِرِهِ

729- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ الطُّوسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَاجِبُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ, عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ, عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ, عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ: مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» قُلْتُ: أَتَخْشَى عَلَيْنَا؟ فَقَالَ: «إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ, مَا شَاءَ أَزَاغَ, وَمَا شَاءَ أَقَامَ»

730- وَحَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: نا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ, قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَصْبَهَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَالِمًا الْخَيَّاطَ, يَقُولُ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ مَا لَا أُحْصِيهِ يَذْكُرُ عَنْ أُمِّهِ قَالَتْ: سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ, إِذَا شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ, وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ»

731- أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ زُنْبُورٍ الْمَكِّيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ, عَنِ الْأَعْمَشِ, عَنْ أَبِي سُفْيَانَ, عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ , ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» , فَيُقَالُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَخْشَى عَلَيْنَا وَقَدْ آمَنَّا بِكَ , وَآمَنَّا بِمَا جِئْتَ بِهِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ قُلُوبَ الْخَلَائِقِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ , إِنْ شَاءَ هَكَذَا , وَإِنْ شَاءَ هَكَذَا»

732 - وَحَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ ذَرِيحٍ الْعُكْبَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ جَنَّادٍ الْجُهَنِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُيَيْنَةَ , عَنِ الْأَعْمَشِ , عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ , عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» , فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: تَخَافُ عَلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ أَجَبْنَاكَ , وَصَدَّقْنَاكَ فِيمَا جِئْتَ بِهِ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَلِّبُهَا»

733 - حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْحَضْرَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ , عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ , عَنْ أُمِّ مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيَّةِ , عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» , قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَتَخَافُ؟ قَالَ: «وَمَا يُؤَمِّنُنِي , وَإِنَّمَا قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ , إِذَا شَاءَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَّبَهُ»

734 - وَحَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْمُؤَمَّلُ بْنُ الْفَضْلِ , وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَصْبَهَانِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ يَقُولُ: حَدَّثَنِي بُسْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيُّ , أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ , إِذَا شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ , وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ» قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»

735 - وَحَدَّثَنَا الصَّنْدَلِيُّ جَعْفَرٌ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: سَمِعْتُ بِشْرَ بْنَ الْحَارِثِ يَقُولُ: أَمَا سَمِعْتَ مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» ؟ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَلْبُ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» ثُمَّ قَالَ بِشْرٌ: هَؤُلَاءِ الْجَهْمِيَّةُ يَتَعَاظَمُونَ هَذَا

قبل الدخول الحقيقة في هذا الباب فاتني أن أقول بأن بعض أهل العلم في مسألة أن الله خلق آدم على صورته؛ بعضهم أتى بقول آخر أيضًا رابع؛ بعضهم قال بأن الإضافة هنا إلى الله عز وجل إضافة تشريف؛ **(صورةِ الرَّحمنِ)** يقصد بها إضافة تشريف وليس إضافة اثبات الصورة لله عز وجل؛ فكأن الله عز وجل خلق آدم على صورة اختارها وجعلها أحسن صورة في الوجه فلذلك لا يُقبح ولا يُضرب الوجه لأنه إضافه إلى نفسه؛ من باب التشريف والتعظيم.

والحق أن هذا فيه نظر أيضًا وإن كان بعض الفضلاء من أهل العلم قالوه، لكنه قال أن هذه الإضافة هنا ليست إضافة التشريف، لكن الإضافة هنا هي إضافة صورة لله عز وجل ولا إشكال في ذلك حتى لا يظن أحد بأن التشبيه في الصورة هنا تشبيه بالشيء نفسه، لأن النبي ﷺ قد بيَّن وقال: **[أَوَّلُ زُمرةٍ تدخُلُ الجنَّةَ مِن أُمَّتي على صورةِ القمَرِ ليلةَ البدرِ ثمَّ الَّذينَ يلونَهم على أضوأِ كوكبٍ في السَّماءِ]**، فقال: **(على صورةِ القمَرِ)** هل هم يدخلون كالقمر؟ أم في بهاء القمر وفي حُسن القمر؟ فلا يلزم من دخولهم على صورة القمر نفس القمر، بل القمر هو أكبر من أهل الجنة، وأهل الجنة يدخلونها ستون ذراعًا وعرض سبعة أذرع كما جاء في الأحاديث.

إذًا هنا المقصود بـ **[إنَّ اللَّهَ خلقَ آدمَ على صورةِ الرَّحمنِ]** هذه لا يكون فيها الكيفية، ولا يقصد بها إضافة التشريف، بل هي على إضافة الصورة لله عز وجل، ولا يلزم من إضافة الصورة هنا مثلها إذا كان المخلوقين سيدخلون الجنة بأول زمرة كصورة القمر وليس معناه بأنهم يسامون أو يكونون على هيئة القمر حقيقة.

لذلك نقول وهذه تتمة فقط لأن هذا القول البعض قاله بأن الإضافة إضافة التشريف وليست إضافة اثبات الصورة، وأيضًا لا ينفي ذلك كما قلنا بأن في حق المخلوقين بيَّن الله عز وجل والنبي ﷺ بأنهم يدخلون الجنة على صورة غيرهم، فلا يبعُد أن يكون هنا التشبيه لأن الله عز وجل خلق آدم على صورة الله كما قلنا بلا كيف؛ أي خلق بسمع وبصر وكلام على أبهى صورة وأفضل صورة كما هي صورة الخالق، و(كما) هنا أقول ليس على الكيفية ولكنها نقول كما قال في رؤية حتى المؤمنين لربهم يوم القيامة يرونه كما يرون القمر ليله البدر أن هذا ليس تشبيه المرئي بالمرئي بل تشبيه وضوح الرؤية بوضوح الرؤية، وهنا أيضًا بزوغ الصورة بأن الصورة على أكمل وجه في حق المخلوق كما أن لله عز وجل صورة كمال له سبحانه وتعالى.

هذه فقط حتى نضيف إلى الأقوال هذا القول وإن كان ليس بصائب، والصحيح هو أن الصورة صورة الرحمن.

هذا الباب العظيم جدًا الذي يليه الآن وهو **بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ قُلُوبَ الْخَلَائِقِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ بِلَا كَيْفٍ**. أيضًا سيثبت في هذه الأحاديث صفة الأصابع لله عز وجل وأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن.

قال **(بِلَا كَيْفٍ)**، أولًا سنثبت على أصل أهل السنة والجماعة بأن لله صفة الأصابع، ثم يثبت بأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، والكيفية لا نعلمها، فلا يقول أحد أن القلوب بين الإصبعين إذًا سيكون هناك مماساه، سيكون هناك حد، سيكون هناك حيز، سيأتي هذا الكلام – ليس هذا اليوم إن شاء الله الأسبوع القادم في هذه بعض المسميات– لكنه لذلك قال الإمام الآجري: **(بِلَا كَيْفٍ)**، أي أننا سنثبت بأن لله عز وجل أصابع، سنثبت بأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن بلا كيفية كقاعدة أهل السنة والجماعة في اثبات الصفات بمعلومية المعنى ومجهولية الكيف، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

لكن الحديث حقيقة به مسائل عظيمة جدًا؛ أولها بأن النبي ﷺ قال:**(إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَزَّ , كَقَلْبٍ وَاحِدٍ , يُصَرِّفُ كَيْفَ شَاءَ» , ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قَلْبِي لِطَاعَتِكَ»)** وفي رواية أخرى: **(يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)**، ثم ذُكر يا رسول الله: **(أَتَخْشَى عَلَيْنَا؟ فَقَالَ: «إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ , مَا شَاءَ أَزَاغَ , وَمَا شَاءَ أَقَامَ»)**. هذا حقيقة حديث وذكر مرعب جدًا للمرء أن يعلم بأنه لا قدرة له على قلبه، قلبك الذي بين جنبيك الآن هذا أنت لا تملكه، بل أنت لا تستطيع أن تتحكم فيه، بل أنت لا تستطيع أنك تهدي قلبك أو تزيغ قلبك، القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن أنت لا تملك شيء؛ لا من الهداية ولا من الضلالة، الله عز وجل يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فالأمر العظيم، تقلب القلوب يكون من الله عز وجل، فأنت لا تظن بأنك إن كنت على الهداية بأن هذا منك، ولا تظن أنك إن كنت على الغواية فهذا أيضًا منك، الله عز وجل لو شاء نقلك من الهداية إلى الغواية ولو شاء نقلك من الغواية إلى الهداية لفعل ذلك سبحانه وتعالى، وهو الذي يقلب القلوب، النبي ﷺ هو الذي قال ذلك؛ قال "إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف شاء"، لذلك لا يأمن المرء على نفسه من الفتنة، بل ما أمن الأنبياء على الفتنة بل ما أمن الرسل على الفتنة، ما أمن الصالحون على الفتنة، كيف وهو النبي ﷺ لما سُئلت إحدى زوجاته كيف كان أكثر ما يدعو به النبي ﷺ في يومه؟ قالت كان أكثر ما يدعو به في يومه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك.

فانظر.. أكثر دعاء النبي ﷺ في اليوم وهذا أكثر أي أكثر ما يقول به [ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ] وهو من؟ هو النبي ﷺ، صرف قلبي على طاعتك، فأنت لا تأمن على نفسك من الفتنة، والله عز وجل قد بيَّن لنا الفتن أنواع في كتاب الله عز وجل: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ} [آل عمران: 14] ، فبيَّن الله عز وجل أن الفتن أنواع، وأعظم هذه الفتن في هذه الدنيا **فتنة النساء**، قال النبي ﷺ: [فاتَّقوا الدُّنيا، واتَّقوا النِّساءَ] بعد أن أمرنا باتقاء الدنيا والدنيا يدخل فيها النساء، ثم جاء النص تصريحًا [فاتَّقوا الدُّنيا، واتَّقوا النِّساءَ] ليحذرنا من النساء. وفتنة النساء فتنة عظيمة جدًا ليست بالفتنة الهينة، بل أن نبي الله يوسف كما سُئل عنه النبي ﷺ أتسألوني عن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم جميعًا صلوات الله عز وجل وسلامه هو الذي نزل فيه قول الله عز وجل لما قال:{ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ * فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ} [يوسف: 33-34] ، وفي آية: {إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ} [يوسف: 24] ، فصرف الله عز وجل عنه كيد النساء، هو سأل الله عز وجل أن يعافيه من ذلك وأن يصرف عنه كيدهن وإلا {أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ}.

ففتنة النساء فتنة عظيمة جدًا ليست بالهينة؛ الإمام الشافعي له كلام بديع يقول: لو ائتمنتني على جبل من أحد ذهبًا لكنت أمينًا عليه، ولو ائتمنتني على إمرأة سوداء حبشية ما أكون أمينًا عليها؛ ما أملك نفسي أكون أمين عليها، فيبين لك أن أمر فتنة النساء أمر عظيم لا يمكن للمرء أن يحسن أن يأمن على نفسه، لذلك كانت فتنة بنو إسرائيل في النساء وقد علموا ذلك فأرادوا أن يفتنوا الناس والمسلمين بالنساء.

فلذلك على المرء أن يحذر من هذه الفتنة العظيمة، لذلك جاء الشرع بمنع اختلاء الرجل بالمرأة، بمنع اختلاط الرجال بالنساء، ومنع المقدمات التي قد تؤدي إلى المفاسد، وكل هذا بسبب أن النساء فتنتهم فتنة عظيمة جدًا قد بينها الكتاب وبينتها السنة.

ثم أيضًا تأتي في الآيات التي بسورة آل عمران بعد أن بيَّن الله عز وجل فتنة النساء بيَّن أيضًا أن المال فتنة، وأن **فتنة المال** فتنة عظيمة جدًا لأن المرء قد يُرزق المال ويكون فتنة له، كما قال الله عز وجل:{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ} [آل عمران: 14] ، إلى آخر الآيات. ففتنة الأموال فتنة عظيمة جدًا، قد يُفتن المرء وهو غني وقد يفتن المرء وهو فقير، وهو المقصود هنا لأن هذه الفتنة فتنة المال أنك قد

تؤتَى المال ولا تستعمله في مرضاة الله عز وجل. كم من أناس الله عز وجل رزقهم المال فصُرف المال في غير مرضاة الله عز وجل؛ صُرف في المعاصي وفي الذنوب وفي الإسراف وفي التبذير وفي أمور أخرى، فكان المال فتنة لهم أخرجتهم من الهداية إلى الضلال، وكم أيضًا من فقير الله عز وجل قدَّر عليه فكان الفقر فتنة له أيضًا فيه.

فالمال حقيقة فتنة، ولكن الفارق في هذه المسألة ويبين لك معنى الحديث أن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن، وقال النبي ﷺ يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك؛ بأن الله عز وجل قد يرزقك النساء وقد يرزقك المال لكنه يرزقك قلبًا طائعًا هاديًا إليه سبحانه وتعالى، فتعلم كيف تتعامل في النساء في مرضاة الله، وكيف تتعامل في المال في مرضاة الله.

لذلك انظر للصحابة الكرام كيف كان المال الذي عند الأغنياء من الصحابة كان في أيديهم ولم يكن في قلوبهم، لم يُجعل المال فتنة لهم في القلوب، عثمان رضي الله عنه وأرضاه أمير المؤمنين وزوج ابنتي النبي ﷺ ومن أغنياء المسلمين كيف كان يتعامل بالمال الذي جاءه لما جاءه صاحب البستان كان لجاره نخلة عنده في البستان فكان يؤذيه فيدخل كل حين يتعاهد النخلة، فجاء يشتكي للنبي ﷺ قال فعرضت عليه أن أشتري النخلة؛ عنده نخلة فقط في وسط البستان فكان يؤذيه، فقال النبي ﷺ للغلام أتعطيه النخلة ولك نخلة بالجنة؟ فقال لا، رفض، قال تبيعها له وأبايعك حتى له نخلة الجنة؟ قال إن ثمرها وما يأتيه ينفق به عليّ وعلى إخواني، فرفض أن يبيع، فلما سمع عثمان بن عفان رضي الله عنه بذلك فجاء للنبي ﷺ قال ألي مثل ما له إن فعلت ما تريده؟ قال نعم، فاشترى البستان بالكلية ثم جاء للنبي ﷺ وقد أعطاه إياه، فاشترى نخلة في الجنة بذلك. ومنها أيضًا بئر رومة لما هاجر عثمان إلى المدينة فوجد المسلمون يريدون أن يشربون الماء من اليهودي، فجاء عثمان فاشترى نصف البئر أولًا ثم وهب ذلك إلى المسلمين، فلما علم اليهودي بأن المسلمين سيشربون من هذا النصف فعلم أنه لن يستنفع منهم فباعه لعثمان، فجعله عثمان رضي الله عنه وأرضاه للمسلمين جميعًا. والأكثر من ذلك عثمان بن عفان في زمن – بعضهم قال في عام الرمادة في خلافة عمر، وبعضهم قال في زمن عثمان – بأنه جاءته قافلة من الشام، فجاء التجار يشترون من عثمان قالوا نربحك في الدرهم درهمان، قال أعطيت أكثر، قالوا نعطيك ثلاثة، قال أعطيت أكثر، قالوا نعطيك أربعة قال أعطيت أكثر، حتى قالوا سبع، قالوا ما الذي أعطاك أكثر؟ نحن تجار المدينة ما الذي أعطاك؟ قال أعطاني الله عز وجل الحسنة عشر أمثالها وسبعمائة ضعف يضاعف الله لمن يشاء، فإني أشهد الله أني جعلتها لفقراء المسلمين؛ القافلة جميعًا جاءت من

الشام كلها أعطاها لله عز وجل؛ لفقراء المسلمين. هؤلاء هذا كان تعاملهم مع المال لأنهم كانوا يجعلون المال في أيديهم ولا يجعلون المال في قلوبهم، وغير ذلك من الصحابة الكرام.

فهنا الكلام.. من الذي جعل القلوب تنفق في سبيل الله؟ من الذي يجعلك أنك تخرج الصدقة وتتصدق بها على الفقير؟ أتظن بأنك تخرجها من نفسك؟! والله ما تخرجها إلا أن الله عز وجل قد صرف قلبك على إخراج هذه الصدقة، من الذي رزقك الجود والكرم وعدم البخل بالمال فتخرج هذا المال في سبيل الله عز وجل؟ لست أنت الذي تفعل ذلك، بل لابد أن تفقه بأن الله عز وجل هو الذي صرف قلبك لهذه الطاعة، كما أن الله عز وجل هو الذي يصرف قلبك أن تقوم من الليل فتدعو الله عز وجل في السحر، أو أنك تصوم النهار في الإثنين والخميس أو غير ذلك، ما تفعل هذه الطاعات إلا أنه قد صرفها الله عز وجل لك على هذه الطاعة. وكذلك ما يمنعك الله عز وجل من فعل الخير أو يمنعك من فعل طاعة من الطاعات أو يزغ قلبك من الهداية إلى الضلالة إلا من الله عز وجل.

فالمرء لابد أن يتدبر قول النبي ﷺ كل يوم هذا الدعاء نغفل عنه كثيرًا، والله أنا متأكد ليس حانثًا أننا لا نتذكره أيامًا كثيرة، ولو تذكرناه قلناه هكذا، لكن النبي ﷺ كان يكثر منه لأنه يعلم ﷺ بأن القلوب حقًا بين إصبعين من أصابع الرحمن، لذلك لما سُئل قال: **(مَا شَاءَ أَزَاغَ, وَمَا شَاءَ أَقَامَ)**، فبيَّن بأن إقامة القلوب لله بإرادة من الله، وإن شاء الله أن يزيغ يزيغ، فالله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فالأمر ليس منك، التقوى ليست من عندك، الهداية ليست من نفسك، بل الجود والكرم والسخاء الذي أنت قد تخرجه بل تعاملك مع الناس بما فيه الكرم وفيه المشي في مصالحهم وغير ذلك، بل ما تقف فيه الآن وتجلس في مجلس من مجالس العلم هو ليس من عند نفسك، بل هو بتوفيق من الله عز وجل.

كم من قلوب الله عز وجل نقلها من الهداية إلى الضلالة! انظروا كم من الفتن حدثت في الأزمنة الأخيرة، وأناس تراهم من أهل الفضل أو الصلاح وحدث ما لهم من الإنتكاس، من الذي غيَّر هذه القلوب؟ من الذي بدلها من هذا الوضع إلى هذا الوضع؟ وكم من أناس كنت تراهم على الضلالة أو على المعصية فيريد الله عز وجل أن يكونوا من أهل الفضل، ومن أهل الصلاح. فتقليب القلوب هذا لا يأمن منه المرء، أبو بكر يقول لو أن قدمي – مع أن هذا في وقت الحساب – قدم لي في الجنة والأخرى خارج الجنة فلا أأمن مكر الله عز وجل، ما كانوا يأمنون مكر الله عز وجل. عمر رضي الله عنه وأرضاه يقول لحذيفة: **[أنشدك الله! هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم]**، كان أعلم النبي ﷺ حذيفة بأسماء المنافقين في غزوة

تبوك، فيقول أسماني لك؟ ما قال هذا عمر تنطعًا حاشاه ذلك وهو أمير المؤمنين وصاحب النبي ﷺ، لا، هو كان يخشى على نفسه أن يكون مما سيختم عليه بالنفاق مع أنه بُشِّر في أكثر من موضع، بل قال النبي ﷺ : [لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ]، بل هو الملهم في هذه الأمة، بل عمر وافق القرآن في أكثر من موضع، ومع ذلك عمر لأنهم يفقهون معنى قول النبي ﷺ :[يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ] و [اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قَلْبِي لِطَاعَتِكَ]، وقوله ﷺ :[مَا شَاءَ أَزَاغَ , وَمَا شَاءَ أَقَامَ]فهو علم بأن الأمر ليس بيده، بل هو من عند الله عز وجل. لذلك لما سُئل النبي ﷺ هنا في إحدى الروايات التي معنا قالوا للنبي ﷺ (يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَخْشَى عَلَيْنَا وَقَدْ آمَنَّا بِكَ؟) نحن الصحابة آمنا بك وتخشى علينا؟ قال: نعم (إِنَّ قُلُوبَ الْخَلَائِقِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ)، أتخشى علينا ونحن قد آمنا بك؟ أي هل ممكن أن ننتكس ونرد بعد أن آمنا بك؟ قال نعم.

إذًا المسألة هي ليست لك، ما تظن بأنك رُزقت الهداية الآن فأنك ستختم لك بالهداية هكذا! أنت لم تشتريها، أنت لم تأخذها عندك هكذا وضمنتها لنفسك! ما تركن، أنت لا تعلم القلوب كيف تتغير، وقد رأينا كيف تتغير القلوب بيوم وليلة، بل إن الله عز وجل يغير المهدي في يوم وليلة، يجعله مهديًا وهو ليس من أهل الهدى ولا أهل الصلاح كما جاءت الأحاديث بأن الله عز وجل يُصلح المهدي في يوم وليلة، فانظر.. ويكون المهدي الذي سينزل بعد ذلك. إذًا أنت لا تظن بأن القلب أنت تملك فيه شيء، أنت حقًا لا تملك فيه شيء، فهو ما سُمي قلب إلا إنه يتقلب، لكن تقلبه للهداية وعدم تقلبه للضلالة والزيغ هذا من عند الله عز وجل. لذلك أنت لابد لك ألا تأمن ذلك، بل أنك ما عليك إذا رأيت نفسك على الخير أن تثبت هذا الخير {لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: 7] ، وكيف تثبيت الخير؟ بأنك تدعو الله عز وجل أن يثبت قلبك على الطاعة، وهذا هو الدعاء، أولًا تدعوا الله بتثبيت القلب على الطاعة، بعد أن تثبت فتدعو ليزيد لك هذه النعائم {لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: 7] .

إذًا لابد لنا حقيقة أن نتدبر هذا الحديث فيه معاني عظيمة جدًا جدًا أقول، وأن المرء يحرص على أنه يكثر من هذا الدعاء ليل نهار كما قال النبي ﷺ يفعل، النبي أكثر ما يدعو كان هذا الدعاء، فلا بد للمرء أن يدعو ويحمد الله إن رأى خيرًا يشكر الله على ذلك، ولا يُعجب كما يُعجب الناس بشطاراتهم في التجارات أو غير ذلك ويظن حتى بأنه من الذكاء فالفقه يأتيه وحفظ القرآن يأتيه أن هذا من نفسه! لا ليس من نفسك شيئًا، بل هو كله من عند الله عز وجل؛ إن رأى في قلبك الصلاح والإخلاص يرزقك، وإن زغت وظننت بأن أوتيته على علم

عندك سيخسف بك الله عز وجل كما خسف بقارون وأخذ ما عنده من كنوز وجعلها في بواطن البحار. فأنت لابد أنك تعقل هذا الدعاء الذي قد يغفل عنه كثير من الناس، لكن الصحابة رضوان الله عليهم وأمهات المؤمنين (قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ: مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ. قُلْتُ: أَتَخْشَى عَلَيْنَا؟) انظر.. أم سلمة تقول: (أَتَخْشَى عَلَيْنَا؟) فقال:(إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ , مَا شَاءَ أَزَاغَ , وَمَا شَاءَ أَقَامَ)، فإذا كأن النبي ﷺ خشي على أصحابه فما بالكم بمن جاء بعد أصحابه الذين رأوا الوحي نزل عليهم وسمعوا من النبي وصاحبوا النبي ﷺ وأفضل الخلق ومع ذلك خشي النبي ﷺ على أصحابه أن يحدث منهم ذلك. فحريّ بنا أن نخشى نحن أيضًا على قلوبنا وألا نغفل عن ذكر هذا الدعاء العظيم.

الفوائد المستنبطة من الأحاديث:

طبعًا الحديث فيه فوائد عظيمة؛

1- **أولًا فيه اثبات صفة الأصابع**؛ اتركوا الآن العدد لأن هو طبعًا هنا قال (بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) نقول لا إشكال سنثبت صفة الأصابع لكن نثبت صفة الأصابع صفة مستقلة، ما المقصود بمستقلة؟ أي أن صفة الأصابع صفة لله غير صفة اليد، البعض يثبت الأصابع لازمة لليد، ونقول اليد لها صفة، والأصابع لها صفة عمومًا، والعدد هنا لا إشكال طبعًا سيأتي حديث اليهودي في الباب الذي يليه بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وعدَّد له ذلك. فنقول الحديث الذي معنا على إصبعين.

لكن نقول أولًا صفة الأصابع لله عز وجل، ونقول هي صفة ذاتية خبرية لله نثبتها كما أثبتنا صفة اليد وصفة الساق والقدم إلى غير ذلك، هذا أول شيء من الفوائد المستنبطة من هذا الحديث الذي معنا؛

2- **جواز التوسل بأفعال الله عز وجل**، من أين؟ فعل التقليب، الشاهد: (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ) هذا فعل، و(مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ) كل هذا توسل بالأفعال، وقلنا أن التوسل بالأفعال يجوز، والتوسل بالصفة: [أعوذُ بعِزَّتِك] أو [أعوذُ برضاكَ من سخطِكَ ، وبمعافاتِكَ من عقوبتِكَ] و[برحمتِك

أستغيثُ] فكل هذه توسلات. ولا يجوز دعاء الصفة، لكن التوسل بالصفة يجوز، لكن دعاء الاسم يجوز؛ تقول (يا رحمن) لكن لا تدعو بـ (يا رحمة الله) لكن تقول[ومُقَلِّبِ القُلوبِ] و[برحمتِك أستغيثُ، أَصلِحْ لي شأني كلَّه] أو في رواية "اللهم إني أسألك رحمتك"، ثم قال "لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، أصلح لي شأني كله". "لا تكلني إلى نفسي طرفة عيني" فإنك إذا كلتني إلى نفسي طرفة عيني أهلك" ثم أعقبها "أصلح لي شأني كله" فكل شأنك هو يصلحه الله عز وجل. فأنت تدعو الله عز وجل من الأذكار بأنه لا يكلك إلى نفسك طرفة عين تهلك لكنه يصلح لك شأنك كله. لذلك في الذكر الآخر [اللَّهمَّ أصلِحْ لي ديني الذي هو عِصمةُ أمري، وأصلِحْ لي دُنيايَ التي فيها معاشي، وأصلِحْ لي آخِرَتي التي فيها معادي، واجعَلِ الحَياةَ زيادةً لي في كُلِّ خَيرٍ، واجعَلِ المَوتَ راحةً لي مِن كُلِّ شَرٍّ]، فانظر.. ذكر الحياة الدنيا، وذكر الدين، وذكر الآخرة، وهذا هو كله في الرواية الأولى [أَصلِحْ لي شأني كلَّه] فيجعلك أنك تجعل الأمر كله لله عز وجل، قلبك كله متعلق بالله عز وجل. فقلنا هنا بجواز التوسل بأفعال الله عز وجل.

3- الحديث فيه رد على القدرية؛ أخرجوا لي وجه الشاهد من الأحاديث في الرد على القدرية..

(مَا شَاءَ أَزَاغَ, وَمَا شَاءَ أَقَامَ)؛ جعل المشيئة هنا لله.

هم القدرية بينفوا أي نوع من المشيئة؟ مادام قلنا "مشيئة" فلابد أن تكون كونية، أما لو قلت كلمة "الإرادة" ممكن تكون كونية أو شرعية، لكن لما تقول "مشيئة" فهي مقصود بها الكونية، فنقول هنا (مَا شَاءَ أَزَاغَ, وَمَا شَاءَ أَقَامَ) هذا كونًا خاصة أن (أَزَاغَ) في ما لا يحبه الله، فيكون كونًا لا يكون شرعًا، فهنا (مَا شَاءَ أَزَاغَ, وَمَا شَاءَ أَقَامَ) لابد أن تكون كونية.

إذًا هنا هم لا يثبتون المشيئة الكونية لله لأنهم يرون بأن العباد بتخلق أفعالهم، هم يثبتون الإرادة الشرعية بأن الله عز وجل قد أمرهم بأوامر الشرعية لذلك يقولون الأوامر نثبتها، يعظمون الشرع ويقولون متى حققنا الشرع لنا الجنة، (الثمنية). فهنا هذه مشيئة كونية (مَا شَاءَ أَزَاغَ, وَمَا شَاءَ أَقَامَ)، لماذا قلنا كونية؟ أولًا لأنها مشيئة، ثانيًا لأنها فيها ما لا يحبه الله؛ وهو الزيغ، فتكون كونًا. فهنا دلالة على أن المشيئة الكونية لله عز وجل ففيه رد على القدرية الذين ينفون المشيئة الكونية لله عز وجل، فهذا الشاهد وهو الرد أيضًا.

الضابط بأنك ترد عليه بأنه تصريحًا المشيئة لله عز وجل، فهذا في صلب اعتقاده؛ بأن الزيغ والضلالة ليست كونًا من الله عز وجل بل العبد هو الذي يشاء أن يهدي نفسه يفعل الطاعات أو يكون يستحق العذاب لما يفعل المعاصي وليس الله عز وجل عنده، هذا هو المقصود.

4- **رفق النبي ﷺ بأمته، وكيف حبه ورفقه وشفقته على الأمة**؛ لما قالت له: (**أَتَخْشَى عَلَيْنَا؟**) فنعم خشي على العباد لأنه يعلم بأن القلوب ليست مِلك لهم، وهذه تبين كيف النبي ﷺ في رفقه وشفقته ورحمته بالأمة فما ترك من خير إلا وقد بينه لهم، ما ترك من شيء يفيدهم أو يكون فيه خير إلا بينه له، وما من شيء فيه إغواء أو ضلال إلا قد حذرهم منه. ونقول هذه فائدة عظيمة جدًا من حب النبي ﷺ لأمته وكيف يخشى عليهم أن يقعوا في الضلالة، لذلك أرشدهم إلى تكرار هذا في الحديث.

5- **مناقب لأمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ**؛ بأنهم نقلن ما كان يُتلى في بيوتهن من الحكمة كما قال الله عز وجل: {وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ} [الأحزاب: 34] ، وهذه مناقب وفضل لأمهات المؤمنين، فكان الصحابة يأتون إلى نساء النبي ﷺ يسألونهم عن ما يكون من خصوصيات في بيت النبي ﷺ، وكانوا ينقلن لنا ما كان يقوله النبي ﷺ من ذكر وغير ذلك، وهذا لا شك فضل ومنقبة لأم سلمة وليس بأول مرة لها ولغيرها من نساء النبي ﷺ، حتى هو قال في الرواية الأخرى: (**أَتَخْشَى عَلَيْنَا وَقَدْ آمَنَّا بِكَ, وَآمَنَّا بِمَا جِئْتَ بِهِ؟**) أي يثبتون بأنهم قد آمنوا بالنبي ﷺ وآمنوا بما جاء به؛ أي القرآن والرسالة، ومع ذلك لا يمنع ذلك من زيغ القلوب.

نقف عند **بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ, وَالْخَلَائِقَ كُلَّهَا عَلَى إِصْبَعٍ, وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ** هذا أيضًا باب عظيم وتتمة حقيقة لذلك، لكن فيه التعرض للمخالفون من الطوائف المبتدعة في نفيهم لصفة الأصابع وردهم على هذا الحديث اليهودي إلى غير ذلك، نرجئه إن شاء الله للأسبوع القادم مع باقي الأبواب.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الستون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري، هذا الكتاب المبارك العظيم الذي هو أصل من أصول أهل السنة والجماعة، وقد حوى أبوابًا وتأصيلات وتقعيدات واثباتات لعقيدة أهل السنة والجماعة عظيمة الشأن جدًا حريّ بكل طالب علم أن ينظر في هذا الكتاب، بل يتقنه، بل يدارسه ويسمعه ويراجعه أكثر من مرة ويحرص على أن يُنشر هذا الكتاب، ويُدرَّس التي تُنقل فيه تأصيلات عقيدة أهل السنة والجماعة التي مررنا بها إلى الآن وإلى ان ينتهي الكتاب، ونسأل الله عز وجل أن يمن علينا بالاستمرار في هذا الكتاب حتى آخره لنستفيد من هذا العلم العظيم وهذه التأصيلات البديعة جدًا التي تحمل إجمالًا وتفصيلًا حقيقة لعقيدة أهل السنة والجماعة، بل أيضًا تأصيلًا للرد على الطوائف المبتدعة.

ولقد أبدع الإمام الآجري – رحمة الله عليه – وجزاه الله خيرًا على هذا الكتاب من حيث التبويب، من حيث الأدلة من الآيات والأحاديث والآثار على ما في بعضها – نقول بعضها –

فيها ضعف ولكن المجمل فيها والأصول فيها ثبتت وصحت أو حُسِّنَت عند علماء الحديث، فكان هذا السير في هذا الكتاب بهذا التبويب بأنه بدأ بأبواب يؤصل فيها أصول أهل السنة والجماعة، ثم نزل بعد ذلك على طائفة طائفة يبين عوار كل طائفة؛ التي ضلت في القدر يبين، التي ضلت كالخوارج التي ضلت في مسألة الشرع أيضًا يبين، ثم يبين أيضًا الجبرية قد بيَّن ضلالهم في مسائل الإيمان، وغيرهم وكل ما كان له ركن من أركان الدين يبين عقيدة أهل السنة والجماعة فيه ثم يبين المخالف.

وكما نحن بدأنا في الجزء الاخير يبين مسألة الأسماء والصفات، ويبين بعض الصفات الفعلية لله عز وجل؛ أولًا اثبات عقيدة أهل السنة والجماعة في ذلك، وكيف حجية الكتاب والسنة في الاثبات وأن العمل بظاهر هذه النصوص على معانيها المتبادر إلى الذهن ومعلوميتها إلى غير ذلك، كالأصابع كما هو معنا الآن، وإلى غير ذلك من الاستواء قبلها والعلو، ويبين كيف خالف هؤلاء الطوائف المبتدعة عقيدة أهل السنة والجماعة تأصيلًا. لذلك أقول هذا من أهم الكتب حقيقة في تأصيل وتقعيد عقيدة أهل السنة والجماعة.

انتهينا من **بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**، وفيه صفة الصورة كما قلنا ورجحنا بأن القول الراجح فيها أن ضمير (الهاء) عائد على الله عز وجل، فاثبات صفة الصورة لله وإن كانت هي ثابتة من غير هذا الحديث وهذا الباب، لكنه هذا معتقد أهل السنة والجماعة في اثبات الصورة لله بلا كيف ولا تشبيه. ثم بيَّن لنا **بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ قُلُوبَ الْخَلَائِقِ بَيْنَ إِصبعيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ بِلَا كَيْفٍ**، وقلنا أن هذه الأحاديث كانت من أعظم الأدعية التي سُئلت عنها أم سلمة رضي الله عنها: **(مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)** ثم قال الرواية الأخرى عن النبي ﷺ قال: **(مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ إِصبعيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ , إِذَا شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ , وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ)**. وقلنا أن هذا ذكر عظيم جدًا ومعانيه من القوة بمكان أن يعلم المرء بأن القلب الذي في صدره بين جنبيه ليس مِلكًا له، ولا يمكن أن يتحكم فيه، إن شاء الله عز وجل أقامه على الهدى والتُقى والصلاح، وإن شاء الله عز وجل أزاغه. فنقول هنا هذا التدبر بهذا الدعاء الذي نغفل عن ترديده كثيرًا خلال اليوم كان النبي ﷺ، وهو من هو، الذي غفر الله له ما تقدم وما تأخر من ذنبه لكنه كان يخشى على نفسه ويخشى على أمته، لذلك لما جاءت إحدى النساء تقول: **(أَتَخْشَى عَلَيْنَا وَقَدْ آمَنَّا بِكَ؟)** فقال نعم، ولماذا نبعد وقد قال الله عز وجل: {وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ} [الأنفال: 24] ، وهنا

الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه؛ أنت تريد أن تفعل ولا تستطيع أن تفعل، أنت تريد أن تقلع ولا تستطيع أن تقلع، لماذا؟ لأن الله يحول بين المرء وبين قلبه. فدعاء النبي ﷺ: [يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ] هذا دعاء يبين لك أنك لا تملك لنفسك من الأمر شيء، بل الأمر كله لله عز وجل، فلا بد أن تتعلق بالله وأنك تدعو الله عز وجل أن يديم هذا الخير عليك ويثبته عليك، وإلا لو أراد الله عز وجل أن يقلب هذا القلب في لحظة لقلبها سبحانه وتعالى، وقلنا سيُقلب المهدي في يوم وليلة يكون مهديًا وهو ليس من أهل الهدى فيصلحه الله عز وجل ليكون المهدي. وهو الذي رأيناه قلَّب القلوب؛ قلوب على الطاعة تنتكس – والعياذ بالله – وقلوب كانت على المعصية فيريد الله عز وجل لها الالتزام والهداية، بل قلوب على الكفر تراها على الإسلام، وقلوب – والعياذ بالله – على الإسلام تراها في الردة على الكفر، من الذي يفعل ذلك؟ هو سبحانه وتعالى. لذلك تدبُر هذا الدعاء وقول الله عز وجل:{وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ} [الأنفال: 24] ، يعلم أن المرء لا يستكين على شيء ولا يطمئن على شيء، يظل طوال حياته يدعو الله عز وجل أن يثبت قلبه؛ إن كان خيرًا فيثبته ويزيد له، وإن كان على غير ذلك فيسأل الله أن يقلب قلبه على الهداية وعلى الصلاح. وقلت أن هذا الحديث وهذا الذكر من أعظم الاذكار، وقد تكلمنا عنه الأسبوع الماضي.

وقفنا عند بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصبع وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصبع , وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصبع , وَالْخَلَائِقَ كُلَّهَا عَلَى إِصبع , وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصبع

55- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصبع وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصبع , وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصبع , وَالْخَلَائِقَ كُلَّهَا عَلَى إِصبع , وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصبع

736 – أَخْبَرَنَا أَبُو مُسْلِمٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَشِّيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدِينِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ , عَنْ مَنْصُورٍ , عَنْ إِبْرَاهِيمَ , عَنْ عُبَيْدَةَ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصبع , وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصبع , وَالْجِبَالَ عَلَى إِصبع , وَالْخَلَائِقَ كُلَّهَا عَلَى إِصبع , ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ , ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ , تَصْدِيقًا لَهُ , ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}

737 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقُ قَالَ: أَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ شَيْبَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصبع , وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصبع , وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصبع , وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصبع , وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصبع ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ قَالَ: فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ , تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ"

738 - وَحَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْبُسْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ , عَنْ سُفْيَانَ يَعْنِي الثَّوْرِيَّ قَالَ: نا مَنْصُورٌ , وَسُلَيْمَانُ يَعْنِي الْأَعْمَشَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ , عَنْ عُبَيْدَةَ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصبع , وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصبع , وَالْجِبَالَ عَلَى إِصبع , وَالشَّجَرَ عَلَى إِصبع , وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصبع ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا الْمَلِكُ» قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَقَالَ: « {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} » قَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ: زَادَ فِيهِ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ , عَنْ مَنْصُورٍ , عَنْ إِبْرَاهِيمَ , عَنْ عُبَيْدَةَ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصْدِيقًا

739- وَحَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ , عَنْ سُفْيَانَ , عَنْ مَنْصُورٍ , عَنْ إِبْرَاهِيمَ , عَنْ عُبَيْدَةَ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ قَالَ: أَرَاهُ قَالَ: يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَضَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ عَلَى إِصبع , وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصبع , وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصبع , فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَرَاهُ قَالَ مَرَّتَيْنِ قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ , ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: ٩١]

هذا الباب كما قرأنا الآن فيه ذكر الحديث الذي جاء في أكثر من رواية وقد بوَّب له الإمام الآجري بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصبع وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصبع , وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصبع , وَالْخَلَائِقَ كُلَّهَا عَلَى إِصبع , وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصبع.

أولًا من التبويب يظهر لنا صفات لله عز وجل؛ أن الله (يُمْسِكُ) وإن كان فعل فيه صفة كما سيأتي أيضًا (القبض) في الباب الذي يليه، ثم فيه اثبات صفة الإصبع والأصابع لأن تعددت الأصابع هنا، وفيه اثبات صفة الإصبع، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة كما هو مستقر عندنا؛ ما دام النص قد جاء وقد ثبت عن الله عز وجل في اثبات صفة من الصفات؛ سواء كان في الكتاب أو في السنة فأهل السنة والجماعة يثبتون ذلك.

فالحديث أنه قد جاء يهوديًا للنبي ﷺ – حبر من الأحبار – فقال: (يَا مُحَمَّدُ) .. (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى السَّمَاوَاتِ عَلَى إصبع) وفي رواية قال: (على ذي) أخذ بكفيه وقال على ذي – أي على أصبع– وعلى ذي، وعلى ذي، وعلى ذي، وعددهم، قال: (السَّمَاوَاتِ عَلَى إصبع , وَالْأَرَضِينَ عَلَى إصبع , وَالْجِبَالَ عَلَى إصبع , وَالْخَلَائِقَ كُلَّهَا عَلَى إصبع , ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ , ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ..) الذي يروي الحديث عبد الله بن مسعود (فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ , تَصْدِيقًا لَهُ)، وهذا تفسير الراوي بن مسعود، (ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}).

فالنبي ﷺ علق بعد أن أقره على ما قال لكن بيَّن أن هؤلاء مع علمهم؛ وهذا كان دأب اليهود يعلمون وينكرون بخلاف النصارى يجهلون وأهل بدع، أما هؤلاء يعلمون، لذلك قال: {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ } [الزمر: 67] مع أنه يعلم بأن الله عز وجل سبحانه وتعالى له هذه القدرة وهذا الفعل يوم القيامة ومع ذلك انتقصوا من الله عز وجل قالوا:{ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ} [المائدة: 64] ، وقالوا: {إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ } [آل عمران:181]، – تعالى الله عما يقولون– ، ونسبوا له الولد في عُزير – تعالى الله عما يقولون – ومع ذلك ما قدروا الله حق قدره، علموا قدرة الله وربوبية الله وألوهية الله لكن نسبوا إلى الله النقائص، لكن النبي ﷺ قال: {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ} [الزمر: 67] ثم زاد من قوله تعالى: { وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ} [الزمر: 67] .

فلما جاء اليهودي قال ذلك للنبي ﷺ ضحك النبي إقرارًا من النبي ﷺ على قول اليهودي بل (ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ). وما كان النبي ﷺ كثيرًا ما يضحك، كان يتبسم فقط، وقليلًا ما كان تبدو النواجز منه.

ثم في الحديث كما قال (يَهُزُّهُنَّ) دلالة على القدرة وتمام القدرة والقهر والغلبة لله عز وجل فيقول: (أَنَا الْمَلِكُ) ومن الذي يقول؟ هو الله عز وجل. لذلك أهل السنة والجماعة يثبتون في هذا الحديث هذه الصفات التي وردت عن الله عز وجل؛ صفة الإصبع، وطبعًا سيأتي القبض والبسط، واليمين إلى غير ذلك، ويثبتون الإصبع كباقي الصفات الخبرية عن الله عز وجل كما أثبتوا اليدين والعينين ، واثبتوا الساق والقدم.

وأثبتوا الأصابع في الباب الذي قبله: (قُلُوبَ الْخَلَائِقِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ). والصحيح أننا نثبت الأصابع اثباتًا غير اثبات اليد، لأن البعض يجعل اثبات الأصابع تابع لاثبات اليد ويجعلون من صفة اليد لله الأصابع، وهذا طبعًا مقتضى اللغة، لكن نقول الصحيح حقيقة أن يحتاط في ذلك ولا نقبل ذلك – أقول بعض أهل العلم – فنقول أن يحتاط بمعنى أن نثبت اليد كيد، ونثبت الأصابع أصابع، ولا نقول الأصابع ننسبها لليد. فنقول نثبت الأصابع كما جاءت الأصابع، ونثبت اليد كما جاءت، مع أن القول الأول لغة له حظ أو له قوة لكنه فيه ما يدخل علينا في إشكاليات أيضًا نحن في غنى عنها ومجال للإنكار، فلذلك نقول نثبت اليد كيد ونثبت الأصابع كأصابع، وهذه أحاديث صحيحة جاءت في السنة في اثبات صفة الإصبع لله عز وجل، كما الحديث الآخر: [يَضَعُ السَّماواتِ على أُصبَعٍ] حديث [إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ] أحاديث صحيحة في ذلك. لذلك أهل السنة والجماعة لا إشكال عندهم في اثبات الإصبع ولا ضير لأنهم عندهم القاعدة: {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: 11] ، وهم على اثبات الأصابع لله عز وجل.

أما على النقيض ستجد المبتدعة اختلفوا بينهم أيضًا في هذه المسألة؛ البعض أصالة رد الحديث وقال بضعفه – والحديث صحيح – وأنكر اثبات الأصابع ونفى صحة ذلك، والحقيقة ورد عن الخطابي هذا مع أنه من علماء الحديث، السفاريني نقل عنه بأنه أنكر اثبات الأصابع. وهناك من أوَّل الأصابع.

وما ورد العدد كعدد لكن ورد الحديث (بين إصبعين) ثم هنا ورد على (إصبع.. وإصبع.. وإصبع) وعدَّ، لكن ما نستطيع نحد بعدد، سنثبت الأصابع؛ نقول جاء مرة (بين إصبعين) وجاءت هنا في أكثر من إصبع خمس أو ما أدري كم، لكن لا نستطيع أن نقول بالعدد لأن ليس عندنا، لكن بخلاف اليد جاء في اليد أن [وَكِلتا يدي ربِّي يمينٌ] و{لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ } [ص:75] جاءت بالتثنية، وسيأتي الكلام في اليد. لكن في الإصبع سنثبت الأصابع ولا يمكننا أن نثبت العدد إن لم يأتنا نص في العدد، مثل ما أتى النص في العينين وفي اليدين.

والمخالف لأهل السنة والجماعة قلنا البعض أنكر الحديث، والبعض أوَّل الأصابع كتأويل اليد، فجعله بالقدرة والملك إلى غير ذلك، وهذا متأخري الأشعرية والماتريدية وبعض الجهمية أيضًا والمعتزلة قالوا بذلك، مع أن بعض من المتأخرين الأشعرية كالبيهقي أثبت اليد لكنه لم يثبت الأصابع أيضًا؛ بل أوَّل الأصابع. وهناك أيضًا طائفة أخرى ويسمونها هكذا: (الأصابع هذه فكرة يهودية) يقولون – وتعالى الله عما يقولون – الأصابع هذه فكره يهودية.

تعقيب من فضيلة الشيخ على تساؤل من أحد الطلبة: انتبه.. أنا قلت في الأصابع ستثبت ما أثبته الحديث، ولكن لا تحد بعدد، أي تقول جاء حديث باثبات إصبعين وجاء حديث الذي معنا الآن بخمسة أصابع؛ حديث ابن مسعود، والحديث الأول تقريبًا بإصبعين. فتقول آمنا بذلك، كما قال الشافعي: (آمنت بما جاء عن الله وعلى مراد الله، آمنت بما جاء عن رسول الله وعلى مراد رسول الله ﷺ) لكن هل تقول أن لله خمسة أصابع؟! هذا الذي نقف عنده لأن ما عندنا تحديد في الاثبات، بخلاف قلت لك أنك تقول نعم لله يدان، لله عينان، لأن جاء الحديث في ذلك.

نرجع؛؛

قلت اختلفوا في ذلك؛ فالذين قالوا "فكرة يهودية" قالوا هذا لأن اليهودي جاء للنبي ﷺ يسأله، وهؤلاء المعطلة الذين عطلوا بالكلية الصفة قالوا فكرة يهودية، طيب ما الذي فيها؟ قالوا أن النبي ﷺ ما ضحك إقرارًا وتصديقًا لليهودي، بل ضحك تعجبًا من جهل اليهودي! والله أنتم الأجهل من اليهودي، يقولون بأنها فكرة يهودية وأن هذا الذي جاء به اليهودي النبي ﷺ ما ضحك تصديقًا له بل تعجبًا من جهله! وهذا الكلام أبطل ما يكون، بل أنهم لو تدبروا ما قالوه لكفروا بهذا القول، بلازم القول، لماذا؟ مع أننا لا نكفر باللازم. وهذا الذي قاله الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" أرادوا عند هذا الحديث أن يقولوا بأن ضحك النبي لم يكن للاقرار والتصديق، لا، بل يتعجب من جهله، قالوا – **وانتبهوا** – لأن ابن مسعود لما روى قال: (تَصْدِيقًا لَهُ) لذلك أنا وقفت عندها وقلت أن هذا كان تفسير الراوي لما روى، ولا شك أن هذه من أمور العقيدة وابن مسعود له شأنه في ذلك، بل يروي أحيانًا أحاديث لها حكم الرفع في أمور غيبية، فهو الذي قال:(تَصْدِيقًا لَهُ)، بل لا يمكن أن يكون الأمر تعجبًا من النبي ﷺ من جهل اليهودي، النبي ﷺ كان إذا انتُهِكت حرمات الله يحمر وجهه ويغضب ويقول: [يا أسامةُ ! أتَشْفَعُ في حَدٍّ من حدودِ اللهِ] لما أرادوا أن يُشفِّعوا أسامة في حد المخزومية، قال: [وايمُ اللهِ لو أنَّ فاطِمةَ بنتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَت لَقَطَعتُ يَدَها] وقام فخطب. وغضب لما علم من أسامة أيضًا

على الرجل فقتله بعد أن قال لا إله إلا الله فقال: [يا أُسامةُ، أقَتَلتَه بَعدَ ما قال: لا إلَهَ إلَّا اللهُ؟!] اللهم إني أبرأ مما فعله أسامة وكان اشتد بالنبي ﷺ الغضب كان يقوم فيخطب في الناس [كأنَّه مُنذِرُ جَيشٍ، يقولُ: صَبَّحَكُم ومَسَّاكُم]، وهذا في أمر من أمور الشريعة؛ ما يخص الناس، فما بالكم بأمر يخص رب الناس! هل يُظَن أن النبي ﷺ يسمع ما يُنتقص فيه الله عز وجل وفي مجلسه من اليهودي ويضحك تعجبًا من جهله ولا ينكر ويسكت عن الإنكار! هل يمكن أن يُظَن بأن النبي ﷺ يسكت على باطل! حاشاه ذلك. النبي ﷺ أجل أن يوصف الله عز وجل بحضوره بما ليس من صفاته فبدل أن ينكر ويغضب يضحك! الرجل لما قال للنبي ﷺ: [ما شاءَ اللهُ وشئتَ] قال: [أجعلتني للهِ ندًّا؟ قلْ: ما شاءَ اللهُ وحدَه].

فهم أجهل ما يكون بهذا القول، بل النبي ﷺ ضحك من إقراره له، وبيَّن أنه مع أنهم يعلمون فـ {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ } [الزمر: 67] . لذلك هؤلاء معطلة الذين قالوا بأن هذه فكرة يهودية وقالوا بأن النبي ﷺ ما ضحك اقرارًا له.

ثم الطائفة الأخرى أيضًا من بعض الجهمية والمعتزلة، من بعد متأخري الأشعرية هؤلاء أرادوا أن يقولوا – وانظروا أنا حقيقة ما أرى له معنى غير أنه غباء، ما أقصد أكثر من ذلك وهذا تأدبًا في الكلام لأن انظر إلى كلام الأشاعرة في هذه المسألة، وطبعًا الحديث موجود فما أنكروا الحديث وما قالوا التعجب ولا التصديق ولا غير ذلك، لكن يقولون الله عز وجل خلق مخلوقات تسمى الأصابع، وحملت السماوات والأراضين والخلائق عليها! أنا ما رأيت مثل ذلك فقهًا وعلمًا وتدبرًا وعقلًا! يقولون الله عز وجل خلق مخلوقات سماها أصابع وحمل عليها الأراضين والسماوات والخلائق! وهل الله عز وجل خلق الأصابع – هذه المخلوقات – فمسكت الأراضين وهزتهن هزًا وقالت: (أَنَا الْمَلِكُ)! أي بعد أن مسكت هذه المخلوقات قامت وقالت: (أَنَا الْمَلِكُ) في يوم القيامة! وقال في روايات:{ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ} [غافر:16]! فهؤلاء المخلوقات التي يسمونها أصابع خلقها الله وحمل عليها تقول ذلك! نقول أن هذا لا يمكن أن يقوله عقل! أين ذهبت عقول الناس؟ وكيف يتلاعبون هكذا بنصوص الكتاب وبنصوص السنة التي جاءت صريحة في أن اليهودي الذي هو أعلم منكم – مع كفره – لكنه أعلم منكم أثبت ذلك وأقره النبي ﷺ، فأنتم تقولون بأن الله خلق مخلوقات تسمى أصابع تحمل السماوات والأراضين والخلائق! طيب ومن الذي يقول (أَنَا الْمَلِكُ)؟ ومن يقول: {لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ} [غافر:16]! هل يُتصور أن يكون مخلوق يقول ذلك؟! لا يمكن أن يقول ذلك.

وهذا كأنهم أرادوا أن يفروا من قولهم بالإصبع بأن فيه تشبيه فأرادوا أن يحرفوا هذا التحريف عن ظاهر المعنى الذي جاء في اللغة، وهذا لا شك من أشد البطلان؛ سواء الذين قالوا بالفكرة اليهودية، وهذا طبعًا اتهموا فيه النبي ﷺ بالسكوت عن إنكاره الباطل، وقلت أن لازم القول هذا فيه تنقيص من النبي ﷺ، وفيه كفر، أو الثاني الذين قالوا بأن الله خلق مخلوقات وسماها أصابع وعليها حمل ذلك، أو الذين قالوا كالخطابي الذين قدحوا في الحديث، والحديث ثابت وصحيح، وليس هو فقط؛ سواء الحديث الأول [إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ] والحديث الآخر، فكلها أحاديث صحيحة ثبتت عن اثبات صفة الأصابع لله عز وجل.

أما أهل السنة والجماعة فهم الذين قدروا الله حق قدره، هم الذين أثبتوا لله عز وجل ونزهوه عن النقائص، وأثبتوا له الكمالات، فأثبتوا له ما أثبته لنفسه، ولم يبدلوا ولم يحرفوا ولم يعطلوا النصوص التي جاءت في ذلك.

بل هؤلاء تنطعوا تنطعًا عجيبًا في ذلك، والبعض يقول أيضًا وهذا قد بيناه في [إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ] على أنهم يقولون عن النعمتين بعضهم يقولون بالقدرة والملك، ويقولون بالنعمة أيضًا صفة الأصابع، لكنه حقًا ممكن يُلحَق ببعض بصفة الأصابع لأن هنا قال: {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ} [الزمر: 67] ، طبعًا توجد صفات تلحق بهذا ممكن نتكلم عنها لأنها أيضًا جاءت فيها أحاديث ستأتي؛ بينا صفة الأصابع، وأيضًا الكف صفة ذاتية لله عز وجل وخبرية، وصفة الكف ثابتة لله عز وجل لما جاء في الأحاديث ما رواه مسلم قال:[ما تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقةٍ مِن طَيِّبٍ ولا يَقبَلُ اللهُ إلَّا الطَّيِّبَ إلَّا أخَذَها الرَّحمَنُ بيَمينِه وإن كانَت تَمرةً، فتَربو في كَفِّ الرَّحمَنِ]، فهنا فيه اثبات صفة الكف لله عز وجل. بل قول النبي ﷺ في الحديث الذي قلناه الأسبوع الماضي أيضًا: [رأيتُ ربِّي في أحسَنِ صورةٍ] وقال:[فرأيتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَينَ كَتِفَيَّ حتَّى وجدتُ بَرْدَ أنامِلِهِ بَينَ صَدْري] فهنا أيضًا اثبات صفة الكف. ومع اثبات صفة الكف أيضًا نثبت صفة الأنامل لما جاء في الحديث: [حتى وجدتُ بَرْدَ أنامِلِه] لما جاء في الحديث القدسي قال الله عز وجل للنبي ﷺ:[فِيمَ يختصِمُ الملأُ الأعلى؟ قُلتُ: لا أدْري رَبِّ، فرأيتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَينَ كَتِفَيَّ] وفي رواية: [بين ثدييَّ]، وفي رواية [فوضعَ كفَّهُ بينَ كتفيَّ، حتَّى وجدتُ بردَ أنامِلِهِ بَينَ صَدْري] و [بينَ ثديَّ]، والشاهد: [فرأيتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَينَ كَتِفَيَّ حتَّى وجدتُ بَرْدَ أنامِلِهِ بَينَ صَدْري]، فهذه اثبات صفة

الأنامل. وطبعًا كل الاثبات هذا من الإضافة إلى الله؛ وقلناها من قبل كثيرًا، وهي إضافة صفة إلى موصوف فهذا اثبات لصفة الأنامل.

وأيضًا هنا قال: (يُمْسِكُ) وقلت أنها فيها صفة "المسك" لله عز وجل، الحديث هنا قال: (يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ)، قال: (يُمْسِكُ)، وهنا يوصف الله بأنه يمسك السماوات والأرض، وقلنا هنا الامساك امساك يليق بجلال الله عز وجل على الأصل الذي عندنا المتفق عليه عند أهل السنة والجماعة؛ بأن كل صفة يكون الكيفية فيها لله غير كيفية المخلوق. و(يُمْسِكُ) صفة فعلية، قال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ} [فاطر: 41] ، وهنا الذي معنا: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ)، لذلك ابن خزيمة أيضًا في (كتاب التوحيد) الذي درسناه قال: (بَابُ ذِكْرِ إِمْسَاكِ اللَّهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – اسْمُهُ وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ ، السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا عَلَيْهَا ، عَلَى أَصَابِعِهِ).

إذًا هنا تكلمنا عن الامساك، وتكلمنا عن الأنامل، تكلمنا عن الكف، تكلمنا عن الأصابع، وأيضًا سنتكلم عن الحث، وهو صفة فعلية لله عز وجل، تعلمون ما هو الحث؟ هي أصلًا في الحديث المشهور جدًا حديث السبعين ألف، قال:[وعدَني ربِّي أن يُدخِلَ الجنَّةَ مِن أمَّتي سبعينَ ألفًا لا حسابَ عليهِم ولا عذابَ ، معَ كلِّ ألفٍ سبعونَ ألفًا] – ولله الحمد– قال:[وثلاثِ حَثياتٍ مِن حثياتِ ربِّي]، والحديث في صحيح الجامع صححه الشيخ الألباني. والحث غير القبض؛ يحثو الشيء بالكفين لو قلنا، وهذا طبعًا أنا أقرب للمخلوق، والقبضة هذه شيء آخر، أنا أثبتت صفة الحث. وفي الحديث في التعليقات الحسان للشيخ الألباني: [إنَّ ربِّي وعَدني أنْ يُدخِلَ مِن أُمَّتي الجنَّةَ سبعينَ ألفًا بغيرِ حسابٍ ثمَّ يُتْبِعُ كلَّ ألفٍ بسبعينَ ألفًا ثمَّ يَحْثِي بكفِّه ثلاثَ حَثَيَاتٍ) فكبَّر عُمَرُ] رضي الله عنه وأرضاه من حثيات الله عز وجل من كرمه وفضله.

فنقول هنا [يَحْثِي بكفِّه] أولًا فيه الحث، وهو صفة فعلية لله عز وجل، قال: [ثلاثَ حَثَيَاتٍ]، والحثو طبعًا عند الإنسان المخلوق لما يعطيه بكف مثلًا في الذرة أو الشعير أو البُر أو السكر أو أي شيء ثم تأخذ بكفيك دفعه واحدة هكذا بدون وزن، تحثو حثيات، فهذا معنى الحث، وهذا طبعًا في حق المخلوق؛ ما يعطيه بكفيه دفعه واحدة من غير وزن ولا تقدير. فهنا قال:[ثلاثَ حَثَيَاتٍ] فيها اثبات صفة الحث لله عز وجل، وهذه غير صفة القبض، ستأتي، سيأتي الطي والقبض والبسط هذا سيأتي هنا في الباب الذي معنا الآن، سنقرأه، فيه القبض؛؛

56- بَابُ مَا رُوِيَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبِضُ الْأَرْضَ بِيَدِهِ , وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ

740 - حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّمَرْقَنْدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ يَعْنِي ابْنَ أَبِي حَمْزَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَنَا أَبُو سَلَمَةَ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "يَقْبِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَرْضَ , وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ , ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ , أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟"

741-حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَاهِينٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عِيسَى بْنِ مَاسَرْجِسَ , قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ , عَنِ الزُّهْرِيِّ , عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَقْبِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ , وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ , أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ"؟

هنا الباب في هذين الحديثين فيه القبض، لذلك التبويب: (يَقْبِضُ الْأَرْضَ بِيَدِهِ , وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ)، إذًا عندنا هنا "القبض"، وصفة "الطيّ" وهذه صريحة من الأحاديث التي معنا: (يَقْبِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ , وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ , أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟) سبحانه وتعالى. فأصبح القبض والطي صفتان فعليتان، ما يمنع أن تقول خبريتان أيضًا عن الله عز وجل، وأيضًا عندك "القابض" من أسماء الله عز وجل. فهنا فيها اثبات صفة القبض؛ يقبض الله عز وجل الأرض جميعًا باحدى يديه، ويطوي السماوات بيده الأخرى، فأثبتنا فيها أيضًا القبض والطيّ. وهذا حقيقة من تمام قدرة الله عز وجل، ثم يقول: (أَنَا الْمَلِكُ , أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ ؟) وهذا يرد على الذين يقولون بأن الذي يفعل ذلك يخلق مخلوقات هي التي تطوي! طبعًا ينفون القبض، وينفون الطي، وينفون البسط، وينفون الامساك، وينفون الحثيات.

وهي الأصل صفة فعلية لكن البعض يقول فعلية ويُزيل بالخبرية على أنه من باب الإخبار أيضًا، لكن الأصل أنها صفة فعلية. والمسألة الخبرية هذه يقصد أن يقول أن العقل لا مدخل فيه، لأنك لابد أن تثبتها من خلال الخبر فقط عن الله، بخلاف مثلًا بعض الصفات الأخرى فالعقل يُستأنس به كالسمع والبصر والكلام والإرادة والقوة والقدرة إلى غير ذلك، لكن هذه الصفات كلها لابد لك من خبر فيها لا مدخل للعقل فيها حتى أنك تقولها من باب أولى كما تقول في السمع والبصر والكلام والإرادة والقوة إلى غير ذلك.

فهنا القبض والبسط، وطبعًا الباب لابد أن نتعرض فيه لمسألة اليد، لأنه قال هنا: (يَقْبِضُ الْأَرْضَ بِيَدِهِ , وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ)، وطبعًا سيأتي الباب الذي يليه: (يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ بِيَمِينِهِ). لكن سيأتي باب تحديدًا (بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَدَيْنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ) فهذه سنؤخر الكلام فيها حتى نصل لهذا الباب.

لكننا هنا نثبت في هذا الحديث مسألة القبض والطيّ، ونقول هذه من الصفات الفعلية عن الله عز وجل، ولازمها طبعًا نقول دلالة على قدرة الله وقوته سبحانه وتعالى، وهو الإله، هو الرب والخالق لا يعجزه شيء فيقبض كل هذا الكون، وهذا يبين لك بأن الكون في كف الرحمن كحبة الخردل في يد أحدكم، انظر.. حبة الخردل – ولله المثل الأعلى – حبة الخردل في يدك لا تساوي شيء، الكون كله في كف الرحمن لا يساوي شيء، وهذا تدبر للمرء لعظمة وقدرة الله عز وجل ولهول الموقف يوم القيامة كيف سيكون! لما الله عز وجل يطوي السماوات والأرض ويقول: (أَنَا الْمَلِكُ). فالمرء لهذا اليوم لابد أن يفعل له، يوم عظيم مهيب، كيف سيكون حالك في هذا اليوم والله عز وجل يقبض كل ذلك ثم يقول أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ أين الجبابرة التي في الأرض؟ أين الظلمة الذين كانوا في الأرض يظلمون الناس، ويتكبرون على الناس، ويعتدون على الناس، ويأخذون حقوق الناس؟!

كل هذه المسألة لا ندرسها فقط لاثبات الصفات فقط، بل لأنك تخشى، كل منا قد يقع في ظلم فليحذر لهذا اليوم، سيقف أمام الملك ويأتي بكل من يدعي بأن له مُلك أو له سلطان سواء في بيته، في عمله، في أوسع من ذلك ويتعدى على الناس فسيقف أمام الملك، إذا كان الله سيقبض كل ذلك بيده سبحانه وتعالى ويطوي السماوات بيمينه فكيف حالك يكون في هذا الموقف! فليراجع كل إمرئ نفسه ماذا سيقدم أمام الله عز وجل في هذا الموقف الرهيب الذي كل منا يقول فيه نفسي نفسي؟ فالمرء يتحلل في حياته من كل ظلم قد فعله مع الناس وإلا الحساب عسير جدًا، والمثقال بالذرة {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ} [الزلزلة: 7-8] ، الأمر ليس بالهين أن تأتي يوم القيامة وأنت تحمل فوق رأسك وفوق كتفيك ظلمات بينك وبين ربك وبينك وبين العباد، ولو فقه الناس هذه الأمور ما تجرأوا على حرمات الله عز وجل، وما اغتصبوا الأموال والحقوق وتعدوا على الدماء إلى غير ذلك، لو علموا أنهم سيرجعون إلى يوم يقفون فيه أمام الملك الجبار الذي لا يعجزه شيء لارتعدت الفرائص من وقتهم، وتحللوا من كل ذلك، وتابوا إلى الله عز وجل ورجعوا، سبحان الخالق البارئ، سبحان الله القاهر الجبار الذي لا يعجزه شيء سبحانه وتعالى.

لابد من القصاص في الحقوق يوم القيامة، فليطمئن كل مظلوم بأن الله عز وجل ناصره، وإن لم يأخذ حقه في الدنيا سيأخذه يوم القيامة، فهو العدل سبحانه وتعالى،{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ} [فصلت: 46] ، فلابد سيوفي للضعفاء وللمظلومين حقوقهم يوم القيامة. لكن الإشكال كله في من تعدَّى ومن تجرأ على حرمات الله عز وجل، ومن قتل وشرَّد وحبس وأخذ، ومن ظلم في بيته، ومن ظلم في أهله، ومن ظلم في أمواله، ومن ظلم في من يعمل معه في عُماله، هذه ظلمات عظيمة جدًا أسأل الله عز وجل أن يعافينا من ذلك.

57- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ بِيَمِينِهِ , فَيُرَبِّيهَا لِلْمُؤْمِنِ

742 -حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ , عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ , عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَمِينِهِ , وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً , فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ , كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ , أَوْ فَصِيلَهُ»

743 -حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ حَمَّادٍ زُغْبَةُ قَالَ: أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ, عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ , عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً , فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ , حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ , فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ»

744 -حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: أَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ , عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ , عَنْ أَبِي الْحُبَابِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا طَيِّبًا إِلَّا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ , فَيُرَبِّيهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ حَتَّى تَبْلُغَ التَّمْرَةُ مِثْلَ أُحُدٍ»

هذا أيضًا باب عظيم (بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ بِيَمِينِهِ , فَيُرَبِّيهَا لِلْمُؤْمِنِ)، واعتقد أن هناك قراءة أيضًا (فَيُرْبِيهَا)، لكن هنا القراءة بالشد، وهي في المعنى واحد أنه يزيدها، وهي من الربا في الشيء أي الزيادة، لذلك الربا من معانيها الزيادة. وطبعًا الشاهد أولًا في التبويب (يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ بِيَمِينِهِ) وطبعًا أنا تجاوزت عن الكلام في صفة اليد سنرجئها للأسبوع القادم مع الباب الذي سيأتي تصريحًا، لأنه في الباب هذا والذي قبله ذكر في أن الله عز وجل (يَقْبِضُ الْأَرْضَ بِيَدِهِ , وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ) فاثبات صفة اليد، وكان لابد أن نتكلم لكن سنرجئ الكلام عن اليد تفصيلًا في محاضرة منفصلة والخلاف بيننا وبين المبتدعة في هذا الباب والجمع بين مسألة ذكر "أيدينا" و"يد الله" مفردة وجمع و{لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: 75] والتثنية، وكيف اثبات أن لله يدان، ثم أيضًا الكلام في مسألة اليمين والشمال وكيف أن رواية الشمال شاذة وأن كلتا يدي ربي يمين، والرد على المبتدعة في ذلك في إنكارهم لصفة اليد أو تأويلها، هذا إن شاء الله سنجعله مفردًا، لكننا نأخذ المعاني التي في هذه الأبواب؛ (بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ بِيَمِينِهِ , فَيُرَبِّيهَا لِلْمُؤْمِنِ)، قال: (مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ) وانظروا هنا القيد.. (وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَمِينِهِ , وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً , فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ , كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ , أَوْ فَصِيلَهُ)، طبعًا هنا هذا الحديث وهذه الروايات المختلفة تبين أولًا الصدقات وعِظَم الصدقة بأن المرء إذا تصدق أن الله عز وجل ينمي ويبارك له في هذه الصدقات، وأن الله عز وجل يزيدها له ويربوها له كما جاء في أكثر من موضع، لأن {مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ} [الأنعام: 160] ، وأيضًا { وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ } [البقرة: 261] وإلى سبعمائة ضعف { وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ } وهذه تدل على أن من تصدق بصدقة لله عز وجل؛ نقول لو صدقة كان فيها إخلاصًا لله عز وجل وهنا (مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ) وهنا طبعًا تقييد من (طَيِّبٍ) هنا تقييد استدل به بعض أهل العلم على وجوب النفقة الحلال في الحج؛ قالوا هنا: (مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ) فهنا بعض أهل العلم تعلقوا بأن المال الذي يحج به المرء لابد أن يكون مالًا حلالًا طيبًا وإلا لن يُتقبل منه واشترطوا ذلك، وقالوا لأن الله عز وجل قال (وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ)؛ الله طيب ولا يقبل إلا طيب، فإذًا لا يُقبَل ممن يحج بمال الحرام إن كان صاحب ربا أو إن كان يأخذ ماله من الظلم أو الغش أو الخداع أو الغصب أو غير ذلك، فتقيدوا بهذا القيد فقالوا (مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَمِينِهِ) وهذه تبين لك بأن

الصدقة تقع في يمين الرحمن، وهذا الذي كانت تفعله عائشة رضي عنها وأرضاها؛ كانت عندما تتصدق كانت كما يقال تطيب الصدقة فيقال لها أتطيبين الصدقة وهي تقع في يد الفقير؟ قالت فإنها تقع في يد الرحمن قبل يد الفقير لما جاء في ذلك عن النبي ﷺ. فقال هنا: (إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَمِينِهِ) هنا كأن الصدقة تقع في كف الرحمن قبل أن تقع في يد من يأخذها، لذلك كانت السيدة عائشة تفعل ذلك؛ تطيب الصدقة لعلمها بأن الصدقة تقع في كف الرحمن قبل ذلك.

لذلك هنا أولًا فيه الحث على أن الصدقات تكون من الشيء الطيب، وإن كان التقييد الذي قال به بعض أهل العلم في ذلك فيه نظر لأنه الفارق بين المال في ذاته أن يكون ليس الدرهم والمال نفسه هو الذي فيه الحرمة لكن الكسب كان من الحرمة، وعلى القاعدة التي فيها الكلام عند أهل العلم في مسألة انتقال المال من اليد إلى اليد فهل المال إن لم يكن طيبًا وانتقل من أحد لأحد هل هذا لا يكون طيبًا في حق الثاني؟ أي رجل اكتسبه من حرام ثم تصدق به أو جعله هدية فالذي أخذ هذه الصدقة أو هذه الهدية فهو في حقه طيب وإن كان الذي اكتسبه فهو في حقه حرام. وهنا نقول لا شك بأن من أخذها فأخذها بطيب ويستعملها وأما من تصدق بكسب حرام فهذا هو الذي يُقصد به بأنه لا يُقبل عند الله عز وجل، لأن **الوسائل تأخذ أحكام المقاصد**؛ فإن أردت أن يكون المقصد لك لله فلابد أن تكون الوسيلة وكسب المال من حلال؛ كما أنك تريد أن تكون الصدقة لله فلابد أن تكون وسيلة اكتساب الصدقة هذه حلال، لكن من يُنتقل إليه هذا المال فليس عليه شيء.

لكن فيه دلالة أولًا على أن المرء لابد أن يتحرى الطيب من ماله في كل شيء وليس في الصدقة فقط، إذا كانت الصدقة لن يقبلها الله عز وجل إلا أن تكون صدقة طيبة فلابد لك أن تتحرى في أكلك، في شربك، في عملك الحلال وأن تبتعد عن الحرام. كفار قريش لما أرادوا أن يرمموا – لو قلنا – الكعبة ويبنوها على القواعد فاشترطوا على أنفسهم ألا يُدخلوا مالًا حرامًا أو فيه حتى شيء من الحرمة في بناء الكعبة، هم كانوا على الكفر، لذلك قصرت بهم النفقة فلم يكملوا الكعبة وظهر الحِجر بعد ذلك الموجود، لماذا؟ لأنهم كانوا يعظمون ما يكون لله، فأرادوا أن يكون خالصًا ليس فيه شيء حرام. فكذلك المرء لابد له أن يتحرى الطيب في ماله، وأن يتصدق بما هو طيب، لقوله تعالى في سوره البقرة:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ} [البقرة: 267] ، وأفضل ما يُنفق المرء فيه من أحب ما يكون إليه أن يكون من الطيب.

وهنا طبعًا في (إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَمِينِهِ) فيها اثبات (اليمين)، وهذه ستأتي تفصيلًا كما قلت، وفيه كما قلت من حديث عائشة أن وقوع الصدقة تكون في كف الرحمن نثبتها كما هي على ظاهرها وبلا كيفية كما هو معتاد عندنا في اثبات الصفات لله عز وجل.

قال: (وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً, فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ) وهنا اثبات صفة (الكف) هذه التي تكلمنا عنها من قبل، نحن أثبتنا الكف، فهنا اثبات صفة الكف في الحديث (وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً, فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ). ولكن حقًا هنا كيف ستربو حتى تكون أعظم من الجبل؟ لابد هنا من إخلاص في هذه التمرة؛ في هذه الصدقة، إخلاص العبد الذي تصدق بذلك، قد يكون ما عنده إلا تمرتان وتصدق بواحدة، أو ما عنده غيرها فتصدق بها، فالنية عند هذه الصدقة. والمسألة أيضًا في طِيب هذه التمرة؛ كلما كانت طيبة من حلال فهذه التي يربوها الله عز وجل ويُرْبيها الله عز وجل أو يُرَبِّيها الله عز وجل في كفه سبحانه وتعالى (حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ, كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ, أَوْ فَصِيلَهُ)، وهو الصغير من المواشي وغير ذلك، يربيه ويجعله يكبر حتى يسمن عنده. وهي تأتي بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو (فَلُوَّهُ)، أو تأتي أيضًا (فُلوه) بضم الفاء وهذا هو المهر الذي هو ولد الفرس؛ يقول هذا مهر ولد الفرس و(فَصِيلَهُ) ولد الناقة، لذلك يسمى فصيل إذا فصل عن أمه بعد ذلك، والجمع "فصلان"، فيسمى الفصيل بعد أن يكبر ولد الناقة وينفصل عنها فيكون فصيل. والثاني هو المهر الذي هو ولد الفرس. وهذا من أحب الأشياء عند العرب، فكأنه كما يربي هذا المهر أو يربي هذا الفصيل فالله عز وجل يربي لهذا الذي يدفع الصدقة وإن كانت قليلة لكنها كانت من مال طيب ويريد بها الله عز وجل يربيها الله عز وجل له حتى تصل إلى الجبل، سبحان الله.

إذًا لا يستصغر أحد الصدقة، لا تستصغر الصدقة، لا تستصغر أي مبلغ من المال تخرجه لله عز وجل، فأنت لا تعلم؛ أن قد يكون هذا المال القليل يبارك لك الله عز وجل فيه لأن الله مطلع على ما عندك وعلى نواياك، قد تخرجه لله وأنت وجل أن الله لا يقبل، والله عز وجل كريم منان سبحانه وتعالى يعلم أنك ما أخرجته إلى لله، وآخرين يخرجوا أموالًا وآلاف مؤلفات بل قد تكون ملايين لكنها ليست من طيب وليست لله عز وجل، فلا يربيها الله عز وجل لهم.

إذًا مدار الأمر ليس في الكثرة فقط بل مدار الأمر على الطيب والحلال وعلى النوايا في إخراج ذلك. وهذا حقيقة من كرم الله عز وجل وفضله على العباد؛ بأنه لم ينظر للكثرة والقلة، بل نظر إلى القلوب كيف تُخرج وإلى الكسب كيف يكون، فيبارك في ذلك. وهذا نقول مسعده لمن ليس

عنده مال كثير ويتصدق قليل فيعلم بأن ما تصدق من صدقة ولو تمرة ستقع في كف الرحمن فيربيها له كالجبل فيستأنس بذلك ويحمد الله عز وجل على كرم الله عز وجل معه.

طبعًا هنا اثبات (كَفِّ الرَّحْمَنِ) وقد بيناه، والرواية الأخرى (يَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ) فيها اثبات اليمين، قال (فَيُرَبِّيهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ..) إلى آخر الحديث، فهذه فيها اثبات اليمين مع اثبات الكف.

وفيه اثبات الحث طبعًا على الصدقات وهذا أعظم ما يكون في هذه الأبواب خاصة في هذه الأيام التي نحن فيها على ما عند المسلمين من ابتلاءات ومن مصائب، وكثير من إخواننا المسلمين في الكثير من البلدان يعانون في هذه الأجواء ما يعانون فيه من نقص شديد في أمور حياتهم الأساسية في المعيشة، في الحياة، البعض يموت بردًا ويموت جوعًا ويموت بعدم الإيواء، والحق أن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، لابد أن يتكاتف المؤمنون جميعًا وأن يكونوا يد واحدة مع إخوانهم فيساعدونهم ويمدونهم بالعون، والعون هنا يحتاجون حقيقة العون المادي، نعم الدعاء هذا لا ينقطع عن أصحاب البلاء والمصائب وما هم فيه لكن أيضًا هذا باب عظيم جدًا وفُتِح من زمن النبي ﷺ وظهر فيه ما ظهر من سنة النبي ﷺ في كيفية تصدق الصحابة رضوان الله عليهم، وكيف فعل عثمان وعبد الرحمن بن عوف وأغنياء الصحابة سعد بن أبي وقاص وأبو بكر الصديق وعمر؛ لما يأتي أبو بكر بماله ويأتي عمر بنصف ماله وعثمان يشتري ما اشترى ويجعله للمسلمين، فهذا كان دأب سلفنا الصالح وصحابتنا رضي الله عنهم، وما زال في الأمة خير والخير لا ينقطع حقيقة والقلوب بتنتفض لما ترى المسلمين في هذا الحال، لابد حقيقة أن يكون هناك تفاعل في ذلك.

فنسأل الله عز وجل أن يحفظ إخواننا في الشام غيرهم في هذه الاجواء وأن يمدهم بمدد من عنده، وأن يرفع عنهم ما هم فيه، فنحن في نعائم حقيقة لا نشعر بها في أوطاننا هنا مع أن البعض يظن بأنه في شدة والكل يعلم ويرى طبعًا ما يحدث في هذه البلدان لكنهم حقيقة يعانون كثيرًا جدًا جدًا جدًا، ونسأل الله عز وجل ألا يأخذنا بهؤلاء، نسأل الله عز وجل ألا يحاسبنا على التقصير مع هؤلاء، فيعلم الله عز وجل كم القلوب تدمع وتبكي وتريد المعونة، والخير لا ينقطع في الأمة والله عز وجل هو أرحم بعباده منا؛ في حالهم هؤلاء هو الله أرحم بهم منا ونحن فقط علينا أن نأخذ بالأسباب، وأن نفعل ما نستطيع، ونسأل الله عز وجل ألا يؤاخذنا بتقصيرنا وهو الكريم المنان، وأن يرفع الله عز وجل البلاء عن هؤلاء وأن يحفظهم من كل سوء.

سنقف عند (بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَدَيْنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ) وفيها اثبات صفة اليد وغير ذلك كما قلت، هذه نفردها إن شاء الله بمحاضرة منفصلة، وأيضًا (بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ) والأمور التي باشرها الله عز وجل بيده الشريفة هذه أيضًا نأخذها معها إن شاء الله بإذن الله تعالى في الأسبوع القادم ما استطعنا في ذلك.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الحادية والستون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى– وما زلنا في أبواب الكلام عن صفات الله عز وجل، واسمائه الحسنى، وصفاته العليا وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب العظيم؛ أعظم أبواب الإيمان على الاطلاق هو أن تؤمن بالله عز وجل، والإيمان بالله يتضمن الإيمان بأسمائه وصفاته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بربوبيته، وأفضل الإيمان أن تعلم وتتعلم أسماء الله عز وجل، وتتعبد بها إلى الله عز وجل، هذا أعظم ما يكون، لأن شرف العلم من شرف المعلوم ولا أحد أشرف من الله عز وجل، لذلك هذا الباب العظيم يورث في القلب إيمانًا وخشوعًا وتقوى أنك كلما تتعلم عن الله عز وجل من اسمائه ومن صفاته وتُثبِت ذلك وتعتقده اعتقادًا جازمًا هذا مما يزيد الإيمان في قلب المرء، ومما يشوق المرء إلى ملاقاة الله عز وجل لِما يراه من نعيم عند ملاقاته وإيمانه واعتقاده فيه الاعتقاد الصحيح، وقد بشرنا الله عز وجل ببشريات بالإيمان به سبحانه وتعالى برضاه عنا، وضحكه لنا، ورؤيتنا لوجهه، كل هذه صفات الله عز وجل يتصف بها وأيضًا يكون من آثار

هذه الصفات أن الله عز وجل يمن علينا بكرم وفضل منه سواء في الدنيا أو في الآخرة، وهذا كله لمن اعتقد الاعتقاد الصحيح بهذا الباب. وأما من حُرم ذلك وحاد عن عقيدة أهل السنة والجماعة فلا شك بأنه يُحرم من هذه اللذة، وهذا الإيمان وهذه الزيادة فيه كما يُحرم أيضًا يوم القيامة مما أنكره أو حرَّفه أو أوَّله أو عطله في أسماء الله وصفاته.

اليوم ندخل في باب جديد، أو تتمة الأبواب السابقة حقيقة كنا قد تكلمنا عن صفة اليد لله عز وجل، لكن ما أفردناها بالكلام، وقد جاءت الأبواب السابقة التي ذكرها المؤلف في اثبات بعض صفات الله عز وجل التي ممكن نقول من معاني صفات اليد؛ **بَابُ مَا رُوِيَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبِضُ الْأَرْضَ بِيَدِهِ , وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ**، وبينا (القبض)، وقد أخذنا هذا الباب؛ باب القبض والطيّ، وصفة المسح؛ أن الله عز وجل مسح على ظهر آدم، ففيه اثبات صفة المسح. وأيضًا اثبات صفة الأصابع كما جاء في الباب الذي قبله، واثبات صفة القبض، وصفة الحث.

<u>ما الفرق بين القبض والحث؟ أحد ممكن يبين ما الفرق بين القبض والحث؟</u>

هي التفرقة ستأتي في مناسبة دليل كل صفة، التفرقة ستكون في الرجوع لدليل اثبات كل صفة، سيأتي لك التفرقة.

الحث: جاء في حديث السبعون ألف الذين يدخلون الجنة، وفي رواية [**مع كلِّ ألفٍ سبعون ألفًا**] ورواية – نسأل الله عز وجل أن تثبت – [**مع كلِّ واحدٍ سبعين ألفًا**]، انتبهوا [**ثمَّ يُحثي ربِّي ثلاثَ حَثياتٍ**]، هذا الحث.

والقبض: هناك قبض للعباد (حديث القبضة) وليس قبض السماوات والأرض، الله عز وجل بعد الشفاعة ثم يقبض الله عز وجل فيخرج من النار أناس قد امتحشوا في النار فيدخلهم في نهر الحياة ثم يدخلهم الجنة؛ [**فيَقبِضُ قَبضةً مِنَ النَّارِ، فيُخرِجُ مِنها قَومًا لَم يَعمَلوا خَيرًا قَطُّ قد عادوا حُمَمًا، فيُلقيهم في نَهَرٍ في أفواهِ الجَنَّةِ، يُقالُ له: نَهَرُ الحَياةِ**].

إذًا الفارق الآن أن **القبض** يكون في من النار ليدخلهم الجنة، **والحث** لمن سيدخلون الجنة من أول وهلة، والحث جاء في من لم يُعذَّب – فنسأل الله عز وجل أن نكون من أهل الحث. إذًا الحث جاء في ثلاث حثيات وطبعًا يكون هذا في من يدخلون الجنة بغير سابقة حساب ولا عقاب. فالفارق بين الحث وبين القبض هذه المناسبة، فالحث جاء في من لم يدخل النار ويدخل الجنة مباشرة، والقبض جاء في من كان في النار فيخرجهم الله عز وجل إلى الجنة؛ هذه فارقة بين الحث وبين القبض.

وذكرنا أيضًا (المسح) تقريبًا أن الله عز وجل يمسح على ظهر آدم فيخرج ذريته جميعًا، ميثاق الذر، إلى غير ذلك.

اليوم ندخل إن شاء الله في أصل الباب في هذه المسألة؛ وهو بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَدَيْنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ.

58- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَدَيْنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ

745 - أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ الْبُخَارِيُّ , قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: نا أَبُو تَوْبَةَ الرَّبِيعُ بْنُ نَافِعٍ , عَنْ بَقِيَّةَ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَرْطَاةُ بْنُ الْمُنْذِرِ , عَنْ مُجَاهِدٍ , عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلَمَ , فَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ قَالَ: فَكَتَبَ الدُّنْيَا وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ عَمَلٍ مَعْمُولٍ , بِرٍّ أَوْ فُجُورٍ , رَطْبٍ أَوْ يَابِسٍ , فَأَحْصَاهُ فِي الذِّكْرِ , ثُمَّ قَالَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ , إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: ٢٩] فَهَلْ تَكُونُ النُّسْخَةُ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟

746 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَنَسٍ مَالِكُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْحِمْصِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ, عَنْ أَرْطَاةَ بْنِ الْمُنْذِرِ , عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرٍ , : أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمَ , فَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ مِثْلَهُ إِلَى آخِرِهِ

747 - وَحَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ , عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ , سَمِعَ عَمْرَو بْنَ أَوْسٍ الثَّقَفِيَّ , يُحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَبَلَغَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ , عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ بِحُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا»

748- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: نا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ , عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ , عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ , عَنْ أَبِيهِ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَّامٍ أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ قَالَ: " ثُمَّ خَلَقَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَدَيْهِ فَأَخْرَجَ فِيهِمَا مَنْ هُوَ خَالِقٌ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى

أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ , ثُمَّ قَبَضَ يَدَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ قَالَ: اخْتَرْ يَا آدم قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَكَ يَا رَبِّ , وَكِلْتَا يَدَيْكَ يَمِينٌ فَبَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا ذُرِّيَّتُهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَبِّ؟ قَالَ: هُمْ مَنْ قَضَيْتُ أَنْ أَخْلُقَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ , إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ " وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

59- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ وَخَطَّ التَّوْرَاةَ لِمُوسَى بِيَدِهِ ، وَخَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ ، وَقَدْ قِيلَ: الْعَرْشُ ، وَالْقَلَمُ ، وَقَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُنْ فَكَانَ ، فَسُبْحَانَهُ

749- حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ اللَّحْجِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ الْقُرَشِيُّ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ , عَنِ الْأَعْرَجِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ , عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ , وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ, فَسَجَدُوا لَهُ {إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف: ٥٠]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: يُقَالُ لِلْجَهْمِيِّ الَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدم بِيَدِهِ كَفَرْتَ بِالْقُرْآنِ , وَرَدَدْتَ السُّنَّةَ , وَخَالَفْتَ الْأُمَّةَ , فَأَمَّا الْقُرْآنُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يَسْجُدُوا لِآدم فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ} [ص: ٧٥] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي صُورَةِ الْحِجْرِ: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ , فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ , فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ , إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} [الحجر: ٢٩] فَحَسَدَ إِبْلِيسُ آدم لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهُ بِيَدِهِ , وَلَمْ يَخْلُقْ إِبْلِيسَ بِيَدِهِ , وَلَمَّا الْتَقَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاحْتَجَّا , فَكَانَ مِنْ حُجَّةِ مُوسَى لِآدم أَنَّهُ قَالَ لَهُ: أَنْتَ أَبُونَا آدم خَلَقَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِيَدِهِ , وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ , وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ؟ فَاحْتَجَّ مُوسَى عَلَى آدم بِالْكَرَامَةِ الَّتِي خَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا آدم مِمَّا لَمْ يَخُصَّ غَيْرَهُ بِهَا مِنْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهُ بِيَدِهِ وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ فَسَجَدُوا لَهُ , فَمَنْ أَنْكَرَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ ثُمَّ احْتَجَّ آدم عَلَى مُوسَى: فَقَالَ آدم: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ , وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

750- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ , عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو , عَنِ الْأَعْرَجِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ,: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "احْتَجَّ آدم وَمُوسَى , فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدم , خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ , وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ , وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ , وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْكُنَ الْجَنَّةَ "وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ

751- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ قَالَ: أَخْبَرَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيَّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو , عَنْ أَبِي سَلَمَةَ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "احْتَجَّ آدم وَمُوسَى فَقَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدم الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَدِهِ , وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ , وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ , وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ "؟ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

752 -أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسٌ وَهُوَ ابْنُ عِيَاضٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو , عَنْ أَبِي سَلَمَةَ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " احْتَجَّ آدم وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ , فَقَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدم الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَدِهِ , وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ , وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ , وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ " وَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَهَذَا حُجَّةُ مُوسَى عَلَى آدم: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهِ بِيَدِهِ , وَأَمَّا حُجَّةُ آدم عَلَى مُوسَى بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَطَّ لَهُ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ

753 - فَحَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أحمد بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ الدُّولَابِيُّ قَالَ: نا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ , عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ , عَنْ طَاوُسٍ , سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " احْتَجَّ آدم وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ , فَقَالَ مُوسَى: يَا آدم أَنْتَ أَبُونَا أَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ فَقَالَ آدم: يَا مُوسَى , اصْطَفَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِكَلَامِهِ , وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ , تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ: فَحَجَّ آدم مُوسَى فَحَجَّ آدم مُوسَى "

754 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أحمد بْنُ عَبْدَةَ , وَيَعْقُوبُ بْنُ حُمَيْدِ بْنِ كَاسِبٍ , قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ , عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ , عَنْ طَاوُسٍ , سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " احْتَجَّ آدم وَمُوسَى فَقَالَ مُوسَى: يَا آدم: أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا , وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ لَهُ آدم: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ , وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ

بِيَدِهِ , وَقَرَأْتَ التَّوْرَاةَ فَهَلْ تَجِدُ فِيهَا أَنَّهُ قَضَى عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ قَالَ: نَعَمْ , قَالَ: فَحَجَّ آدم مُوسَى " قَالَ ابْنُ عَبْدَةَ: وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ؟ أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً "

755- حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَطَشِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّرْقُفِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قَيْسٌ يَعْنِي ابْنَ الرَّبِيعِ عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى , عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو , عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ , عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {فَتَلَقَّى آدم مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} [البقرة: ٣٧] قَالَ: " أَيْ رَبِّ , أَلَمْ تَخْلُقْنِي بِيَدِكَ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: أَيْ رَبِّ , أَلَمْ تَنْفُخْ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: أَيْ رَبِّ أَلَمْ تَسْبِقْ رَحْمَتُكَ إِلَيَّ قَبْلَ غَضَبِكَ؟ قَالَ: بَلَى , قَالَ أَيْ رَبِّ , أَلَمْ تُسْكِنِّي جَنَّتَكَ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: أَيْ رَبِّ أَرَأَيْتَ إِنْ تُبْتُ وَأَصْلَحْتُ , أَرَاجِعِي أَنْتَ إِلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ "

756- وَحَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو وَأَبُو صَالِحٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ يَعْنِي الْفَزَارِيَّ , عَنْ سُفْيَانَ , عَنْ عُبَيْدٍ الْمُكْتِبِ , عَنْ مُجَاهِدٍ , عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: " خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ: آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ , وَالْعَرْشَ , وَالْقَلَمَ , وَجَنَّاتِ عَدْنٍ , ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُنْ فَكَانَ "

757- وَحَدَّثَنَا جَعْفَرٌ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ , عَنْ حَكِيمِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: " أُخْبِرْتُ أَنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَمَسَّ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: غَرَسَ الْجَنَّةَ بِيَدِهِ , وَجَعَلَ تُرَابَهَا الْوَرْسَ وَالزَّعْفَرَانَ , وَجِبَالَهَا الْمِسْكَ , وَخَلَقَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ , وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ "

758- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادِ بْنِ آدم قَالَ: حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأُسْوَارِيُّ , عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ , يُحَدِّثُ: " أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَمَسَّ بِيَدِهِ شَيْئًا إِلَّا ثَلَاثَةً: آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ , وَالتَّوْرَاةُ فَإِنَّهُ كَتَبَهَا لِمُوسَى بِيَدِهِ , وَطُوبَى شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ غَرَسَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ , لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةٌ إِلَّا فِيهَا مِنْهَا فَنَنٌ , وَهِيَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ} [الرعد: ٢٩] "

759- وَحَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمِنْهَالِ الضَّرِيرُ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ , عَنْ قَتَادَةَ , عَنْ أَنَسٍ , : أَنَّ كَعْبَ الْأَحْبَارِ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَمَسَّ بِيَدِهِ إِلَّا ثَلَاثَةً: خَلَقَ آدم بِيَدِهِ , وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ , وَغَرَسَ الْجَنَّةَ بِيَدِهِ , ثُمَّ قَالَ: تَكَلَّمِي: فَقَالَتْ: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} [المؤمنون:١]

نبدأ أولًا بالباب الذي ذكر فيه المصنف بِأَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَدَيْنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، وقلنا هنا اثبات صفة اليد لله عز وجل، وأن لله يدان سبحانه وتعالى، واليدين صفة لله عز وجل من الصفات الخبرية، وقلنا الصفات الخبرية أو الذاتية الخبرية التي هي لا مدخل للعقل فيها، ولا يمكن اثباتها لله إلا إن جاء النص بذلك، وقد جاءت النصوص وليس نصًا واحدًا باثبات صفة اليدين لله عز وجل. وأهل السنة والجماعة يثبتون الصفة لله عز وجل تحت قوله:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: 11] ، وأن لله عز وجل يدان تليقان بالله عز وجل، ومعنى اليد معلوم لنا كما على قاعدة أهل السنة والجماعة التي ذكرها الإمام مالك، ومن قبله ربيعة الرأي، ومن قبله إحدى زوجات النبي ﷺ نقول اليد معلومة في المعنى، والكيف فيه مجهول – غير معلوم – والإيمان به واجب لأنه جاءت به نصوص ثابتة، والسؤال عنه بدعة.

فأهل السنة والجماعة يثبتون الصفة لله عز وجل، خلافًا للمبتدعة الذين إما عطلوا الصفة بالكلية كالمعطلة من الجهمية والمعتزلة، وإما حرفوا معنى الصفة وأثبتوها بمعنى القدرة أو بمعنى النعمة كالأشاعرة والماتريدية إلى غير ذلك، وشوشوا على أهل السنة والجماعة في اثباتهم لصفة اليدين لله عز وجل لتعدد النصوص التي توهم لمن لا يتقن هذا الباب، ولا يتقن لغة العرب، أنه كأن هناك خلاف بين النصوص في اثبات أن لله يدان، لأن جاء أكثر من نص منها قول الله عز وجل:{ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ } [يس: 71] ، وهذه تفيد الجمع، وقوله تعالى: {يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ } [الفتح: 10] ، أو {وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟} [المائدة: 64] ، فجاءت هنا اليد مفردة، ثم جاء من قوله تعالى الله يخاطب إبليس قال: {مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ} [ص: 75] ، فجاء النص على اليدين تثنية. فجاءت نصوص تفيد الجمع، ونصوص تفيد الإفراد، ونصوص تفيد التثنية، فأراد المشوشة من المبتدعة أن يقولوا لأهل السنة والجماعة ليس لكم حل، النصوص ليست محكمة عندكم في

العدد فليس لكم إلا أن تقولوا بقولنا بأن ليس لله يدان، بل هي المقصود بها النعمة والقدرة، فارجعوا إلى هذا القول وهو أسلم لكم! ظنًا منهم بأن هذه النصوص تفيد تشويشًا أو تفيد معارضة.

والحق أنه بتدقيق بأصول أهل السنة والجماعة وبالأصول الفقهية ومعرفة اللغة لا فرق بين هذه النصوص؛ لا يخالف بعضها بعضًا؛ فما جاء بالتثنية، وما جاء فيه نص صريح بأن لله يدان، ثم ما جاء بالإفراد أو ما جاء بالجمع فله حمل على نفس معنى التثنية.

فلو أردنا أن نبين نقول جاءت النصوص أولًا التي فيها الإفراد في: {يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ} [الفتح: 10] ، و {وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ} [المائدة: 64] جاء فيه النص بالإفراد؛ أن اليد مفردة.

- **كيف نجمع بين اليد المفردة التي جاءت، وبيَّن {أَيۡدِينَآ} [يس: 71] النصوص التي فيها الجمع، وبين أن نقول بأن لله يدان تصريح بالتثنية ليس له أكثر من يدين سبحانه وتعالى؟**

قد بينا ذلك في أكثر من كتاب في أكثر من شروحات، من كان معنا فليراجع ومن لم يسمع من قبل فهذه تكون تأصيلًا وتأسيسًا له، فنقول نبدأ أولًا بالآيات التي جاءت بالإفراد، ما رأيكم؟ كيف نجمع بين الإفراد وبين التثنية؟ ما التأصيل لمن ذاكر معنا من قبل؟ عندنا إشكال ألقاه علينا المبتدعة؛ قال عندكم نصوص بالإفراد في اليد، ونصوص بالجمع، ونصوص بالتثنية، فكيف تجمعون وتقولون بأن لله يدان فقط؟ أين ستذهبون بقوله: {يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ } [الفتح:10] مفردة؟ وأين تذهبون بقوله تعالى:{ مِمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ} [يس: 71] ؟ فأنَّى لكم أن تثبتوا ذلك؟ لابد أن تبينوا لنا. فنقول الآن: كيف نحمل هذه النصوص على أنه لا تضاد بينها ولا اختلاف؟

هناك نصوص بالمفرد، ونصوص بالجمع، ونحن أقرينا – أهل السنة – يقولون أن لله يدان سبحانه وتعالى، فماذا سنفعل بنصوص المفرد ونصوص الجمع؟

ماذا سنفعل بالمفرد {يَدُ ٱللَّهِ} ؟ كيف سنحمل المفرد على التثنية؟

نقول أولًا في الإفراد قد أخذنا أصوليًا أن عندنا (صِيَغ التعريف تفيد العموم)، ما هو التعريف؟ أن يأتي مثلًا ألف ولام، أو تأتي الإضافة، فالإضافة تفيد التعريف؛ تفيد العموم. طيب الآن الإضافة على أنواع؛ منها المفرد يضاف، أو جمع يضاف، فلما {يَدُ ٱللَّهِ} أضيفت إلى الله فهذا مفرد يضاف يفيد التعريف، والتعريف يفيد العموم، إذًا ممكن نقول الآن أن لما أضيفت اليد إلى

الله أصبح هذا تعريف، والتعريف يفيد العموم، والعموم يفيد أكثر من فرد، إذًا اليد ليست معناها واحدة، لماذا ليست معناها يد واحدة؟ حملناها على العموم، أكثر من يد، لأنها تفيد التعريف والتعريف يفيد العموم. إذًا بدأنا أول شيء أن الإفراد لا يُراد به الإفراد، بل يريد به العموم والعموم هذا أكثر من يد، فاحتمل إثنين فأكثر. إذًا هذا الإفراد، رددنا على الإفراد ما وقفنا عليه؛ أي ما قلنا يفيد الإفراد بل يفيد العموم.

ثم نأتي للجمع {مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ} [يس: 71] ، إما تحملها على وجهين؛ الوجه الأول أن عند بعض أهل الأصول (أقل الجمع إثنين)، فـ {مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ} تحتمل إثنين فأكثر، وعلى القول الثاني الذي لا يرى بأن أقل الجمع إثنين يقول {مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ} تفيد التعظيم؛ لما الملك أو السلطان يقول "نحن" ، أو أنت تقول "نحن"، أو الجماعة أهل إسكندرية دائمًا كل ما تكلمهم يقول لك: "طلعنا" و"جئنا"، و"سنعمل"، و"أكلنا" وهو واحد الذي يتكلم، ولله المثل الأعلى. إذًا {أَيْدِينَآ} لا تنافي هنا إما تاخدها على التعظيم أو ستأخذها على أن أقل الجمع إثنين.

إذًا رددنا على المفرد؛ رفعناه أنه يفيد العموم فممكن يأتي إثنين وأكثر، والجمع إما يفيد إثنين وأكثر أو يكون {أَيْدِينَآ} بمعنى التعظيم.

ثم يأتيك النص صراحة {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:75]، وهذا يسمى نصًا أي لا يحتمل؛ التثنية هنا أصبحت نصًا، فأصبح ممكن تأخذ المفرد يعلو به يكون تثنية، والجمع هنا أقله إثنين أو تقول الجمع على التعظيم، وليس عندك تأويل في إثنين {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:75] هذا أصبح نصًا في العدد، فيخلو لك أنه ليس عندنا تعارض بين النصوص في اثبات أن لله يدان.

الآن بينا بأن أهل السنة والجماعة يقولون بأن لله عز وجل يدان حقيقتان معناها واضح وظاهر، وأن النصوص لا تنافي بعضها بعضًا، بل هذا يثبت لأن جاء النص تصريحًا بأن كلتا يدي ربي يمين.

- **طيب ماذا فعل المبتدعة في ذلك؟**

طبعًا **المعتزلة والجهمية** لم يثبتوا الصفة أصالة وقالوا ليس لله يد، وقالوا إذا أثبتنا أن لله يد فيكون فيه تشبيه الخالق بالمخلوق، وأن اليد بعض وجزء وسيكون فيها تشبيه فنفوا الصفة بالكلية، وقالوا بأن كل هذا مخلوقات يخلقها الله عز وجل.

ثم جاء على النقيض طبعًا **المشبهة** الذين أثبتوا أن لله يدان لكن قالوا يدان كيد المخلوق، والله خاطبنا بما نعقل وخاطبنا بما عندنا، فيكون لله يدان ويداه كيد المخلوق! وهذا تشبيه، وهذا كفر

لأنه فيه تشبيه الله عز وجل الخالق بالمخلوق، والله عز وجل يقول: {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: 11] .

وجاء قوم ظنوا أنهم من أهل الذكاء والفطنة – وهم ليسوا بذلك – أرادوا أن يردوا على المعتزلة؛ وهم **الأشاعرة** ومن على شاكلتهم فقالوا لا يمكن أن نقول بأن لله يد. لماذا؟ أيضًا لأنهم وقعوا أصالة في التشبيه أولًا؛ ظنوا بأن اثبات اليد سيكون جارحة ويكون فيها البعض والجزء وفيه تشبيه الخالق بالمخلوق فقالوا: لا، اليد المقصودة هنا بمعنى (النعمة) أو (القدرة) وعندنا من اللغة ومن الشرع ما يؤكد هذا الكلام؛ بأن اليد يُقصد بها إما القدرة أو يُقصد بها النعمة. قلنا ما عندكم؟ قالوا لغة وشرعًا؛ قالوا لغة: أن العرب تقول على اليد "نعمة"؛ لك يد عليّ أي لك نعمة عليّ، فاليد عندنا تأتي في لغة العرب بمعنى النعمة. وقالوا عندنا أيضًا من الشرع حديث صلح الحديبية لما جاء عروة الثقفي أولًا إلى النبي ﷺ فنظر إلى النبي ﷺ وقال له ليس معك إلا رجال سينفرون عنك – في معنى الحديث – فسمع أبو بكر ذلك الكلام فلم يحتمل ذلك الكلام فقال له امصص بظر اللات، فقال من الذي قال؟ كلمة شديدة وقيلت في مجلس النبي ﷺ، لكنه كان يستحق أن يُقال له ذلك لأنه كان في وقت الحرب والنبي ﷺ أقره على ذلك، وهذه الكلمات تقال أحيانًا في من أراد أن يرد على المخالف وإن كان في المحارب وغير ذلك، فقال: من القائل؟ قال: أبو بكر، قال:[**أما والَّذي نَفسي بيَدِه، لَولا يَدٌ كانت لك عِندي لَم أُجزِكَ بها لأجَبْتُك**]، فقالوا إذًا عندنا من الشرع هنا أن [**يَدٌ كانت لك**] أي نعمة أو صنيع فعله معه فلم يجازيه عليه. فدل ذلك على أننا أيضًا من الشرع عندنا دليل على أن اليد بمعنى النعمة. وطبعًا هم عندهم تأويل آخر أن اليد بمعنى "القدرة" أصالة، وأن هذا هو الصحيح وهذا يحل لكم الإشكال الذين ادَّعوه الذي نحن حلناه أصالة في مسألة اختلاف الأدلة على اليد والتثنية والجمع إلى غير ذلك.

ما الرد عليهم؟

نحن أثبتنا بأن لله يدان، كيف الرد عليهم لغة وشرعًا؟ لما يأتيك الآن واحد أشعري وأنت الآن أخذت كل الكتب هذه ويقول لك ذلك، كيف سترد عليه؟ أنت أثبت له من عندك الأدلة أن لله يدان، لكن هو الآن يُشكل عليك؛ يقول لك الآن عندي في اللغة وعندي في الشرع أن اليد تأتي بمعنى النعمة أيضًا.

لما ترد على المخالف هو أتى لك بأدلة، فلابد تمسك الأدلة وترد على أدلته، هذه طريقة يجب أن تتعلمها وأنت بترد على المخالف، فلما أنا أُشكل عليك بالكلام لو تذكر في الأصول قلنا أن

المخالف والمعترض أنه لا يتركه وهو بيسأله في مسألة المسح فيذهب ويكلمه في مسألة ثانية! فهذا ليس اعتراضًا. فأنا الآن ألقي عليك أدلة فأنت لابد أن ترد عليّ في الأدلة التي أنا أشكلت عليك فيها وتقول لي كيف ستوجهها؟ نعم أنت أثبت أولًا بأدلة لك، لكن أنا أيضًا أطلقت عليك أدلة، فسترد على أدلتي تنقدها، ثم تدعم ما تقوله الآن بكلام آخر لا يوجد إشكال. فأنت تريد أن تقول له الآن بأن {بِيَدَيَّ} [ص: 75] لا تأتي بمعنى "نعمتين" لكن أنت تحتاج أن تبينها أكثر، لم تبين الخلاصة في المسألة، لماذا {بِيَدَيَّ} لا تعني نعمتين؟

هم يقولون أن اليد بمعنى النعمة، متى تكون اليد بمعنى النعمة؟ لما تكون مقطوعة عن الإضافة، ماذا يعني مقطوعة عن الإضافة؟ أنت تقول: (لزيد يد عليّ) هل أضيفت اليد إلى زيد؟ الإضافة كيف تكون؟ (يد زيد عليّ). فالعرب إذا أرادت النعمة فلا تضيف اليد إلى الفاعل؛ لا تقول (يد زيد عليّ)، بل تقول: (لزيد يد عليّ)، هذا يسمى قطع عن الإضافة؛ أي جاء بين المضاف والمضاف إليه مقطوع. فمتى تكون اليد بمعنى النعمة عند العرب؟ لما يأتي بقطع عن الإضافة. طيب.. هل هذا الذي جاء في الآيات؟ لا، الآيات جاءت مضافة: { يَدُ ٱللَّهِ} [الفتح: 10] ، أضيفت اليد إلى الله. إذًا النعمة في لغة العرب حتى تكون اليد بمعنى النعمة لابد أن تأتي مقطوعة عن الإضافة.

فهو بيستشكل على أمرين الآن؛ الأمر الأول أنه يريد لغة، فقلنا له حتى في حديث عروة ما أضاف اليد إلى أبو بكر، قال: [لَولا يَدٌ كانت لك عِندي]. إذًا هنا متى تقول بأن اليد تفيد النعمة؟ لما تأتي مقطوعة عن الإضافة. لكن هنا جاءت اليد مضافة إلى الله عز وجل، فأصبحت هنا الإضافة صفة لموصوف.

ثم لما يقولوا الآن لما قال الله: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: 75]، أنت تقول النعمة أو القدرة، هل ليس لله إلا نعمتين، أو قدرتين؟! أي {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} أي بقدرتيّ! والله عز وجل له القدرة الكاملة، ونقول الله عز وجل يقول: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ} [النحل: 18] ، إذًا ليس هناك حصر لنعمة الله عز وجل، إذًا لما تقول "لنعمتين" والتثنية ليست فيها إضافة، هذا نص، إذًا كأن ليس لله إلا نعمتين! أو تقول "لقدرتين" فخلق بقدرتين، وهل السياق يبين بأن الله عز وجل خلق بقدرتين؟! طيب الله عز وجل إما يخلق بكن فيكون، أو يخلق باليد وسيكون فيه الفضل – كما سيأتي معنا – أنه خلق آدم بيده. إذًا لو قلت قدرتين، ما التشريف الذي جاء في آدم؟ فالسياق هنا.. لأنه طبعًا هو يقصد في آدم بقدرتين ليس نعمتين، فما التشريف الذي جاء في آدم وأن الله عز وجل يقول لإبليس: {مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: 75] ،

فهو لو كانت بقدرتي فالله خلق إبليس وكل الكون بقدرتي، وإبليس قد فهم ذلك: {قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ} [ص: 76] ، أحال على مسألة أخرى قياس آخر، لكن الله عز وجل يبين أن هناك شرف لآدم أنه خلقه بيديه، فأين التشريف لو كانت بقدرتين؟! لأنها تكون بكن بيكون. إذًا السياق يأبى أن تكون اليد بمعنى القدرة أو النعمة، واللغة أيضًا تأبى عند العرب أن تكون هنا اليد بمعنى القدرة أو النعمة. هذا الرد عليهم في هذه المسألة فيستقيم لك الآن بالأدلة بأن لله عز وجل يدان.

♦ هل كلتا يدي ربي يمين أم لله يمين وشمال؟

وهنا المسألة التي تأتي معنا بأن المؤلف قال: (وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ) وهذه المسألة فيها خلاف بين أهل السنة والجماعة في مسألة اليمين؛ هل الله عز وجل كلتا يدي ربي يمين؟ أم هناك يمين وشمال؟ طبعًا هنا الشيخ – رحمة الله عليه – الإمام الآجري رجح في التبويب وفي الأحاديث بأن كلتا يدي ربي يمين، لأنه قال: (وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ)، واستدل بالأحاديث التي معنا (فَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ)، و (وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ) والإشكال في المسألة لِما ثبت في صحيح مسلم في إحدى الروايات المتابعات للحديث: [المُقسِطونَ على مَنابِرَ مِن نُورٍ عن يَمينِ الرَّحمنِ، وكِلتا يَدَيْه يَمينٌ] ، ثم جاء في حديث آخر: [ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله] ، وهذه هي التي جاءت في رواية مسلم **فحدث إشكال عند بعض أهل السنة والجماعة؛**

فالبعض يثبت أن كلتا يدي الله عز وجل يمين وهذا قول الإمام أحمد، وقول شيخ الإسلام ابن تيمية، وقول الإمام ابن خزيمة، والبيهقي، على أن كلتا يدي ربي يمين.

ومن أهل السنة والجماعة من أثبتوا هذه الزيادة بالشمال وقالوا بأن لله يمين وشمال ومنهم الإمام عثمان بن سعيد الدارمي، ومن المعاصرين أو نقول المتأخرين طبعًا الإمام محمد عبد الوهاب أثبت ذلك أيضًا، وأيضًا الشيخ محمد خليل هراس، وصديق حسن خان أيضًا – رحمة الله على الجميع – أثبت بأن لله يمين وشمال، على الزيادة التي عند مسلم.

لكن الحق بأن الذين قالوا بعدم اثبات شذذوا؛ جعلوا الرواية التي فيها "الشمال" شاذة التي هي في المتابعات، لأن الأدلة الأخرى الأصح والثابتة بأن كلتا يدي ربي يمين، فأثبتوا بأن ليس لله إلا يمين. والبعض قال لا إشكال حتى من قال بالشمال اعتذروا لأصحاب القول الأول أو قالوا ممكن نجمع، قالوا كيف يكون الجمع؟ قالوا لما قال [وَكِلتا يدي ربِّي يمينٌ] يريد أن يبين أن مع

أن لله شمال لكن ليست كشمال المخلوق، فشمال المخلوق فيها نوع من النقص، كما كان النبي ﷺ يحب التيمن ويفعل بشماله الأشياء الأخرى، فأراد الله عز وجل أن يبين مع أنه يمين وشمال عنده لكن كلتا يدي ربي يمين أي لا فرق بين الشمال واليمين في حق الله عز وجل، حتى لا يتوهم أحد بوجود النقص في الشمال لو أثبت الشمال لله، فأراد أن يبين أن [وَكِلتا يدي ربِّي يمينٌ] في الكمال وفي المعنى وغير ذلك، مع أن الشمال موجودة لما أثبتت في الرواية. هذا الذين قالوا بأن إذا أثبتنا الشمال فلا يناقض هذا [وَكِلتا يدي ربِّي يمينٌ].

والحق نقول أن الثابت عند أهل السنة والجماعة أن هذه الزيادة في الرواية فيها شذوذ، وأن كلتا يدي ربي يمين لما جاءت الأحاديث الأخرى تبين ذلك، ولِما أن الشمال ليست كاليمين، صحيح الشمال ليست كاليمين عند المخلوق لذلك هم يقولون لذلك الله عز وجل قال [وَكِلتا يدي ربِّي يمينٌ] حتى لا يظن المخلوق كما أن عنده الشمال فيه نقص أن يكون لله نقص مع اثبات الشمال. لكن نقول جمهور أهل السنة والجماعة يقولون بأن كلتا يدي ربي يمين وشذوا هذه الزيادة في الرواية التي وردت عند مسلم. والمسألة خلافية نقول بين أهل السنة والجماعة وثبت كما قلنا أن بعض أئمة أهل السنة الجماعة قالوا بها، ولا إنكار فيها حقيقة لمن رأى ضعف الزيادة فيقول بأن كلتا يدي ربي يمين، ولمن لم ير ذلك أثبت لكن حتى قال بأن الشمال من النقص لأنه قال سبحانه وتعالى [وَكِلتا يدي ربِّي يمينٌ].

ثم ذكر في الباب الذي يليه في الأحاديث التي قرأناها فيها اثبات أن كل شيء مكتوب لما قال: (فَهَلْ تَكُونُ النُّسْخَةُ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟) فيه رد على القدرية لأن الله عز وجل قد كتب كل شيء قبل خلق السماوات والأرض، بيناها من قبل في الحديث الأول.

وفيه (أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ) على قول من يحتج بهذا الحديث أن أول شيء خلقه الله عز وجل القلم، والخلاف الذي بيناه من قبل القلم أم العرش (فَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ).

ثم قال: (الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ , عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ) نسأل الله عز وجل أن نكون من هؤلاء المقسطون اكرامًا من الله عز وجل لهم أن يجلسهم على منابر من نور عن يمين الرحمن، (وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ بِحُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا) أو(وَمَا وَلُوا). نقول الحديث هذا عند مسلم، وهذا فيه اثبات أيضًا أن كلتا يدي ربي عز

وجل يمين. وفيه طبعًا منقبة للمقسطين عند الله عز وجل في مقامهم من جلوسهم عن يمين الرحمن سبحانه وتعالى.

ثم ذكر الحديث الذي يليه خلق آدم وفيه صفة (المسح) لله عز وجل لأنه قال: (**ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَدَيْهِ**) وهنا فيه اثبات اليدين، وفيه اثبات صفة المسح لأن الله عز وجل مسح على ظهر آدم، (**فَأَخْرَجَ فِيهِمَا مَنْ هُوَ خَالِقٌ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ , ثُمَّ قَبَضَ يَدَيْهِ**) وفيه صفة (القبض) هنا مره أخرى، (**ثُمَّ قَالَ: اخْتَرْ يَا آدَمُ قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَكَ يَا رَبِّ , وَكِلْتَا يَدَيْكَ يَمِينٌ**) هذا كله تأكيد وتنصيص على أن كلتا يدي ربي يمين، (**فَبَسَطَهَا**) فيها اثبات صفة (البسط). إذًا هنا أثبتنا المسح، وأثبتنا اليدان، وأثبتنا القبض، وأثبتنا البسط، صفات لله عز وجل أُضيفت جميعًا لله صفة لموصوف. (**فَإِذَا فِيهَا ذُرِّيَّتُهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَبِّ؟ قَالَ: هُمْ مَنْ قَضَيْتُ أَنْ أَخْلُقَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ , إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ**) وهذا ميثاق الذر، لذلك كل منا سيُذكِّره الله عز وجل يوم القيامة بهذا الميثاق؛ ميثاق الذر الذي جاء في آية سورة الأعراف.

نقف عند الباب الذي يليه **بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ وَخَطَّ التَّوْرَاةَ لِمُوسَى بِيَدِهِ**... نجعله الأسبوع القادم مع باقي الأبواب إن شاء الله.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الثانية والستون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – مازلنا في ختام أبواب ما يتعلق بالأسماء والصفات، وبيان الشيخ للطوائف التي خالفت في ذلك من المعتزلة وغيرهم. والأسبوع الماضي كنا تكلمنا عن صفة اليد لله عز وجل؛ أن لله يدان، وبينا أن كلتا يدي ربي يمين كما جاءت الأدلة بذلك، ورددنا على مسألة الشمال واللفظ الوارد في حديث مسلم. واليوم ختامًا لهذا الجزء **بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ وَخَطَّ التَّوْرَاةَ لِمُوسَى بِيَدِهِ ، وَخَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ ، وَقَدْ قِيلَ: الْعَرْشُ ، وَالْقَلَمُ ، وَقَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُنْ فَكَانَ ، فَسُبْحَانَهُ.** نقرأ هذا الباب والباب إن شاء الله أيضًا الذي يليه **بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ .**

ثم سيبدأ بعد ذلك جزءًا جديدًا، وقلت أن هذا الكتاب من الأهمية حقيقة بمكان؛ كل جزء من أجزاءه يرد على طائفة من الطوائف، فبعد ما ينتهي من هذا الجزء الذي رد فيه على المبتدعة

من المعتزلة وغيرهم من الأشاعرة وغير ذلك ومخالفتهم لأهل السنة في باب اثبات الأسماء والصفات، يدخل على طائفة جديدة والذين ينكرون السنة، والذين يقدحون في السنة، ويقدحون في الأحكام، ويتعرض فيها للذين يخالفون السنة من القرآنيين وإن كان لم يصرح بالاسم، ويتعرض أيضًا لأهل الاستشراق، وسيأتي أيضًا للمسائل التي ينكرون فيها الشفاعة كالمعتزلة وغيرهم، مسائل أخرى تخص الدين، باب جديد سيتعرض إليه يؤصل فيه ويسرد لنا الأحكام في هذه المسائل عند أهل السنة والجماعة وكيف تعاملهم مع السنة وإيمانهم بالأحكام التي جاءت في السنة، ويرد على بعض المسائل التي كذَّب بها هؤلاء المُكذبة وهم تجدهم في كل العصور والأزمنة سواء تصريحًا أو تلميحًا من أقوالهم.

لذلك قلت أن هذا الكتاب من أفضل الكتب على الاطلاق في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة؛ كل جزء من أجزائه يتعرض لعقيدة أهل السنة ويبين المخالف. فلابد لكل طالب العلم أن يتعرض لهذا الكتاب، ولابد أن يتقن مسائله، وأن يقرأه مرارًا وليس مرة واحدة، لأنه حقيقة من أمتع وأجود وأنفع الكتب تدريسًا وتعليمًا وتأصيلًا وتأسيسًا، والرد على المخالف أيضًا. وميزة هذا الكتاب بأن جُلَّه يعتمد على الآيات والكتب والأحاديث والآثار، وحتى وإن كان بعضها فيها من ضعف لكنه لم يقدح في صحة الاستدلالات والآيات والأحاديث الأخرى التي فيها الصحة.

شكر الله عز وجل لهذا المؤلف الإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – ونفع الله عز وجل بهذا الكتاب وجعله في موازين حسناته.

ندخل في القراءة في بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ

59- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ وَخَطَّ التَّوْرَاةَ لِمُوسَى بِيَدِهِ , وَخَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ , وَقَدْ قِيلَ: الْعَرْشُ , وَالْقَلَمُ , وَقَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُنْ فَكَانَ , فَسُبْحَانَهُ

749- حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ اللَّحْجِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ الْقُرَشِيُّ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ , عَنِ الْأَعْرَجِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ , عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ , وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ, فَسَجَدُوا لَهُ {إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف: ٥٠]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: يُقَالُ لِلْجَهْمِيِّ الَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدم بِيَدِهِ كَفَرْتَ بِالْقُرْآنِ , وَرَدَدْتَ السُّنَّةَ , وَخَالَفْتَ الْأُمَّةَ , فَأَمَّا الْقُرْآنُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يَسْجُدُوا لِآدم فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ} [ص: ٧٥] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي صُورَةِ الْحِجْرِ: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ , فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ , فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ , إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} [الحجر: ٢٩] فَحَسَدَ إِبْلِيسُ آدم لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهُ بِيَدِهِ , وَلَمْ يَخْلُقْ إِبْلِيسَ بِيَدِهِ , وَلَمَّا الْتَقَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاحْتَجَّا , فَكَانَ مِنْ حُجَّةِ مُوسَى لِآدم أَنَّهُ قَالَ لَهُ: أَنْتَ أَبُونَا آدم خَلَقَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِيَدِهِ , وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ , وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ؟ فَاحْتَجَّ مُوسَى عَلَى آدم بِالْكَرَامَةِ الَّتِي خَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا آدم مِمَّا لَمْ يَخُصَّ غَيْرَهُ بِهَا مِنْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهُ بِيَدِهِ وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ فَسَجَدُوا لَهُ , فَمَنْ أَنْكَرَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ ثُمَّ احْتَجَّ آدم عَلَى مُوسَى: فَقَالَ آدم: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ , وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

750- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ , عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو , عَنِ الْأَعْرَجِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ,: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "احْتَجَّ آدم وَمُوسَى , فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدم , خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ , وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ , وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ , وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْكُنَ الْجَنَّةَ" وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ

751- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ قَالَ: أَخْبَرَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيَّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو , عَنْ أَبِي سَلَمَةَ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "احْتَجَّ آدم وَمُوسَى فَقَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدم الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَدِهِ , وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ , وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ , وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ "؟ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

752- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسٌ وَهُوَ ابْنُ عِيَاضٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو , عَنْ أَبِي سَلَمَةَ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "احْتَجَّ آدم وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ, فَقَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدم الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

بِيَدِهِ , وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ , وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ , وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ " وَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَهَذَا حُجَّةُ مُوسَى عَلَى آدم : أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهِ بِيَدِهِ , وَأَمَّا حُجَّةُ آدم عَلَى مُوسَى بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَطَّ لَهُ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ

753 - فَحَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أحمد بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ الدُّولَابِيُّ قَالَ: نا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ , عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ , عَنْ طَاوُسٍ , سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " احْتَجَّ آدم وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ , فَقَالَ مُوسَى: يَا آدم أَنْتَ أَبُونَا أَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ فَقَالَ آدم: يَا مُوسَى , اصْطَفَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِكَلَامِهِ , وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ , تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ: فَحَجَّ آدم مُوسَى فَحَجَّ آدم مُوسَى "

754 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أحمد بْنُ عَبْدَةَ , وَيَعْقُوبُ بْنُ حُمَيْدِ بْنِ كَاسِبٍ , قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ , عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ , عَنْ طَاوُسٍ , سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " احْتَجَّ آدم وَمُوسَى فَقَالَ مُوسَى: يَا آدم: أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا , وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ لَهُ آدم: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ , وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ , وَقَرَأْتَ التَّوْرَاةَ فَهَلْ تَجِدُ فِيهَا أَنَّهُ قَضَى عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ قَالَ: نَعَمْ , قَالَ: فَحَجَّ آدم مُوسَى " قَالَ ابْنُ عَبْدَةَ: وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ؟ أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً "

755- حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَطَشِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّرْقُفِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قَيْسٌ يَعْنِي ابْنَ الرَّبِيعِ عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى , عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو , عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ , عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {فَتَلَقَّى آدم مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} [البقرة: ٣٧] قَالَ: " أَيْ رَبِّ , أَلَمْ تَخْلُقْنِي بِيَدِكَ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: أَيْ رَبِّ , أَلَمْ تَنْفُخْ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: أَيْ رَبِّ أَلَمْ تَسْبِقْ رَحْمَتُكَ إِلَيَّ قَبْلَ غَضَبِكَ؟ قَالَ: بَلَى , قَالَ أَيْ رَبِّ , أَلَمْ تُسْكِنِّي جَنَّتَكَ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: أَيْ رَبِّ أَرَأَيْتَ إِنْ تُبْتُ وَأَصْلَحْتُ , أَرَاجِعِي أَنْتَ إِلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ "

756- وَحَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو وَأَبُو صَالِحٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ يَعْنِي الْفَزَارِيَّ , عَنْ سُفْيَانَ , عَنْ عُبَيْدٍ الْمُكْتِبِ , عَنْ مُجَاهِدٍ , عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: " خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ: آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ , وَالْعَرْشَ , وَالْقَلَمَ , وَجَنَّاتِ عَدْنٍ , ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُنْ فَكَانَ "

757-وَحَدَّثَنَا جَعْفَرٌ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ , عَنْ حَكِيمِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: " أُخْبِرْتُ أَنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَمَسَّ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: غَرَسَ الْجَنَّةَ بِيَدِهِ , وَجَعَلَ تُرَابَهَا الْوَرْسَ وَالزَّعْفَرَانَ , وَجِبَالَهَا الْمِسْكَ , وَخَلَقَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ , وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ "

758- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادِ بْنِ آدم قَالَ: حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأُسْوَارِيُّ , عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ , يُحَدِّثُ: " أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَمَسَّ بِيَدِهِ شَيْئًا إِلَّا ثَلَاثَةً: آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ , وَالتَّوْرَاةُ فَإِنَّهُ كَتَبَهَا لِمُوسَى بِيَدِهِ , وَطُوبَى شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ غَرَسَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ , لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةٌ إِلَّا فِيهَا مِنْهَا فَنَنٌ , وَهِيَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ} [الرعد: ٢٩] "

759- وَحَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمِنْهَالِ الضَّرِيرُ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ , عَنْ قَتَادَةَ , عَنْ أَنَسٍ , : أَنَّ كَعْبَ الْأَحْبَارِ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَمَسَّ بِيَدِهِ إِلَّا ثَلَاثَةً: خَلَقَ آدم بِيَدِهِ , وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ , وَغَرَسَ الْجَنَّةَ بِيَدِهِ , ثُمَّ قَالَ: تَكَلَّمِي: فَقَالَتْ: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} [المؤمنون: ١]

هذا الباب تتمة لباب اثبات صفة اليد لله عز وجل، فبيَّن الإمام الآجري في هذا الباب تشريف الله عز وجل لبعض مخلوقاته بأن الله عز وجل قد باشر خلق هذه المخلوقات بيديه الشريفتين سبحانه وتعالى، لذلك بوَّب بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ وَخَطَّ التَّوْرَاةَ لِمُوسَى بِيَدِهِ , وَخَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ , وَقَدْ قِيلَ: الْعَرْشُ , وَالْقَلَمُ . وهذا تشريف لأن باقي المخلوقات خُلِقت بكُن فكانت. وأما هذه الأربعة أو على اختلاف العدد تصل إلى الخمس، هذه قد خلقها الله عز وجل سبحانه وتعالى تشريفًا منه وتكريمًا لهؤلاء بأن باشر خلقهم بيده سبحانه وتعالى.

فأولًا هذا الباب وهذه الأحاديث فيها اثبات لصفة الكتابة والخط، لأن الله عز وجل (خَطَّ) التوراة بيده، وفي رواية أخرى (كَتَبَ)، ودلالة ذلك على أن الكتابة والخط صفة فعلية خبرية ثابتة لله عز وجل تليق به سبحانه وتعالى على الأصل الذي عندنا: { لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: 11] ، فكتابة الله ليس ككتابة المخلوقين.

وقد خص الله عز وجل – كما قلت – مباشرة خلق بيده؛

أولًا خلق آدم عليه السلام، قال تعالى لما قال لإبليس: {قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ} [ص: 75] ، فهنا قال: { لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ}، وهذا نص، تصريح، لذلك الإمام الآجري قال الجهمي الذي أنكر ذلك قال له (كَفَرْتَ)، والكفر هنا جاء بسبب تكذيبه لآيات الله عز وجل، فالآية صريحة في القرآن، قال: (كَفَرْتَ بِالْقُرْآنِ , وَرَدَدْتَ السُّنَّةَ)، {قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ}، فهنا دل ذلك على أن من أنكر ذلك أنكر آية في القرآن، ففيه تكذيب لله وتكذيب للقرآن، لذلك جاء باب الكفر من هنا.

والأمر الثاني الذي خلقه الله عز وجل بيده أنه غرس جنة عدن بيده سبحانه وتعالى؛ وهذا جاء من حديث ما ورد عن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ قال:[أُولَئِكَ الذينَ أَرَدتُ غَرَسْتُ كَرامَتَهم بيَدي، وخَتَمتُ عليها، فلَم تَرَ عَينٌ، ولَم تَسمَعْ أُذُنٌ، ولَم يَخطُرْ على قَلبِ بَشَرٍ]، الحديث عند مسلم حديث المغيرة، قال: [أُولَئِكَ الذينَ أَرَدتُ غَرَسْتُ كَرامَتَهم بيَدي] ويقصد هنا جنات عدن، كرامتهم أي الذين سيُكرَمون به وهي جنات عدن، غرسها الله عز وجل [غَرَسْتُ كَرامَتَهم بيَدي، وخَتَمتُ عليها] جنة عدن، [فلَم تَرَ عَينٌ، ولَم تَسمَعْ أُذُنٌ، ولَم يَخطُرْ على قَلبِ بَشَرٍ] نسأل الله عز وجل أن يدخلنا هذه الجنات ويمتعنا بها. فغرس الله عز وجل بيده سبحانه وتعالى.

والأمر الثالث: كتابة الألواح لموسى عليه السلام بيده؛ قال تعالى: {وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ} [الأعراف: 145] ، قال: {وَكَتَبْنَا}. ثم جاء النص في حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام رواه أبو هريرة، أولًا موسى بيَّن مكرُمة آدم فقال: (أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ خَلَقَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِيَدِهِ)، فآدم عليه السلام أراد أن يبين منقبة موسى أيضًا؛ قال: (أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ , وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ) وهناك رواية (خط لك بيده) فقط، والرواية التي معنا هنا (خط لك التوراة بيده)، فهنا بيَّن بأن الله عز وجل قد كتب التوراة بيده سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام، وهذا الأمر الثالث الذي هو متفق عليه.

والأمر الرابع: أشار الإمام الآجري في التبويب **(قِيلَ: الْعَرْشُ, وَالْقَلَمُ)** على أنه يوجد خلاف في القلم والعرش، والدليل في مسألة القلم والعرش ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما موقوفًا وذكر هنا قال: **(خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ: آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ , وَالْعَرْشَ , وَالْقَلَمَ , وَجَنَّاتِ عَدْنٍ , ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُنْ فَكَانَ)** رواه الحاكم في المستدرك، وهو حديث ابن عمر. وجاء قريب منه أيضًا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما بنفس المعنى أيضًا في مسألة خلق العرش والقلم وجنات عدن.

فهناك ثلاثة متفق عليها؛ وهي التوراة، وخلق آدم، وخلق جنات عدن. وهناك أيضًا أن الله عز وجل **[كَتَبَ عِندَهُ فوقَ عَرشِهِ: إنَّ رَحمَتِي سَبَقَت غَضَبِي]**، وهذه أيضًا وإن كان لم يظهر فيها نصًا أن الكتابة هذه كتبها هو سبحانه وتعالى؛ أي مباشرة، أم غيره؟ لكن البعض يضيف أيضًا هذه، فيقول أن الأربعة هي غرس جنات عدن، وكتب الألواح، وخلق آدم، وكتب فوق عرشه رحمته سبقت غضبي. لكن القلم والعرش حقيقة ثبت فقط برواية ابن عمر هذه التي صححها بعض أهل العلم كما قلنا.

بيَّن هنا بأن الجهمية لم يؤمنوا بذلك على أصلهم لأنهم لم يؤمنوا أصالة بصفة اليد؛ لم يثبتوا صفة اليد لله عز وجل، لكن أهل السنة والجماعة أثبتوا صفة اليد، وأثبتوا أيضًا بأن الله عز وجل كما جاءت هذه الآيات أو غيرها أن الله عز وجل قد كرَّم وأنعم وشرَّف بأن خصص بعض هذه المخلوقات لحكمة يعلمها الله عز وجل عن سائر المخلوقات التي خُلِقَت بكُن فكان، لكن هذه المخلوقات قد خلقها عز وجل بيده، والعجب بأنهم لا يثبتون ذلك مع أن إبليس عليه ما يستحق قد أثبت هذه المنقبة لآدم، لأنه حسد آدم عليه السلام على ذلك لأن الله قد باشر خلقه بيده، قال الله عز وجل: {قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ} [ص: 75] ، فإبليس قال بعد ذلك في آيات أخرى:{ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ} [الحجر: 33] ، أو {قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ} [ص: 76] في آيات أخرى، أحاله على قياس آخر، وهؤلاء الجهمية ينكرون ذلك! فكان إبليس أفقه منهم في ذلك.

والأحاديث طبعًا فيها بعض الفوائد بيناها من قبل في مسألة احتجاج آدم وموسى حتى لا نعيد مره أخرى فقد بيناها.

والحديث الذي فيه ضعف الذي هو: (أَيْنَ رَبِّ, أَلَمْ تُسْكِنِّي جَنَّتَكَ؟) هذا الحديث فيه ضعف ولم يثبت، حتى المتن فيه نظر أصالة.

إذًا هذا تتمة لاثبات صفة اليد لله عز وجل.

ندخل في الباب الذي يليه بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ سبحانه وتعالى. هذا الباب أصالة قبل أن نقرأ، من التبويب يبين لك دقة فهم الإمام الآجري واثباته لعقيدة أهل السنة والجماعة في كيفية اثبات الكمالات لله عز وجل، وتنزيهه عن النقائص. وهو في الأبواب السابقة أثبت لله عز وجل بعض الصفات، وأثبت لله عز وجل أيضًا بعض الأسماء في بعض الآثار، وليوصل لك تأصيلًا بأننا نقول نعم بأن الله عز وجل له صفات الكمال واسمائه حسنى وصفاته عليا، وأن أهل السنة والجماعة يثبتون لله عز وجل كل اسم فيه حُسْن، وكل صفة فيها كمال، والأصل هو اثبات الكمال لله عز وجل وتنزيهه عن النقائص، فأراد أن يبين لك بأن الكمال المطلق يكون من وجه الاثبات وأحيانًا يكون من وجه النفي؛ من وجه الاثبات أن تثبت لله عز وجل تعدد الأسماء والصفات فيكون كمالًا فوق الكمال؛ فتثبت لله السميع البصير العليم القدير إلى آخر ذلك، وتثبت له الصفات التي هي كمال فوق الكمال كالسمع والبصر والكلام والإرادة والمشيئة واليد والساق والضحك والمحبة والكره والبغض إلى غير ذلك، وكل هذه اثباتات نثبت بها صفات لله عز وجل وفيها معاني الكمال بما يليق به سبحانه وتعالى.

فأراد قبل أن يختم الباب يبين لك أيضًا بأنك لتتم الكمال فوق الكمال بأنك تنفي عن الله عز وجل ما يمكن أن يكون فيه نقصًا أو يُهيئ لأحد أن يكون فيه النقص. فمن اثبات الكمال إلى الله عز وجل أن تنفي عنه النقائص؛ أي تثبت له الحُسن والكمال، وكذلك من الكمال فوق الكمال أنك تنفي عنه ما لا يليق به سبحانه وتعالى. وهذا قد يكون لماذا اختار تحديدًا هذا الباب ليختم به هذا الجزء وهو بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، مع أنه هناك صفات أخرى منفية عن الله عز وجل، لكن هو يبين لك قبل أن نغادر هذا الكتاب – وقلت هذا من دقة فهم الإمام – يبين لك بأن من الكمال في حق الله عز وجل أن تنفي عنه ما لا يليق به، وتنزهه عن النقائص، وهذا كمال فوق كمال؛ أي لا تكتفي فقط بالاثبات بل أيضًا حتى في النفي أنك تنفي عن الله ما لا يليق به.

ولا يغيب عنكم – قد تكلمنا فيها أكثر من مرة – بأن أهل السنة والجماعة لهم ضوابط في مسألة الاثبات ومسألة النفي؛ فتجد أنهم في الاثبات تجد التفصيل، وفي النفي تجد الإجمال،

وهذه ليست من كيسهم بل هذا استقراء مما جاء في القرآن؛ لما تنظر إلى كتاب الله عز وجل تجد الله عز وجل فصَّل في اثبات الصفات، فتجد الاثبات في حق الله عز وجل مفصلًا في اسمائه وصفاته، وتجد النفي عن الله عز وجل تجده أقل ومُجملًا. إذًا **القاعدة عند أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات** أن الاثبات تفصيلًا، والنفي يكون إجمالًا – هذا الغالب أقول – هذا الغالب، وإلا قد يأتي الاثبات إجمالًا، وقد يأتي النفي تفصيلًا. لكن نقول هذا فارق بيننا وبين كتب المبتدعة في هذا الباب، فتجد نحن في الاثبات نفصل؛ السميع، البصير، العلي، القدير، العزيز، الحكيم، ونزيد تفصيلًا، ونزيد في الصفات، ونأتي في النفي نقول {فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ } [النحل: 74] ، و {هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا} [مريم: 65] ، و {فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا } [البقرة: 22] ، هذا نفي مجمل؛ أنك تنفي عن الله إجمال الند، الشبيه، المثلية، {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: 11] ، فتجد في النفي يأتوا بالإجمال، وفي الاثبات يأتوا تفصيلًا.

لكن قد يأتي في مواطن – كما هو الآن – أن تجد بعض الآيات وبعض الأحاديث يكون النفي تفصيلًا؛ كقوله تعالى في آية الكرسي {لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ } [البقرة: 255] ، كما هنا في الباب الذي معنا، و {وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ} [ق: 38] ، و [إنَّ اللهَ لا ينامُ ، ولا ينبغي له أن ينامَ]، وقوله تعالى: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} [الإخلاص: 3] ، فهنا تفصيل في النفي. **وتفصيل النفي** لما تنظر إليه استقراء في القرآن أو في السنة جاء:

إما لدفع الباطل الذي قاله المبطلون عن الله عز وجل؛ {قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ } [يونس: 68] ، أو قالوا {يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ} [المائدة:64]، فهو رد عليهم: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} [الإخلاص: 3] ، وقال سبحانه وتعالى:{ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا} [مريم: 92] ، و {لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا} [مريم: 89] ، فردَّ على المبطلون الذين نسبوا الباطل إلى الله فجاء الرد تفصيلًا في هذه المسألة؛

أو لدفع توهم النقص عن الله عز وجل فيأتي أحيانًا النفي؛ {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ } [البقرة: 255] ، ليدفع توهم النقص.

إذًا لما جاء النفي مفصلًا خلافًا نقول للأصل عند أهل السنة والجماعة بأن الله لما نفى نفى نفيًا إجمالًا وهذا مطابق نقول لسياق العرب؛ أنت لما تدخل الآن على عظيم من العظماء أو ملك أو رئيس، فتقول له أنت لست ببخيل، أنت لست بجبان، أنت لست بظالم، وتظل تعدد له

النفي، فيظن أنك تستهزئ به، فيقول خذوه علطول هذا يستهزئ. لكن لما تقول له أنت لا يُظلَم في مملكتك أحد، أنت العدل لك، فأنت تثبت له، وإن أردت أن تنفي فتنفي إجمالًا، لكن لو عددت له النفي تفصيلًا فهذا سوء أدب نقول.

لذلك لا تجد القرآن يعدد النفي تفصيلًا إلا كما قلت لك إما يرد على المبطلين الذين ينسبون النقائص لله، أو لدفع التوهم. لكنك في الاثبات تعدد؛ أنك كريم، عدل، شجاع، إلى غير ذلك، فهذا كمال على الكمال.

لكن لما تنظر في كتب المبتدعة تجد في كتبهم في العقيدة يزيد في التفصيل في النفي؛ يقول ليس بجوهر، ليس بعَرَض، ليس بجسم، ليس بحيز، ليس بمحدود، تجد الكلام كله بالصفحة كله نفي نفي، وتجد كلمة أو كلمتين في الاثبات! خالفوا القرآن والسنة في ذلك. وهم يحتجون طبعًا بقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: 11] ، فقالوا الآية جاء فيها النفي قبل الاثبات، الله قال:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: 11] ، فقالوا نحن قدمنا النفي على الاثبات لأن الآية الله عز وجل قال في حقه هكذا؛ {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: 11] ، فظنوا بأن النفي مفصلًا مُقدم على الاثبات. وهذا خطأ، لأن قلنا الله عز وجل لما خاطب في هذه الآية كان يخاطب مشركي العرب وغيرهم، فهم كانوا عندهم تصورات وتشبيهات لكن سموا الأصنام من أسماء الله؛ مناة واللات والعُزى.

فأنت حتى تُنقي العقيدة عند المخالف بالشرك وغيره لابد أولًا أن تُخلِّي القلب من هذه المفاسد وهذه الاعتقادات الباطلة، فتنفي؛ تقول له: {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ} [الشورى: 11] ، أي ليس كما عندك من تشبيه بين المخلوق أو بين أصنامك وبين الخالق، فالأول أنت تُخرج ما في قلبه من اعتقادات فاسدة وباطلة فتنفي عنده أن يكون الإله له شبيه أو مثلية أو ند أو مَثَّل، فبعد أن تُنقي له ذلك تبدأ تعطيه الاعتقاد الصحيح {وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: 11] الكريم المنان.

فالمقصود من قوله تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ} [الشورى: 11] ليس أننا نعتقد بأن النفي المتعدد المفصل هو الأفضل من الاثبات المفصل! لا، فالله عز وجل أراد أن يُخَلِّي القلوب ثم يُحلِّيها؛ التخلية ثم التحلية، تخلي القلوب؛ تخرجها أولًا من الاعتقادات الفاسدة، ثم تحليها بالاعتقاد الصحيح، وإلا كيف أنك لو أردت أن تعالج قلب أحد كيف ستدعوه إلا أنك الأول تخرج ما في قلبه من شرك أو من اعتقادات باطلة ثم تعطيه الاعتقاد الصحيح مكانه. هذا هو المقصود من قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: 11] ، أن يدفع أولًا عن الله عز وجل عند هؤلاء في اعتقاداتهم؛ اعتقاد المثلية أو الشبيه أو الند أو النظير لله

عز وجل في هذا الباب؛ باب الأسماء والصفات، ثم بعد ذلك يبين لهم أسماء الله وصفاته. وهؤلاء فقهوا خطأ؛ ظنوا بأن الاثبات يكون مجملًا والنفي الذي يكون مفصلًا، وهذا ليس مقصود الله عز وجل بدليل من تتبع واستقرأ القرآن والسنة تجد الاثبات هو الذي فيه التفصيل، والنفي هو الذي فيه الإجمال، إلا أن تجد أحيانًا كما قلنا بعض النفي المفصل.

وهذا كله أردنا أن نقدمه لنبين لك معنى أو مغزى أن الإمام الآجري اختص فقط لأن هذا الباب آخر شيء يتكلم عنه، وجاء فيه في باب النفي ليبين لك أيضًا أن من تمام الاعتقاد الصحيح في الله عز وجل باسمائه وصفاته كما أنك تثبت وتعدد في الاثبات وتفصل في الاثبات عليك أيضًا أن تنفي عن الله عز وجل ما نفاه عن نفسه حتى يكتمل لك الكمال في حق الله عز وجل.

لذلك نحن في النفي لا نكتفي بالنفي المجرد؛ أي لا نقول [إنَّ اللهَ لا ينامُ ، ولا ينبغي له أن ينامَ] ثم نقف! لا، نقول لكمال حياته، أم كمال قيوميته؟ ما رأيكم؟ **لا ينبغي أن ينام لكمال ماذا؟ حياته أم قيوميته؟**

الآية بتقول: {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ } [البقرة: 255] ، ثم نفى {لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ} [البقرة: 255] ، أليس النوم موت؟ أصلًا النوم موت {ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ } [الزمر: 42] ، إذًا النوم موت، فلما أقول [لا ينامُ] إذًا هذا لابد نفي للحياة، وهي الآية هكذا {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ } [البقرة: 255] ، فنقول هنا لما كان الموت مناقض للحياة إذًا المقصود هنا بأن نقول الله لا يموت لكمال حياته سبحانه وتعالى لأنه هو الحي.

أما القيومية فتستلزم عدم الموت نعم، لكن نحن لسنا في الاستلزام الآن، نحن نتكلم في النفي الذي يقابله الاثبات، فهنا هذا هو المقصود، لأنه جاء الحي وجاء القيوم، فـ الحي هو المناسب لـ لا يموت، و(لا تأخذه سنة) هي للقيومية، **لماذا لا تأخذه سِنة لقيوميته؟** فأنت عندك اسمين ونفيين، لأن القيومية هو الذي يقوم بكل شيء في السماوات والأرض، فكيف تأخذه السِنة وهو قيوم بكل شيء، لا يغيب عنه شيء؟! فلو أخذته السِنة لن يكون قيوم بكل شيء في السماوات الأرض. فالسِنة مع القيومية، والموت مع الحي، وهكذا يستقيم.

بينا عمومًا عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب، ولماذا الإمام الآجري قد أتى بهذا الباب العظيم، ونتكلم فيه عن ما تبقى إن شاء الله منه بعد أن نقرأ الآن الأحاديث.

60- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ , لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة: ٢٥٥] الْآيَةَ وَأَخْبَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ , وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ»

760 - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ , عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ , عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ , عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ , وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ , وَلَكِنَّهُ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ , يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ , وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ , حِجَابُهُ النَّارُ أَوْ قَالَ النُّورُ لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»

761 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّا الْمُطَرِّزُ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ الْأَعْرَجُ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَاصِمٍ , عَنْ سُفْيَانَ يَعْنِي الثَّوْرِيَّ , عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ , عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ , عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعٍ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ , يَرْفَعُ الْقِسْطَ , وَيَخْفِضُ بِهِ , يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ , وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ , حِجَابُهُ النُّورُ , أَوِ النَّارُ , لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ مَنْ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ»

762 - حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ هَارُونُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُقْرِئُ يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمَسْعُودِيُّ , عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ , عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ , عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعٍ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

763- وَحَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى , عَنْ سُفْيَانَ , عَنْ حَكِيمِ بْنِ الدَّيْلَمِ , عَنْ أَبِي بُرْدَةَ , عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعٍ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

764 - وَحَدَّثَنَا جَعْفَرٌ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: نا زُهَيْرٌ قَالَ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى , عَنْ إِسْرَائِيلَ , عَنْ مَنْصُورٍ , عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ , عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحَرِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَّامٍ فَانْقَبَضَ مِنِّي , حَتَّى انْتَسَبْتُ لَهُ فَعَرَفَنِي فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أُحَدِّثُ بِشَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ دَنَا مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى سَمِعَ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ , فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ, هَلْ يَنَامُ رَبُّكَ؟ قَالَ جِبْرِيلُ: يَا رَبِّ يَسْأَلُكَ هَلْ تَنَامُ؟ , فَقَالَ يَا جِبْرِيلُ أَعْطِهِ قَارُورَتَيْنِ فَلْيُمْسِكْهُمَا اللَّيْلَةَ وَلَا يَنَامُ , فَأَعْطَاهُ فَنَامَ , فَاصْطَفَقَتِ الْقَارُورَتَانِ فَانْكَسَرَتَا فَقَالَ يَا رَبِّ قَدِ انْكَسَرَتِ الْقَارُورَتَانِ فَقَالَ يَا جِبْرِيلُ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَنَامَ , وَلَوْ نِمْتُ لَزَالَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِجَمِيعِ مَا ذَكَرْنَا. وَإِنَّمَا لَا يُؤْمِنُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ الْجَهْمِيَّةُ الَّذِينَ خَالَفُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ , وَسُنَّةَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَخَالَفُوا أَئِمَّةَ الْمُسْلِمِينَ , فَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَحْذَرَهُمْ عَلَى دِينِهِ قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: "إِنَّا لَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى , وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ"

باب كما قال المصنف بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وكنا بينا مناسبة ذكر ذلك. وذكر قول الله عز وجل:{ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ } [البقرة:255]، وقلنا فيها الاثبات والنفي؛ أثبت الله عز وجل له الحياة؛ الحي والقيوم، تمام الحياة لله سبحانه وتعالى، هو الحي الذي لا يموت، وأيضًا هو القيوم سبحانه وتعالى القائم وله قيوميته الذي يقوم بكل ما كان من شؤون خلقه؛ فهو يقوم بالسماوات والأرض، يقوم بكل مخلوقاته سبحانه وتعالى، فكان بعد الاثبات نفي؛ أن {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ } [البقرة:255]، وهنا جاء النوم كما قلنا منافي للحياتيه؛ بأن الله عز وجل هو الحي الذي لا يموت، وأن النوم نوع من أنواع الموت، ويُنزَّه الله عز وجل عن ذلك، لذلك قال الله لا ينام. وأيضًا لا تأخذه سِنة لكمال قيوميته سبحانه وتعالى، والسِنة فيها بعضهم قال الغفلة وهي قريبة من النوم، المهم أن الإثنين {سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ } تصح أيضًا للحياة وتصح للقيومية؛ أي نقول لأن من تمام قيوميته يستلزم ذلك أنه لا يمكن أن ينام، لأن من ينام أصالة أو تأخذه سِنة لا يستطيع أن يباشر وأن يقوم بشؤون خلقه، وهو سبحانه وتعالى قائم على كل شيء، لذلك قال النبي ﷺ: [إنّ الله لا ينامُ ، ولا ينبغي له أن ينامَ] لأن هذا النوم لا شك صفة نقص، مع أن النوم في المخلوق صفة كمال؛ أنت الآن لما تكون مخلوق ولا تنام تذهب إلى الطبيب تقول له أنا لا أعرف النوم أعطني دواء لأنام، فالمخلوق الذي ينام أكمل من المخلوق الذي لا ينام،

وهذه من الصفات التي لا يوصف فيها الله عز وجل، يفارق فيها المخلوق، هي كمال في حق المخلوق ونقص في حق الله عز وجل. وقلنا عندما ننفي عن الله عز وجل نثبت معه كمال الضد؛ نقول الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام لكمال حياته سبحانه وتعالى، لكمال قيوميته سبحانه وتعالى، هو الحي الذي لا يموت. **فأنت تنفي عن الله مع اثبات كمال الضد، وهذه من أصول أهل السنة والجماعة**، يقول الله عز وجل: { وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ} [فصلت:46] ، الله ليس بظالم، تنفي الظلم عن الله، الله منزه عن الظلم لكمال عدله {إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ } [النحل: 90] .

لذلك قد تجد في بعض نصوص القرآن أن يأتي النفي مع الاثبات في نفس الآية كما في آية الكرسي: {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ } [البقرة:255]، أي جاء النفي ومعه الاثبات قبله حتى يبين لك الكمال، فأنك تنفي مع اثبات كمال الضد. وقد يأتيك الآيات فيها النفي فقط منفردًا وتأتي آيات أخرى فيها الكمال حتى تجمع كما قلنا قال الله تعالى: {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ} [فصلت:46] ، و{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ} [النحل:90]. فتقول هنا وما كان ربك بظلام العبيد لأن الله عز وجل يأمر بالعدل والإحسان، فتجمع هنا بين النفي والاثبات. إذًا قد يأتي النفي والاثبات في دليل واحد، وقد يأتي النفي منفردًا والاثبات منفردًا، لكنك من الأدب مع الله عز وجل في باب النفي أنك عندما تنفي عن الله عز وجل وتنزهه عن النقائص أن تثبت مع النفي كمال الضد، وهذه أصول لابد أن يلتزم بها من يتكلم أو يدعو الله عز وجل إلى غير ذلك؛ أنه يلتزم بهذه الأصول لِما فيها من حسن الأدب مع الله عز وجل.

ثم ذكر الحديث (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ , وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ) انظر.. (وَلَكِنَّهُ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ)، القسط هنا جاء في بعض التفاسير بمعنى الميزان، قال: (يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ) لماذا؟ قال: (يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ , وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ) أي أن الله عز وجل هو لا ينام ولا ينبغي له أن ينام لأن الله عز وجل يرفع القسط ويخفضه؛ هو الذي يوزن موازين العباد، وهو الذي يتابع شؤون العباد، لذلك قال: (يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ) على أن المقصود بالقسط هنا الميزان، وهذا أحد التفاسير، وهو التفسير الغالب في الحديث، لذلك قال: (يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ) الملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فيأتون بأعمال العباد ليلًا، وملائكة أخرى يأتون بأعمال العباد هؤلاء بعد العصر وهؤلاء بعد الفجر، وكل هذه توزن به الأعمال فيرفع القسط ويخفضه وهذا ليلًا ونهارًا، ليلًا

ونهارًا، فهذه دلالة يبين لك لماذا الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام؛ لأنه هو سبحانه وتعالى قائم على شؤون مخلوقاته سبحانه وتعالى.

والبعض قال بأنه (يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ) يُقصد بالقسط هنا ما يُنزله الله عز وجل من أرزاق للعباد؛ فيعطي هذا ويمنع عن هذا، فبعضهم قال في أحد التفاسير (يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ) أي يعطي هذا يرزق من يشاء هنا ويمنع ذلك عن من يشاء.

وإن كان الغالب في التفسير المقصود به الميزان الذي يخفض ويرفع به الأعمال، ولا يمنع تنوع التفاسير كما قلنا في الأحاديث أو حتى في الآيات.

ثم قال: (وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ , حِجَابُهُ النَّارُ أَوْ قَالَ النُّورُ لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ)، فيه طبعًا اثبات صفة الوجه لله عز وجل لأنها أضيفت إلى الله عز وجل. وفيها أيضًا أن الله عز وجل وضع الحجاب على وجهه سبحانه وتعالى الآن بحيث لا يرى أحد من الخلق وجه الله عز وجل في الدنيا إلا أن يرجع المرء بعد ذلك إلى يوم القيامة يوم الحساب، فيمُن الله عز وجل على عباده المؤمنين برؤية وجهه في الجنة بعد دخولهم، وأيضًا عند الصراط كما جاءت الأحاديث تبين ذلك.

وبيَّن بأنه (لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ) دلالة على أنه لا يمكن لأحد أن يرى الله عز وجل في الدنيا كما بينا في مسألة امتناع رؤية العباد لربهم في الدنيا لأن الله خلقهم على حالة لا يستطيعون فيها أن يروا وجه الله عز وجل، لذلك قال: (لَوْ كَشَفَهَا) هذا الحجاب (لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ) والله عز وجل لا ينتهي إليه بصر من خلقه فدل ذلك لو كشف الحجاب لاحترقت الدنيا ومن فيها بكشف الحجاب، وهذا لن يكون في الدنيا.

ثم ذكر الحديث حقيقة الحديث الذي فيه موسى عليه السلام الحديث ضعيف، هو أصلًا الحديث رواه ابن كثير في التفسير والحديث هذا حقيقة من أخبار بني إسرائيل، وأصلًا المتن فيه نكارة، ورواه ابن جرير أيضًا في التفسير، ورواه ابن كثير في التفسير، وكل هذا من أخبار بني إسرائيل. **طيب أين النكارة في المتن؟** في حديث: (إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ دَنَا مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى سَمِعَ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ...)

هل موسى لا يعلم بأن الله لا ينام؟! هذه نكارة في المتن، هو بيقول: (إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ دَنَا مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى سَمِعَ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ , فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ , هَلْ يَنَامُ رَبُّكَ؟) من الذي بيسأل؟ موسى عليه السلام بيسأل جبريل، فهل يُظَن بأن موسى عليه السلام لا يعلم بأن الله لا ينام؟! فالنكارة أنه لا يُتصور أن موسى عليه السلام وهو من أولي العزم من الرسل لا يعلم أن الله لا ينام!

إذًا الصحيح تقول أن هؤلاء بنوا إسرائيل الذين سألوا موسى عليه السلام. هو الحديث لم يصح، وهو أصلًا من الإسرائيليات، فلابد تحمله على أن بنو إسرائيل هم الذين سألوا موسى، وليس موسى هو الذي سأل جبريل، وجبريل بيسأل الله عز وجل! لا جبريل هيسأل، ولا موسى من باب أولى الذي سيسأل، لذلك نحن نريد موسى، النكارة في المتن في موسى عليه السلام أصالة.

انتهينا من هذا الباب، ولن ندخل في بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ مَذَاهِبِ أَقْوَامٍ هذا باب عظيم جدًا سنفرده إن شاء الله، لكن قبل أن أغادر سأرجعكم إلى حديث قد تكلمنا عنه في الباب الذي قبله؛ حديث أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: [مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً , فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ , حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ , فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ]، الحديث في بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ بِيَمِينِهِ , فَيُرَبِّيهَا لِلْمُؤْمِنِ. والرواية التي قبلها عند مسلم. أول رواية في الباب. وتطبيق لما بندرسه في كتب أخرى في مسألة مهمة جدًا، الحديث فيه عدة صفات وفيه إشكال لابد أن نحله الآن؛

أولًا الصفات، نسير مع الصفات، نحن أخذنا شرح هذا الباب فنريد أن نبين الصفات التي في الحديث، والإشكال الذي قد يظهر؛؛

[أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ]: الرحمن اسم لله عز وجل، وقبله صفة (الأخذ)، صفة فعلية، هنا أضيف الأخذ لله.

[بِيَمِينِهِ]: إذًا هنا اليد، واليد يمين.

[فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ]: تثبت هنا أن الله له (كف) للإضافة. [فَتَرْبُو] النماء والبركة.

- **ما الإشكال الذي ممكن أن يكون في الحديث ويأخذه عليك المبتدعة؟ ما الإشكال الذي قد يظهر عند المبتدعة الآن ويرميك به وأنت تريد أن تدفعه؟**

أريد المبتدعة المتأولة، ما أريد الخلاف الذي بين أهل السنة في اليمين والشمال.

السيدة عائشة كانت ماذا بتفعل في الصدقة؟ كانت تطيبها، وتقول أنها ستقع في يد الرحمن، ولكن هي حقيقة أين وقعت؟ في يد الفقير. فما توجيه عائشة لما تقول في يد الرحمن، فهنا قال [فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ] السيدة عائشة كانت تطيبها لأنها ستقع في يد الرحمن، فهل الوقع في يد الرحمن وقع حقيقي؟ قال: [فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ]، وقبلها في أول الحديث: [إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَمِينِهِ] فالأخذ هنا أخذ حقيقي؟ طيب.. [فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ] تربو حقيقة؟ كما قالت عائشة كانت تطيب الصدقة لأنها ستقع في يد الرحمن، فهل ستقع وقوعًا حقيقيًا أم ماذا ستقولون؟ لذلك أنا قلت لك أنك أنت الآن لما تشرح هذا الحديث ممكن المبتدعة المتأولة يلمزوا عليك.

هو يريد أن يمنعك أنك تثبت اليمين والكف، فيقول لك أنت الآن أثبت الكف واليمين، طيب ماذا ستفعل في (الأخذ) و(تربو)؟ وهل ستقع وقوع حقيقي؟ وأخذ حقيقي؟ وتربو الربو الحقيقي؟ فأنت الآن لو قلت له حقيقي إذًا أنت أثبت بأنها بتقع في اليد حقيقية، طيب ستقول له أن المقصود هنا بـ (تربو) أي تزداد وتنمو وتبارك فيها، والأخذ هنا ليس أخذًا حقيقيًا، والأخذ هنا المقصود به.. **انتبه**... الأخذ سيكون القبول، لما قال: [إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَمِينِهِ] إذًا قبلها الرحمن بيمينه، و [فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ] فهذا دلالة على القبول بأنها زادت ونمت وبركت، أي تقبلها الله عز وجل من العبد، وهذا سيُحمل عليه قول عائشة، وإلا لو الإشكال في عائشة أنها طيبت لأنها تقول بأنها ستقع، فهل وقوع حقيقي أم أيضًا دلالة على القبول بأن الله سيقبلها؟ فلو قلت بذلك فهل هذا تأويل أم ماذا ستقول؟ هل هذا يعد تاويلًا عندنا؟

هم سيقولوا لك: أوَّلوا. أنت الآن لو قلت بما أنا قلته الآن؛ وهذا معنى مراد عند أهل السنة؛ أنه قبول النفقة والمباركة والزيادة فيها، فالآن سيقول لك: أن هذا خلاف الظاهر، وأنت الآن أوَّلت، إذًا لما أقول لك أن الكف ليس بكف لا تقول لي تأويل، لما أقول لك اليمين ليست يمين لا تقول لي تأويل، وأن هذا قبول! فماذا ستفعل يا طالب العلم؟

هل كلها تأويل أم بعضها حقيقي وبعضها تأويل؟ أي ستتعامل معها كأهل السنة والجماعة فتقول من حيث اثبات (اليمين) فهي أضيفت إلى الله، سنثبت اليمين، ومن حيث اثبات (الكف) سنثبت الكف لأنه أضيف إلى الرحمن؛ فأصبح صفة لله عز وجل. **لكن السياق..**

تذكروا لما تكلمنا في أكثر من موضع وفي (العقيدة الواسطية) **تكلمنا عن الظاهر التركيبي والظاهر الإفرادي**، وقلنا بأن الظاهر التركيبي عندما تتركب بعض الجمل أو الآيات {فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ} [النحل: 26] ، {فَأَتَى ٱللَّهُ} هل هذا إتيان حقيقي لله أم إتيان لعذاب الله؟ ما الذي جعلنا نقول أن {فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ} أن الإتيان ليس صفة الإتيان لله؟ قلنا السياق يبين الظاهر التركيبي للآيات بأن المراد هنا إتيان العذاب وليس لإتيان لله عز وجل حقيقة، ذاته، لماذا؟ لأنه لا يُتصور أن السقف من فوقهم والله يأتيهم وفي سقف وغير ذلك فلابد أن السياق يبين لك بأن الإتيان إتيان عذاب هنا. وقلنا أن هذا يسمى ظاهر تركيبي؛ لأن لما تُركِّب الآيات أو الجمل يظهر لك ظاهر غير لو كانت الآيات منفردة أو الجمل منفردة.

وقلنا أن الظاهر التركيبي هذا قال به شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال به على أنه بيظن البعض أنه يرمي أهل السنة والجماعة أن هذا تأويل! وهذا في لغة العرب موجود؛ لما تأتي الجمل وتجتمع، أو بعض الآيات، فلا يكون المراد منها الظاهر هذا، وهو ظاهر تركيبي بالتركيب يكون ظاهر آخر بغير الإفراد؛ لو أخذت: {فَأَتَى ٱللَّهُ} فيكون هنا الإتيان هو إتيان الله، لكن لما تأتي بباقي الآيات؛ السابق واللاحق والسياق يبين لك بأن الإتيان هنا إتيان العذاب.

فهنا هذا الظاهر هو المراد هنا؛ المراد هنا أن المقصود هنا القبول، لأنه حقيقة أنت لا يمكن أن تقول بأنك لما بتضع الصدقة في يد الفقير بأنها وقعت في يد الله قبل الفقير! هذا لا يمكن أن تقوله حقيقة، ولا تقول لي كيفية أو غير كيفية، لأنه يوجد أيضًا ظاهر تركيبي. إذًا المقصود الظاهر هنا ليس وقوع الصدقة في يد الله قبل وقوعها في يد الفقير، لأنها حقيقة هي وقعت في يد الفقير.

إذًا المقصود هنا السياق يقول لك بأن الله عز وجل قَبَلها منك؛ وقوعها في اليمين قبل الفقير هذا لأن الله قد قبلها، وتربو في كف الرحمن لأن الله عز وجل بارك فيها وزاد لك فيها في الأجور. فهذا يسمى الظاهر التركيبي الذي تعرفه من سياق الحديث، لكن هذا لا يمنعنا أن نثبت اليمين، وأن نثبت الكف كصفات لله عز وجل.

فهنا الحديث حتى لا يُشكل عليك أحد يقول تعال في هذا الحديث وفسره لي. فهذا تفسير أهل السنة والجماعة الذي نحن بنقوله، وليس من كيسنا؛ بأن المقصود هنا نعم أن تربو وتنمو والقبول والبركة، ولكن مع ذلك يثبتون اليمين للإضافة، ويثبتون كف الرحمن للإضافة. إذًا

خرجنا بأننا لسنا مؤولة؛ بل قلنا بالظاهر التركيبي الذي هو ظاهر عند العرب ومعلوم، وأثبتنا أيضًا الصفات لله عز وجل.

فالظاهر التركيبي هي الآيات لما تأتي مجتمعة، تركيبها معًا، وهناك ظاهر إفرادي أن يأتي اللفظ مفرد مثل { لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: 75] ، هذا ظاهر مفرد، ظاهر معناه مفرد. والظاهر التركيبي يكون هنا من تركيب الجمل مع بعضها البعض فيظهر لك ظاهر آخر لو أخذت الجملة منفردة؛ {أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا} [الفرقان: 45] ،{أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ}، هل {تَرَ} هذه رؤية الله؟! ليست رؤية الله، هنا المسألة ليست رؤية حقيقية لله، أنت لم تر الله، لكن هنا عجيب قدرة الله عز وجل في هذه المسألة. ما الذي جعلك تقول ذلك؟ هذا ليس تأويل عند أهل السنة والجماعة، لكن الظاهر التركيبي يقول لك، السياق لابد أن تقول ذلك، وهذا في لغة العرب. لكن المبتدعة يظن أن هذا تأويل منك، ويطلعوا وينزلوا ويظلوا يقولوا لك أنت بتؤول! وهو جهل منهم باللغة، لأن هذا ثابت في لغة العرب؛ مسألة الظاهر الإفرادي والتركيبي وغير ذلك.

وهذا الذي كنت أقصده أن أنوه عليه هنا في الحديث لأن البعض أشكل؛ بعض الطلاب أو الطالبات يُشكل عليه الحديث فيقول أنا سأقول باثبات اليمين والكف، طيب الذي (بيقع)، و(أخذ)، و(الوقوع في الكف) ماذا سنفعل فيه؟ نقول السياق يبين أن هذا دلالة على القبول والبركة وغير ذلك، مع اثبات الصفات أيضًا ولا ننفي.

الأسبوع القادم الباب الذي سيأتي باب مهم جدًا في مسألة الرد على الذين يقدحون في السنة، ويقدحون ولا يثبتون بعض الأحكام، الإمام سيُفرد وسيتكلم أنه سيأتي أناس وقال ابن عمر يكذبون بأحكام ثبتت؛ منها الرجم، منها الشفاعة، منها أحكام، وهذا حقيقة واقع مشاهد في عصرنا الآن؛ هناك من ينكرون أحكام ثبتت في الكتاب والسنة. فالباب القادم مهم جدًا لأنه سيرد فيه أيضًا على هؤلاء الذين ينكرون ما جاء في الكتاب وفي السنة ويتحججون أن السنة إما أنها كانت وقتية لزمن النبي ﷺ، وبعض الأحكام هذه حكم بها النبي ﷺ في عصره وأنها لا يلزمنا أن تكون لكل العصور، ونحن لا ننكر لكن نقيد، ولعبهم بهذه الكلمات حتى يقدحون في بعض الأحكام ولا يثبتونها، وأن هذا كما قال الشيخ بعضها يكون كفرًا إن كذَّب ما هو موجود في الكتاب وهو معلوم ولا يريد أن يثبته، فهناك فارق بين أن يثبته ولا يفعله؛ يقول نعم أعرف الرجم موجود لكن نحن ما نستطيع أن نرجم الآن، ما عندنا القدرة على الرجم، ما

عندنا القدرة على قطع اليد الآن، لكن يثبت، فهذا خلاف بين أن يقول لا الرجم هذا كان قديم، الآن لا يوجد شيء اسمه رجم، كان في عصر من العصور وغير موجود! فينكر حكم الرجم. فارق كبير جدًا والبعض يُخلِّط؛ فالأول الذي أنكر ما جاء في الكتاب – وطبعًا الإنكار له درجات – لكن من أنكر ما كان صريحًا معلومًا في الكتاب فهذا كفر. لكن من أثبت ولم يفعل فهذا أمر آخر؛ هذا ليس حكمه كحكم من أنكر. وهذا الذي إن شاء الله سنبينه الأسبوع القادم، وهذا ستكون له عدة محاضرات على قدر ما نستطيع، ونسأل الله عز وجل أن ييسر لنا ذلك.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الثالثة والستون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام نحن على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري، وقلنا أن هذا من أمتع وأنفع الكتب لطلاب العلم، وحقيقة لقد استمتعنا كثيرًا مع هذا الإمام الجليل – الإمام الآجري – بهذا الكتاب المبارك الذي أصَّل لنا أصولًا في الأجزاء السابقة، وردَّ على كثير من الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة، وقلت أنه في شتى أبواب العقيدة تعرض لها الإمام الآجري؛ إلى الآن تكلم في التأصيل في مسألة عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان، وفي القدر، وفي الأسماء والصفات، وأيضًا في أولياء الأمور في الحكم وفي الشرع، وسنتكلم الآن في مسألة الشفاعة وننتقل، وقبلها أيضًا يتكلم في أصل مهم جدًا يرد به على المخالفين لأهل السنة والجماعة والذين ظهروا في أزمنة سابقة ومع أنه هو في زمانه في آخر القرن الهجري الثالث ولكنه كأنه يعيش معنا، لأنه ظهر – كما سيأتي معنا – الذين يتكلمون بهذا الكلام؛

الذين يكذبون أحكامًا وردت في السنة، وهي وردت في الكتاب أيضًا ليست في السنة فقط، لكنهم يُكَذِّبُونَ بِشَرَائِعَ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ التَّصْدِيقُ بِهَا.

وهذا التكذيب منهم يعد إنكارًا؛ فمنه ما كان تكذيب لما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو تكذيب لما جاء نصًا وتصريحًا في كتاب الله عز وجل، فكان قطعي الثبوت وقطعي الدلالة فكان هذا التكذيب إنكارًا، وعدَّ كثير من أهل العلم بأن التكذيب المؤدي للإنكار ناقض من نواقض الإيمان؛ قال تعالى:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ} [الأنعام: 21] ، وفي آية { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ } [يونس: 17] . ولا شك الافتراء على الله بالكذب هو أنك تنكر ما جاء في الكتاب؛ وهذا أعظم الافتراء على الله عز وجل، فلما تنكر تُكذِّب، وهذا من أعظم الافتراء على الله عز وجل، وسماه الله عز وجل أنه {لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ} ، {لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ }.

فكان التكذيب بشرائع جاءت في الكتاب وثبتت؛ على تفصيل عند أهل العلم طبعًا؛ إن كان هذا من التكذيب ممن هو معلوم في الدين وقد ثبت بثبوت قطعي ودلالات قطعية فهذا يعد ناقض من نواقض الإيمان، وإلا لو كان له تأويل أو شيء فلا يكون ذلك ناقض، لكن لابد أن تُرَد عليه الشبهة، ولابد أن تقام عليه الحجة؛ فإن أصر بعد ذلك وكان الإصرار عن تكذيب وإنكار فهذا أيضًا يدخل في ناقض من نواقض الإيمان، ومسألة الخروج هنا في ناقض من نواقض الإيمان لأنه أنكر شيئًا قد بينه الله عز وجل، فكأنه يُكذِّب الله عز وجل، فالتكذيب إنكار، لكن على حسب المسائل، ونتكلم على النوع الآن، أما الإسقاط على العين هذا أمر آخر وبيناه من قبل أن لابد له من العالِم الذي يُسقط النوع إلى العين، لكن اتكلم على أن عموم التكذيب لِما جاء في الكتاب أو للسنة المتواترة عن النبي ﷺ، أو ما جاء إجماعًا؛ حتى بعض أهل العلم قالوا من ردَّ الإجماع وكذَّب الإجماع يكفر.

وهذه مسألة خطيرة جدًا لأنها انتشرت الآن، أصبح أسهل ما يكون على المرء أن يخرج علينا ويُكذِّب آية في الكتاب، أو ينكر آية في الكتاب، فالأول كانوا ينكرون على السنة أو يردون السنة وكانوا أعداء للسنة ويتجرؤوا على السنة، الآن وصلنا أنه أصبح الآن يكذبون ما يأتي في القرآن أيضًا، ويردون ما يأتي في القرآن، والقرآن والسنة صنوان لا يختلفان، الله عز وجل يقول للنبي ﷺ: {إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ} [النساء:105]، وقوله تعالى: {فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ} [القيامة: 18-19] ، فهذا بيان إلهي من الله عز وجل يقوم به النبي ﷺ {وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ

يُوحَىٰ} [النجم: 3-4] ، بل إن هذا البيان الإلهي واجب على النبي ﷺ أن يبلغه، كما أنه واجب على الأمة اتباعه؛ قال تعالى:{ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ} [النحل: 64] ، فأصبح البيان واجب، {يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ} [المائدة:67] ، وواجب على الأمة اتباع ما بينه النبي ﷺ.

قال تعالى:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا} [النساء: 65] ، آية عظيمة جدًا فاصلة تبين لك الفارق بين أهل الإيمان وأهل الفسق والكفر؛ {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ} أولًا {فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ} أي لا يجدون حرج في أنفسهم من قضاء الله عز وجل أو قضاء النبي ﷺ، بل ويسلموا وينقادوا؛ أي لا يكفي بأن الصدر والقلب ليس في حرج، بل ينقاد إلى ذلك، فيُطبِّق ويُسلِّم تسليمًا؛ يقول جاء الكتاب أو جاءت السنة بالحكم إذًا سمعًا وطاعة، أولًا الكتاب والسنة؛ الرجوع إليهم أولًا، ثم ألا يكون في القلب شيء مما علمت أنه جاء في الكتاب والسنة، وتمام ذلك أن تسلم تسليمًا.

لذلك أهل السنة والجماعة أصحاب العقيدة النقية الصافية ما عندهم إشكال في ذلك؛ جاءهم الأمر من الكتاب والسنة قالوا سمعًا وطاعة في ذلك، أما من نصَّبوا أنفسهم بعقولهم الخربة ليردوا ما جاء في السنة، بل أيضًا الآن كما قلنا يردوا ما جاء في الكتاب هؤلاء الذين قال فيهم الإمام في تبويبه: (**التَّحْذِيرِ مِنْ مَذَاهِبِ أَقْوَامٍ يُكَذِّبُونَ بِشَرَائِعَ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ التَّصْدِيقُ بِهَا**). وسيذكر لنا في هذا الباب بعض المسائل التي اشتُهِر التكذيب بها، وتجد الآن الكلام كأنه بين أيدينا، وطبعًا سيبدأ بمسألة الرجم في الزنا، وسيأتي بمسألة الشفاعة أيضًا، وهذه مسائل خالف فيها من قبل أيضًا؛ فالخوارج والمعتزلة والبعض أيضًا بعضهم كذَّب في بعض هذه المسائل- كما سيأتي معنا -.

لكنه ذكر تقريبًا أربع مسائل كما سنقرأ، وبدأ بأول مسألة وهي مسألة الزنا والرجم في الزنا، وكيف أنكر هؤلاء ما جاء في الرجم بالزنا بحجة أولًا أن الآية غير موجودة في الكتاب أو الآية المنسوخة كما نعلمها كما سنتكلم عنها (الشيخ والشيخة)، وأيضًا ليس في الكتاب حكمًا للرجم والحكم في الكتاب في الجلد، ثم يقدحون في السنة ويقولون لم تثبت السنة بذلك، أو السنة التي ثبتت ليست متواترة أحيانًا، ولو جئتهم بالسنة المتواترة يقول لك قلنا نعم الحكم ثبت بالسنة – لكن انظر إلى كيف الفساد في عقولهم – لكن يقولون أحكام السنة بعضها أحكام مؤقتة؛ أي أحكام ليست دائمة؛ هي خاصة بزمن النبي ﷺ في بعض الأحكام أو بالعصر الذي كان فيه

النبي ﷺ! وهذا أصل عام يضعونه عندما لا يستطيعون أن يفرون، تقول لهم – كما سيأتي معنا – أن الرجم موجود في السنة متواترة، بل هو أصلًا في الكتاب، وغير الكتاب لو قلت أنه غير واضح في الكتاب طيب موجود في السنة المتواترة، وثبت بالتواتر أن النبي قد رجم قولًا وفعلًا، ورجم الصحابة، وقال عمر إلى غير ما سيأتي تفصيلًا. فيخرج فماذا يقول لك؟ وهو أصلًا مبطن التكذيب ومبطن الإنكار، هو منكر ومُكذب، فإن أتيت له بكل شيء ما دام هو لا يريد أصلًا الحق فلن يصل، وهذه القلوب طبع الله عز وجل على قلوبها الكفر والفسق والضلالة – نعوذ بالله من ذلك – . فيأتي يقول لك أن السنة (فهو لن يفر من الثبوت؛ التواتر لن يقدر أن يفر منه) فيقول لك: "حكم مؤقت"! ماذا يقصد بذلك؟ أي ممكن لك أن توقف العقوبة، وإيقاف العقوبة ليس مخالفة للسنة، وهذا عندهم مذهب، فأصل من أصولهم أن يقول لك بأن الرسول ﷺ ومن بعده من الخلفاء الذين قال: [عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدِينَ] بل الصحابة، يقولون: "ليس عندهم تأبيد لما جاءت به السنن من الأحكام"، وهذا أصل يضعه لك يصدره، لماذا؟ لأنه لو أنت مررت من هذه المقدمة سيأتي يأكلك بعد ذلك، يقول لك الآن أن ما جاء فيه من أحكام في السنة ليست على التأبيد قد تختلف وقد توقف.

بل ممكن يستدل كما استدل عليك بعمر بن الخطاب في عام الرمادة بأنه لم يقم الحد على من سرق – وطبعًا هذا استدلال باطل أصالة – وأنه أوقف الحدود، إذًا الحدود تختلف؛ ممكن تأتي في أزمنة وأزمنة لا تطبقها فالمسألة ليست على التأبيد، بل أنك ممكن تنظر إلى الواقع والحال فيمكن لك ألا تطبق الحكم كما فعل عمر!! وهذه طبعًا شبهة باطلة لأن عمر ما أوقف شيئًا لكن لم تتحقق الشروط في الحد حتى يقيم الحد على من سرق، لأن من شروط الحد كما هو معلوم بأن المرء لا يكون في مهلكة ولا يحتاج إلى طعام وليس عنده شيء فيأخذ ليأكل لنفسه وأمور أخرى، فلما لم تتحقق هذه الشروط وهناك موانع فانتفت في تطبيق الحكم، وليست المسألة أن عمر رضي الله عنه وأرضاه كان يرى هكذا بأنه أوقف العمل! لا، حتى خطأ أن يقول أحد أن سيدنا عمر أوقف العمل بالحدود، ما أحد يوقف حدًا أبدًا.

وهناك فارق حتى تنتبهوا لمسألة.. بأنك تقر بالحد وتعلم أنه ثابت لكن عندك بعض الاعتذارات في عدم التنفيذ وعدم التطبيق؛ تُقبَل أو لا تُقبَل، لكن أنت مقر بالحد، وهناك فارق بين من ينكر الحدود، فرقوا فهذه مسألة مهمة؛ من أثبت الحد، نعم هناك حدود في كتاب الله ونسلم بذلك لكن ما عندنا القدرة أن نطبق، عندنا ضغوط، عندنا كذا، عندنا كذا، عندنا كذا، قبِلنا أم لم نقبل هذا الكلام لكنه مُقِر بالحد ليس منكر وإن لم نقبله، أما الذي يقول ليس هناك شيء اسمه الحد والحد هذا كان قديمًا وليس هناك حد الآن موجود وينتهي، فهذا تكذيب، هذا

إنكار وتكذيب، حكمًا عامًا هذا كفر، على حسب المسألة طبعًا وثبوتها، ولا أقول عينًا، لكن أقول نوعًا، لأن هذا يدخل في باب التكذيب لله عز وجل، ومن باب الإنكار، { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا} [الأنعام: 21] ، وهذا أكذب الكذب؛ أنك تكذب على الله عز وجل ثم تكذب على النبي ﷺ بعد ذلك.

فهو ماذا يريد أن يقول؟ يصدر لك الباب بأن الأحكام التي جاءت في السنة أحكام مؤقتة، ثم يخرج بعد ذلك يقول لك مؤقتة إذًا لا يلزمنا أننا نفعلها! طيب أين دليلك على هذه الدعوة؟! أنت ليس عندك أدنى دليل على أن الأحكام التي ثبتت بالسنة أحكام مؤقتة؛ لا من النبي ﷺ ولا من سيرة الأصحاب من بعده، ولا من بعد الذي بعدهم التابعين. وكيف تكون أحكام السنة غير مؤبدة والنبي ﷺ يقول:[إني قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتُم به فلن تَضِلُّوا أبدًا ، كتابَ اللهِ ، و سُنَّةَ نبيِّه]؟! وكيف تكون أحكام السنة مؤقتة والنبي ﷺ يقول: [ألا ليُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغائِبَ؛ فلَعَلَّ بَعضَ مَن يُبَلَّغُه أن يَكونَ أوعى له مِن بَعضِ مَن سَمِعَه]؟! وكيف يكون الحكم مؤقت والنبي ﷺ يقول: [عليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديينَ فتمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذِ] ويلزمنا النبي ﷺ بسنته بل بسنة من بعده من الخلفاء الراشدين لأنها من سنته أن نعض عليها ونتمسك بها؟! وكيف يكون هذه وتقول أحكام السنة مؤقتة؟! وكيف والنبي ﷺ قد حذر أشد التحذير ممن يكذب على النبي ﷺ ؟! قال: [إنَّ كَذِبًا عليَّ ليس ككذبٍ على أحدٍ ، فمن كذب عليَّ مُتعمِّدًا ، فلْيتبوَّأْ مقعدَه من النَّارِ]، وأنت تأتي الآن وتكذب وليس عندك دليل أن تقول أن أحكام السنة مؤقتة!

وكأن النبي ﷺ معنا فيقول: [يوشِكُ أنْ يقعُدَ الرجلُ مُتَّكِئًا على أَرِيكَتِهِ ، يُحَدَّثُ بحديثٍ مِنْ حديثي ، فيقولُ : بيننَا وبينَكُمْ كتابُ اللهِ ، فما وجدْنا فيه مِنْ حلالٍ اسْتَحْلَلْناهُ ، وما وجدْنا فيه مِنْ حرامٍ حرَّمْناهُ] فالنبي ﷺ يقول: [ألا وإنَّ ما حرَّمَ رسولُ اللهِ مثلَ ما حرَّمَ اللهُ]، وهذا التحريم دائم إلى يوم القيامة؛ ما حرَّمه النبي ﷺ مثل ما حرَّمه الله، نص صريح من النبي ﷺ، فليست هناك ولو شبهة كلام أو دليل على أن الأحكام في السنة مؤقتة.

ولما يقول النبي ﷺ: [تركتُكم على البيضاءِ ليلِها كنهارِها لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالِكٌ]، وأنت الآن تزيغ عن السنة بالكلية وتقول بأن أحكامها مؤقتة ولا تلزمنا في شيء، ونعرضها على ما نحن فيه! إذًا ما الفائدة من أحكام السنة إن لم تكن دينًا وحجة إلى يوم القيامة! وهؤلاء كأن هذه الآية نزلت لهم سبحان الله وهو الحكيم القدير العالِم بكل شيء: {فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: 63] ، وعن أمر النبي ﷺ {فَلْيَحْذَرِ

﴿ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63] ، والحق أن هؤلاء القوم مفتونين، هم مفتونين إن لم يعودوا إلى الله عز وجل فسيصيبهم بالعذاب الأليم، الآيات جاءت باتباع أمر النبي ﷺ، فهو دين كالقرآن؛ كما أنك أُمِرت باتباع ما جاء في القرآن أُمِرت باتباع ما جاء عن النبي ﷺ، بل أنت مأمور بالتسليم للسنة كما أنت مأمور بالتسليم للقرآن، مأمور بالخضوع للحكم النبوي كما أنت مأمور بالخضوع للحكم القرآني، مأمور بألا يكون في صدرك حرج لحكم السنة كما أنت مأمور بحكم الله عز وجل في القرآن، لأن الله عز وجل قال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ "يحكموك" الخطاب للنبي ﷺ ﴿يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [النساء: 65] أي يحكموك في حياتك ومن بعدك في سنتك التي نقلتها لهم.

ولن تجد في صحابة النبي ﷺ ولا التابعين ولا تابعي التابعين ولا سلف الأمة إلا كل التعظيم لسنة النبي ﷺ والأحكام، بل لما كانت تأتي المسألة على الصحابة الكرام؛ أبو بكر تأتيه المرأة تسأله عن ورث الجدة ينظر في الكتاب ما يجد، ينظر في السنة ما يجد، فقال لا أعلم لك شيء من كتاب أو سنة، فينتظر فيجمع الصحابة فيأتيه أحد الصحابة يقول علمت أن النبي ﷺ قضى بفلانه بكذا. وعمر رضي الله عنه وأرضاه لما ذهب إلى الشام في الطاعون ما علم كيف يدخل أم يخرج، فجمَّع بيعة الرضوان وقبلهم بدر وقبلهم الشجرة، و و، حتى أتاه عبد الرحمن بن عوف وأخبره بالحديث. فكانوا يبحثون في الكتاب أولًا والسنة ثم إن أعياهم يسألون الصحابة عن ما عنده شيء قد غاب عنه. فهذا كان فعل الصحابة رضوان الله عليهم في هذه المسألة.

مصادر الأحكام عندنا مستقرة عند السلف ليست محل نزاع؛ القرآن والسنة والإجماع والقياس، هذا مستقر عند السلف؛ الكتاب والسنة ليس فيهم أدنى شك، هذا إجماع على أن الكتاب والسنة مصادر للأحكام، فكيف يأتي من هم يقولون أن أحكام السنة مؤقتة! وهم لما تكلموا في السنة ما وقفوا عند السنة، هذا الكلام كان قديمًا! لكنهم ارتقوا الآن وقلت يتكلمون حتى في أحكام القرآن.

لذلك هذا الأصل مهم جدًا أن يُضبَط ويُعلم كيف يرد على هؤلاء الذين يخرجون ويقدحون الآن في ثوابت في العقيدة وفي الأحكام، منها الآن الرجم – كما سنبين وسنقرأ والإمام يخبرنا في زمانه عن أناس تكلموا في هذه المسائل، ومنها الشفاعة ستأتي لاحقًا، وكيف تكلموا في الرجم، وهو القدح ليس في الرجم فقط لكن القدح في السنة أصالة، ثم من السنة تكون مطية بعد ذلك لغير ذلك. فهو سيظهر الآن أن مسائل الرجم وغيره كأنه يقدح في الرجم لكن هو لما قدح في

الرجم أصالة يريد أن يقول لك أولًا إما ينظر هل الحكم الذي بيقدح فيه ثابت في السنة، متواتر أم آحاد؟ طبعًا لو آحاد هذا بالنسبة له هنيئًا له هو يظن ذلك فسيتكلم في الظن وعدم الثبوت والآحاد، ولو جاء متواترًا ينتقل إلى ما كنا نتكلم عنه الآن؛ فيتكلم أن حكم السنة مؤقت حتى يخرج من الإلزام. والمسألة ليست في الزنا فقط ولا في الرجم، لا، المسألة ما بعد ذلك لأنه يريد أن يهدم لك هذا الأصل، وهو الاستدلال بأحكام السنة، أنها لا تُلزمه، وكأن هو القرآن فقط، بل هم الآن أصبحوا يتجرأون على القرآن أيضًا كما قلت.

سنقرأ إن شاء الله نبدأ في الباب وهو من الأهمية بمكان، هذه كانت مقدمة له أو بعض الأصول التي لابد أن ننضبط فيها لنفرق أيضًا بين من يثبت الأحكام وبين من لا يطبق لأعذار قُبِلت أم لم تُقبَل، وبين من ينكر الأحكام، لأن البعض يُخلِّط؛ ما يستطيع أن يُفَصِّل بين من يخرج فيقول: "لا ما في شيء اسمه حدود، قطع سرق ورجم زاني وقتل وقصاص ماذا! هذا كلام كان قديم، غير موجود الآن، لا يوجد شيء اسمه حدود!" فهذا تكذيب، وإنكار، وناقض من نواقض الإيمان، وبين من يقول نحن نقر ونعلم أن الحدود موجودة وبقي لنا فقط أننا نبطق هذه الحدود وإن كنا مقصرين، أو عندنا موانع، أو غير ذلك، أيًّا كان ما يتكلم به، فهذا ليس كالحالة الأولى، وليس معناه تبرير لمن لا يطبق، لأن هذا شرع نزل لابد أن يُطبَّق بالكلية.

وقد ثبت بأن تطبيق الحدود؛ ولا نحتاج أن نثبت لأنه كلام الله عز وجل، وهو تشريع الله عز وجل، لكن الأمة إذا أقيمت فيها الحدود كما يريدها الله عز وجل ينصلح حال الشعب والأمم كثيرًا جدًا، لكن لأنه لا يُطبَّق هذا الأمر فالفساد مستشري، والناس أمِنوا العقوبة، ولا يهم، لأنه يعلم ما الذي سيأخذه في الآخر؛ سيكون محضر، تنازل أو تصالح، أو آخره يقعد سنتين ثلاثة ويخرج، هذا لو حُكِم عليه. من أيام الأخ يتكلم معي كان يقف في الشارع ويمسك الشنطة والموبايل، فالموتوسيكل مر من جانبه سحب الشنطة بالموبايل، فهو مسك في الرجل، فالناس إلتموا وهو أخده ونزل به، فمسكوا الرجل، وهو رجل عنده ثلاث أبناء وعائلة، وقُبض عليه موجود إلى الآن في النيابة، فهو مُتلبِّس بأنه تعدي في الطريق أيضًا وأخذ منه شيء، وطبعًا الآن جيوش حول تصالح وكذا وكذا وكذا وكذا، وهو بيسأل، بيستشير أصالة. فهؤلاء أمِنوا العقوبة، هو لو يعلم بأن هذه الخطفة فقط ممكن أن تُقطع يده فيها، وهذا الكلام ليس بجديد؛ موجود من سنوات ويُفعَل مع النساء كثيرًا في الشوارع بخطف الشنط بل بخطف الأشخاص أصلًا، لكن أتكلم عن الشيء الذي هو يظنه أنه يسير أنه يفعله فستُقطَع فيها يده لامتنع المئات والألوف أن يفعلوا ذلك، بل امتنعوا عن الأعلى من ذلك، وحدث وانتشر فعلًا

الأمن والأمان الحقيقي بين الناس، لأنه يعلم بأنه سيُطبَّق عليه شرع الله عز وجل. وأما لما يعلم أنه في الآخر ممكن التصالح ينهي المسألة، وطبعًا لو كان شرعًا ووصل لولي الأمر ما يكون حدًا لا يمكن الرجوع فيه، كما قال النبي ﷺ لصفوان بن أمية لما سرق الرجل رداءه وأتى به للنبي ﷺ، فوجد الرجل سيُقطَع بسبب رداءه، قال يا رسول الله ﷺ يُقطع بردائي؟ عفوت عنه، قال: [قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنِي بِهِ]. والحديث: إذا بلغت الحدود السلطان فلا شفاعة – أو فلا رجوع – ما أذكر الحديث الآن –. لكن الآن لا يوجد حد بيقام، فنحن مستمرين في الضغط والارهاب عليه وأنك أنت لو لم تتنازل وأنك كذا وأنك كذا وكذا، الرجل مبتلى وكان سيُسرق وممكن كان سيموت على الموتوسيكل، كأن الذي في السجن هذا مسكين مظلوم، وقياسًا على هكذا كثير من الأمور، كل هذا لغياب تطبيق الحدود، والناس تبرر الآن بأنه لا يمكن تطبيقها! والله هو الذي أنزلها شرعًا. لكن لابد أن نفرق كما قلت لأن البعض لا يفرق بين التكذيب والإنكار، وبين الإقرار مع عدم الفهم.

ندخل في قراءة بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ مَذَاهِبِ أَقْوَامٍ يُكَذِّبُونَ بِشَرَائِعَ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ التَّصْدِيقُ بِهَا.

61- بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ مَذَاهِبِ أَقْوَامٍ يُكَذِّبُونَ بِشَرَائِعَ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ التَّصْدِيقُ بِهَا

765 – حَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: نا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ , عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ , عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: خَطَبَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ بِالْبَصْرَةِ فَقَالَ: قَامَ فِينَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَقْوَامٌ يُكَذِّبُونَ بِالرَّجْمِ , وَيُكَذِّبُونَ بِالدَّجَّالِ وَيُكَذِّبُونَ بِالْحَوْضِ , وَيُكَذِّبُونَ بِالشَّفَاعَةِ وَيُكَذِّبُونَ بِعَذَابِ الْقَبْرِ , وَيُكَذِّبُونَ بِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا امْتُحِشُوا»

766- حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ الْبُخَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ , وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ , عَنْ أَشْعَثَ , عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ , عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ , عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَيَكُونُ بَعْدَنَا قَوْمٌ يُكَذِّبُونَ بِالرَّجْمِ: وَيُكَذِّبُونَ بِالْحَوْضِ , وَيُكَذِّبُونَ بِالشَّفَاعَةِ , وَيُكَذِّبُونَ بِعَذَابِ الْقَبْرِ , وَيُكَذِّبُونَ بِقَوْمٍ

يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ"

767- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ قَالَ: أَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ قَالَ: نا جَرِيرٌ, عَنْ أَشْعَثَ بْنِ سَوَّارٍ, عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ, عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ, عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وَرَجَمَ أَبُو بَكْرٍ, وَرَجَمْتُ أَنَا, وَسَيَجِيءُ قَوْمٌ يُكَذِّبُونَ بِالرَّجْمِ وَبِالْحَوْضِ وَبِالشَّفَاعَةِ, وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ, وَبِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ"

768- وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ الْكَوْسَجُ قَالَ: أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ, عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ, عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ, عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ, إِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ فَلَا تُخْدَعُنَّ عَنْهُ, وَإِنَّ آيَةَ ذَلِكَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجَمَ, وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجَمَ, وَإِنَّا قَدْ رَجَمْنَا, وَإِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُكَذِّبُونَ بِالرَّجْمِ, وَيُكَذِّبُونَ بِالدَّجَّالِ, وَيُكَذِّبُونَ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا, وَيُكَذِّبُونَ بِعَذَابِ الْقَبْرِ, وَيُكَذِّبُونَ بِالشَّفَاعَةِ, وَيُكَذِّبُونَ بِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا امْتُحِشُوا

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَدْ ظَهَرَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ جَمِيعُ مَا قَالَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَيَنْبَغِي لِلْعُقَلَاءِ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَحْذَرُوا مِمَّنْ مَذْهَبُهُ التَّكْذِيبُ بِمَا قَالَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ, وَسَنَذْكُرُ فِي كُلِّ خَصْلَةٍ مِمَّا ذَكَرَهَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُنَنًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَيِّنُ أَنَّ الْإِيمَانَ بِهَا وَاجِبٌ, فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا, وَيُصَدِّقْ بِهَا ضَلَّ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ, وَقَدْ صَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ الْعُقَلَاءَ الْعُلَمَاءَ عَنِ التَّكْذِيبِ بِمَا ذَكَرْنَاهُ, فَأَمَّا الرَّجْمُ: فَقَدْ رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, لَا يَخْتَلِفُ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ, أَنَّهُ رَجَمَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ حِينَ اعْتَرَفَ عِنْدَهُ بِالزِّنَا وَقَدْ رَجَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةً غَامِدِيَّةً اعْتَرَفَتْ عِنْدَهُ بِالزِّنَا فَرَجَمَهَا, وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُنَيْسٍ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ, وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ رَجُلٌ: أَنَّ امْرَأَتَهُ زَنَتْ فِي قِصَّةٍ لَهُ طَوِيلَةٍ, فَقَالَ: يَا أُنَيْسُ, اغْدُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا, فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا, فَاعْتَرَفَتْ فَرَجَمَهَا, وَقَدْ رَجَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهُودِيَّيْنِ زَنَيَا. وَقَدْ رَجَمَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ , وَقَدْ رَجَمَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ , وَقَدْ رَجَمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَرَاحَةَ , وَكَانَتْ قَدْ زَنَتْ وَهِيَ ثَيِّبٌ , فَجَلَدَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ , وَرَجَمَهَا يَوْمَ السَّبْتِ وَقَالَ: جَلَدْتُهَا بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجَمْتُهَا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَهَذَا حُكْمٌ ثَابِتٌ عِنْدَ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ لَا يَخْتَلِفُونَ أَنَّ عَلَى الثَّيِّبِ الزَّانِي , إِذَا شَهِدَ عَلَيْهِ , أَوِ اعْتَرَفَ بِالزِّنَا: الرَّجْمَ رَجُلًا كَانَ أَوِ امْرَأَةً وَعَلَى الْبِكْرِ الْجَلْدُ , لَا يَخْتَلِفُ فِي هَذَا الْعُلَمَاءُ فَاعْلَمُوا ذَلِكَ

هذا الكلام النافع الذي قاله الإمام الآجري – رحمة الله عليه – في هذا الباب قد بينا في المقدمة التي تكلمنا فيها مجمل ما يقصده في العنوان أولًا **التَّحْذِيرِ مِنْ مَذَاهِبِ أَقْوَامٍ يُكَذِّبُونَ بِشَرَائِعَ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ التَّصْدِيقُ بِهَا**، وذكر عدة آثار عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه؛ وإن كان فيها خلاف بين أهل العلم. الأثر الأول والثاني والثالث بعض أهل العلم ضعفوا هذه الآثار لوجود (علي بن زيد) وهو ابن جدعان، وهو ضعفوه، مُضعَّف عند أهل العلم، وإن كان الشيخ أحمد شاكر – رحمة الله عليه – قد صحح الأثر الأول في مسند الإمام أحمد، لكن قلنا بأن الإسناد ضُعِّف من أجل علي بن زيد وهو ابن جدعان، وهو راوي مُختلف فيه، وهو إلى الضعف أقرب. وأيضًا فيه (يوسف بن مهران) وهو لين الحديث. لذلك المتأخرين وبعض المعاصرين من أهل العلم ضعفوا هذه الأسانيد، والبعض كالشيخ أحمد شاكر صحح بعض هذه الأسانيد.

المهم المعنى فيه أتى من حديث آخر ذكره المؤلف أيضًا في الصحيح عن عمر بن الخطاب مطابق لما ذكره عمر بن الخطاب في حديث آخر، لكن المقصود هنا في الآثار التي وصلت عن عمر بن الخطاب وقد علق عليها محمد بن الحسين – تجاوزًا في السند – لكن ما قاله عمر: سيأتي بعدنا **(قَوْمٌ يُكَذِّبُونَ بِالرَّجْمِ وَبِالْحَوْضِ وَبِالشَّفَاعَةِ ،وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ ،وَبِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ)** طبعًا الرجم سنبينه الآن، هو أفرده الإمام الآجري بالكلام، بدأ به، وأيضًا سيكذبون بالحوض، والشفاعة، وبالدجال. إذًا هو يذكر بعض المسائل؛ المباحث، سيأتي أناس **(يُكَذِّبُونَ بِالرَّجْمِ، وَيُكَذِّبُونَ بِالدَّجَّالِ وَيُكَذِّبُونَ بِالْحَوْضِ، وَيُكَذِّبُونَ بِالشَّفَاعَةِ وَيُكَذِّبُونَ بِعَذَابِ الْقَبْرِ ،وَيُكَذِّبُونَ بِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا امْتُحِشُوا)** أي إخراج أهل الكبائر أو العصاة من المؤمنين من النار يدخلون إلى الجنة، وطبعًا الذي ينفون ذلك الكلام المعتزلة والخوارج الذين يقولون بتكفير فاعل الكبيرة، ومنهم أيضًا من ينفي الحوض والشفاعة كما

سيأتي معنا في المعتزلة والخوارج، ومنهم من يأتي يكذب بالرجم أيضًا، وهذا كما قلت موجود إلى الآن الكلام هذا، ومنهم الذين سموا أنفسهم القرآنيين ويكذبون بالسنة إلى غير ذلك.

ثم ذكر أيضًا عن عمر بن الخطاب على أن الرجم حق، وطبعًا مشهور جدًا هذا الحديث؛ وإن كان ضعيف، عن عمر: (إِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ فَلَا تُخْدَعُنَّ عَنْهُ , وَإِنَّ آيَةَ ذَلِكَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجَمَ , وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجَمَ , وَأَنَّا قَدْ رَجَمْنَا , وَإِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُكَذِّبُونَ بِالرَّجْمِ) الحديث مشهور جدًا وإن كان المعنى صحيح ثابت في حديث آخر عن عمر صح لكن ليس بهذا اللفظ في مسألة ثبوت الرجم، وآية (الشيخ والشيخة) كما سيأتي في التفصيل الآن في الشرح.

وقال الإمام محمد بن الحسين: (قَدْ ظَهَرَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ جَمِيعُ مَا قَالَهُ عُمَرُ)، وهذا يتكلم في آخر القرن الثالث الهجري، وامتد طبعًا من وقت زمان المؤلف إلى زمننا هذا، وذكر بأن الإشكال كله في التكذيب، قال: (فَيَنْبَغِي لِلْعُقَلَاءِ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَحْذَرُوا مِمَّنْ مَذْهَبُهُ التَّكْذِيبُ)، قلنا بأن هذا التكذيب هو لازمه الإنكار؛ وهو التكذيب بما جاء في الكتاب أو جاء في السنة فيكون هذا {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ} [الأنعام:21]، و{ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ} [يونس: 17] ، سماهم الله عز وجل {ٱلْمُجْرِمُونَ} و{ٱلظَّـٰلِمُونَ} ، و{لَا يُفْلِحُ} فهم خابوا وخسروا في ذلك. وبيَّن بأن هذه السنة التي ذكرها عمر (الْإِيمَانَ بِهَا وَاجِبٌ , فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا , وَيُصَدِّقْ بِهَا ضَلَّ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ , وَقَدْ صَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ الْعُقَلَاءَ الْعُلَمَاءَ عَنِ التَّكْذِيبِ)، والتكذيب فيه التفصيل الذي قلناه في مسألة المعلوم من الدين وغير المعلوم.

قال: (فَأَمَّا الرَّجْمُ: فَقَدْ رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، هنا يبدأ في النصوص الصريحة بأن النبي ﷺ قد رجم، وجاءت السنة متواترة في رجم النبي ﷺ لماعز بن مالك رضي الله عنه حين اعترف بذلك، ورجم الغامدية لما جاءت واعترفت وكانت حُبلى، والرجل – وهذا مهم جدًا حديث الرجل هذا الذي في الصحيحين حديث العسيف لما جاء الرجل قال: [إِنَّ ابني كان عَسيفًا على هذا] أي أجيرًا، [فزَنى بامرأتِه] والقصة طويلة، فقال النبي ﷺ كما سيأتي معنا في شرح الحديث، فهذا يثبت الأصول في مسألة الرجم، لما قال: (يَا أُنَيْسُ , اغْدُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا , فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا , فَاعْتَرَفَتْ فَرَجَمَهَا)، والحديث عند البخاري. وأيضًا حديث اليهوديين وقد زنيا فجاؤوا بهما للنبي ﷺ ليحكم بينهم، فقال: [ما تَجِدونَ في كِتابِكُم؟] أي في التوراة،

قالوا: نجد التحميم والركوب؛ التحميم يحممون بالطين، ويركبون خلف البعير بالعكس، كأنه من باب التنكيل لهم، فقال: [ائتوني بالتوراة] فجاؤوا بالتوراة وضعوا يديهم فقال عبد الله بن سلام بَعِّد يدك يا عدو الله أو بَعِّد يدك يا خبيث، فبعد، فوجد النبي ﷺ الرجم موجود في التوراة، فرجمهما النبي ﷺ ؛ فسواء رجمهما بالتوراة أو رجمهما بشرع الإسلام، المهم أنه قد تم الرجم.

(وَقَدْ رَجَمَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ , وَقَدْ رَجَمَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وذكر أيضًا أن سيدنا عليّ قد رجم، بل سيدنا عليّ رجم وجلد في (شَرَاحَةَ , وَكَانَتْ قَدْ زَنَتْ وَهِيَ ثَيِّبٌ , فَجَلَدَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ , وَرَجَمَهَا يَوْمَ السَّبْتِ)، وهذا طبعًا كان من فعل سيدنا عليّ خلافًا لما فعله النبي ﷺ وأبو بكر وعمر، لكن سيدنا عليّ بيَّن قال: (جَلَدْتُهَا بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) الآية:{ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى} [النور: 64] جاء فيها الجلد، (وَرَجَمْتُهَا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وإن كان هناك خلاف بين الفقهاء، والراجح فعل النبي ﷺ الرجم فقط في الغامدية وماعز ولم يجلد، وكذلك أبو بكر وعمر، لكنه اجتهاد من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه. لكن حكم الرجم ثابت، قال: (وَهَذَا حُكْمٌ ثَابِتٌ عِنْدَ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ لَا يَخْتَلِفُونَ أَنَّ عَلَى الثَّيِّبِ الزَّانِي , إِذَا شَهِدَ عَلَيْهِ) شهد عليه أربعة (أَوِ اعْتَرَفَ بِالزِّنَا: الرَّجْمَ رَجُلًا كَانَ أَوِ امْرَأَةً وَعَلَى الْبِكْرِ الْجَلْدُ , لَا يَخْتَلِفُ فِي هَذَا الْعُلَمَاءُ فَاعْلَمُوا ذَلِكَ)، هذا الذي قاله الإمام.

طيب؛؛ الذين يكذبون، ماذا يقولون؟ يقولون لا نجد في كتاب الله عز وجل الرجم وهذا موجود في السنة! طيب.. هل بيان النبي ﷺ في السنة أليس بيان لحكم الله؟ نقول لهم من الحديث نفسه نبين لكم لما جاء الرجل أبو الخادم العسيف؛ والد الزاني، فجاء للنبي ﷺ قال سألت من ليس من أهل العلم فقال مئة من الغنم ووليدة له؛ أي أفتاه الذي سأله قبل أن يأتي للنبي ﷺ بمائة من الغنم ووليدة؛ أي يأتيه بجارية صغيرة وليدة ومئة من الغنم، خادم وغنم، يصالحه على ذلك، فلما جاء للنبي ﷺ يستفتيه قال قيل لي من أهل العلم غير ذلك؛ قيل إن على ابني الجلد وعليها الرجم، فجاء للنبي ﷺ يسأله، فالنبي ﷺ ماذا قال له؟ [والذي نفسي بيده لأقضينّ بينكما بكتاب الله، أمّا الوليدةُ والغنمُ فردٌّ، وأمّا ابنُك فعليه جلدُ مئةٍ، وتغريبُ عامٍ، وأمّا أنتَ يا أُنيسُ فاغدُ على امرأةِ هذا، فإنِ اعترفَت فارجُمها، فغدا عليها أُنيسٌ فاعترفَت، فرجَمها] فأمر بها رسول الله ﷺ فرُجمت، الحديث في الصحيحين.

النبي ﷺ ماذا قال؟ [لأقضينّ بينكما بكتاب الله]، إذًا قضاء النبي ﷺ هنا قضاء بكتاب الله، وكتاب الله المقصود في الحديث محمول على أوجه عند العلماء؛ أي ما المقصود بكتاب الله

عند النبي ﷺ؟ يقصد بكتاب الله أي ما حكم به الله عز وجل، طبعًا هو إما أن تقول كتاب الله أي القرآن "لأقضين بينكما بالقرآن"؛ إذًا الحكم في القرآن، أو لأقضين بينكما بكتاب الله أي بحكم الله؛ ما كتبه الله عز وجل على عباده، والسياق يقول أن المقصود بكتاب الله هو ما حكم الله عز وجل به على عباده، وهذا الذي قال به دقيق العيد؛ قال: أن معنى "لأقضين بينكما بكتاب الله" أي بحكم الله وما كتبه الله على العباد في هذه المسألة. قال لماذا؟لأن الرجم والتغريب ليسوا مذكورين في القرآن لكن مذكور الواسطة وهو اتباع أمر الرسول ﷺ الذي سيحكم به، طبعًا على كلام أن الآية منسوخة بعد نسخ آية (الشيخ والشيخة). والبعض قال: [لَأَقضيَنَّ بينَكُما بكِتابِ اللهِ] أي أن الحكم أصالة موجود في الكتاب من قوله تعالى:{ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} [النساء: 15] ، آية النساء {وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} [النساء: 15] ، قال النبي ﷺ: [خُذُوا عنِّي خُذُوا عنِّي ، قدْ جعل اللهُ لهنَّ سَبِيلًا ، البِكرُ بالبِكرِ ؛ جَلدُ مِائةٍ ، و نَفْيُ سَنةٍ ، و الثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ ، جَلدُ مائةٍ و الرَّجْمُ]، والحديث عند مسلم؛ حديث عبادة بن الصامت. إذًا لما قال: [لَأَقضيَنَّ بينَكُما بكِتابِ اللهِ] الأصل في الكتاب هنا {أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} [النساء: 15] ، فكان هذا سبيل للمجمل، إذًا حُكم النبي ﷺ هنا تبيين للمجمل الذي جاء في الكتاب.

ويحتمل وجه آخر عند أهل العلم أن [لَأَقضيَنَّ بينَكُما بكِتابِ اللهِ] يقصد بها الآية التي نُسخت تلاوة وبقيت حكمًا: (الشَّيخُ والشَّيخةُ إذا زَنَيا فارْجُموهُما البتَّةَ نَكالًا منَ اللهِ واللهُ عزيزٌ حكيمٌ)، والحديث هذا أيضًا ورد من حديث عمر وزيد بن ثابت وأبي بن كعب والحديث قد صح عند أهل العلم وذكره حتى الشيخ الألباني في صحيحه، وهذه الآية منسوخة تلاوة وبقيت حكمًا، هذه الذي قال فيها عمر بن الخطاب، هذا الحديث الذي كان أولى أن يأتي به الإمام الآجري – رحمة الله عليه – لأن هذا الحديث في البخاري ومسلم وهو أن عمر بن الخطاب قام فجلس على منبر النبي ﷺ وقال: [إنَّ اللَّهَ قد بَعَثَ مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالحَقِّ، وأنزَلَ عليه الكِتابَ، فكان ممَّا أُنزِلَ عليه آيةُ الرَّجمِ، قَرَأْناها ووعَيناها وعَقَلناها، فرَجَمَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ورَجَمنا بَعدَه، فأخشى إن طالَ بالنَّاسِ زَمانٌ أن يَقولَ قائِلٌ: ما نَجِدُ الرَّجمَ في كِتابِ اللهِ] سبحان الله [فيَضِلُّوا بتَركِ فريضةٍ أنزَلَها اللهُ، وإنَّ الرَّجمَ في كِتابِ اللهِ حَقٌّ على مَن زَنى إذا أحصَنَ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ، إذا قامَتِ البَيِّنةُ، أو كان الحَبَلُ، أوِ الاعتِرافُ]، الحديث عند البخاري ومسلم، واعلان عمر كان أين؟ كان على منبر النبي ﷺ في حضور الصحابة، وسكوت الصحابة

رضوان الله عليهم، فكان هذا إجماع من الصحابة وإقرار لما قاله عمر، وإلا لو عمر خالف والآية نُسخت أو لا يُعمل بهذا الحُكم ما سكت الصحابة عن هذا الكلام وردوه كما ردوا عمر في الاستئذان لما لم يكن يعلم حديث الاستئذان فقال له أبو موسى الأشعري فأتى بواحد معه ليشهد له، وغير ذلك من باقي السنة، وحديث عمار في التيمم إلى غير ذلك.

وما خشيه عمر رضي الله عنه قد وقع، فجاء أناس أنكروا الرجم، **من الذي أنكر الرجم؟** أول من أنكر هم معظم الخوارج أنكروا الرجم، وأيضًا بعض المعتزلة.

إذًا النبي ﷺ قد رجم وقضى بكتاب الله عز وجل، وذكر ذلك عمر تصريحًا. إذًا المحمل هنا إما أنه قد تم ذلك بالآية التي نُسخت تلاوة وبقيت حكمًا، أو ببيان مجمل **[قَدْ جعل اللهُ لهنَّ سَبِيلًا]**، فبيَّن النبي ﷺ ذلك، فكان هذا قضاء بكتاب الله. فلا أحد من الذين قلوبهم فيها ما فيها من المرض فيقولون لا نجد في كتاب الله عز وجل حكم الرجم! كيف وعمر بن الخطاب قال ذلك الكلام ونُقل أن حكم الرجم موجود في السنة! فهو إما موجود في الكتاب بهذا التوجيه؛ بيان المجمل، أو تصريحًا من الآية التي نُسخت تلاوة كما نُقل ذلك عن الصحابة الكرام عن عمر رضي الله عنه وأرضاه في الصحيحين؛ أعلى درجات الصحة، والإقرار على ذلك، ومن فعل وقول النبي ﷺ بأنه قال للرجل: **[لَأَقْضِيَنَّ بينكُما بكِتابِ اللهِ، أمَّا الوليدةُ والغَنَمُ فرُدُّوها]**. إذًا الحكم ثابت في الكتاب، وثابت في السنة، ومتواتر، وفعله النبي ﷺ، والصحابة رضوان الله عليهم، والخلفاء الراشدين.

والحق بأن الناظر للعقوبة سواء الرجم أو النفي أو الجلد، أو دعونا في الرجم لأن هذا هو الذي يتكلمون فيه، أن له حِكَم عظيمة جدًا فيه، بل حتى تغريب الزاني البكر له حكمة، لأنه لما تغربه عن المكان الذي وقع فيه فعل المعصية تبعده عن هذه البيئة التي هو قد فسد فيها، فينسى المفاسد التي كان فيها. وأما الرجم فلا شك بأن هناك حِكَم في فرضية الرجم وحكم الرجم، لأنه أصالة أي حد من الحدود الحكمة فيه درء المفاسد وإصلاح الناس، أي حد من الحدود الحكمة فيه أنك بتطبيقه وإعلامه للناس أنك بتُصلح المجتمع بهذا، لأنك بتُعلِم أصحاب النفوس ضعيفة الإيمان؛ كل واحد ممكن يقع في المعصية، لا أحد لا يقع، الصحابة بعضهم وقع في هذه المسألة وقد طُهِّروا بذلك وقد غفر الله عز وجل لماعز وللغامدية كما جاء عن النبي ﷺ، لكنه لما طبق الحد علم الناس بأن هذا الأمر لن يمر هكذا، ليرتدع أصحاب الإيمان الضعيف أن لا يقع، يخشى على نفسه أنه سيُرجم فيموت، أو يُجلد، أو يُطبَّق عليه حد أمام الناس فيرتدع.

وأنا ما أدري حقيقة الذين يتكلمون عن الرجم، وأن الرجم هذا وحشية، أو الرجم هذا شيء فظيع! وأنا أقول له حقيقة – وأنا لا أحب أن أقول هذا – لكن أنت الآن لو تصورت بأن هذا الأمر قد فُعِل بأهل بيتك – نعوذ بالله من ذلك – بأحد من أهلك، هل سيكون هذا الأمر فظيعًا في الرجم؟! هل ستقول وقتها أن الرجم شيء صعب تحقيقه وأن هو فيه ما فيه من العقاب الشديد! لا يمكن! وإلا تكون ديوث – والعياذ بالله – لا غيرة لك على أهلك، بل الناس الذين عندهم حمية وليس عندهم دين إذا علموا بهذا الأمر ما يقبلون غير قتل الزاني، هذا لو كان حتى بكر كانوا سيقتلونه، بعض الناس لو علم هذه المسألة وكان الأمر بكر وهو حكمه في الشرع الجلد قد لا يكتفي، وهذا تعدي لا شك تعدي، أنا لا أقول مسألة الاغتصاب، نتكلم عن الزنا، بوقوع المعصية الزنا فقط، بالتراضي – كما يقال – فهؤلاء الناس حتى وإن كان هذا غلو لأنه خالف الشرع، لكن الفطرة بتقول أنه لا يمكن لأحد أن يقبل لو وقع ذلك عنده بغير ذلك.

والرجم ما المشكلة عندك في أنك تتكلم في الرجم؟ فالرجم قتل، والقتل موجود، فهل كيفية القتل هي الإشكالية التي عندك! الرجم هو قتل، فهل لو قلت أنك تقتله بالرصاص، أو بالشنق، أو بالكهرباء هذا هناك فارق أنه يُقتَل بالحجارة!

ولابد في تطبيق القتل؛ لأن البعض يقول لك القتل الرحيم هذا، أو تقتله بدون أن يشعر! من قال ذلك لك! من قال أن هذه حكمة! إذا الله عز وجل حكم بأن الحد قتل سواء كان قصاصًا أو رجمًا فتريد أنت أن تقتله بهدوء ولا تُشعِره بعذاب فهذا منافي للحكمة! لأن الحكمة في تطبيق حد القتل أن لابد أن يشعر الذي سيُطبَّق عليه الحد بالعذاب والألم. بل الناس لا يخافون من الموت بل يخافون من العذاب الذي يكون أثناء الموت، بل النص جاء تصريحًا ليبين لك بأن تطبيق الحد لابد فيه من شعور المحدود بالعذاب، وهذا ليس من كيسي، بل من قول الله عز وجل في سورة النور: {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [النور: 2] ، أي ليس مجرد أنك تقيم الحد هكذا! لا، فربنا قال من السنة أن يشهد المؤمنون التطبيق، ثم قال: {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا} سماه عذاب، ألم، وأنت تأتي تقول لا المسألة سيكون فيها نوع من العذاب وإذا قتلتم فأحسنوا القتلة! نحن هكذا بنحسن القتلة، بل نحن من تمام إحسان القتلة أن نطبق ما شرَّعه الله عز وجل، لأن الإحسان يكون في كل مقام مقال؛ أي الذي قتل يُقتَل بما قتل، هذا إحسان، لا تتعدى عليه، لكن تقتله بما قتل، ومن زنى فالله قدَّر له الرجم عقوبة، هذا هو تمام الإحسان.

وانتبه.. لأن المسألة قلت ليست في بعض المباحث، لا، المسألة أنه يضرب في أصول الإسلام، بل هو يضرب في الإسلام أصالة؛ أي أنه يضرب في الدين، هو عنده كُره وبغض للدين أصالة، فكأنه يريد أن يصور للناس أن الرجم هذا عقوبة في الإسلام فقط؛ أي كأن الرجم شيء جاء به الإسلام، جاء به النبي محمد ﷺ فقط، مع أن الرجم موجود من آلاف السنوات من الرسل؛ من نبي الله نوح الذي هو الأب الثاني- لو قلنا - للبشرية بعد آدم، قال الله عز وجل:{ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ} [الشعراء: 116] ، و (مِنَ) هنا تبعيضيه - لمن يراجع معنا في الأصول – أي أنه يوجد مرجومين آخرين عندهم، إذًا كان عندهم حكم الرجم موجود، وليس أن نوح عليه السلام أول من سيكون من المرجومين! لا، عندهم حكم الرجم موجود. بل بعد ذلك؛ نبي الله إبراهيم خليل الرحمن لما تكلم مع أبيه قال له:{ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ} [مريم: 46] . وموسى عليه السلام كليم الله عز وجل {وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ} [الدخان: 20] أي تقتلونني رجمًا. وشعيب عليه السلام ماذا قالوا له؟ {وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ} [هود: 91] . وقصة أهل الكهف ويقال أن هذه بعد الميلاد {إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا} [الكهف: 20] .

إذًا عقوبة الرجم ما تأتي أنت وتُلبِّس على الناس وتقول الوحشية والرجم وكيف! فالرجم موجود من أيام نبي الله نوح، هذا من أول البشرية كلها! وفي كل الأزمنة، هؤلاء الأنبياء ذُكِر فيهم الرجم. فعقوبة الرجم عقوبة عرفتها البشرية من قديم الزمان، من أقدم العصور، ترسخت في الشعوب أصلًا؛ أي أنها موجودة في أزمنة وأمكنة كثيرة. بل اليهود كان عندهم الرجم موجود في التوراة؛ لما جاؤوا يسألون النبي ﷺ قال: [ما تَجِدونَ في التَّوراةِ؟] قالوا: التحميم؛ يسودوا الوجه، وقالوا يركب بالعكس، فقال: [ائتوني بالتوراة] فوجد حكم الرجم للزاني في التوراة. لكن هم ماذا قالوا؟ وجدنا بأننا لما يأتينا الغني أو الشريف لا نرجمه، ولما يأتي الضعيف نرجمه، فسيحدث تفرقة، فماذا فقالوا؟ تحريف، فهم أهل التحريف أصالة، قالوا غيرنا الحكم نجعله أصلًا تحميم وركوب بالخلف حتى يكون حكم واحد يصح للشريف ويصلح للفقير أو الوضيع، وإلا لو حكمنا على الوضيع بالرجم وجئنا عند الشريف بعدم الرجم سيسبب إشكال عندنا في المجتمع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم!

فكانوا قوم بُهت يحرفون الكلم عن مواضعه، قال الله عز وجل في ذلك:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ

هَادُواْ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ [المائدة: 41] ، لما جاءوا قالوا ائتوا لمحمد ﷺ فإن قال لكم بالتحميم والجلد خذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله عز وجل عليهم {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ} [المائدة: 44] ، و {فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ} [المائدة:45]، و {فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ} [المائدة: 47] .

ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه يقول: [مَن كَفَرَ بالرَّجْمِ فقدْ كَفَرَ بالقُرآنِ مِن حيثُ لا يَحتَسِبُ] ثم قال: قال تعالى:[{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ} [المائدة: 15]، فكان الرَّجمُ ممَّا أخْفَوا] والنبي جاء بينه. قال [مَن كَفَرَ بالرَّجْمِ] أي أنكر، وأنا قلت لكم في بداية الحديث من أنكر غير من أثبت لكنه تحجج، لكن يثبت، أما من ينكر الرجم فهذا تكذيب، وبينا بأن الحكم ثابت إما بالآية (الشيخ والشيخة) حكمًا وليس تلاوة، أو ثابت بالسنة المتواترة. فلذلك قلنا كل هؤلاء الذين يدندنون ويتكلمون في هذا الحكم كأنه حكم جديد لم يشرعه الله عز وجل؛ وهو الرجم، بل شرعه الله عز وجل في الأقوام السابقة، بل عرفته أقوام الكفر الذين كانوا يريدون أن يفعلوه بأنبياء الله عز وجل، بل قريب من أهل الكتاب؛ اليهود، كان موجودًا.

بل البعض من يقول – وعجيبة هذه القصة سمعتها من أحد من المتتبع للحيوانات وقصص الحيوانات – ما أذكر تكلم عن القردة تقريبًا فيما أذكر، بأنه تتبع القردة في شيء وثائقي بأنهم وجدوا بأن القرد إذا زنى؛ أي أتى عندهم بما يسمى زنا، كانوا يأتون به ويجتمعون حوله دائرة ويرمونه بالحجارة، ومسجلة هذه في بعض الأماكن الموجود فيها القردة، يرمونه بالحجارة رجمًا حتى يقتلونه. فحتى الحيوانات فطرة الله عز وجل فطرها لبعض الحيوانات في ذلك. فأقصد أنك تصور للناس بأن هذا الحكم كأنه حكم مستهجن أو عجيب، أو تريد أن تبين للناس أيضًا بأن القتل لابد أن يكون قتلًا فأنت خلاص ستقتله فلماذا تعذبه! لا، الله عز وجل هو الذي أمر بهذا العذاب ليستشعر عِظَم الشيء الذي فعله، وهو الذي قال الله عز وجل لنا:{ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [النور: 2] ، {عَذَابَهُمَا}، إذًا لابد أن يشعروا بذلك.

هذا هو الكتاب وهذه هي السنة، وقد قال النبي ﷺ: [تركتُكم على البيضاءِ ليلِها كنهارِها لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالِكٌ]. فمن أراد أن يزيغ فليقل بقول من ينكرون السنة، أو يريدون ألا يطبقوا ما ورد في السنة أو في الكتاب، وهذا كله رد لكلام الله عز وجل، ورد لسنة النبي ﷺ.

مسألة الرجم قد بيناها فقهيًا، كيف ثبوتها، والحكم الفقهي فيها، والصحيح أن الرجم على الثيب، والجلد فيه خلاف، والأصوب عند أهل العلم أن الرجم فقط وليس فيه الجلد، وعند البكر ففيه الجلد والتغريب عام، لأن النبي ﷺ لما رجم ماعز ورجم الغامدية ورجم المرأة في حديث العسيف لم يجلد قبلها، فقلنا لذلك على أن الرجم هو الثابت؛ وإن كان فعل سيدنا عليّ هو أيضًا له استدلال لأنه ورد ذلك.

فكانت هذه المسألة التي معنا اليوم بيناها، وأصل من نفى الرجم – كما قال العلماء – بعض المعتزلة وبعض الخوارج أنكروا مسألة الرجم، ثم صار بعد ذلك من الذين يقدحون في السنة، ويقدحون في الدين أصالة، أرادوا أن يتكلموا في هذه المسألة، وقد بيناها وبينا ثبوتها، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه كان فيما تخوَّف منه قد حدث، وزاد عليه بعض المسائل التي ستأتي معنا؛ المسألة الأخرى الشفاعة، والأبواب القادمة سنتكلم فيها عن الشفاعة؛ مبحث طويل سيكون في الشفاعة، وذكر فيها عدة أبواب، لأن هناك أقوام أيضًا نفوا الشفاعة، الباب الذي سيأتي معنا **بَابُ وجُوبِ الْإِيمَانِ بِالشَّفَاعَةِ** لأنه طبعًا لا يخفى عليكم أن المعتزلة والخوارج قد نفوا الشفاعة وقالوا من دخل النار لا يخرج منها أبدًا ولا يكون لهم شفاعة في ذلك.

نقف عند هذا القدر وإن شاء الله الدرس الأسبوع القادم نبدأ في أبواب الشفاعة وغير ذلك، نسأل الله عز وجل أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الرابعة والستون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري؛ هذا الكتاب المبارك الذي هو من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، وكنا قد دخلنا في جزء جديد من أجزائه في الباب الذي قال فيه **بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ مَذَاهِبِ أَقْوَامٍ يُكَذِّبُونَ بِشَرَائِعَ** قد ثبتت من قبل، وتكلمنا فيها، وذكر فيها المؤلف أنه سيظهر أقوام، واستدل بأثر لعمر وتكلمنا عنه في ضعفه أو صحته على أنه يأتي أقوام سيكذبون أمورًا قد ثبتت، وقد اتفق عليها السلف الصالح بثبوتها، وذكر منها مسألة رجم الزاني، وقد تكلمنا عنها الأسبوع الماضي.

اليوم سيدخل في مسألة أخرى كُذِّبَت بعد ذلك مع أن هناك اتفاق بين أهل السنة والجماعة على ثبوتها، والقول بها، والعمل عليها، هنا يتكلم عن **وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِالشَّفَاعَةِ**، يتكلم عن الشفاعة لأنه حدث بعد ذلك من ظهر بأنه كذَّب الشفاعة؛ طبعًا هو ليس الشفاعة بالكلية، هو كذَّب الشفاعة خاصة الخوارج والمعتزلة والشيعة أيضًا كذبوا مسألة الشفاعة أن تكون لأهل

الكبائر والمعاصي من المسلمين، هذا هو مناط الخلاف في هذه المسألة، ولذلك الإمام الآجري أورد هذا الباب، وعدة أبواب معه، يبين لنا **بَابُ وجُوبِ الْإِيمَانِ بِالشَّفَاعَةِ**، وهذه الذي سنبدأ إن شاء الله الكلام عليها، سنقرا أولًا ثم نتكلم إن شاء الله في عدة مباحث في هذا الباب؛ نتكلم عن تعريف الشفاعة، نتكلم عن شروط الشفاعة أيضًا، وسنتكلم أيضًا عن من يملك الشفاعة، وأنواع الشفاعة، ثم نتكلم أيضًا عن من هم أهل الشفاعة الذين أُذِن لهم في الشفاعة، والأمور التي تمنع في الشفاعة، ثم نبين الخلاف الذي سيذكره المؤلف بين أهل السنة ومن خالفهم من المبتدعة في اثبات بعض أنواع الشفاعات.

تعريف الشفاعة:

لو بدأنا أولًا بتعريف الشفاعة قبل أن ندخل في القراءة حتى نفهم؛

الشفاعة في اللغة: تأتي بمعنى الإنضمام؛ انضمام إلى آخر؛ أي يُضَم شيء إلى شيء. تعرفون الوتر؟ هو الفرد. والشفع هو انضمام شيء إلى آخر، أو انضمام شيئين؛ شيء إلى غيره، المهم أن هناك انضمام إلى آخر؛ سواء كان من الآدمي أو كان حتى من الأشياء؛ كمثلًا واحد بيأكل التمر وتر؛ أي الإفراد، والشفع هو الزوجية.

فالشفاعة هي الأصل في اللغة الإنضمام إلى آخر، لكنه انضمام إلى آخر ناصرًا له، وقالوا وسائلًا عنه أيضًا، هذه في اللغة؛ بينضم الشيء إلى شيء، وفيه ضم طالب طلبه إلى غيره، يقال واحد طالب شيء فيأتي واحد بيشفع معه في الطلب، إذًا يضم طلبه على طلب غيره، أي ثَمَّ طالب يطلب طلب فيأتي آخر يضم طلبه إلى طلب الطالب الأول، فهذا معنى الشفاعة في اللغة.

الشفاعة في الاصطلاح؛ أو في الشرع: معنى الشفاعة أنك تسأل سؤال التجاوز عن الذنوب والآثام؛ أنت بتسأل أن يتجاوز الله عز وجل عن الذنوب والآثام.

وأصل الشفاعة في الآخرة وفي الدنيا موجودة؛ هناك شفاعة في الدنيا وهناك شفاعة في الآخرة؛ الشفاعة في الدنيا قد ثبتت بأنها مندوبة، ومستحبة، أن يشفع أحد لأحد من أهل الدنيا في الدنيا، قال النبي ﷺ: **[اشفعوا تؤجروا ويقضي اللَّهُ على لسانِ نبيِّهِ ما يشاءَ]**، فكان النبي ﷺ أحيانًا يؤخر الفعل أو يؤخر الحكم في المسألة حتى يأتي أحد يشفع عند النبي ﷺ لفلان فيؤجَر هذا الذي جاء ليشفع بأجر الشفاعة، وهذا يدل على أن الشفاعة مندوبة، لذلك قال الله

عز وجل:{ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ } [النساء: 85]،

إذًا هناك شفاعة حسنة وهناك شفاعة سيئة، لذلك المرء يشفع في الحسن في الدنيا ولا يشفع في الأمور السيئة، لا يشفع في معصية، لا يشفع في شيء مخالف للشرع؛ في معاملة ربوية، لا يشفع في عدم تطبيق حد من حدود الله، كما أن النبي ﷺ نهى وغضب من أسامة لما أرادوا أن يوسطوه ويشفع للمرأة المخزومية ألا يقام عليها الحد، وقال: [يا أسامةُ ! أتَشْفَعُ في حَدٍّ من حدودِ اللهِ]، فلم تُقبَل الشفاعة في الحدود؛ إذا وصلت الحدود إلى الحاكم لا يُقبَل فيها الشفاعة، هذه شفاعة سيئة، ليست شفاعة ممدوحة، لكن الشفاعة الممدوحة أن تشفع عند أحد ليرفع عنه دَينًا، ليؤخر عنه السداد، ليؤخره، ليرفع عنه شيء، ليقضي له شيء فيه مصلحة، قال النبي ﷺ: [اشفعوا تؤجروا ويقضي اللَّهُ على لسانِ نبيِّهِ ما يشاءَ]، فهذه شفاعة حسنة. فالشفاعة في الدنيا لأهل الدنيا مأجور؛ أي فيها أجر وفيها ندب إلى ذلك.

لذلك النبي ﷺ نفسه شفع لمغيث عند بريرة رضي الله عنها ورضي الله عن مغيث. بريرة ومغيث تعلمون قصتهما؟ كانت بريرة زوجة لمغيث وهي كانت أَمَة، ثم أعتقتها السيدة عائشة؛ اشترتها من أصحابها واعتقتها فصارت حرة، والشرع يقول بأن الجارية إذا أصبحت حرة فهي لها فسخ النكاح مع زوجها العبد ولها الاستمرار، هذا خيار لها، وكان مغيث يحب بريرة جدًا، كان يسير في الطرقات يتكلم عنها لأنها كانت تركته، فلما رأى النبي ﷺ مغيث وما يفعله في الطرقات وكان مع عبد الله بن عباس قال أترى يا ابن عباس كيف حب مغيث لبريرة؟ اذهب بنا إلى بريرة، فجاء النبي ﷺ إلى بريرة يكلمها في مغيث أنها ترجع له؛ أنها لا تتركه، فقالت – وانظر إلى الصحابية الجليلة أيضًا – قالت: [يا رسول الله، أتأمُرُني؟] أي هل هذا أمر منك؟ قال:[لا إنما أنا شافِعٌ]، قالت: [فلا حاجةَ لي فيه]. فالأول تسأله: [أتأمُرُني؟] لو كان أمرًا منك لكان سمعًا وطاعة، ترجع، لكن قالت له [أتأمُرُني؟] قال:[لا إنما أنا شافِعٌ] أي جاء يشفع، فقالت: [فلا حاجةَ لي فيه].

وهذه دلالة عظيمة جدًا على شيء؛ بأن المرء حتى وإن كان له قدر عند قومه، عند الناس، وشفع لأحد ولم تُقبَل شفاعته فلا يغضب، وكان أولى بذلك النبي ﷺ وهو أفضل الخلق، وجاء شافعًا وشفيعًا لمغيث عند بريرة، ومع ذلك لم تقبل، لا تريده، لا تحبه، لا تريد أن تكمل معه، وهذا لا ينتقص من قدر من كان شفيعًا في شيء أن يذهب ليشفع لأحد عند أحد وهو له

قدر وحيثية أو مقام ثم لا تُقبَل الشفاعة فيحزن، ويقول ذهبت وتوسطت ولم يقبل، وتكون مشاكل كبيرة! فهذا النبي ﷺ شفع ولم تُقبَل له الشفاعة، فليس فيها منقصة ولا فيها شيء.

فنقول.. جاءت الشفاعة في الدنيا وجاء الحث عليها، وأن فيها أجر، وأن النبي ﷺ بيَّن ذلك في السنة. وكما قلنا أن الأصل في الشفاعة أنه بيأتي أحد أعلى مرتبة يطلب لأحد أدنى منه عند أحد آخر أن يشفع له بشيء، أو أن يقضي له شيء، أو يرفع عنه شيء ، هذا في الدنيا.

أما في الآخرة؛ فبعد أن يصير الناس إلى المحشر، يُحشر الناس إلى أرض المحشر حفاة عراة غرلًا، وتدنو الشمس من الرؤوس مقدار ميل، ويكاد يغرقهم العرق، يصبح الناس في عذاب وهم وغم وضيق وشدة وكرب شديد جدًا؛ يوم مهول، نسأل الله عز وجل أن يسلمنا من هذا اليوم، يفزعون إلى الأنبياء والمرسلين حتى يشفعون لهم عند الله عز وجل قبل أن يبدأ الحساب، فهنا ظهرت أولًا الشفاعة في الآخرة؛ رغبة الناس أن يُرفَع عنهم ويتجاوز عن الذنوب والآثام، فيذهبون يطلبون الشفاعة من الأنبياء والمرسلين – كما سيأتي معنا – وهذه الشفاعة أين؟ في الآخرة، هذه شفاعة الآخرة، وغالبها بأنها تستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى منه.

وأهل السنة والجماعة يثبتون الشفاعة للنبي ﷺ، وللأنبياء والمرسلين من غيره، وللملائكة، وللشهداء، ولصالح المؤمنين كما جاءت الأدلة بذلك، وإن شاء الله سنفردها في ذلك. ولا يبعد أن نقول إجماع سلف وخلف من أهل السنة والجماعة على ذلك، وحتى الشفاعة ستكون لأهل الذنوب من أمة الإسلام متفق عليها بين الصحابة والتابعين. فنقول اثبات الشفاعة لا خلاف بين أهل السنة والجماعة على ذلك.

وقد ثبتت الشفاعة في أكثر من موضع من الكتاب ومن السنة؛ منها قوله تعالى:{ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ} [النجم:26] ، وقال تعالى: {يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلًا} [طه: 109]، وقال تعالى: {مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ} [البقرة: 255] . ومن السنة أيضًا أحاديث كثيرة جدًا – ستأتي معنا الآن حتى لا نكررها – في اثبات الشفاعة؛ حديث الموقف، حديث النبي ﷺ لما يذهب ويخر عند العرش ساجدًا؛ حديث الشفاعة العظمى في يوم القيامة؛ المقام المحمود إلى غير ذلك، وهذا من أعظم الأحاديث، وأحاديث أخرى ستأتي في السنة هنا على مسألة إذن الله عز وجل للنبي أولًا بالشفاعة، ثم يأذن للأنبياء وللصالحين أن يشفعوا في من يريدون، إلى غير ذلك مما سيأتي أيضًا.

والأهم أن الشفاعة أصالة هي لله؛ **أصل الشفاعة لله؛ الله هو الذي يملك الشفاعة، ثم الله عز وجل يعطيها من يشاء من عباده**، هذا فضل، ومكرمة من الله، لذلك أعطى النبي ﷺ أن يكون مقام المحمود والشفاعة له؛ أول من أعطاه هو النبي ﷺ واختصه؛ وهي الشفاعة العظمى – كما ستأتي في أنواع الشفاعات للنبي ﷺ – والدليل قوله تعالى أولًا:{ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا } [الزمر: 44] ، فأصبحت الشفاعة لله جميعًا، وقوله تعالى:{ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ} [الزخرف: 86] ، إذًا لا أحد يملك الشفاعة إلا الله عز وجل، ولا أي إله من آلهة المشركين الذين يعبدونها وغير ذلك، هذه أولًا.

ثانيًا بعد ذلك أيضًا أن الله عز وجل بيَّن أجناس من يشفعون؛

أجناس من يشفعون:

فالملائكة يشفعون، والنبي ﷺ يشفع الشفاعة العظمى، والأنبياء والرسل من بعده، والصالحون، فكأننا ممكن نقول ثلاثة؛ سنختص النبي ﷺ بشفاعته لأن له الشفاعة العظمى، لكن الملائكة صنف، والأنبياء والصالحون الثاني، وبينهما النبي ﷺ؛

1. **الملائكة**: قد جاءت الآيات تبين أن الملائكة تشفع، قال سبحانه وتعالى:{ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ * لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ * يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ} [الأنبياء: 26-28] ، إذًا هم يشفعون. وقوله تعالى نصًا:{ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ} [النجم: 26] ، إذًا الملائكة تشفع.
2. **النبي ﷺ، وهو له الشفاعة العظمى؛ المقام المحمود**: قال تعالى: {وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا} [الإسراء: 79] ، وكما جاء عن ابن عمر قال: **[إنَّ النَّاسَ يَصيرونَ يومَ القيامةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتبَعُ نَبيَّها، يقولونَ: يا فُلانُ اشفَعْ، يا فُلانُ اشفَعْ، حتَّى تَنتَهِي الشَّفاعةُ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم]** حديث يوم القيامة المشهور، يأتون للأنبياء، كل نبي، ثم يقول لست أنا ويذكر كل واحد منهم ما فعله أو ما أخطأ فيه أو ما كذب فيه إلى أن يقول اذهبوا إلى محمد ﷺ يشفع لكم، فيقول: **[أنا لَها، أنا لَها]** تنتهي شفاعة للنبي ﷺ في المقام المحمود.

وأيضًا كما جاء في حديث شفاعته لأهل الكبائر من أمته؛ حديث أنس رضي الله عنه، وهذا سيأتي مهم جدًا لأنه أصل في مسألة الرد على المخالف الذين قالوا بنفي الشفاعة لأهل الكبائر، فقال: [شفاعتي لأهلِ الكبائرِ من أمَّتي].

3. **الأنبياء والصالحون يشفعون**: قال تعالى:{ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: 86] ، قال: {إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} دخل فيها كل الأنبياء والرسل، ودخل فيها بعض الصالحين وبعض الأنبياء. وأيضًا من حديث أبي سعيد الخدري:[إذا خَلَصَ المُؤمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوالذي نَفْسِي بيَدِهِ، ما مِنكُم مِن أحَدٍ بأشَدَّ مُناشَدَةً لِلَّهِ في اسْتِقْصاءِ الحَقِّ مِنَ المُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَومَ القِيامَةِ لإخْوانِهِمُ الَّذِينَ في النَّارِ] ، وهذه تبين بأن الصالحين والأنبياء والرسل هؤلاء هم النوع الثالث الذين يشفعوا.

شروط الشفاعة:

هل الشفاعة لها شروط؟ نعم قد بيَّن الله عز وجل بأن الشفاعة لها شروط؛

الشرط الأول: الإذن من الله عز وجل، الإذن من الله لمن؟ للشافع لكي يشفع، قلنا الشفاعة ملك لله، {قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزمر: 44] ، إذًا ليس للشافع حق في طلبها إلا بعد الإذن من الله عز وجل له؛

الشرط الثاني: الرضا عن المشفوع فيه؛ أي يكون المشفوع فيه أهل للشفاعة، لذلك المشرك لا تنفعه الشفاعة؛ الكفار ليس لهم شفاعة، {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ} [المدثر: 48] .

إذًا الشرط الأول والثاني الإذن من الشافع والرضى عن المشفوع، ما الدليل؟

قول الله عز وجل: {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ} [النجم: 26] . فالإذن للشافع، والرضا عن المشفوع له.

أنواع الشفاعة:

ثم يأتي بعد ذلك الكلام عن أنواع الشفاعة؛ طبعًا البعض يقسم شفاعة منفية وشفاعة مثبتة؛ أي شفاعة مثبتة لأناس وشفاعة منفية عن أناس، هذا أحد التقسيمات؛ فالمنفية تُنفَي عن أهل الكفر، ليست لهم شفاعة {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ} [المدثر: 48] ، وشفاعة مثبتة عن أهل القبلة في العموم.

وهناك تقسيم أن نقسم شفاعة بأن نجعل النبي ﷺ له قسم؛ شفاعة اختُص بها النبي ﷺ، وشفاعة للعامة سواء الملائكة والأنبياء والصالحين إلى غير ذلك بخلاف النبي ﷺ. إذًا نوع اختص به النبي ﷺ، ونوع لم يختص به النبي ﷺ.

أنواع القسم الأول؛ وهو الذي أختص به النبي ﷺ، له شفاعات خاصة؛

أولها وأعظمها الشفاعة العظمى وهي شفاعة الموقف؛ موقف الحساب يوم القيامة، القضاء بين الناس عند وقوف الناس خاضعين أمام الله عز وجل يطلبون من الأنبياء أن يشفعوا لهم، فيذهبون لكل نبي إلى أن يصلوا إلى النبي ﷺ فيقول: [أنا لَها، أنا لَها] . وكان النبي ﷺ يقول:[أنا سَيِّدُ النَّاسِ يومَ القيامةِ]، ثم قال: [وهل تَدرونَ مِمَّ ذلك؟ يَجمَعُ اللهُ النَّاسَ الأوَّلينَ والآخِرينَ في صَعيدٍ واحِدٍ، يُسمِعُهمُ الدَّاعي ويَنفُذُهمُ البَصَرُ، وتَدنو الشَّمسُ، فيَبلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ والكَربِ ما لا يُطيقونَ ولا يَحتَمِلونَ، فيَقولُ النَّاسُ: ألا تَرَونَ ما قد بَلَغَكُم، ألا تَنظُرونَ مَن يَشفَعُ لَكُم إلى رَبِّكُم؟ فيَقولُ بَعضُ النَّاسِ لبَعضٍ: عليكم بآدَمَ، فيَأتونَ آدَمَ] إلى آخر الحديث الطويل الذي يأتون لآدم ثم يأتون لنوح ثم يأتون للأنبياء كلهم، لموسى ثم إلى عيسى وقبلهم إبراهيم طبعًا، كل واحد يذكر أمور قد فعلها، إلى أن يأتون إلى النبي ﷺ فيقول: [أنا لَها، أنا لَها]، وهذا هو الشاهد، فيقول:[اذهَبُوا إلى مُحَمَّدٍ، فيَأتونَ مُحَمَّدًا فيَقولونَ: يا مُحَمَّدُ، أنتَ رَسولُ اللهِ وخاتَمُ الأنبياءِ، وقد غَفَرَ اللهُ لك ما تَقدَّمَ مِن ذَنبِك وما تَأخَّرَ، اشفَعْ لَنا إلى رَبِّك، ألا تَرى إلى ما نَحنُ فيه؟] قال النبي ﷺ: [فأنطَلِقُ فآتي تَحتَ العَرشِ، فأقَعُ ساجِدًا لرَبِّي عزَّ وجلَّ، ثُمَّ يَفتَحُ اللهُ عليَّ مِن مَحامِدِه وحُسنِ الثَّناءِ عليه شيئًا لم يَفتَحْه على أحَدٍ قَبلي، ثُمَّ يُقالُ: يا مُحَمَّدُ، ارفَعْ رَأسَك، سَلْ تُعطَه، واشفَعْ تُشَفَّعْ، فأرفَعُ رَأسي فأقولُ: أُمَّتي يا رَبِّ، أُمَّتي يا رَبِّ، أُمَّتي يا رَبِّ، فيُقالُ: يا مُحَمَّدُ، أدخِلْ مِن أُمَّتِك مَن لا حِسابَ عليهم مِنَ البابِ الأيمَنِ مِن أبوابِ الجَنَّةِ، وهم شُرَكاءُ النَّاسِ فيما سِوى ذلك مِنَ الأبوابِ]، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من هؤلاء جميعًا، [ثُمَّ قال: والذي نَفسي بيَدِه، إنَّ ما بينَ المِصراعَينِ مِن مَصاريعِ الجَنَّةِ كما بينَ مَكَّةَ وحِميَرَ أو كما بينَ مَكَّةَ وبُصرى]. الحديث في الصحيحين، وهذا اثبات لشفاعة النبي ﷺ؛ الشفاعة العظمى، شفاعة الموقف، وهذا طبعًا يبين لك قدر النبي ﷺ وهو أعظم الخلق جميعًا، هذه شفاعة خاصة بالنبي ﷺ.

وله شفاعة أخرى خاصة به ﷺ؛ شفاعته لأهل الجنة ليدخلونها بعد الفراغ من الحساب؛ أي بعد ما يحاسبون لن يدخلوا الجنة حتى يشفع أيضًا لهم النبي ﷺ، وهذا أيضًا جاء في الحديث بأنه هو أول من يُفتَح له باب الجنة، فلا يدخلون إلا بعد أن يُفتَح له الباب، فيدخلون

مع النبي ﷺ كما جاء في حديث أبي هريرة؛ قال:[يا محمَّدُ أدخِل الجنَّةَ من أمَّتِك من لا حسابَ عليهِ منَ البابِ الأيمنِ].

ثم الشفاعة الثالثة وهي الشفاعة الخاصة به؛ وهي شفاعته لعمه أبي طالب؛ لما جاءه العباس رضي الله عنه وأرضاه عم النبي ﷺ قال:[ما أغنَيتَ عن عَمِّكَ؛ فإنَّه كان يَحوطُكَ ويَغضَبُ لَكَ؟ قال: هو في ضَحضاحٍ مِن نارٍ، ولَولا أنا لَكان في الدَّرَكِ الأسفَلِ مِنَ النَّارِ]. وجاء في حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ يقول لما ذُكِر عنده عمه قال: [لَعَلَّه تَنفَعُه شَفاعَتي يَومَ القيامةِ، فيُجعَلُ في ضَحضاحٍ مِن نارٍ يَبلُغُ كَعبَيه، يَغلي منه دِماغُه] نعوذ بالله من ذلك. لذلك قال:[أهونُ أهلِ النَّارِ عذابًا أبو طالبٍ ، و هو مُنتَعِلٌ بنعلَين من نارٍ ، يغلي منهما دماغُه] والحديث عند البخاري ومسلم، فهذه شفاعة خاصة للنبي ﷺ حتى لم تكن لغيره من أهل الكفر إلا لعمه فقط.

فهذه الثلاثة خاصة؛ الموقف، ودخول الجنة لمن كان من أمته سيدخلون، وشفاعته في عمه أبي طالب.

ثم له شفاعة أخرى لأهل الكبائر؛ وهذه مهمة جدًا أن يثبتها أهل السنة والجماعة؛ لأهل الكبائر من أمته، كما جاء في حديث عمران بن الحصين قال النبي ﷺ:[ثُمَّ أشفَعُ فيَحُدُّ لي حَدًّا، ثُمَّ أُخرِجُهم مِنَ النَّارِ، وأُدخِلُهمُ الجَنَّةَ]، وفي رواية: [يَخرُجُ قَومٌ مِنَ النَّارِ بشَفاعةِ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فيَدخُلونَ الجَنَّةَ]، وهذه شفاعة خاصة بالنبي ﷺ نعم لكن اشترك معها غيره – كما سيأتي معنا – من الأنبياء والصالحين والرسل والملائكة الذين هم يخرجون أهل الكبائر بشفاعتهم، لكن شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر هي خاصة للنبي ﷺ أولًا.

وللنبي ﷺ أيضًا شفاعة خامسة أن بعضهم قال في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع لهم في دخول الجنة؛ وورد ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:[السَّابِقُ بالخيراتِ يَدخُلُ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ، والمقتَصِدُ يَدخُلُ الجنَّةَ برَحمةِ اللهِ، والظَّالِمُ لِنَفسِه وأصحابُ الأعرافِ يَدخُلون الجنَّةَ بشَفاعةِ محمَّدٍ]ﷺ . حديث عند الطبراني في الكبير والأوسط. لكن حقيقة فيه كلام هذا الأثر عن النبي ﷺ؛ هذا الأثر تحديدًا، لكن أيضًا شارح الطحاوية ذكره في شرحه وعدَّها من شفاعات النبي.

ثم له شفاعة أيضًا برفع درجات المؤمنين؛ أن يرفع درجات بعض من أهل الجنة؛ أي أن المؤمن يكون في درجة فيرفعه في درجة، وهذه استُدِل لها من حديث أم سلمة رضي الله عنها وأرضاها لما مات أبو سلمة، وكان أخ للنبي ﷺ من الرضاعة، فقالت: [دَخَلَ رَسولُ اللهِ صلَّى

اللهُ عليه وسلَّم على أبي سَلَمَةَ وقد شَقَّ بَصَرُه] أي مات [فأغمَضَه، ثُمَّ قال: إنَّ الرُّوحَ إذا قُبِضَ تَبِعَه البَصَرُ، فضَجَّ ناسٌ مِن أهلِه، فقال: لا تَدعوا على أنفُسِكُم إلَّا بخَيرٍ؛ فإنَّ المَلائِكةَ يُؤَمِّنونَ على ما تَقولونَ، ثُمَّ قال..] وهذا هو الشاهد: [اللَّهُمَّ اغفِرْ لأبي سَلَمَةَ، وارفَعْ دَرَجَتَه في المَهديِّينَ، واخلُفْه في عَقِبِه في الغابِرينَ، واغفِرْ لَنا ولَه يا رَبَّ العالَمينَ، وافسَحْ له في قَبرِه، ونَوِّرْ له فيه]، فقالوا إذًا الشفاعة للنبي ﷺ أيضًا في رفع درجات بعض المؤمنين في الجنة.

وأضاف بعضهم شفاعة خاصة للنبي ﷺ في دخول بعض المؤمنين الجنة بغير حساب ولا عقاب؛ واستدلوا بحديث ابن عباس: [عُرِضَت عليَّ الأُمَمُ، فأخَذَ النَّبيُّ يَمُرُّ معهُ الأُمَّةُ، والنَّبيُّ يَمُرُّ معهُ النَّفَرُ، والنَّبيُّ يَمُرُّ معهُ العَشَرةُ، والنَّبيُّ يَمُرُّ معهُ الخَمسةُ، والنَّبيُّ يَمُرُّ وحدَه، فنَظَرتُ فإذا سَوادٌ كَثيرٌ، قُلتُ: يا جِبريلُ، هؤلاء أُمَّتي؟ قال: لا، ولَكِنِ انظُرْ إلى الأُفُقِ، فنَظَرتُ فإذا سَوادٌ كَثيرٌ، قال: هؤلاء أُمَّتُك، وهؤلاء سَبعونَ ألفًا قُدَّامَهم لا حِسابَ عليهم ولا عَذابَ، قُلتُ: ولِمَ؟ قال: كانوا لا يَكتَوونَ، ولا يَسترْقونَ، ولا يَتَطيَّرونَ، وعلى رَبِّهم يَتوكَّلونَ، فقامَ إليه عُكَّاشةُ بنُ مِحصَنٍ، فقال: ادعُ اللهَ أن يَجعَلَني منهم، قال: اللهُمَّ اجعَلْه منهم، ثُمَّ قامَ إليه رَجُلٌ آخَرُ قال: ادعُ اللهَ أن يَجعَلَني منهم، قال: سَبَقَك بها عُكَّاشةُ]، فقالوا هذه شفاعة للنبي ﷺ أن يدخل سبعون ألفًا، وهذه خاصة أيضًا بالنبي ﷺ.

وهناك شفاعة أيضًا للنبي ﷺ لمن سكن المدينة المنورة ومات فيها؛ وهذه منقبة من مناقب السُكنَى في المدينة المنورة، فقد قال النبي ﷺ في الحديث عند مسلم؛ حديث عامر بن سعيد عن أبيه قال: [إنِّي أُحَرِّمُ ما بينَ لابَتَيِ المدينةِ، أنْ يُقطَعَ عِضاهُهَا، أوْ يُقْتَلَ صيدُها، المدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمونَ، لا يدعُها أحدٌ رغبةً عنها، إلا أبدلَ اللهُ فيها مَنْ هو خيرٌ منه، ولَا يثبُتُ أحدٌ على لأوائِها وجَهْدِها، إلَّا كنتُ لهُ شفيعًا أوْ شهيدًا يومَ القيامَةِ] ، لذلك البعض يحب أن يذهب إلى المدينة ويجلس يموت فيها، سآلًا الله عز وجل أن يجعله من الذين يُشفَّع فيهم النبي ﷺ.

كل هذا النوع الذي تكلمنا عنه خاص بالنبي ﷺ.

ثم النوع الثاني شفاعة اشترك فيها النبي ﷺ مع الملائكة والنبيون والمؤمنون؛ وهي شفاعتهم في من دخل النار من أهل الكبائر؛ هذا كله يشترك معه هؤلاء؛ الأنواع التي تتكلمنا عنها.

هذا كان تقديمًا، نقرأ، ولعل هناك مباحث أخرى تأتي معنا في القراءة إن شاء الله. بينَّا تعريف الشفاعة لغة وشرعًا، وأنواع الشفاعات، وشروط الشفاعة، ومن يملك الشفاعة؟ والشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ بأنواعها، ثم القسم الثاني الشفاعة المشتركة بين النبي ﷺ والملائكة والنبيون والمؤمنون.

هناك طبعًا أحاديث ستأتي بتثبت الشفاعة لمن يتصف ببعض الأوصاف يكون له شفاعة؛ كما سيأتي مثلًا بأن الشهيد له شفاعة يُشفَّع في سبعين من أهل بيته، والطفل أيضًا يأخذ والداه يشفع لهم، إلى غير ذلك من أنواع الشفاعات ستأتي إن شاء الله تباعًا إما في النص أو لعلنا نبينها. لكن الآن نقرأ ما بدأ به المؤلف الكلام في مسألة وجوب الشفاعة.

62- بَابُ وجُوبِ الْإِيمَانِ بِالشَّفَاعَةِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ , أَنَّ الْمُنْكِرَ لِلشَّفَاعَةِ يَزْعُمُ أَنَّ مَنْ دَخَلَ النَّارَ فَلَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا , وَهَذَا مَذْهَبُ الْمُعْتَزِلَةِ يُكَذِّبُونَ بِهَا , وَبِأَشْيَاءَ سَنَذْكُرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى , مِمَّا لَهَا أَصْلٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , وَسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَسُنَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ , وَقَوْلِ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَالْمُعْتَزِلَةُ يُخَالِفُونَ هَذَا كُلَّهُ , لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَلَا إِلَى سُنَنِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَإِنَّمَا يُعَارِضُونَ بِمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ , وَبِمَا أَرَاهُمُ الْعَقْلُ عِنْدَهُمْ , وَلَيْسَ هَذَا طَرِيقُ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّمَا هَذَا طَرِيقُ مَنْ قَدْ زَاغَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَقَدْ لَعِبَ بِهِ الشَّيْطَانُ , وَقَدْ حَذَّرَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّنْ هَذِهِ صِفَتُهُ , وَحَذَّرَنَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَذَّرَنَاهُمْ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا , فَأَمَّا مَا حَذَّرَنَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَحَذَّرَنَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ , هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٍ} [آل عمران: ٧] إِلَى قَوْلِهِ: {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}

769 - حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ هَارُونُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ زِيَادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْعَدَنِيُّ قَالَ: أَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ , عَنْ أَيُّوبَ, عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ , عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ}

[آل عمران: ٧] الْآيَةَ فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمُ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَاحْذَرُوهُمْ»

770 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ الْأَصْبَهَانِيُّ قَالَ: نا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ قَالَ: أَنْبَأَنَا حَمَّادٌ يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ , عَنِ الْقَاسِمِ , عَنْ عَائِشَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ} [آل عمران: ٧] إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ} [آل عمران: ٧] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ سَمَّاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكُمْ , فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» قَالَهَا ثَلَاثًا

771 - وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ الرَّمْلِيُّ قَالَ: نا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ , عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ , عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ , عَنْ أَبِيهِ , عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: " نَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْآيَةِ {فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ} [آل عمران: ٧] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ حَذَّرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاحْذَرُوهُمْ»

772 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ ابْنُ عَلَوَيْهِ الْقَطَّانُ قَالَ: نا عَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: نا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ, عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ , عَنْ بُكَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَشَجِّ , أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ نَاسًا يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبَهِ الْقُرْآنِ , فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ , فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»

773- وَأَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدٍ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَرْبٍ الْقَاضِي قَالَ: نا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ قَالَ: نا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: نا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمٍ قَالَ: نا يَزِيدُ الْفَقِيرُ قَالَ: كُنَّا بِمَكَّةَ مِنْ قُطَّانِهَا , وَكَانَ مَعِي أَخٌ لِي يُقَالُ لَهُ: طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ , وَكُنَّا نَرَى رَأْيَ الْحَرُورِيَّةِ , فَبَلَغَنَا أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ قَدِمَ , وَكَانَ يَلْزَمُ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ , فَأَتَيْنَاهُ فَقُلْنَا لَهُ: بَلَغَنَا عَنْكَ قَوْلٌ فِي الشَّفَاعَةِ, وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُخَالِفُكَ , فَنَظَرَ فِي وُجُوهِنَا , وَقَالَ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَنْتُمْ؟ فَقُلْنَا: نَعَمْ , قَالَ: فَتَبَسَّمَ أَوْ ضَحِكَ , وَقَالَ: أَيْنَ تَجِدُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قُلْنَا: حَيْثُ يَقُولُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: {رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ} [آل عمران: ١٩٢] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا} [المائدة: ٣٧] وَقَوْلُهُ

عَزَّ وَجَلَّ {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا} [الحج: ٢٢] , وَأَشْبَاهُ هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ , فَقَالَ: أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمْ أَنَا؟ فَقُلْنَا: بَلْ أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا , قَالَ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ شَهِدْتُ تَنْزِيلَ هَذَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَلَقَدْ شَهِدْتُ تَأْوِيلَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ عَقَلَ قَالَ: قُلْنَا: وَأَيْنَ الشَّفَاعَةُ؟ قَالَ: فِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ قَالَ: فَقَرَأَ عَلَيْنَا {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المدثر: ٤٣] ثُمَّ قَالَ: أَلَا تَرَوْنَهَا حَلَّتْ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا , سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْخَلْقَ وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى ذَلِكَ أَحَدًا , وَلَمْ يُشَاوِرْ فِيهِ أَحَدًا ثُمَّ أَمَاتَهُمْ , وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى ذَلِكَ أَحَدًا , وَلَمْ يُشَاوِرْ فِيهِ أَحَدًا , ثُمَّ أَحْيَاهُمْ , وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى ذَلِكَ أَحَدًا , وَلَمْ يُشَاوِرْ فِيهِ أَحَدًا , فَأَدْخَلَ مَنْ شَاءَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ , وَأَدْخَلَ مَنْ شَاءَ النَّارَ بِذَنْبِهِ , ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَحَنَّنَ عَلَى الْمُوَحِّدِينَ فَبَعَثَ بِمَلَكٍ مِنْ قِبَلِهِ بِمَاءٍ وَنُورٍ: فَدَخَلَ النَّارَ فَلَمْ يُصِبْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَمْ يُصِبْ إِلَّا مَنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا , فَأَخْرَجَهُمْ حَتَّى جَعَلَهُمْ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ , ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: فَأَمَدَّهُ بِمَاءٍ وَنُورٍ فَنَضَحَ وَلَمْ يُصِبْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَمْ يُصِبْ إِلَّا مَنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا , إِلَّا أَصَابَهُ ذَلِكَ النَّضْحُ , فَأَخْرَجَهُمْ حَتَّى جَعَلَهُمْ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ , ثُمَّ أَذِنَ لِلشُّفَعَاءِ فَشَفَعُوا لَهُمْ فَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ"

774- حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ قَالَ: نا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ قَالَ: نا مُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ قَالَ: نا يَزِيدُ بْنُ صُهَيْبٍ قَالَ: مَرَرْتُ بِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ , وَهُوَ فِي حَلْقَةٍ يُحَدِّثُ أُنَاسًا , فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ , فَسَمِعْتُهُ يَذْكُرُ أُنَاسًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَالَ: وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ أُنْكِرُ ذَلِكَ قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَعْجَبُ مِنَ النَّاسِ , وَلَكِنْ أَعْجَبُ مِنْكُمْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا , وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ} [المائدة: ٣٧] فَانْتَهَرَنِي أَصْحَابُهُ وَكَانَ أَحْلَمَهُمْ , فَقَالَ: دَعُوا الرَّجُلَ , ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ

بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ} [المائدة: ٣٧] قَالَ: وَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: ٧٩] قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَذَّبَ قَوْمًا بِخَطَايَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ أَخْرَجَهُمْ قَالَ: فَلَمْ أُكَذِّبْ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الْمُكَذِّبَ بِالشَّفَاعَةِ أَخْطَأَ فِي تَأْوِيلِهِ خَطَأً فَاحِشًا خَرَجَ بِهِ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ , وَذَلِكَ أَنَّهُ عَمَدَ إِلَى آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْكُفْرِ , أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَّهُمْ إِذَا دَخَلُوا النَّارَ أَنَّهُمْ غَيْرُ خَارِجِينَ مِنْهَا , فَجَعَلَهَا الْمُكَذِّبُ بِالشَّفَاعَةِ فِي الْمُوَحِّدِينَ , وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى أَخْبَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ أَنَّهَا إِنَّمَا هِيَ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ , وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى هَذَا , فَخَرَجَ بِقَوْلِهِ السُّوءِ عَنْ جُمْلَةِ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْأَيْمَانِ , وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥] .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَكُلُّ مَنْ رَدَّ سُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُنَنَ أَصْحَابِهِ فَهُوَ مِمَّنْ شَاقَّ الرَّسُولَ وَعَصَاهُ , وَعَصَى اللَّهَ تَعَالَى بِتَرْكِهِ قَبُولَ السُّنَنِ , وَلَوْ عَقَلَ هَذَا الْمُلْحِدُ وَأَنْصَفَ مِنْ نَفْسِهِ , عَلِمَ أَنَّ أَحْكَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَجَمِيعَ مَا تَعَبَّدَ بِهِ خَلْقَهُ إِنَّمَا تُؤْخَذُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ , وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْ يُبَيِّنَ لِخَلْقِهِ مَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ مِمَّا تَعَبَّدَهُمْ بِهِ , فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤] وَقَدْ بَيَّنَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ جَمِيعَ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ الْأَحْكَامِ وَبَيَّنَ لَهُمْ أَمْرَ الدُّنْيَا وَأَمْرَ الْآخِرَةِ وَجَمِيعَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَلَمْ يَدَعْهُمْ جَهَلَةً لَا يَعْلَمُونَ حَتَّى أَعْلَمَهُمْ أَمْرَ الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ وَمَا يَلْقَى الْمُؤْمِنُ , وَمَا يَلْقَى الْكَافِرُ , وَأَمْرَ الْمَحْشَرِ وَالْوُقُوفِ وَأَمْرَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْحَقِّ , وَسَنَذْكُرُ كُلَّ بَابٍ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

الآن هذا الجزء الذي قرأناه الشيخ حقيقة أول ما بدأ بدأ طبعًا بالتبويب بـ **وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِالشَّفَاعَةِ**، ثم ذكر موضع النزاع، وهذا كأنه يريد أن يقول أين الخلاف بين أهل السنة والجماعة وبين غيرهم في مسألة الشفاعة؟ فذكر بأن موضع الخلاف – والمسألة ليست في إنكار الشفاعة بالكلية – ولكن موضع الخلاف عند من خالف كما قال: **(يَزْعُمُ أَنَّ مَنْ دَخَلَ**

النَّارَ فَلَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا)، إذًا موضع النزاع بين هؤلاء أنهم قالوا أن من دخل النار لا يخرج من النار، ثم بيَّن أن هذا **مذهب المعتزلة** أصالة، وأنهم يكذبون بهذا النوع من الشفاعة. إذًا النزاع في من دخل النار لا يخرج منها، كل من دخل النار عند هؤلاء إذًا لا تنفعه الشفاعة. ونسب القول للمعتزلة، وهذا قول المعتزلة والخوارج أيضًا، وقول للشيعة بجميع أصنافهم؛ الإمامية، والجعفرية، والزيدية أيضًا على منهج المعتزلة، فكل هؤلاء من المعتزلة، والخوارج والشيعة بأصنافهم ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر، ويقولون بأن الله عز وجل لا يأذن لأحد أن يشفع في أهل الكبائر فيخرجون من النار، وهذا هو النوع الذي فيه الخلاف بين أهل السنة والجماعة وبين أهل الضلال والبدع.

وإلى الآن هذه الشفاعة ويجادلون فيها مع ثبوت الآيات والأحاديث الصحيحة في ذلك، ولهم شبهات ذكر منها الشيخ بعضها، وسأكمل الباقي، لكن هو بيَّن الآن من القائل بنفي الشفاعة؟ وما هو النوع الذي نفوه؟ ثم بيَّن بأن الأصل والمتفق عليه بين السلف ثبوت الشفاعة كتابًا وسنة وصحابة وفقهاء المسلمين، وأن الذين خالفوا قد ردوا ذلك، بل عارضوا بمتشابه القرآن، عارضوا لأن عندهم شُبَه في بعض الآيات – كما سنبين – وكل الآيات التي أتوا بها هي أصلا تُحمَل على الكفار الأصليين؛ أي على الكافر الخارج عن الملة الذي نعم ليس له شفاعة ولا يشفع له أحد – كما سيأتي في حمل الآيات على ذلك.

فعارضوا بمتشابه القرآن؛ أخذوا الآيات التي نزلت في الكفار في مسألة نفي الشفاعة وحملوها على العصاة من أهل الإسلام، وقال (هَذَا طَرِيقُ مَنْ قَدْ زَاغَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ) يأتي بالمتشابه ويحمله على ما يريد، واستدل بقوله تعالى:{ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ{ [آل عمران:7]، ولذلك هم الذين في قلوبهم زيغ فتتبعوا هذا المتشابه، وقد حذر الله عز وجل من هؤلاء، وكما قال النبي ﷺ، وقال عمر: (إِنَّ نَاسًا يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبَهِ الْقُرْآنِ , فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ , فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)، وهذا الذي لما جاء في الأثر الرجل الذي جاء يسأل فقال أنت أعلم بالسنة أم أنا؟ قال أنت، قال قد قال النبي ﷺ كذا وكذا وكذا، فرده إلى السنن لأن السنة مبينة كما قال الله عز وجل:{ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ{ [النحل: 44]، وقد بيَّن النبي ﷺ.

وهم استدلوا بعده أدلة – أو عده شُبه نقول ليست أدلة – هي شُبه. ولخص لنا الشيخ في جزء مما قال: (وَذَلِكَ أَنَّهُ عَمَدَ إِلَى آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْكُفْرِ , أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَّهُمْ إِذَا

دَخَلُوا النَّارَ أَنَّهُمْ غَيْرُ خَارِجِينَ مِنْهَا , فَجَعَلَهَا الْمُكَذِّبُ بِالشَّفَاعَةِ فِي الْمُوَحِّدِينَ , وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى أَخْبَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ أَنَّهَا إِنَّمَا هِيَ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ , وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى هَذَا , فَخَرَجَ بِقَوْلِهِ السُّوءِ عَنْ جُمْلَةِ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْأَيْمَانِ , وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ). وهذا كلام بديع من المؤلف لخص لنا النزاع مع هؤلاء.

فهم استدلوا بأدلة – لا نقول أدلة نقول شُبَه حقيقة – لأنها آيات في القرآن لكن هي ليست في النزاع؛

الشبهة الأولى: استدلوا بقول الله عز وجل:{ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا} [البقرة:48] ، وقول الله عز وجل:{ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ [البقرة: 254] ، وقال تعالى:{ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ} [البقرة: 123] ، فقالوا هنا دلت هذه الآيات على أن من دخل جهنم من أهل الكبائر يخلد فيها ولا تقبل فيه الشفاعة، فهم قالوا بأن كل من دخل النار لا يخرج منها. وقال أهل السنة لما ردوا عليهم قالوا هذه الآيات مخصوصة بالكفار، والسياق يبين لك ذلك؛ خاصة في الأولى والثالثة نزلت في اليهود الذين زعموا بأن آبائهم يشفعون لهم فنزلت فيهم هذه الآيات. إذًا السياق يبين أن الآيات نزلت في الكفار وليست في أهل الكبائر من أمة الإسلام.

الشبهة الثانية: استدلوا بقوله تعالى:{ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ} [المدثر: 48] ، فقالوا إذًا صاحب الكبيرة لا تنفعه الشفاعة، دخل في العموم. فقال أهل السنة والجماعة أيضًا أن الآية في الكفار بدليل قوله تعالى قبلها:{ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ * قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ} [المدثر: 42-43] ، إلى أن قالوا:{ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ} [المدثر: 46] ، والتكذيب يوم الدين كفر، إذًا الآيات نزلت في الكفار، السياق يبين ذلك، والنص هنا يقول ذلك، إذًا ليست في عصاة الموحدين.

الشبهة الثالثة: استدلوا بدليل ثالث؛ قول الله عز وجل:{ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ} [غافر: 18]، ووجه الدلالة قالوا بأن الظالم ليس له شفيع يطاع، ولا شك بأن العاصي ظالم، فحملوا هنا أن الظالم دخل فيه العاصي من أهل السنة والجماعة. ولكن الصحيح على أن المقصود هنا الظالمين هم الكفار، طيب لماذا؟ قلنا الأصل أنه إذا أُطلِق الظلم انصرف إلى أهل الكفر لأن الكفر أعظم الظلم، بدليل قول الله عز وجل:{ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ}

[لقمان:13] ، إذًا هنا المقصود بالظالم هو المشرك وليس الظالم هو الذي يفعل المعصية، هذا اطلاقًا، لما يُطلَق فيراد به ذلك.

الشبهة الرابعة: استدلوا بدليل رابع؛ قالوا {رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ} [آل عمران:192] ، ووجه الدلالة أن الآية تدل على أن من دخل النار فهو هالك، قال {فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ} فلا تنفعه الشفاعة، بل هو غير مرضي عنه، ممقوت، وقالوا هذا لما يدخل النار لا يدخل بقوله {وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ} [الأنبياء: 28] ، قلنا لماذا؟ لأن الله اشترط أنه يرتضي، وهذا قد أخزاه الله بدخوله النار، فغير مرضي عنه، فقالوا إذًا هنا كل من دخل النار فقد أخزاه الله فليس مرضيًا عنه فليس له شفاعة. والرد على هذه قالوا المقصود هنا {مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ} هنا الخزي المقصود هنا أولًا تُدخِل هذا دخول، والخزي قال {فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ} هذه الآية أيضًا في حق الكفار، لماذا في حق الكفار؟ نقول عندنا أنك تحمل اللفظ على المطلق منه؛ أي مطلق الدخول أم الدخول المطلق؟

هناك فارق بين الدخول المطلق ومطلق الدخول، هناك فارق بين الخزي المطلق ومطلق الخزي، الدخول المطلق الذي لا خروج منه، دخلت مطلقًا، الخزي المطلق أي الخزي بالكلية؛ على الاطلاق يوجد خزي، ما يُرفَع عنه الخزي. وأما مطلق الدخول أي أولية الدخول، أو مطلق الخزي ليس خزيًا على الكلية.

فهنا {مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ} يُحمل اللفظ على الاطلاق؛ أي دخولًا مطلقًا لا خروج منه، وخزيًا مطلقًا، خزيًا كامل، ودخول كامل، وهذا لا يكون إلا في حق الكافر، ويقصد هنا بالدخول أي الخلود {إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ} أي من تُخلِّده في النار فقد أخزيته، ولا يُخلَّد في النار إلا أهل الكفر، لذلك لا تنفعه الشفاعة.

إذًا هذه الشبهات الأربعة التي اشتبهت على المبتدعة في مسألة نفي الشفاعة فحملوها على العصاة أيضًا أو أصحاب الكبائر من أهل الإسلام، وهي كلها جاءت في الكفار؛ أولًا السياق يبين، وجمعًا بين الأدلة الأخرى التي جاءت كتابًا والسنة تبين شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر وغيرهم من الشفاعات، قال تعالى:{ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ } [الزمر: 44] .

فالخلاصة أن المنفي عنه الشفاعة هم أهل الشرك وأهل الكفر، بل بعضهم قال يضاف عليهم أن الذي نفى الشفاعة لأهل الكبائر واعتقد ذلك تُنفي عنه الشفاعة يوم القيامة، جزاء وفاقا. وكل الأدلة التي استدل بها الخوارج أو المعتزلة أو الشيعة هي أدلة جاءت في الكفار فقط

وليست في أصحاب الكبائر، كما رد الشيخ على ذلك أيضًا في الآثار التي ذكرها هنا؛ على أن كل الشفاعة المنفية ستكون شفاعة منفية عن الكفار فقط، والشفاعة غير المنفية تكون لأمة الإسلام بدرجاتهم جميعًا.

ثم ذكر مسألة مهمة جدًا بأن النبي ﷺ قد بيَّن ذلك أن لا شيء مشتبه في هذه المسألة، والسنة قد جاءت تبين أن الشفاعة ثابتة لأصحاب الكبائر من أهل الإسلام، وأن النبي قد بيَّن أن الله عز وجل قد أمره، قال: {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: 44]، وقد بيَّن أيضًا في السنة كل شيء من الأوامر والنواهي، وبيَّن كل شيء من الغيبيات؛ موت الناس، والبعث من القبور، والصعق، ثم الاجتماع في المحشر، والحساب، والصراط، ودخول الناس إلى الجنة، كل شيء قد بينه النبي ﷺ ولم يترك شيء لم يبينه، وحتى هذه المسألة قد بينها النبي ﷺ.

ثم سيذكر الآن استفاضة يبين ما نحتاج إليه في أنواع الشفاعات، والشفاعات تحديدًا لأهل الكبائر من أمة الإسلام.

اعْلَمُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ: أَنَّ أَهْلَ الْكُفْرِ إِذَا دَخَلُوا النَّارَ وَرَأَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ وَأَصَابَهُمُ الْهَوَانُ الشَّدِيدُ نَظَرُوا إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ مَعَهُمْ فِي النَّارِ فَعَيَّرُوهُمْ بِذَلِكَ وَقَالُوا: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ إِسْلَامُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ؟ فَزَادَ أَهْلَ التَّوْحِيدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حُزْنًا وَغَمًّا , فَاطَّلَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا نَالَهُمْ مِنَ الْغَمِّ بِتَعْيِيرِ أَهْلِ الْكُفْرِ لَهُمْ فَأَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ فَيَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالشُّهَدَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَالْمُؤْمِنُونَ فِيمَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأُخْرِجُوا مِنْهَا عَلَى حَسَبِ مَا أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى فَدَخَلُوا الْجَنَّةَ , فَلَمَّا فَقَدَهُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ وَدُّوا حِينَئِذٍ لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ لَيْسَ شَافِعٌ يَشْفَعُ لَهُمْ , وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهِمْ شَيْئًا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَهْلِ الْكُفْرِ لَمَّا نَضَجُوا بِالْعَذَابِ وَعَلِمُوا أَنَّ الشَّفَاعَةَ لِغَيْرِهِمْ قَالُوا: {فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} [الأعراف: ٥٣] الْآيَةَ , وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ} [الشعراء: ٩٤] , {وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ} [الشعراء: ٩٥] , {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ} [الشعراء: ٩٦] , {تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الشعراء: ٩٧] , {إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ٩٨] , {وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ} [الشعراء: ٩٩] , {فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ} [الشعراء: ١٠٠] , {وَلَا

صَدِيقٍ حَمِيمٍ} [الشعراء: ١٠١] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ لِأَهْلِ الْكُفْرِ: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ} [المدثر: ٤٢] , {قَالُوا: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ} [المدثر: ٤٣] , {وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ} [المدثر: ٤٥] , {وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ} [المدثر: ٤٦] , {حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ} [المدثر: ٤٧] , {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المدثر: ٤٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: هَذِهِ كُلُّهَا أَخْلَاقُ الْكُفَّارِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المدثر: ٤٨] فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لَابُدَّ مِنْ شَفَاعَةٍ وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ لِغَيْرِهِمْ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ خَاصَّةً , وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ} [الحجر: ١] , {رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} [الحجر: ٢] .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَإِنَّمَا يَوَدُّ الْكُفَّارُ أَنْ لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ عِنْدَمَا رَأَوْا مَعَهُمْ فِي النَّارِ قَوْمًا مِنَ الْمُوَحِّدِينَ فَعَيَّرُوهُمْ وَقَالُوا: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ إِسْلَامُكُمْ وَأَنْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ فَحَزِنُوا مِنْ ذَلِكَ فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَمِنْ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَشْفَعُوا فِيهِمْ فَشَفَعُوا فَأُخْرِجَ مَنْ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فَفَقَدَهُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ فَسَأَلُوا عَنْهُمْ فَقِيلَ: شَفَعَ فِيهِمُ الشَّافِعُونَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُسْلِمِينَ , فَعِنْدَهَا وَدُّوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ حَتَّى تَلْحَقَهُمُ الشَّفَاعَةُ

775 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ الدَّسْتُوَائِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ قَالَ: سَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ: عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} [الحجر: ٢] قَالَ: " حُدِّثْتُ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِمَنْ دَخَلَ النَّارَ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَغْضَبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ , فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ: اشْفَعُوا , فَيَشْفَعُونَ فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ , حَتَّى إِنَّ إِبْلِيسَ لَيَتَطَاوَلُ رَجَاءَ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمْ , فَعِنْدَ ذَلِكَ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ

776 - وَأَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو , قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ , عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ , عَنْ مُجَاهِدٍ , عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} [الحجر: ٢] قَالَ: "لَا تَزَالُ الرَّحْمَةُ وَالشَّفَاعَةُ حَتَّى يُقَالَ: لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ كُلُّ مُسْلِمٍ قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ "

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: بَطَلَتْ حُجَّةُ مَنْ كَذَّبَ بِالشَّفَاعَةِ, الْوَيْلُ لَهُ إِنْ لَمْ يَتُبْ, وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: مَنْ كَذَّبَ بِالشَّفَاعَةِ فَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ

777 - أَنْبَأَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ ذَرِيحٍ الْعُكْبَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ, عَنْ عَاصِمٍ, عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «مَنْ كَذَّبَ بِالشَّفَاعَةِ فَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ»

هنا ذكر الإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – ما نُقل في التفاسير عن أن أهل الكفر لما كانوا في النار واشتد عليهم العذاب نظروا فوجدوا بعض من يعرفونهم من الموحدين وجدوهم في النار يعذبون معهم، فقالوا لهم: (مَا أَغْنَى عَنْكُمْ إِسْلَامُكُمْ فِي الدُّنْيَا) أنتم تعذبون، وهم يعذبون أيضًا معهم (وَأَنْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ؟)، فزاد ذلك حزن أهل التوحيد، (فَاطَّلَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا نَالَهُمْ مِنَ الْغَمِّ بِتَعْيِيرِ أَهْلِ الْكُفْرِ لَهُمْ)، فأذِن الله عز وجل للأنبياء والصالحين والملائكة أن يشفعوا لأهل المعاصي أو أهل الذنوب أو أهل الكبائر الذين هم في النار، فيخرجوا منها، على حسب طبقاتهم وعلى حسب كل من يشفع؛ كما سيأتي معنا أيضًا في بعض الأحاديث أن شفع الملائكة، شفع النبيون، شفع الصالحين، إلى كل من كان يعرف شيء يشفع حتى يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، وقال نزل فيهم قول الله عز وجل: {فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} [الأعراف:53]، هذه نزلت في الكفار لما رأوا ذلك وشُفِع لأهل المعاصي من أهل التوحيد أرادوا أن يُشفَع لهم أيضًا، فنزلت آيات الله عز وجل بذلك، فقال: {فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} [الشعراء: 100-101] ، الآيات: {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ} [الشعراء: 94-95] إلى ان قال سبحانه عنهم: {فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} [الشعراء:100-101] وأيضًا آيات المدثر لما قالوا أيضًا:{ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ} [المدثر: 48] ، فهنا دلالة على التفرقة بين من كانوا في النار من أهل الكفر ومن كانوا في النار من أهل التوحيد، فهؤلاء لا تنفعهم شفاعة الشافعين، وهؤلاء جاءتهم الشفاعة من الله عز وجل خاصة لأصحاب الكبائر فيها.

وأيضًا ذكر الإمام ما جاء في سورة الحجر:{ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ} [الحجر:2] ، وهنا جاء في التفسير لماذا يودون أن يكونوا مسلمين أو يرجعوا مره أخرى للإسلام؟ لأنهم أرادوا أن يروا الشفاعة، لأنهم رأوا بأن من كانوا في النار من أهل الإسلام قد

شُفِّع لهم وخرجوا من النار فهم يودوا أن يكونوا مسلمين حتى يُشفَّع فيهم فيخرجون من النار حتى تلحقهم الشفاعة. وهذه كلها تفاسير جاءت لهذه الآية، حتى قالوا أن إبليس ليتطاول يريد أن يخرج معهم وما هم بخارجين من النار.

وكل هذه تبين أولًا **بنفي الشفاعة عن الكفار**؛ تُنفى عنهم الشفاعة فليست لهم شفاعة على الاطلاق، **وهذا يُرَدّ على من؟** يُرَدّ على الذين يُلبِّسون على الناس فيقولون بأن غير المسلم هو في الآخرة قد يُعفَى عنه، وقد يكون من المَرضي عنهم! وكيف يكون ذلك والله عز وجل يبين بأن الكفار إذا ماتوا فهم في النار ولن تنفعهم شفاعة الشافعين! إذا كان ليست لهم شفاعة فكيف سيدخلون الجنة أصالة؟! ونحن لا نعلم حالهم بل نحن نجزم ونقول بأن من كان على الكفر أو مات على الكفر وكان من أهل الكفر نقول ما نقوله في الدنيا أنه من أهل النار، أما مآله في الآخرة أن الله عز وجل قد يكون مطلع على بعض أعيانهم بأنهم من أهل الإسلام ونحن لا نعلم، لكن من مات على الكفر، وحتى نقول أن من كان من أهل الكفر يوم القيامة والله عز وجل قد حكم عليه بالكفر فجزمًا هو من أهل النار ولن يخرج منها أصالة.

تبقى مسألة كنا تكلمنا عنها في أول الخلاف؛ في المعتزلة والخوارج، وأنا أردت أن أسأل فيها؛ قلنا بأنهم يقولون بأن أهل الكبائر ليست لهم شفاعة ولا يخرجون من النار، طيب أليس هذا يوافق أصولهم؟ ما رأيكم؟ فنحن قلنا بأن المعتزلة والخوارج يقولون بأن أهل الكبائر من أهل التوحيد إذا دخلوا النار ليست لهم شفاعة، طيب هل هذا يوافق أصولهم أم لا؟ أي أن هذا ليس مستبعد أن يقولوه، بل هو لازم قولهم في أصولهم؛ أليس هذا لازم أصولهم أم لا؟ صحيح أم أحد يخالفني يقول لي لا ليس بصحيح؟

أنا أتكلم عن الآخرة الآن، اترك الدنيا، هم المعتزلة والخوارج يقولون بأن أصحاب الكبائر من المسلمين ليس لهم شفاعة، ولا يخرجون من النار، فقلنا قولهم "ليس له شفاعة" ليس جديد على أصولهم، لأن أصولهم بتقول بأن أصحاب الكبائر خرجوا من الإسلام أصلًا، أليس هم يُكفِّرون مرتكب الكبيرة؟ الخوارج يقولون كافر في الآخرة وفي الدنيا، والمعتزلة يقولون بين منزلتين في الدنيا، وفي الآخرة هو كافر، إذًا هو كافر إذًا لن تنفعه الشفاعة. إذًا الخلاف فرعي على الأصل عندهم لأنهم يرون بتكفير أصحاب الكبائر، إذًا يوافق أصولهم أن يقولوا بأنه ليست له شفاعة. أنا فقط قصدت أن أقولها إلماحًا لأنك قد لا تجدها كثيرًا بأن هذا يوافق الأصول التي لهم، فليس بغريب عنهم لأنهم ضلوا أصلًا في حكمهم على أصحاب الكبائر، فبالتالي يعقبه ذلك أن يقولوا ذلك في الشفاعة.

نقرأ هذا الباب نختم به؛ بَابُ مَا رُوِيَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ إِنَّمَا هِيَ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ لأنه يسير إن شاء الله؛

63- بَابُ مَا رُوِيَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ إِنَّمَا هِيَ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ

778 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: نا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: نا أَبُو دَاوُدَ يَعْنِي الطَّيَالِسِيَّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ ثَابِتٍ الْبُنَانِيُّ, عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ, عَنْ أَبِيهِ, عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»

779 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُنْدَارُ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ بُنْدَارٌ قَالَ: نا أَبُو دَاوُدَ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ ثَابِتٍ الْبُنَانِيُّ, عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ, عَنْ أَبِيهِ, عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» قَالَ لِي جَابِرٌ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ فَمَا لَهُ وَلِلشَّفَاعَةِ؟

780 - وَحَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ حَامِدُ بْنُ شُعَيْبٍ الْبَلْخِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَنْبَسَةُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْقُرَشِيُّ, عَنْ وَاصِلٍ, عَنْ أُمِّي, عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ, عَنِ الشَّعْبِيِّ, عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الشَّفَاعَةُ؟ فَقَالَ: «الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»

781 - حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شُعْبَةَ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُسُوحِيُّ, قَالَ: نا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ, عَنْ أَشْعَثَ الْحُدَّانِيِّ, عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»

782 - أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ ذَرِيحٍ الْعُكْبَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ, عَنِ الْأَعْمَشِ, عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ, عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ»

783 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ: نا أَبُو الْمُغِيرَةِ النَّضْرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: نا الْأَعْمَشُ, عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ, عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا جُعِلَتِ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»

784 - أَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْحِنَّائِيُّ قَالَ: نا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُمَيَّةَ الْحَبَطِيُّ, عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ, عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»

785- أَنْبَأَنَا أَبُو عُبَيْدٍ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَرْبٍ الْقَاضِي قَالَ: نا أَبُو الْأَشْعَثِ أَحْمَدُ بْنُ الْمِقْدَامِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفُضَيْلُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا رِبْعِيُّ بْنُ حِرَاشٍ أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِمَّنْ تُصِيبُهُ شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُغْنِي الْمُؤْمِنِينَ عَنْ شَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ, وَلَكِنَّ الشَّفَاعَةَ لِلْمُذْنِبِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ

هنا أولًا التبويب هل هناك شيء عندكم في تبويب الشيخ؟ هل لاحظتم شيء في تبويب الباب؟ هل هو يريد حصرًا أم يريد تأكيدًا؟ هنا لابد أن تقول بأن الشيخ لا يخفى عليه أنواع الشفاعات الأخرى، فهو ما يقصد الحصر، لكن هو يقصد به التأكيد، إذًا هنا (**إِنَّمَا**) جاءت ليس على بابها، لكن هنا جاءت للتأكيد؛ أي يريد أن يؤكد أن المقام في الأبواب لذلك، وهو طبعًا لا يقصد بها الحصر على أن الشفاعة فقط لأهل الكبائر، وإن كان الحديث الآخر سنبين كيف يُحمَل، نعم هو يرد على من ينكرها وكأنه يريد أن يقول أنه أتى بالتأكيد في ذلك وليس لها مفهوم، أو ليس لها حصر على أن الشفاعة فقط تكون لأهل الكبائر، لأنه لا يخفى على الإمام الآجري أنواع الشفاعات الأخرى التي قد ثبتت كما بيناها؛ الشفاعة لدخول الجنة أول وهلة، والشفاعة للدرجات في الجنة، والشفاعة العظمى أولًا، إلى غير ذلك من الشفاعات، والشفاعة في الأقوام التي تساوت حسناتهم وسيئاتهم، والشفاعة في سُكنى المدينة بغير حساب ولا عقاب إلى غير ذلك. إذًا مهمة مسألة التبويب؛ يقصد به هنا أنها على سبيل التأكيد.

ثم ذكر الأدلة كلها، وتكرار للروايات (**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**) وهذا رد به على الذين ينفون الشفاعة لأهل الكبائر، حتى أنه قال: (**قَالَ لِي جَابِرٌ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ فَمَا لَهُ وَلِلشَّفَاعَةِ؟**) وهذه طبعًا أيضًا سيُحمل الكلام فيها على أنه أحوج الناس للشفاعة من كان من أهل الكبائر، وليس معناها بأنه من كان من ليس من أهل الكبائر ليس له شفاعة! لأن لا شك بأن الشفاعة لرفعة الدرجات في الجنة هذا شيء عظيم، الشفاعة للدخول بغير سابقة حساب ولا عقاب، والشفاعة لدخول من تساوت الحسنات والسيئات أو أهل الأعراف، إلى غير ذلك منهم أحوج أيضًا للشفاعة، لكن لا شك أن أحوج ما يكون إلي الشفاعة من كان

في النار أو كان من أهل الكبائر ودخل النار ليخرج منها. فقال: "الشفاعة لأمتي من أهل الكبائر" أيضًا، و(الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي)، و(إِنَّمَا الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ)، و(إِنَّمَا جُعِلَتِ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي) على بعض طبعًا، فهناك تضعيف لبعض الأحاديث وصحة البعض، لكن الضعيف هنا سينجبر لأن هناك وفرة في الأحاديث الصحيحة في اثبات ذلك.

ثم حديث ربعي بن حراش: (أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِمَّنْ تُصِيبُهُ شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُغْنِي الْمُؤْمِنِينَ عَنْ شَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ , وَلَكِنَّ الشَّفَاعَةَ لِلْمُذْنِبِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ)، هذه ستحتاج لتدقيق، صحيح أم لا؟ تحتاج لتدقيق قليلًا (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُغْنِي الْمُؤْمِنِينَ عَنْ شَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ , وَلَكِنَّ الشَّفَاعَةَ لِلْمُذْنِبِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ)، نراجع فقط السند، لابد له من محمل. اللالكائي ذكر في شرح أصول الاعتقاد، والبيهقي، فقالوا: "اسناده ضعيف"، وانظر ماذا قالوا: "وأيضًا في متنه بعض النكارة، لأن شفاعة النبي ﷺ أنواع؛ منها من لا يستغني عنها أحد حتى الأنبياء مثل شفاعة فض الموقف وفتح باب الجنة".

الحمد لله، إذًا الحديث أولًا فيه ضعف، والحق أن فيه نكارة في المتن، لذلك أنا قلت أن لابد أن يُراجَع، لأن طبعًا هناك شفاعات مهما كان لابد أن نحتاجها؛ مثل مسألة شفاعة الموقف، وأيضًا شفاعة فتح باب الجنة والدخول، هذه يحتاج إليها الناس جميعًا، فلعل المتن فيه نكارة في هذه المسألة، وكما قال فيه ضعف وإن كان أخرجه اللالكائي في "أصول الاعتقاد"، والبيهقي أيضًا في "الاعتقاد"، لكن السند فيه ضعف والله أعلم.

نأخذ الباب الذي يليه، نقرأ بَابُ مَا رُوِيَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ تَعَالَى؛

64- بَابُ مَا رُوِيَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ تَعَالَى

786- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّا الْمُطَرِّزُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ الْمُطَرِّزُ: وَحَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ جَمِيعًا عَنِ الْأَعْمَشِ , عَنْ أَبِي صَالِحٍ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ , فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ , وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ , فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا» لَفْظُ أَبِي مُعَاوِيَةَ

787 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ , عَنْ أَبِي صَالِحٍ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَأَخَّرْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»

788 - حَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرٍو , عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ , لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ , أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ نَفْسِهِ "

65- بَابُ ذِكْرِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا , وَاخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي»

789- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ مَوْهَبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَنَا يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ , عَنِ ابْنِ شِهَابٍ , أَنَّ عَمْرَو بْنَ سُفْيَانَ الثَّقَفِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لِكَعْبِ الْأَحْبَارِ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا فَأَنَا أُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

790 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ أَبِي مَنِيعٍ , عَنْ جَدِّهِ , عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ , أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

791- حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ ذَرِيحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدَةُ يَعْنِي ابْنَ سُلَيْمَانَ , عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ , عَنْ مُوسَى بْنِ يَسَارٍ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَا بِهَا , وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

792 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ, عَنْ قَتَادَةَ, عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي»

أنا لن أشرح؛؛ ستشرحوا أنتم، بَابُ مَا رُوِيَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ تَعَالَى، التبويب بديع جدًا، صحيح؟

سؤال من فضيلة الشيخ: ما مناسبة التبويب لما نحن فيه؟

إجابة من أحد الطلبة: أنها لأهل الكبائر.

تعقيب فضيلة الشيخ: جيد.

سؤال من فضيلة الشيخ: طيب والحديث لما يقول النبي ﷺ: (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ, فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ, وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ, فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا) كيف نستدل بهذا الحديث على الباب الذي يتكلم عنه والخلاف؟ كيف نستدل بهذا الحديث على الرد على المخالف؟ كيف الرد على الخوارج والمعتزلة في هذا الحديث؟

أريدها من باب أصولي؛؛

إجابة من أحد الطلبة: من مات موحدًا دخل الجنة حتى لو كان عاصيًا.

تعقيب فضيلة الشيخ: هذا أفضل الكلام، لكن أنا أريد رد علمي.

شرح فضيلة الشيخ: قال النبي ﷺ: (فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا) إذًا نقول هنا أن الحديث يدل على العموم، نكرة جاء في سياق النفي، وأيضًا ممكن تقول الشرط؛ أولًا أن من مات لا يشرك بالله شيئًا، دخل الجنة، إذًا عموم، أنا أريد هذا الاستدلال، (مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا) عموم؛ كل من مات على التوحيد سواء كان عاصيًا بدرجات التوحيد، معه أصل الإيمان، فالاستدلال بالعموم؛ (مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا)، قال: (أَخَّرْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي)، طيب من هم؟ (مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا)، فأصبح هنا العموم في الحديث على أن من مات على التوحيد فله الشفاعة، دخل فيه من؟ أهل الكبائر؛ دخل فيه أهل الكبائر من هذا الباب على أنهم لهم الشفاعة لأنهم ماتوا على التوحيد.

ومنها أيضًا الباب الذي يليه: (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا , وَاخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي) يوم القيامة، (اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي) وأهل الكبائر من أمة الإسلام، فدخلوا أيضًا في عموم الشفاعة التي اختبأها النبي ﷺ لأمته لأنهم دخلوا في العموم ولم يخرجوا من هذا العموم.

هذا هو المقصود، وهذا الذي أراد به الشيخ أن يبين طبعًا أولًا في الرد على المخالف، وثانيًا يبين أيضًا بأن الشفاعة لكل أمة النبي ﷺ، يدخل فيها كل الأمة حتى على درجات المؤمنين؛ فيهم العصاة وغير العصاة، وأهل الإيمان، ثم سيأتي تخصيص شفاعات أخرى، لكن هنا من باب العموم دخل فيه أهل الكبائر.

سنقف عند هذا الباب؛ بَابُ ذِكْرِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ أَوِ الشَّفَاعَةَ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، سنقف عند هذا، ونكون بفضل الله تعالى قد أخذنا ما تيسر لنا من هذا الباب، وهو عدة أبواب فيه. أسأل الله عز وجل أن ينفعنا بذلك، وأن يجعلنا نعمل بهذا العلم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الخامسة والستون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري، وما زلنا في أبواب الشفاعة التي قالها المؤلف، تكلمنا عنها الأسبوع الماضي، ووقفنا عند بعض أبواب الشفاعة نكمل إن شاء الله الشفاعة اليوم ما تبقى منها، وإن تبقى وقت سندخل إن شاء الله أيضًا في الحوض، وهذا تتمة هذا الجزء أيضًا؛ الجزء التاسع، وبينَّا معنى الشفاعة لغة واصطلاحًا، وبينَّا أيضًا أقسام الشفاعة، ثم بينَّا أنواع الشفاعات التي اختُص بها النبي ﷺ والشفاعات التي لغير النبي ﷺ، وبينَّا النزاع أين يكون بين أهل السنة والجماعة وبين المبتدعة في مسألة الشفاعة، وأنا أريد تحرير النزاع؛ **<u>أين موطن النزاع بين أهل السنة والجماعة وبين من أنكر في مسألة الشفاعة؟</u>**

كنا قد بينَّا كل ذلك الأسبوع الماضي؛ أن هناك شفاعات خاصة بالنبي ﷺ، وأن هناك شفاعات مشتركة بين النبي ﷺ وبين الملائكة والنبيون والمؤمنون والصالحون والشهداء إلى

غير ذلك، وقلنا بان أهل السنة يثبتون هذه الشفاعات، وأن المبتدعة من الخوارج والمعتزلة وقلنا الرافضة أيضًا ممن من لم يثبتوا الشفاعة، أين النزاع بيننا وبينهم، ما هو موطن النزاع؟

مهم جدًا أن يُعرَف موطن النزاع، هذا مقام إتقان الآن، هذا الكتاب من الكتب العالية، ونحن درسنا أكثر من مرة هذه المسائل؛ أو من درس من قبل سواء معي أو مع غيري.

نحن نثبت الشفاعة، هم لا يثبتون الشفاعة، أين موطن النزاع بيننا وبينهم؟ **موطن النزاع بيننا وبينهم في الشفاعة لأهل الكبائر، هذا هو موطن النزاع بيننا وبينهم**، تحرير النزاع في الشفاعة لأهل الكبائر من المسلمين، فالنزاع بيننا وبينهم في اثبات الشفاعة لأهل الكبائر؛ هم لا يثبتونها ونحن نثبتها. وطبعًا أصولهم لأنهم بيكفروهم، فبالتالي لا شفاعة للكافر عنده، فهو لن يثبتها باللزوم، لكن هنا موطن النزاع. وأنا لماذا بقول هذه المسألة؟ لأن ليست كل الشفاعات محل نزاع بيننا وبينهم.

نقرأ؛؛

66- بَابُ ذِكْرِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ أَوِ الشَّفَاعَةَ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ»

793- أَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ ذَرِيحٍ الْعُكْبَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدَةُ يَعْنِي ابْنَ سُلَيْمَانَ , عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ , عَنْ قَتَادَةَ , عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ , عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا قَالَ فِيهِ: وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَنَا فَقَالَ: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَخَيَّرَنِي بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ, اجْعَلْنَا فِي شَفَاعَتِكَ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ أَهْلُ شَفَاعَتِي» , ثُمَّ أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ فَقَالَ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَخَيَّرَنِي بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ , اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِكَ , فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُشْهِدُ مَنْ حَضَرَنِي أَنَّ شَفَاعَتِي لِمَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»

794- حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَرَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ بَكْرٍ التِّنِّيسِيُّ , قَالَ ابْنُ صَاعِدٍ: وَحَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ سَعِيدٍ الْمِصِّيصِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَارَةُ بْنُ بَشِيرٍ وَاللَّفْظُ لِبِشْرِ بْنِ بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ سُلَيْمَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيَّ , يَقُولُ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا خَيَّرَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «خَيَّرَنِي أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ , فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهَا قَالَ: «هِيَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»

795 - حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ ذَرِيحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ , عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَرْوَةَ , عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ الشَّفَاعَةَ لِأُمَّتِي» , فَقَالَ: «لَكَ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ» قَالَ: قُلْتُ: «رَبِّ زِدْنِي» قَالَ: «فَإِنَّ لَكَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا» قَالَ: قُلْتُ: «رَبِّ زِدْنِي» قَالَ: فَحَثَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَسْبُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ , فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَبَا بَكْرٍ دَعْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ لَنَا كَمَا أَكْثَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا نَحْنُ حَفْنَةٌ مِنْ حَفَنَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ أَبُو بَكْرٍ»

796- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ الرِّفَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ , عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أُوتِيتُ الشَّفَاعَةَ , فَأَشْفَعُ لِمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ , ثُمَّ أَشْفَعُ لِمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ , حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ هَذَا» وَحَرَّكَ الْإِبْهَامَ وَالْمُسَبِّحَةَ

797 - أَنْبَأَنَا ابْنُ ذَرِيحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَ: أَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ , عَنْ لَيْثٍ , عَنْ أَبِي فَزَارَةَ , عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ , عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} [النساء: ٤٠] فَقَالَ: أَدْخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَدَهُ فِي التُّرَابِ ثُمَّ رَفَعَهَا ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا ثُمَّ قَالَ: «كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ»

هذا الباب فيه أولًا أنواع الشفاعات وقد تكلمنا عنها الأسبوع الماضي؛ شفاعات للنبي ﷺ، وطبعًا عنوان الباب (إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ أَوِ الشَّفَاعَةَ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ) فهذا معناه بأنه بشفاعة النبي ﷺ يكون أكثر من نصف أمة النبي ﷺ يدخلون الجنة، إذًا اختار النبي ﷺ الأفضل والأكثر والأنفع للأمة لمَّا خيَّره الله عز وجل، وكأن هذه بأن النبي ﷺ قد يُدخِل بشفاعته أكثر من نصف أمته الجنة، لذلك قال لما قيل له: (يَا رَسُولَ اللَّهِ, اجْعَلْنَا فِي شَفَاعَتِكَ) فَقَالَ: (إِنَّكُمْ أَهْلُ شَفَاعَتِي)، وهذه بيناها في أنواع الشفاعة للنبي ﷺ بأنه يشفع لأمته.

وقال: (أُشْهِدُ مَنْ حَضَرَنِي أَنَّ شَفَاعَتِي لِمَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا)، وهذا تقييد، إذًا هنا بيَّن أن المقصود بالأمة هنا أمة الإجابة، وهي أمة التوحيد، فأصبح من أنواع الشفاعات التي تكلمنا عنها الأسبوع الماضي – فقد تكلمنا عن ثمانية أنواع تقريبًا – منها كما في حديث أبو هريرة لما جاء للنبي ﷺ قال: [يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ, لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ, أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ نَفْسِهِ"]، إذًا بيَّن بأنه على الاخلاص وعدم الوقوع في الشرك فهو أسعد الناس بالشفاعة.

لذلك هو قال هنا: (لِمَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا)، إذًا هذه شفاعة للنبي ﷺ لأهل التوحيد، حتى لو أتى بمعصية من المعاصي، وهذه رددنا طبعًا فيها على الخوارج والمعتزلة الذين قالوا بعدم الشفاعة لأهل الكبائر لأن هذا عموم، فهنا تقييد فقط بأن يموت بشهادة أن لا إله إلا الله، فدل ذلك على أن هذا نوع من أنواع الشهادات كما قلنا النبي ﷺ، وهي شهادته لأهل التوحيد. وفي الحديث الذي يليه قال:(هِيَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ)، فبيَّن ذلك على أن الشفاعة أيضًا هي لكل مسلم؛ بالتوحيد يدخل به المرء في شفاعة النبي ﷺ.

ثم ذكر بعد ذلك الشفاعة الأخرى في السبعين ألف، وهي خاصة أيضًا بالنبي ﷺ، وقلناها أيضًا الأسبوع الماضي؛ أن من أنواع الشفاعات أن يُشفَّع في السبعين ألف، للحديث: (لَكَ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ» قَالَ: قُلْتُ: «رَبِّي زِدْنِي» قَالَ: «فَإِنَّ لَكَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا» قَالَ: قُلْتُ: «رَبِّي زِدْنِي» قَالَ: فَحَثَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ)، بل جاء في رواية أخرى – نسأل الله عز وجل وفضل الله واسع – أن مع كل واحد يدخل معه سبعين ألف، ثم زاد بأن الله عز وجل: (فَحَثَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ قَالَ: فَقَالَ أَبُو

بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَسْبُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ)، وهذه مسألة كأن عَلِم أبو بكر من فقهه بأن الحثوات الثلاثه دخلت فيها أمة النبي ﷺ، وكأن أبو بكر – ما أدري – خاف أن نُحرَم هذا الخير فأراد أن يكتفي بذلك، لأن عمر قال: (يَا أَبَا بَكْرٍ دَعْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرْ لَنَا كَمَا أَكْثَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا نَحْنُ حَفَنَةٌ مِنْ حَفَنَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ أَبُو بَكْرٍ»)، أي كأنه أراد أن يستيقن ويثبِّت الخير وإلا قد يُحرَم، وقد حدث؛ لأنه قد جاء النبي ﷺ ليُعلمهم بليلة القدر فتنازعوا فرُفِعت، فكأن أبو بكر – وهذا اجتهاد حقيقة – أن أبو بكر لما قال ذلك أراد أن يثبِّت الخير قبل أن يحدث شيء فيُرفَع عنه. وهذا فيه دلالة على أن حثوات ربي سبحانه وتعالى شملت أمة النبي ﷺ. وقلنا فيها اثبات صفة (الحث) لله عز وجل. فهذه شفاعة أخرى للنبي ﷺ في السبعين ألف.

ثم بيَّن قال: (فَأَشْفَعُ لِمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ , ثُمَّ أَشْفَعُ لِمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ , حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ هَذَا» وَحَرَّكَ الْإِبْهَامَ وَالْمُسَبِّحَةَ)، وهذه تدل على أنه حتى من كان في قلبه قدر يسير من الإيمان – ما دام موحدًا – فله شفاعة النبي ﷺ، حتى لو قَلَّ الإيمان في قلبه، لكنه لابد أن معه أصل الإيمان؛ وما خرج من الإيمان، فهنا له شفاعة النبي ﷺ.

طبعًا هذه فيها مسألة ما نحتاج أن ندخل فيها في مسألة مثقال حبة من خردل، فهذه نرجئها لعلها تأتي في مسألة آخرى لها علاقة بمسألة ترك الصلاة وغير ذلك.

ندخل في الباب الذي يليه؛؛

67- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ أَقْوَامًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَشَفَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ

798- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ , أَسَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ قَوْمًا بِالشَّفَاعَةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»

799 - حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ هَارُونُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ يَعْنِي مُحَمَّدًا الْعَدَنِيَّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ , عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا يُشِيرُ إِلَى أُذُنَيْهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْرِجُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسًا مِنَ النَّارِ فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ»

800 - وَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ ذَكْوَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ , عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ قَوْمًا بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ , فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَهَنَّمِيِّينَ»

801 - حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ الدُّولَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ , عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ أَبِي مَسْلَمَةَ , عَنْ أَبِي نَضْرَةَ , عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا , وَأَمَّا نَاسٌ مِنَ النَّاسِ فَإِنَّ النَّارَ تَأْخُذُهُمْ عَلَى قَدْرِ ذُنُوبِهِمْ فَيَحْتَرِقُونَ فِيهَا فَيَصِيرُونَ فَحْمًا , ثُمَّ يَأْذَنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ ضَبَائِرَ فَيُبَثُّونَ أَوْ يُنْثَرُونَ عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ فَيُؤْمَرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَيُفِيضُونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ , فَتَنْبُتُ لُحُومُهُمْ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»

802- أَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: أَنْبَأَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيَّ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى , عَنْ أَبِيهِ , عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرَحْمَتِهِ: "انْظُرُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ مِنَ النَّارِ قَالَ: فَأُخْرِجُوا , وَقَدْ عَادُوا حِمَمًا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ يُسَمَّى نَهَرَ الْحَيَاةِ , فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْغُثَاءُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ , أَوْ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ , أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَأْتِي صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً"

803 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ الرِّفَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ , عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أُوتِيتُ الشَّفَاعَةَ فَأَشْفَعُ لِمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ , ثُمَّ أَشْفَعُ لِمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ مِثْلُ هَذَا»

وَحَرَّكَ الْإِبْهَامَ وَالْمُسَبِّحَةَ "

804- أَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ, عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ قَوْمٌ بَعْدَ مَا يُصِيبُهُمْ مِنْهَا سَفْعٌ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ, يُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَهَنَّمِيِّينَ»

805 -حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ النَّضْرِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ, عَنْ حَمَّادٍ, عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ, عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيُخْرَجَنَّ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ قَدْ مَحَشَتْهُمُ النَّارُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ, يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ»

806- أَنْبَأَنَا ابْنُ ذَرِيحٍ الْعُكْبَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ, عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ, عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ, عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: " لَقَدْ بَلَغَتِ الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَخْرِجُوا بِرَحْمَتِي مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ قَالَ: ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ حَفَنَاتٍ بِيَدِهِ بَعْدَ ذَلِكَ "

807 -حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مِهْرَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي رُشَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَطَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ, عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ, عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ يَكُونُ لَهُ الْحَقُّ عَلَى صَاحِبِهِ أَشَدَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ يَقُولُونَ: رَبَّنَا, إِخْوَانُنَا الَّذِينَ كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَحُجُّونَ؟ أَدَخَلُوا النَّارَ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ, فَيُخْرِجُونَهُمْ, ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ, حَتَّى يَقُولُ: نِصْفُ مِثْقَالٍ حَتَّى يَقُولَ: خَرْدَلَةٌ حَتَّى يَقُولَ: ذَرَّةٌ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «شَفَعَتِ الْأَخْيَارُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ, وَبَقِيَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ, ثُمَّ يَقْبِضُ قَبْضَةً أَوْ قَبْضَتَيْنِ مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ»

808 - أَنْبَأَنَا ابْنُ ذَرِيحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ, قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ, عَنْ سُفْيَانَ بْنِ زِيَادٍ الْعُصْفُرِيِّ, عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {قَالُوا: وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: ٢٣] قَالَ: "لَمَّا أَمَرَ بِإِخْرَاجِ مَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ مَنْ بِهَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ: تَعَالَوْا: فَلْنَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَعَلَّنَا أَنْ نَخْرُجَ مَعَ هَؤُلَاءِ , فَقَالُوا فَلَمْ يَصَّدَّقُوا قَالَ: فَحَلَفُوا , {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: ٢٣] "قَالَ: فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: ٢٤]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِجَمِيعِ ذُرِّيَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ بِأَنْ يُخْرَجَ مِنَ النَّارِ كُلُّ مُوَحِّدٍ ثُمَّ يَشْفَعُ آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ , ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ , ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ , ثُمَّ الْمُؤْمِنُونَ فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا , لَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا , وَخَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا

809 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ , عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ , عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ , عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذُكِرُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ , إِنِّي لَسَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ , وَإِنَّ بِيَدِي لِوَاءَ الْحَمْدِ , وَإِنَّ تَحْتَهُ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ دُونَهُ وَلَا فَخْرَ قَالَ: يُنَادِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ , فَيَقُولُ آدَمُ: لَبَّيْكَ رَبِّ وَسَعْدَيْكَ , فَيَقُولُ: «أَخْرِجْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثَ النَّارِ» فَيَقُولُ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ فَيَقُولُ: " مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ , فَيُخْرِجُ مَالًا يَعْلَمُ عَدَدَهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ , فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَكْرَمَكَ اللَّهُ , وَخَلَقَكَ بِيَدِهِ , وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ , وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ , وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ , فَاشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ , لَا تُحْرَقِ الْيَوْمَ بِالنَّارِ , فَيَقُولُ: لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ الْيَوْمَ , وَلَكِنْ سَأُرْشِدُكُمْ , عَلَيْكُمْ بِعَبْدٍ اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا وَأَنَا مَعَكُمْ , فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ , فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ , أَنْتَ عَبْدُ اتَّخَذَكَ اللَّهُ خَلِيلًا , فَاشْفَعْ لِذُرِّيَّةِ آدَمَ , لَا تُحْرَقِ الْيَوْمَ بِالنَّارِ , فَيَقُولُ: لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ , وَلَكِنْ سَأُرْشِدُكُمْ , عَلَيْكُمْ بِعَبْدٍ اصْطَفَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِكَلَامِهِ وَرِسَالَاتِهِ , وَأَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً مِنْهُ: مُوسَى , وَأَنَا مَعَكُمْ , فَيَأْتُونَ مُوسَى , فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ عَبْدٌ اصْطَفَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرِسَالَاتِهِ وَكَلَامِهِ , وَأَلْقَى عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنْهُ , اشْفَعْ لِذُرِّيَّةِ آدَمَ , لَا تُحْرَقِ الْيَوْمَ بِالنَّارِ قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَيَّ , وَلَكِنْ سَأُرْشِدُكُمْ , عَلَيْكُمْ بِرُوحِ اللَّهِ وَكَلِمَتِهِ: عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ , فَيَأْتُونَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ , فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى , أَنْتَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ , اشْفَعْ لِذُرِّيَّةِ آدَمَ , لَا تُحْرَقِ الْيَوْمَ بِالنَّارِ قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَيَّ , عَلَيْكُمْ بِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ: أَحْمَدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَأَنَا مَعَكُمْ , فَيَأْتُونَ فَيَقُولُونَ: يَا أَحْمَدُ , جَعَلَكَ اللَّهُ

رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ , فَاشْفَعْ لِذُرِّيَّةِ آدَمَ , لَا تُحْرِقِ الْيَوْمَ بِالنَّارِ , فَيَقُولُ: «نَعَمْ , أَنَا صَاحِبُهَا» فَآتِي حَتَّى آخُذَ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ , فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَأَقُولُ: «أَنَا أَحْمَدُ فَيُفْتَحُ لِي , فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْجَبَّارِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَرَرْتُ سَاجِدًا , ثُمَّ يُفْتَحُ لِي مِنَ التَّحْمِيدِ وَالثَّنَاءِ عَلَى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ شَيْءٌ لَا يُحْسِنُ الْخَلْقُ» ثُمَّ يُقَالُ: «سَلْ تُعْطَهْ , وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ» , فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ , ذُرِّيَّةُ آدَمَ لَا تُحْرِقِ الْيَوْمَ فِي النَّارِ» فَيَقُولُ: " اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ , ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَيَّ فَيَقُولُونَ: ذُرِّيَّةُ آدَمَ لَا تُحْرِقِ الْيَوْمَ بِالنَّارِ " قَالَ: فَآتِي حَتَّى آخُذَ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ , فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَأَقُولُ: «أَحْمَدُ فَيُفْتَحُ لِي , فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْجَبَّارِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَرَرْتُ سَاجِدًا فَأَسْجُدُ مِثْلَ سُجُودِي أَوَّلَ مَرَّةٍ وَمِثْلَهُ مَعِي , فَيُفْتَحُ لِي مِنَ الثَّنَاءِ عَلَى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ التَّحْمِيدِ مِثْلُ مَا فُتِحَ لِي أَوَّلَ مَرَّةٍ» فَيُقَالُ: «ارْفَعْ رَأْسَكَ , وَسَلْ تُعْطَهْ , وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ» فَأَقُولُ: «يَا رَبِّ , ذُرِّيَّةُ آدَمَ , لَا تُحْرِقِ الْيَوْمَ بِالنَّارِ» فَيَقُولُ: «أَخْرِجُوا لَهُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ قِيرَاطٍ مِنْ إِيمَانٍ» ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَيَّ , فَآتِي حَتَّى أَصْنَعَ كَمَا صَنَعْتُ , فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْجَبَّارِ عَزَّ وَجَلَّ خَرَرْتُ سَاجِدًا , فَأَسْجُدُ كَسُجُودِي أَوَّلَ مَرَّةٍ وَمِثْلَهُ مَعِي , وَيُفْتَحُ لِي مِنَ الثَّنَاءِ وَالتَّحْمِيدِ مِثْلُ ذَلِكَ , ثُمَّ يُقَالُ: «سَلْ تُعْطَهْ , وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ» فَأَقُولُ: «يَا رَبِّ , ذُرِّيَّةُ آدَمَ , لَا تُحْرِقِ الْيَوْمَ بِالنَّارِ» , فَيَقُولُ: «اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ , فَيُخْرِجُونَ مَا لَا يَعْلَمُ عِدَّتَهُمْ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ , وَيَبْقَى أَكْثَرُهُمْ , ثُمَّ يُؤْذَنُ لِآدَمَ بِالشَّفَاعَةِ , فَيَشْفَعُ لِعَشَرَةِ آلَافِ أَلْفٍ , ثُمَّ يُؤْذَنُ لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ , فَيَشْفَعُونَ , حَتَّى إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَشْفَعُ لِأَكْثَرَ مِنْ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ»

810- وَأَنْبَأَنَا أَبُو عُبَيْدٍ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَرْبٍ الْقَاضِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَشْعَثِ أَحْمَدُ بْنُ الْمِقْدَامِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ قَتَادَةَ , عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَأْتِي الْمُؤْمِنُونَ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .....» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ نَحْوًا مِنْ حَدِيثِ الْفِرْيَابِيِّ وَلِهَذَا الْحَدِيثِ طُرُقٌ

هذا الباب كما قرأناه بكليته هو من تبويبه يظهر لنا (بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ أَقْوَامًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَفَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ)، إذًا هذا النوع الثاني والذي فيه الشفاعة المشتركة بين النبي ﷺ وبين المؤمنين؛ أو غير النبي ﷺ؛ سواء كان من باقي الأنبياء، أو من الملائكة، أو من المؤمنين بدرجات المؤمنين؛ سواء كانوا من العلماء، أو من الشهداء – كما سيأتي في الباب الذي يليه – أو من الولدان الذي ماتوا دون

التكليف والذين يشفعون لوالديهم، لكن هذا يظهر جليًا على أن الشفاعة لمن؟ لمن دخل النار – لكن تقييدًا – لمن دخل النار من أهل التوحيد، لأنه قال: قوم **يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ قَوْمًا بِالشَّفَاعَةِ)** من هم القوم الذين يخرجون؟ لا يُتصور ولا يظن بأنه يُخرج أهل الكفر من النار ويدخلون شفاعة، وقد بينا بأن الشفاعة عن الكفار منتفية،{فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ} [المدثر: 48] ، هذه بيناها الأسبوع الماضي. فهناك الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية، فقلنا بأن الشفاعة المثبتة هي لأهل التوحيد؛ سواء من أهل الذنوب والمعاصي أو المؤمنون الخُلَّص، والشفاعة المنفية هي الشفاعة التي نُفِيَت عن الكافرين، والأدلة قد بيناها من قبل حتى لا نعيد مرة أخرى.

فهنا قومًا **(يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ)** هذا رد على الذين نفعوا الشفاعة لأهل الكبائر، وهذه صريحة، هذا الباب كله في أن الشفاعة في أهل الكبائر ممن دخل النار. والحديث الأول حديث في البخاري ومسلم وهو حديث جابر: **(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ قَوْمًا بِالشَّفَاعَةِ)**. والحديث الثاني عند مسلم؛ وهو: **(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْرِجُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسًا مِنَ النَّارِ فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ)**، هذه الرواية عند مسلم، والأولى هي الرواية في البخاري متفق عليها في البخاري ومسلم. وهذه تدل أولًا على عقيدة أهل السنة والجماعة في أن أصحاب الكبائر يخرجون من النار مآلهم إلى الجنة، لكن يخرجون بشفاعة، بشفاعة من؟ شفاعة النبي ﷺ، وشفاعة غير النبي ﷺ من المؤمنين، لأنه قال هنا أولًا: **(يُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ قَوْمًا بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ , فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَهَنَّمِيِّينَ)**، الذين كانوا قد امتحشوا في نار جهنم وقد عُذِّبوا بما كان عندهم من الذنوب والمعاصي، ثم شُفِّع فيهم النبي ﷺ فأخرجهم من جهنم وكان على رؤوسهم علامة أن هؤلاء يسموا الجهنميين كُتِب عليهم، ثم يُنزلون في نهر الحياة فيُنقَّون مما فيهم، ثم يخرجون للجنة بعد ذلك، ويسمونهم أهل الجنة الجهنميين الذين كانوا في جهنم والله عز وجل منَّ عليهم بجواز الشفاعة لهم فأُخرجوا من جهنم إلى الجنة. فهنا في الحديث الأول بيَّن بأن هذه شفاعة النبي ﷺ.

ثم في الحديث الذي يليه؛ حديث أبي سعيد الخدري وأيضًا عند مسلم – الأحاديث كلها ولله الحمد في أعلى درجات الصحة، قال رسول الله ﷺ: **(أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا)**، هؤلاء من؟ أهل النار الأصليين؛ الكفار، قال النبي ﷺ: **(أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا)**، حتى ما يخرج علينا الجُهَّال الرعاع الذين لا

يفقهون شيئًا فيقولون أن الله عز وجل بيَّن للنبي ﷺ بأنه يُخرِج من النار أناس يدخلهم الجنة وعلى العموم؛ يُخرج أي أحد! هنا الحديث جاء يُفصِّل لك؛ أن أهل النار الذين هم أهل النار لا يموتون فيها، لأن أهل الجنة لا يموتون؛ في نعيم خالد، وأيضًا أهل النار الذين هم أهل النار لا يموتون فيها؛ في عذاب خالد دائم. (وَأَمَّا نَاسٌ مِنَ النَّاسِ فَإِنَّ النَّارَ تَأْخُذُهُمْ عَلَى قَدْرِ ذُنُوبِهِمْ فَيَحْتَرِقُونَ فِيهَا فَيَصِيرُونَ فَحْمًا , ثُمَّ يَأْذَنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ ضَبَائِرَ فَيُبَثُّونَ أَوْ يُنْثَرُونَ عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ فَيُؤْمَرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَيُفِيضُونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ , فَتَنْبُتُ لُحُومُهُمْ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ)، هؤلاء الذين كانوا في جهنم من أهل التوحيد لكن بذنوبهم وبالكبائر التي فعلوها والمعاصي أخذوا ما أخذوا من العذاب، فأذِن الله عز وجل بعد ذلك في الشفاعة لهم.

وهذا طبعًا رد على الذين يقولون بعدم الشفاعة لأهل الكبائر، أو على الذين يقولون أن من دخل النار لا يخرج منها، ومن دخل الجنة أيضًا لا يخرج منها، فهنا فيها رد أيضًا على ذلك. ورد على الذين يتنطعون ويقولون بأن الكفار قد يُدخلهم الله عز وجل الجنة، وهذه صريحة في قول النبي ﷺ: (أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا).

ثم جاء في الحديث الآخر يبين درجات إخراج الناس من النار من أهل التوحيد؛ على حسب الإيمان، هو عنده إيمان لكن عنده كبائر ومعاصي كبيرة مع أنه قد يكون عنده إيمان كبير أيضًا، لأنه قال: (انْظُرُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ مِنَ النَّارِ). وهنا: (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرَحْمَتِهِ: "انْظُرُوا..) هو يخاطب من؟ يخاطب الله المؤمنين من أهل الجنة، فهذه تبين لك شفاعة المؤمنين لإخوانهم من أهل التوحيد في النار، لأن الله عز وجل يقول لهم "أخرجوا"؛ كل واحد يذهب ويُخرِج من كان يعرفه وفي قلبه مثقال حبة خردل من إيمان. ثم بيَّن: (وَقَدْ عَادُوا حِمَمًا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ يُسَمَّى نَهَرَ الْحَيَاةِ, فَيَنْبُتُونَ) إلى أن يدخلوا الجنة.

لكن هنا حتى لو قلَّ الإيمان وكان الإيمان قليلًا لكنه معه أصل الإيمان؛ وهو التوحيد، وهو الشهادتين، لذلك قال: (ثُمَّ أَشْفَعُ لِمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ مِثْلُ هَذَا. وَحَرَّكَ الْإِبْهَامَ وَالْمُسَبِّحَةَ)، هذه طبعًا إشكال عند البعض أيضًا في رواية أخرى الذي قال فيها (ولم يعمل خيرًا قط)، فالبعض ظن بأن هذا النفي؛ سواء هذا النفي في الإيمان أو النفي لم يعمل خيرًا قط، أن يدخل به أهل الكفار الجنة! وهذا الكلام خطأ لأنه بُيِّن

في روايات أخرى (لم يعمل خيرًا قط) أو (ليس في قلبه مثقال ذرة) أو (خردل من الإيمان) هذا بعد أصل الإيمان الذي معه؛ وهو الشهادتين، وليس المقصود كما يظن البعض كما قال ابن حجر في (الفتح) أنه يقصد بعض من ظنوا بأنه يدخل به من كان من أهل الكفر الجنة في رواية من (لم يعمل خيرًا قط) أو (لَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ مِثْلُ هَذَا)، فقالوا المقصود بـ (لم يعمل خيرًا قط) أنه بعد الشهادتين، وطبعًا على كلام في (لم يعمل خيرًا قط) هذه ليست على النفي بالكلية كما جاء في الرجل الذي قال "إني لم أعمل خيرًا فحرقوني" إلى آخر ما جاء في الحديث وثبت.

فهنا دل على أنه (لم يعمل خيرًا قط) هذه المقصود بها لم يعمل خيرًا قط ومعه الشهادتين، وليس كما ظن البعض بأنه المقصود بها أنه يدخل بها أهل الكفر الجنة؛ وأنهم يدخلون (لم يعمل خيرًا قط) يدخلون في هذا العموم أو هذا النفي الذي جاء في الحديث! فقلت أنهم قد بينوا ذلك والأدلة كثيرة على أن أهل الكفر لا يخرجون إلى الجنة، والمقصود هنا بـ (لم يعمل خيرًا قط) أي ليس معه إلا الشهادتين وأصل الإيمان، لأن العرب تقول (لم يعمل خيرًا قط) على أن (لم يعمل) ليس معناه نفي الأعمال بالكلية؛ وإلا جاء في الأحاديث الأخرى الرجل الذي قال (لم أعمل خيرًا قط) لكنه كان ينظر المعسر، وهذا قال لم أعمل خيرًا قط غير ذلك، فهذه دلالة على القلو في الأعمال. لكن هنا في الإيمان (لم يعمل خيرًا قط في إيمانه) يقصد بها هنا أنه معه الشهادتين؛ كما قلت بأن ابن حجر قال في (الفتح) ردًا على من ظن على أنه يُقصَد به ذلك.

قال: (وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ قَوْمٌ بَعْدَ مَا يُصِيبُهُمْ مِنْهَا سَفْعٌ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ , يُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَهَنَّمِيِّينَ)، وحديث: (مَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ يَكُونُ لَهُ الْحَقُّ عَلَى صَاحِبِهِ أَشَدَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ)، هنا يجادل أهل الجنة في إخوانهم الذين دخلوا النار، يجادلون الله عز وجل: (إِخْوَانُنَا الَّذِينَ كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيُصُومُونَ مَعَنَا وَيَحُجُّونَ؟ أَدَخَلُوا النَّارَ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ , فَيُخْرِجُونَهُمْ)، إلى أن قال: (وَبَقِيَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ , ثُمَّ يَقْبِضُ قَبْضَةً أَوْ قَبْضَتَيْنِ مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ)، أي بعد أن تنتهي شفاعة كل الذين أذِن الله عز وجل أن يشفعوا لإخوانهم لأنه قال: (نِصْفُ مِثْقَالٍ حَتَّى يَقُولَ: خَرْدَلَةٌ حَتَّى يَقُولَ: ذَرَّةٌ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «شَفَعَتِ الْأَخْيَارُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ , وَبَقِيَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)، آخر شيء قال الذرة، ثم قال: (ثُمَّ يَقْبِضُ قَبْضَةً أَوْ قَبْضَتَيْنِ مِنَ النَّارِ

فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ)، وهذا لابد أن نقول بأن معهم أصل التوحيد وهي الشهادتين وإن قلَّ الإيمان في قلوبهم أو في أعمالهم أيضًا.

وهنا أيضًا ذكر بأن أهل النار الكفار الأصليين لما رأوا بعض أهل التوحيد في النار فعيروهم؛ أي أنتم قلتم بأنكم من أهل التوحيد وأنتم معنا في النار! فلما زاد عليهم هذا البأس والشدة فالله عز وجل أذِن لإخوانهم من أهل الجنة أن يشفعوا لهم، فلما رأى ذلك أهل الكفر الذين هم في النار قالوا: {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: 23] ، أرادوا أن يقولوا نحن لم نكن مشركين حتى يخرجوا معهم، وهذا بعد أن انتقصوا من أهل التوحيد فلما رأوا رحمة الله وأذِن الله بالشفاعة وهم يخرجون قالوا: {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: 23] أرادوا أن يخرجوا معهم. فقال الله عز وجل عليهم كما في سورة الأنعام: {انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: 24].

لذا قال محمد بن الحسين: (وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِجَمِيعِ ذُرِّيَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ بِأَنْ يُخْرَجَ مِنَ النَّارِ كُلُّ مُوَحِّدٍ ثُمَّ يَشْفَعُ آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ , ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ , ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ , ثُمَّ الْمُؤْمِنُونَ فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا , لَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا , وَخَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا)، وهذه تبين لك أن:

- **هناك أمور تمنع الشفاعة**؛ أي أن المرء قد يُمنَع الشفاعة بسببها؛

1- أعظم هذه الأمور الإشراك بالله عز وجل؛ كما بوَّب من قبل الشيخ فقال: (أَنَّ الشَّفَاعَةَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ تَعَالَى)، إذًا أول شيء يمنع المرء أن ينال الشفاعة هو الإشراك بالله، كما قال سبحانه وتعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ } [النساء: 48] ، فحُرِم الكفار من الغفران :{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ } ، إذًا حُرِم الكافر من المغفرة، فمن باب أولى أن يُحرَم من الشفاعة؛ إذا كان هو لن يُغفر له فمن باب أولى أن الشفاعة يُحرَم منها. هذا أول مانع من موانع الشفاعات، وأعظمها حقيقة.

2- الأمر الثاني: كثرة اللعن؛ وهذه مسألة أهيب بكل مسلم ومسلمة أن يتوقفوا عن مسألة اللعن وكثرة اللعن، فإن اللعَّان لا يستحق أن يكون شافعًا، أي أنه سيُمنَع أن يكون شفيعًا أصالة، لماذا؟ لأنه في الدنيا كان يدعو على الخلق بالطرد والابعاد من رحمة الله، فيجازى يوم القيامة بعدم إكرامه بالشفاعة فيهم، ففي حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: [إِنَّ اللَّعَّانِينَ لا

[يَكونونَ شُهَداءَ ولا شُفَعاءَ يَومَ القيامةِ]، والحديث عند مسلم، قال حتى النووي في المنهاج: (لا يكونون شفعاء أي لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار)، حُرِم هذا أن يكون شفيعًا. لذلك المرء لابد أنه يحتاط لنفسه كثيرًا؛ بعض الناس يكثرون جدًا من اللعن، ويلعن، والنبي ﷺ يقول: [إنَّ اللَّعَّانينَ لا يَكونونَ شُهَداءَ ولا شُفَعاءَ يَومَ القيامةِ].

3- من الذين يُحرَمون الشفاعة يوم القيامة الذين كذَّبوا بالشفاعة؛ أي أن الذي يُكذِّب بالشفاعة يُحرَم منها يوم القيامة جزاء وفاقًا، كما رُوي عن أنس بسند صحيح، وذكره الحافظ في الفتح؛ قال: [مَنْ كَذَّبَ بِالشَّفَاعَةِ فَلَا نَصِيبَ لَهُ فِيهَا]، لذلك الذين يُكذبون بالشفاعة لا نصيب لهم فيها جزاء من جنس العمل، لما أنه نفى حصول الشفاعة فيُحرَم منها أصالة.

لذلك إعطاء الشفاعة هذه مكرُمة من الله عز وجل، فالله عز وجل أكرم الأنبياء، أولًا أكرم النبي ﷺ بالشفاعة الكبرى؛ شفاعة الموقف ثم باقي الشفاعات، وأكرم الأنبياء، وأكرم الملائكة، وأكرم الشهداء والصالحين والعلماء، وأكرم الأولاد لآبائهم، وكل هؤلاء أكرمهم الله عز وجل ليكونوا شفعاء، فالمرء يحرص أن لا يفرط في هذه المنقبة إذا جاءته بأن يكون شفيعًا يوم القيامة.

ومنهم كما سيأتي في الباب ختامًا لباب الشفاعة، بعد الأنبياء والرسل والملائكة، شفاعة الشهداء؛ والشهداء أكرمهم الله عز وجل بقبول شفاعتهم، من هو الشهيد؟ الذي قُتل في سبيل الله عز وجل. دعونا نقرأ الباب أولًا؛ سنبين فيه شفاعة الشهداء والعلماء، ونستكمل باقي الشفاعات كالولدان أيضًا، لأننا بينا شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض التي جاءت في هذا الباب، وبينا قبلها شفاعة الأنبياء وشفاعة الرسل وشفاعة النبي ﷺ، وهذا الباب كله الذي كنا نحن فيه شفاعة المؤمنين لبعضهم البعض؛ الصالحين من المؤمنين يشفعون في إخوانهم كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري: (يَقُولُونَ: رَبَّنَا, إِخْوَانُنَا الَّذِينَ كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيُصُومُونَ مَعَنَا وَيَحُجُّونَ؟ أَدَخَلُوا النَّارَ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ , فَيُخْرِجُونَهُمْ , ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ) إلى آخر الحديث، فقال الله عز وجل فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، كما عند البخاري. فتبقى معنا هنا شفاعة العلماء والشهداء، وشفاعة الولدان بيناها من قبل لوالديهم، وهناك أعمال تكون سبب في الشفاعة، إن شاء الله نختم بها بعد أن نقرأ هذا الباب المتبقي في باب الشفاعة، حتى نختم الكلام إن شاء الله عن المتبقي في الشفاعة.

68- بَابُ ذِكْرِ شَفَاعَةِ الْعُلَمَاءِ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

811 - أَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ , وَهِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ قَالَ: حَدَّثَنَا بَحِيرُ بْنُ سَعْدٍ , عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ , عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكرِبَ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تِسْعُ خِصَالٍ , يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ , وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ , وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ , وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ , وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ , وَيَأْمَنُ الْفَزَعَ الْأَكْبَرَ , وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ , الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا , وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ , وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ»

812 - وَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ , عَنْ بَحِيرِ بْنِ سَعْدٍ , عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ , عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ , عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تِسْعُ خِصَالٍ. . . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ مِثْلَهُ إِلَى قَوْلِهِ: «وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»

813 -حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ الْمِصْرِيُّ , وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُسَافِرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَلِيدُ بْنُ رَبَاحٍ الذِّمَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمِّي نِمْرَانُ بْنُ عُتْبَةَ الذِّمَارِيُّ , عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ , عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَشْفَعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»

814 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَرَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ التِّنِّيسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ رَبَاحٍ الذِّمَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي نِمْرَانُ الذِّمَارِيُّ قَالَ: " دَخَلْنَا عَلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ , وَنَحْنُ أَيْتَامٌ صِغَارٌ , فَمَسَحَتْ رُءُوسَنَا وَقَالَتْ: أَبْشِرُوا يَا بَنِيَّ , فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا مِنْ شَفَاعَةِ أَبِيكُمْ , فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَشْفَعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»

815 - حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَنْبَسَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ , عَنْ عِلَاقَةَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ , عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ , عَنْ أَبِيهِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُشَفَّعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْأَنْبِيَاءُ , ثُمَّ الْعُلَمَاءُ , ثُمَّ الشُّهَدَاءُ"

816 - حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ حَامِدُ بْنُ شُعَيْبٍ الْبَلْخِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمُقْرِئُ قَالَ: حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ زَاذَانَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ , عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَحَفِظَهُ وَاسْتَظْهَرَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ , وَشَفَّعَهُ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ , كُلُّهُمْ قَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ النَّارُ»

817- وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَرِيزُ بْنُ عُثْمَانَ , عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَيْسَرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي مِثْلُ أَحَدِ الْحَيَّيْنِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ» قَالَ: وَكَانَ الْمَشْيَخَةُ يَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

818 -حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَمَانٍ قَالَ: حَدَّثَنَا جَسْرٌ أَبُو جَعْفَرٍ , عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَشْفَعُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمِثْلِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ»

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ: «مَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيٍّ إِلَّا وَلَهُ شَفَاعَةٌ»

819 - أَنْبَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَاجِيَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ الْكُوفِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ , عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ أَنَّ كَعْبَ الْأَحْبَارِ , أَخَذَ بِيَدِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «إِنِّي أَدَّخِرُ هَذَا لِلشَّفَاعَةِ» فَقَالَ: وَهَلْ شَفَاعَةٌ إِلَّا لِلْأَنْبِيَاءِ "؟ أَوْ قَالَ: «وَهَلْ لِي شَفَاعَةٌ»؟ قَالَ: «نَعَمْ , لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»

820 -حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ , أَبُو هِشَامٍ الرِّفَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي زَائِدَةَ , عَنْ عَطِيَّةَ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: أَخَذَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ بِيَدِ الْعَبَّاسِ فَقَالَ: إِنِّي أُخْتَبِيهَا لِلشَّفَاعَةِ عِنْدَكَ , فَقَالَ الْعَبَّاسُ: وَهَلْ لِي شَفَاعَةٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ , لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كَانَتْ لَهُ شَفَاعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

821- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ فَيَّاضٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَنْبَأَنَا زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي زَائِدَةَ , عَنْ عَطِيَّةَ قَالَ: أَخَذَ كَعْبٌ بِيَدِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «احْفَظْهَا لِي عِنْدَكَ , تَشْفَعْ لِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» , فَقَالَ الْعَبَّاسُ: وَهَلْ لِي مِنْ شَفَاعَةٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ , إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيٍّ يُسْلِمُ إِلَّا كَانَتْ لَهُ شَفَاعَةٌ»

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: فَأَنَا أَرْجُو لِمَنْ آمَنَ بِمَا ذَكَرْنَا مِنَ الشَّفَاعَةِ وَبِقَوْمٍ يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ , وَبِجَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ , وَبِجَمِيعِ مَا سَنَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْمَحَبَّةِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَصَحَابَتِهِ وَأَزْوَاجِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ: أَنْ يَرْحَمَنَا مَوْلَانَا الْكَرِيمُ , وَلَا يَحْرِمَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ تَفَضُّلِهِ وَرَحْمَتِهِ , وَأَنْ يُدْخِلَنَا وَإِيَّاكُمْ فِي شَفَاعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَشَفَاعَةِ مَنْ ذَكَرْنَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ, وَأَزْوَاجِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ , وَمَنْ كَذَّبَ بِالشَّفَاعَةِ , فَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ , كَمَا قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ

هذه كانت بعض أنواع الشفاعات قلنا سنختم بها الكلام، ذكرها هنا ومن التبويب يظهر، وصح فيها شفاعة الشهداء، وأما الحديث الذي رُوي أن (الْأَنْبِيَاءُ , ثُمَّ الْعُلَمَاءُ , ثُمَّ الشُّهَدَاءُ) فيه ضعف في ثبوته في مسألة الشفاعة، وأيضًا كل الروايات التي جاءت في حديث أبي ذر مع العباس رضي الله عنهما في مسألة آل البيت فعلى الراجح لم يثبت فيها، الأحاديث فيها ضعف، كل هذه الروايات.

لكن نقول **شفاعة الشهداء**؛ الشهداء هم الذين لهم منقبة عظيمة جدًا؛ الذين قاتلوا في سبيل الله، فقُتلوا في سبيل الله عز وجل وضحوا بأنفسهم وأموالهم من أجل إعلاء كلمة الله عز وجل، هذا هو الشهيد الحق، لذلك الشهيد هو الذي يموت في المعركة، كل ما يأتيكم من روايات عن مناقب الشهداء تعلموا بأن المقصود بها شهيد المعركة، وإن كان هناك شهداء آخرين جاؤوا في

روايات آخرى لكن ليست لهم هذه المناقب؛ أي من مات مبطونًا، الغريق، إلى غير ذلك، هؤلاء يكونوا له درجة نعم، لكن الشهيد المقصود في الروايات التي جاءت هو شهيد المعركة، ولها قيود، حتى بعض العلماء قالوا أنه الذي مات في المعركة، أما لو أصيب في المعركة مثلًا ثم جلس أسابيع أو يداوى أو فيه جراح ثم مات بعد ذلك فهذا ليس أيضًا بشهيد المعركة، لكن قيدوا بأن **الشهيد هو الذي قُتل في سبيل الله عز وجل وفي المعركة**، هذا الذي له هذه المناقب التي جاءت في حديث "المقدام بن معد يكرب" قال: قال رسول الله ﷺ [**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ, يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ**] هذا أول شيء؛ أي مجرد خروج أول دفعة من الدم – فهو لابد أنه سيُقتَل فسيخرج منه دم – يُغفَر له، نال المغفرة بالكلية – الله أكبر – [**وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**]، كما سُئل النبي ﷺ لماذا الشهيد؟ قال: [**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً**]، لما ثبت في المعركة علمنا بصدق إيمانه، لأن لا أحد يقدم روحه إلا لله عز وجل – إن كانت لله، وطبعًا هناك من يقاتل شجاعة، أو حمية، إلى غير ذلك، لكن الله مطلع على القلوب– فلما ثبت في ذلك فنُجِّي من عذاب القبر، [**وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ**] نفخة الفزع يوم القيامة، النفخة التي يُفزَع فيها الناس يُفزعون ثم يصعقون؛ على خلاف نفخة الفزع ونفخة الصعق وبعضهم قال نفخة واحدة أو الإثنين، ثم نفخة القيام، فيؤمن من الفزع، [**وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ**] هذه مكرُمة، [**الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**] – الله أكبر– [**وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ**] هذا أعظم ما يكون، خُصِّص له اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ثم جاء الشاهد في الحديث [**وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ**] فهنيئًا لمن كان له قريب قد مات شهيدًا في سبيل الله عز وجل، لعل الله عز وجل يرى من هذا القريب صدق الإيمان والعمل فيجعل الله هذا الشهيد شفيعًا له؛ من السبعين الذين يشفع فيهم يوم القيامة. فهذه منقبة كما قلنا. وكما جاء في رواية أخرى: [**يَشْفَعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ**]. فنقول هذا النوع الذي خصه الله عز وجل بقبول شفاعتهم بعد الأنبياء والرسل والمؤمنين والصالحين، وهم شفاعة الشهداء.

وأيضًا بينا أن هناك نوع آخر وهو **شفاعة الولدان**؛ الولد الذي مات دون التكليف جاء فيهم حديث بأنهم يشفعون لآبائهم، بعضهم يقولون فرطهم على الحوض يأخذون بيد والديهم ويدخلون الجنة، وهذا جبرًا لقلوب الآباء والأمهات لما لحقهم فقد أولادهم في هذا السن الصغير وصبروا على ذلك فكان الجزاء من جنس العمل؛ بأن الله عز وجل جعل الولدان يشفعون لوالديهم؛ آبائهم وأمهاتهم، إذا احتسبوهم عند الله وكانت لهم نية صادقة في هذا الاحتساب، فكان كرمًا من الله ورحمة منه أن يجعل الولدان شفعاء لهم، كما جاء في حديث مسلم عن أبي

حسان قال: [قُلتُ لأبي هُرَيرةَ: إنَّه قد ماتَ ليَ ابنانِ، فما أنتَ مُحَدِّثي عن رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بحَديثٍ تُطَيِّبُ به أنفُسَنا عن مَوتانا؟ قال: قال: نَعَم، صِغارُهم دَعاميصُ الجَنَّةِ، يَتَلَقَّى أحَدُهم أباه أو قال: أبَويه فيَأخُذُ بثَوبِه أو قال: بيَدِه كما آخُذُ أنا بصَنِفةِ ثَوبِكَ هذا، فلا يَتَناهى أو قال: فلا يَنتَهي حتَّى يُدخِلَه اللهُ وأباه الجَنَّةَ]، والحديث عند مسلم، وهناك رواية أخرى لأبي هريرة عن النبي ﷺ ولها حكم الرفع لأن هذا من الغيبيات، قال عن أبي هريرة أيضًا عن النبي ﷺ: [ما من مسلِمَينِ يموتُ بينَهما ثلاثةُ أولادٍ لم يبلغوا الحِنثَ إلَّا أدخلَهما اللَّهُ بفضلِ رحمتِهِ إيَّاهُمُ الجنَّةَ، قالَ يقالُ لَهم ادخُلوا الجنَّةَ، فيقولونَ حتَّى يدخلَ آباؤنا، فيقالُ ادخلوا الجنَّةَ أنتُم وآباؤُكم]. هناك روايات قال بعضهم قال: وإثنين؟ قال: وإثنين، قال: وواحدة؟ قال: وواحدة. فهذه شفاعة الولدان لوالديهم.

تبقى شفاعات بالأعمال؛ أي ليست بالأشخاص، أعمال تكون شفيعة لك يوم القيامة، وهذه لابد أيضًا أن نمر عليها على الأقل، **ومنها شفاعة القرآن**؛ فالقرآن الكريم يأتي شفيعًا لأهله يوم القيامة، فالله عز وجل يجعل قارئ القرآن شفيعًا له يوم القيامة، فقلنا الأعمال منها تالي القرآن أو حافظ القرآن كما قال النبي ﷺ في حديث ابن مسعود:[القرآنُ شافعٌ مُشَفَّعٌ]. وأيضًا حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: [الصيامُ والقرآنُ يشفعانِ للعبدِ يومَ القيامَةِ، يقولُ الصيامُ : أي ربِّ إنِّي منعتُهُ الطعامَ والشهواتِ بالنهارِ فشفِّعْني فيه ، يقولُ القرآنُ ربِّ منعتُهُ النومَ باللَّيلِ فشفعني فيه] قال: [فيُشَفَّعانِ]. وأيضًا حديث أبي هريرة: [يَجِيءُ صاحِبُ القُرآنِ يومَ القِيامةِ ، فيقولُ القرآنُ : يارَبِّ حلِّه ، فيُلْبَسُ تاجَ الكرامةِ ، ثُم يقولُ : يارَبِّ زِدْه ، فيُلبسُ حُلَّةَ الكرامةِ ، ثُم يقولُ : يارَبِّ ارْضَ عَنه ، فيَرضَى عنه ، فيُقالُ لهُ : اقْرأْ ، وارْقَ ، ويُزادُ بِكُلِّ آيةٍ حسنةً]. ثم طبعًا حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه لما يأتي القرآن للمرء في قبره ويلقى صاحبه؛ بعضهم قال في قبره أو حين ينشق عنه القبر [كالرجلِ الشَّاحِبِ يقولُ : هل تَعْرِفُني ؟ فيقولُ لهُ : ما أعْرِفُكَ، فيقولُ : أنا صاحِبُكَ القرآنُ، الذي أظْمَأْتُكَ في الهَوَاجِرِ ، وأسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وإنَّ كلَّ تَاجِرٍ من وراءِ تِجَارَتِه، وإنَّكَ اليومَ من وراءِ كلِّ تجارةٍ ، قال : فَيُعْطَى المُلْكَ بِيَمِينِهِ، والخُلْدَ بِشِمالِهِ، ويُوضَعُ على رأسِهِ تَاجُ الوَقَارِ ، ويُكْسَى والِدَاهُ حُلَّتَيْنِ، لا يَقُومُ لهُما أهلُ الدنيا، فَيَقُولانِ : بِمَ كُسِينا هذا ؟ فيقالُ : بأخذِ ولدِكُما القرآنَ، ثُمَّ يقالُ : اقرأْ واصْعَدْ في درجِ الجنةِ وغُرَفِها، فهوَ في صُعُودٍ ما دَامَ يقرأُ هذا كان أوْ تَرْتِيلًا] . طبعًا هذه الأحاديث بعضها حسن، وصحيح لغيره، إلى غير ذلك.

وأيضًا ما جاء في حديث سورة البقرة: [يُؤتى بالقُرآنِ يومَ القيامةِ وأهلِه الذينَ كانوا يَعمَلونَ به، تَقدُمُه سورةُ البَقَرةِ وآلُ عِمرانَ، وضَرَبَ لهما رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ثَلاثةَ أمثالٍ ما نَسيتُهنَّ

بَعدُ؛ قال: كَأَنَّهما غَمامَتانِ، أو ظُلَّتانِ سَوداوانِ، بينَهما شَرقٌ، أو كَأَنَّهما حِزقانِ مِن طَيرٍ صَوافَّ، تُحاجَّانِ عن صاحِبِهما]. وكما قال النبي ﷺ: [اقرَؤوا القُرآنَ؛ فإنَّه يَأْتي يَومَ القيامةِ شَفيعًا لأصحابِه، اقرَؤوا الزَّهراوينِ البَقَرةَ، وسورةَ آلِ عِمرانَ؛ فإنَّهما تَأْتيانِ يَومَ القيامةِ كَأَنَّهما غَمامَتانِ أو كَأَنَّهما غَيايَتانِ أو كَأَنَّهما فِرقانِ مِن طَيرٍ صَوافَّ، تُحاجَّانِ عن أصحابِهما، اقرَؤوا سورةَ البَقَرةِ؛ فإنَّ أخذَها بَرَكةٌ، وتَركَها حَسرةٌ، ولا تَستَطيعُها البَطَلةُ]. هذه خاصة ببعض سور القرآن. كما أيضًا سورة تبارك؛ كما قال النبي ﷺ: [سورةٌ من القرآنِ ثلاثونَ آيةً شفَعت لرَجُلٍ حتَّى غفرَ لَهُ وَهيَ تَبارَكَ الَّذي بِيَدِهِ المُلْكُ].

كل هذه أعمال، وطبعًا نحن نقول هنا (أعمال) لأن القرآن كلام الله، فما يستدل المبتدعة- كما بينا من قبل – بالبقرة وآل عمران تأتي فيقولون أنها مخلوق! نقول أعماله، قراءته للبقرة وآل عمران، حفظه للبقرة وآل عمران يأتي كأنه غمامتان وغيايتان إلى غير ذلك. فالعمل هذا هو الذي يأتي بهذه الصورة، وأما القرآن كلام الله فغير مخلوق.

إذًا القرآن بالكلية، لذلك هنيئًا لأصحاب القرآن، هنيئًا أيضًا لمن يسهر الليالي في الطاعة، في القرآن، أو في تدبره، أو في تفسيره، أو في معرفة أحكامه، يأتيك الرجل الشاحب يوم القيامة أيضًا، فهذه كلها عبادات تشفع لصاحبها، ومنها طبعًا قراءة سورة الملك كل يوم، هذه أيضًا من الأعمال التي تكون سببًا في الشفاعة يوم القيامة. نسأل الله عز وجل أن يرزقنا هذه الأعمال وأن نداوم عليها لتكون شفيعة لنا يوم القيامة.

هذا مجمل الكلام، انتهينا من الشفاعة في تعريفها، ومن يملكها؟ وشروط الشفاعة، وبعض الأنواع، بينا حتى الأمور التي تمنع الشفاعة، ومن هم أهل الشفاعة الذين يشفعون، بينا ذلك، فلعل هذا اجمال الكلام في مسألة الشفاعة. سندخل بعد ذلك إن شاء الله في مسألة الحوض، وسيتكلم الشيخ في بعض الأبواب عن بعض الغيبيات؛ عن الحوض، ويتكلم عن عذاب القبر بعد ذلك منكر ونكير، إلى غير ذلك من الأمور التي تتعلق بالإيمان باليوم الآخر سيبينها، لأن بعض المعتزلة وبعض الخوارج وبعض المبتدعة البعض أنكر، فهنا ثبت الباب في ايجادهم ويبين لك أيضًا بأن هناك من أنكر الشفاعة لأهل الكبائر- كما قلنا – وهم اجمالًا كما بينا هم المعتزلة والخوارج والشيعة أيضًا؛ كل الشيعة بأنواعهم كلهم أنكروا مسألة الشفاعة.

فنسأل الله عز وجل أن ييسر لنا، فهذا الكتاب من أمتع الكتب، وأنا دائمًا أقول أن من فاته دراسة هذا الكتاب فاته خير كثير، ومن أتقن هذا الكتاب بما فيه من أبواب ومسائل لأن الكتاب أصل عظيم جدًا في الرد على المخالفين أيضًا بالآثار والأحاديث والآيات، فمن أراد أن يتقن

حقًا لابد أن يتقن هذا الكتاب. فحقيقة هذا الكتاب لابد أن يُولَى أهمية كبيرة جدًا لأنه فيه اعتقاد أهل السنة والجماعة في كل أبواب العقيدة، الشيخ ما ترك وممكن نكون قد اقتربنا من نصف الكتاب والله أعلم. فنسأل الله عز وجل أن يتم علينا هذا الكتاب، لكن حقًا لابد أن من فاته أبواب يرجع ويسمع ويضبط، لأننا تكلمنا عن تأصيلات مهمة جدًا من أول الأبواب الأولى في الكتاب، حتى تكون زاد لمن أراد أن يكمل بعد ذلك.

نسأل الله عز وجل أن يديم علينا هذا الخير، وأن يمتعنا يارب دائمًا بمجالس العلم، ولا يحرمنا منها أبدًا، وأن يجعلنا ننتفع بهذا العلم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة السادسة والستون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – محمد بن الحسين الآجري، وما زلنا في الإيمان بالغيبيات وما يكون في اليوم الآخر. اليوم ندخل في **كِتَابُ الْإِيمَانِ بِالْحَوْضِ الَّذِي أُعْطِيَ النَّبِيُّ ﷺ**، وسيذكر لنا في هذا الكتاب مجموعة الأحاديث التي تثبت لنا مسألة ثبوت الحوض للنبي ﷺ، ومواصفات الحوض، وكيفية الحوض، ومن الذين يستمتعون ويشربون من حوض النبي ﷺ، ومن هم الذين يُدفعوا عن حوض النبي ﷺ ولا يشربون منه، وأيضًا مسألة استدلال الشيعة بهذه الأحاديث على مسألة مُنكرة عليهم في مسألة ارتداد الصحابة، وغير ذلك. سنقرأ إن شاء الله مجموعة الأحاديث في هذا الكتاب ونبين ما يخص حوض النبي ﷺ، ومعلوم بأن الحوض للنبي وهناك لكل نبي حوض، فالحوض ليس خاصًا بالنبي ﷺ فقط، بل كل نبي من الأنبياء له حوض يشرب منه أمة هذا النبي.

69- كِتَابُ الْإِيمَانِ بِالْحَوْضِ الَّذِي أُعْطِيَ النَّبِيُّ ﷺ

822 - أَنْبَأَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ ذَرِيحٍ الْعُكْبَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدَةُ يَعْنِي ابْنَ سُلَيْمَانَ , عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ , عَنْ قَتَادَةَ , عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ , عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيِّ , عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَنَا عِنْدَ حَوْضِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالَ: فَسُئِلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ سَعَةِ الْحَوْضِ؟ فَقَالَ: «مِثْلُ مَا بَيْنَ مَقَامِي هَذَا إِلَى عَمَّانَ» قَالَ سَعِيدٌ: مَا بَيْنَهُمَا شَهْرٌ أَوْ نَحْوَهُ , وَسُئِلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَرَابِهِ؟ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ , وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ , يَغُبُّ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ مِدَادُهُ مِنَ الْجَنَّةِ , أَحَدُهُمَا مِنْ وَرِقٍ , وَالْآخَرُ مِنْ ذَهَبٍ»

823 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ اللَّيْثِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ الرِّفَاعِيُّ , حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ , عَنِ الْأَعْمَشِ , عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ , عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ , عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرِدُونَ عَلَى الْحَوْضِ , وَأَنَا أَذُدُّ عَنْهُ النَّاسَ بِعَصَايَ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَرَضُهُ؟ قَالَ: «كَمَا بَيْنَ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ» قُلْنَا: مَا آنِيَتُهُ؟ قَالَ: «عَدَدُ النُّجُومِ , فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ , أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ , وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ , مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا» قَالَ ثَوْبَانُ: فَادْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَكُمْ وَارِدِيهِ

824 - حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ الْحَارِثِ الذِّمَارِيُّ , وَشَيْبَةُ بْنُ الْأَحْنَفِ الْأَوْزَاعِيُّ قَالَا: سَمِعْنَا أَبَا سَلَّامٍ الْأَسْوَدَ , يُحَدِّثُ عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ حَوْضَهُ فَقَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَوَّلُ النَّاسِ وُرُودًا لَهُ؟ قَالَ: «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ , الشَّعِثَةُ رُءُوسُهُمْ , الدَّنِسَةُ ثِيَابُهُمُ الَّذِينَ لَا تُفْتَحُ لَهُمُ السُّدَدُ , وَلَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ»

825 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الْمُعَلِّمُ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ: ذُكِرَ أَنَّ أَبَا سَبْرَةَ بْنَ سَلَمَةَ سَمِعَ , ابْنَ زِيَادٍ يَسْأَلُ عَنِ الْحَوْضِ ,؟ فَقَالَ: مَا أَرَاهُ حَقًّا بَعْدَ مَا سَأَلَ أَبَا بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيَّ , وَالْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ , وَعَائِذَ بْنَ عَمْرٍو الْمُزَنِيَّ فَقَالَ: مَا أُصْدِقُ , فَقَالَ أَبُو سَبْرَةَ: أَلَا أُحَدِّثُكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ شِفَاءً؟ بَعَثَنِي أَبُوكَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فِي مَالٍ فَلَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو , فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو

بِفِيهِ , وَكَتَبْتُهُ بِيَدِي , مَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , فَلَمْ أَزِدْ حَرْفًا وَلَمْ أُنْقِصْ حَرْفًا , حَدَّثَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ قَالَ فِيهِ: «مَوْعِدُكُمْ حَوْضِي , عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ , وَهُوَ أَبْعَدُ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ , وَذَلِكَ مَسِيرَةَ شَهْرٍ , فِيهِ أَبَارِيقُ أَمْثَالُ الْكَوَاكِبِ , مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الْفِضَّةِ , مَنْ وَرَدَ فَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا» فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: مَا حُدِّثْتُ عَنِ الْحَوْضِ حَدِيثًا هُوَ أَثْبَتُ مِنْ هَذَا , أَشْهَدُ أَنَّ الْحَوْضَ حَقٌّ , وَأَخَذَ الصَّحِيفَةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا أَبُو سَبْرَةَ

826 - وَحَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ حَامِدُ بْنُ شُعَيْبٍ الْبَلْخِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ الْعَابِدُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْمُؤَدِّبُ , عَنْ مُجَالِدٍ , عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: حَلَفَ رَجُلٌ عِنْدَ ابْنِ زِيَادٍ فَقَالَ: لَاسَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوْضِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: وَلِمُحَمَّدٍ حَوْضٌ؟ قَالَ: نَعَمْ , هَذَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ يُحَدِّثُ أَنَّ لَهُ حَوْضًا فَجَاءَ أَنَسٌ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ لِي حَوْضًا وَأَنَا فَرَطُكُمْ عَلَيْهِ»

827 - وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا يَزِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ مَوْهَبٍ الرَّمْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ , عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ , عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ , عَنْ سِنَانِ بْنِ سَعْدٍ , عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ , عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُرَدَنَّ الْحَوْضَ عَلَيَّ رِجَالٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلِجُوا دُونِي»

828 - حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ الدُّولَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو قَطَنٍ , عَنْ هِشَامٍ , عَنْ قَتَادَةَ , عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي: كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ , وَكَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَعَمَّانَ "

829- وَحَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ هَارُونُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ الْعَمِّيُّ , عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ , عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُضْحِيَةِ مِنْ آنِيَةِ الْجَنَّةِ , يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ , عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ , مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ , مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»

830 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْعَمِّيُّ , عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ , عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ الْمُضْحِيَةِ , مِنْ آنِيَةِ الْجَنَّةِ , مَنْ شَرِبَ فِيهَا لَمْ يَظْمَأْ , يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ , عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ , مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ , مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ , وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»

831- أَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ هُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ , عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَهْلًا يَعْنِي سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ , مَنْ وَرَدَ شَرِبَ , وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا»

832 - أَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ , عَنِ الْأَعْمَشِ , عَنْ أَبِي وَائِلٍ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ , فَلَأُنَازِعَنَّ رِجَالًا مِنْكُمْ , وَلَأُغْلَبَنَّ عَلَيْهِمْ , فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ"

833 - وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ , عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ , عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ , عَنْ أَبِيهِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ , كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ يَأْتِي بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ فِي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ , أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ , قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ , وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ, فَلَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ»

834 - وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ مَوْهَبٍ الرَّمْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ, عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ ,: أَنَّ بُكَيْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَهُ , عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبَّاسٍ الْهَاشِمِيِّ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ , عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ , وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِنْ ذَلِكَ وَالْجَارِيَةُ تَمْشُطُنِي , فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ , فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي , فَقَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرِّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ , فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ , فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ فَإِيَّايَ لَا يَأْتِي أَحَدُكُمْ فَيُذَبُّ عَنْهُ كَمَا يُذَبُّ عَنْهُ الْبَعِيرُ

الضَّالُّ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

835 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ النَّيْسَابُورِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ , أَنَّ بُكَيْرًا , حَدَّثَهُ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبَّاسٍ الْهَاشِمِيِّ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ , عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ , وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِنْ ذَلِكَ وَالْجَارِيَةُ تَمْشُطُنِي فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ» فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي فَقَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرِّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ , فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ, فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ , فَإِيَّايَ لَا يَأْتِ أَحَدُكُمْ فَيُذَبَّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ , فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ , فَأَقُولُ سُحْقًا". قَالَ أَبُو بَكْرٍ النَّيْسَابُورِيُّ: ذَكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ لِإِبْرَاهِيمَ الْأَصْبَهَانِيِّ فَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ , كَتَبَ بِهِ إِلَيْنَا يُونُسُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ النَّيْسَابُورِيُّ: وَسَمِعْتُ أَبَا إِبْرَاهِيمَ الزُّهْرِيَّ وَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ: هَذَا فِي أَهْلِ الرِّدَّةِ

طبعًا هذه المسألة سنتعرض إليها في أن هذا من الأحاديث التي استدل بها؛ والرواية التي هي شُبَه عند الشيعة والرافضة في تكفير الصحابة، وأنهم ارتدوا بعد النبي ﷺ ، وهذا طبعًا باطل، فأرادوا أن يقولوا أن هذا دلالة على ردتهم بعد ذلك.

836 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ النَّيْسَابُورِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ الْحَسَنِ الْوَرَّاقُ قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو عَاصِمٍ قَالَ: أَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ , أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "أَنَا فَرَطُكُمْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ , فَإِنْ لَمْ تَجِدُونِي فَأَنَا عَلَى الْحَوْضِ , وَحَوْضِي: قَدْرُ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ" وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

838 - وَحَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ , عَنْ أَنَسٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ , وَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ الْحَوْضَ , فَلَمَّا رَأَوْنِي طَلَعْتُ عَلَيْهِمْ , قَالُوا: قَدْ جَاءَكُمْ أَنَسٌ فَقَالُوا: يَا أَنَسُ مَا تَقُولُ فِي الْحَوْضِ؟ فَقُلْتُ: «وَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ أَنِّي أَعِيشُ حَتَّى أَرَى أَمْثَالَكُمْ تَشُكُّونَ فِي الْحَوْضِ , لَقَدْ تَرَكْتُ عَجَائِزَ

بِالْمَدِينَةِ , مَا تُصَلِّي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ صَلَاةً إِلَّا سَأَلَتْ رَبَّهَا عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُورِدَهَا حَوْضَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»

أيُما إنكار! فالأمر كان مستقرًا عند أهل المدينة وعجائز المدينة في إثبات الحوض.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَتَعَجَّبُ مِمَّنْ يَشُكُّ فِي الْحَوْضِ إِذْ كَانَ عِنْدَهُ أَنَّ الْحَوْضَ مِمَّا يُؤْمِنُ بِهِ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ حَتَّى إِنَّ الْعَجَائِزَ يَسْأَلْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْقِيَهُنَّ مِنْ حَوْضِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْحَوْضِ , وَيُكَذِّبُ بِهِ , وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّصْدِيقِ بِالْحَوْضِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِفَايَةٌ عَنِ الْإِكْثَارِ

حقيقة نهاية الباب؛ الجملة التي قالها الإمام الآجري تلخص لك عقيدة أهل السنة والجماعة في الحوض، لذلك الطحاوي في عقيدته قال: (والحوض – الذي أكرمه الله تعالى به غياثًا لأمته – حق)، أي أن الحوض حق كما قال هنا الإمام الآجرى، وكما كنا نتكلم دائمًا على أن **كل أمر جاء من الغيبيات فقاعدة عند أهل السنة والجماعة أنهم يثبتونه على ظاهره**؛ فهم يثبتون الحوض على ظاهره، وكل ما كان في الغيبيات، ما جاء إخبارًا عن الأمور الغيبية وثبت؛ سواء كتابًا أو سنة طبعًا، لابد أن أهل السنة والجماعة يثبتونه على الظاهر.

فالحوض حق كما أخبر به النبي ﷺ، وهكذا نقول أن الحوض كغيره من المسائل الغيبية بل هي عظيمة عند أهل السنة والجماعة في الاعتقاد، وعظمتها جاءت بأن أهل السنة والجماعة يفارقون أهل البدعة في مسائل كل ما كان فيه غيب. ماذا أقصد بـ "يفارقون"؟ القاعدة التي قلناها الآن بأن أهل السنة والجماعة في الغيبيات يعتقدون بها ويثبتونها على ظاهرها؛ سواء كانت الغيبيات في ما كان في اليوم الآخر، أو ما كان في حق الله عز وجل كيفيه صفاته واسمائه وبعض الأمور، فأهل السنة والجماعة في هذا الباب قد وضعوا القاعدة وارتاحت نفوسهم لأنها اتباعًا للنبي ﷺ والصحابة؛ أثبتوا ما أثبته لهم النبي ﷺ، وآمنوا به، ولم يسألوا كيف الحوض كيف يكون شيئًا حسيًا إلى غير ذلك كما قالت المعتزلة وغيرهم في نفيهم لبعض الأمور الغيبية، أو جعلوها في العقل، أو جعلوها في المسائل الفلسفية كعند الفلاسفة، فضَلُّوا في ذلك، فلم يثبتوا صراطًا حسيًا ولا ميزانًا حسيًا ولا حوضًا حسيًا إلى غير ذلك. لكن أهل السنة والجماعة في كل الغيبيات يثبتونها على الظاهر.

وقلنا بأن الأمور الغيبية من الأمور التي أختُصَّت في كثير من الآيات في مدح من يؤمن بها؛{الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ} من هم؟ {ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ} [البقرة:1-3] ، فجاء أن الإيمان بالغيب اقتُرن بالإيمان بالله عز وجل. إذًا من أخص صفات المتقين أنهم يؤمنون بالغيب.

والحوض تحديدًا؛ نقول أنه جاء إشارة في الكتاب، وجاء تصريحًا وتواترًا في السنة؛ أي ممكن تقول اثبات الحوض من الكتاب إشارة، لماذا؟ لقوله تعالى:{إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ} [الكوثر: 1-2] ، فنقول إشارة على أن الكوثر بعضهم قال هو نهر من أنهار الجنة، وبعضهم قال أنه هو الحوض، وبعضهم قال أنه يصب في الحوض، فقلنا فيه إشارة على الحوض. لكن جاءت السنة بما فيها من تواتر نقلي وتواتر معنوي، لأن بعض الأحاديث رُويت من خمسين صحابي، ويمكن أزيد، باثبات الحوض. فأصبح الإيمان بالحوض فيه تواتر معنوي وتواتر نقلي.

لكن هل هناك من خالف في الحوض؟ نعم، الخوارج والرافضة والمعتزلة؛

المعتزلة أنكروا الحوض بالكلية؛ قالوا لا يوجد حوض، وأن كل هذا شيء معنوي؛ ولا يوجد شربة ولا ظمأ،.. كما تكلموا في الصراط والميزان وغير ذلك. أما **الروافض والخوارج** خالفوا في فهم أحاديث الحوض.

طيب؛؛ إذًا الحوض مسألة غيبية، وثبتت بالتواتر، ولا إشكال عند أهل السنة والجماعة كما قال أنس بن مالك أن عجائز المدينة كانوا يؤمنون بالحوض، ويسألون الله عز وجل كل يوم أن يمتعهم الله عز وجل بأن يشربوا شربة من هذا الحوض.

والحوض إكرام من الله عز وجل للنبي، وهي ليست خاصة بالنبي كما قلنا؛ فلكل نبي حوض، وكل نبي يُكرَم بهذا الحوض ويشرب منه أمته. وقلنا بأن هناك خلاف سنبينه الآن أنه متي يكون الشرب من الحوض؟ هل قبل ورود الصراط؟ أم بعد الصراط؟ وهذه سنؤخرها لبعد ما نأتي بمواصفات الحوض وأموره، لأن هذه محل خلاف بين أهل السنة والجماعة، لأن الناس في عرصات يوم القيامة أولًا الله عز وجل يأمر بنفخة الصعق والفزع، ثم نفخة القيام فيقوم للناس إلى الله رب العالمين يجتمعوا في عرصات يوم القيامة؛ الشيء الواسع الفسيح، تدنو الشمس منهم ويلجمهم العرق حتى يبلغ منهم المبلغ، ثم يذهبون يطلبون شفاعة الموقف من الأنبياء إلى النبي ﷺ، فكل هذا قبل الصراط، ثم هنا مسألة الشرب، فقال بعض أهل العلم – كما سيأتي – أن هنا مقام الحوض؛ قبل الصراط الناس تحتاج في هذا الموقف بعد هذا

الوقت الذي وقفوه في عرصات يوم القيامة ودنو الشمس والعطش إلى غير ذلك فيحتاجون إلى الشرب من الحوض، يلبث الناس في يوم كان مقداره خمسين الف سنة، والبلاء اشتد، والكرب يشتد، ثم يأتون للأنبياء يقولون هل ترون ما نحن فيه؟ اشفعوا إلى الله عز وجل. لذلك كما قال الإمام الطحاوي: (جعل الله عز وجل الحوض اكرامًا غياثًا لأمته)، وهذا يقوِّي قول- وطبعًا هو ليس دليلًا لكنه قول للطحاوي – لكنه ينتصر لمن يرى بأن الحوض يكون قبل الصراط.

الآن أثبتنا الحوض أنه ثابت كتابًا وقلنا إشارة :{ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ} [الكوثر: 1] ، وثبت في الصحيح أن النبي ﷺ فسر الكوثر أنه حوض أعطاه الله إياه، وقلت بأن فيها عدة تفاسير أخرى، لكن هي أحد التفاسير، ففيها إشارة. والسنة قد بينت ذلك؛ السنة وإجماع الصحابة إلى غير ذلك حتى ما نستفيض فيها.

صفه الحوض:

صفة الحوض قد جاءت من الأحاديث التي قلناها؛ سواء من حيث سعة الحوض فكما قال النبي ﷺ من الأحاديث التي قرأناها أن الشكل مربع؛ أي الزوايا والأضلاع متساوية، وطوله كما جاء في الحديث الصحيح:[طولَه شهرٌ، وعَرْضَه شهرٌ]. إذًا الحوض شكله مربع، وزواياه قائمة، وطوله وعرضه واحد شهر، إذًا شهر في شهر، كما قالوا بعضهم بين المدينة وبيت المقدس، وبعضهم قالوا بين المدينة وعمان، وأيلة وصنعاء، كل هذه، المهم أنه جاء تصريحًا شهر طولًا وعرضًا. و(مَسِيرَةَ) هنا يقصد بها لو قلنا بالمسيرة على ما كان من أهل الدنيا مسيرة الجمال طبعًا، ولكن هذا التقدير حقيقة سيُترَك لأنه أمر الغيبي، لكن قد بيَّن النبي ﷺ أنه مسيرة شهر، لأن هو طبعًا في أرض غير الأرض التي سنكون فيها؛ أي أن الحوض سيكون في أرض أخرى؛ بدَّل الله عز وجل الأرض وسيبدل السماوات وكل شيء سيبدل في هذا الوقت.

ثم ذكر وصفًا له أيضًا لما سُئل عنه النبي ﷺ من ناحية الآنية، فجاء حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: [آنيتُه كنجومِ السَّماءِ]، انظروا.. وهذه تدل على أن الآنيات كثيرة، [كنجومِ السَّماءِ] فيها دلالة على الكثرة لأن نجوم السماء كثيرة، والكثرة تدل على ماذا؟ الكثرة تدل على أنه فيه نوع من الطمأنينة والراحة، فأنت ستشرب ستجد أواني كثيرة وتشرب وأنه لن يكون هناك تزاحم على كيزانه، وأن الناس أيضًا سيشربون بأيديهم ممكن – على بعض من قال ذلك.

والصفه الثانية أيضًا جمال هذه الأباريق والآنية، قال: كنجوم السماء تتلألأ، ونجوم السماء تتلألأ في الظلمة وتنير، ففيها اشراق وبهاء وغير ذلك. فهذا من حيث وصف آنيته، ومن حيث وصف عدد الكيزان والآنية بأنها كثيرة أيضًا.

ثم وصف النبي ﷺ أيضًا ماء هذا الحوض، قال: (أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ)، وقال: (من الورِق)؛ أي الفضة، أشد بياضًا، هذا من حيث اللون. وقال: (وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ)، وفي رواية [رائحته كرائحة المسك]. ومصدر هذا الماء هو من نهر الكوثر الذي أعطاه الله عز وجل وذكر في السورة: :{ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ} [الكوثر: 1] ، فقال النبي ﷺ: عن الكوثر [نَهرٌ أعطانِيهِ اللهُ في الجنةِ]، لذلك قال (يَشْخَبُ فِيهِ الكوثر مِيزَابَانُ). فهذا وصف لهذا الماء؛ أشد بياضًا من اللبن أو الورِق وأحلى من العسل.

ثم جاءت المسألة التي فيها الخلاف بين أهل السنة والجماعة؛

هل الحوض قبل الصراط أم بعد الصراط؟

على عدة أقوال؛ البعض قال أنها أربع أقوال، والحق أنها تُلخص في قولين:

1. القول الأول- وهو قول الجمهور من أهل العلم – على أن الحوض قبل الصراط؛

قالوا نظرًا – وإن كان المسألة ليست نظرًا، لكن نقول اتفقوها في الأدلة هي ليست عقًلا، لكن قالوا نصًا وأيضًا مناسبة لو قلنا ذلك. لماذا قالوا ذلك؟ أولًا قالوا لأن هناك أناس ستُدفَع عن الحوض، قال النبي ﷺ أناسًا يذادون عنه ويدفعون عنه، ويؤخذ بهم إلى النار. وهذا لابد أن يكون قبل الصراط، لأن من يعبر الصراط بعد ذلك سيدخل الجنة، والكفار، كما تكلمنا في الصراط في كتب أخرى، الكفار سيقعون أولًا في جهنم خلف معبوداتهم، ثم يتبقى أهل الإسلام ومعهم المنافقين إلى غير ذلك، فالشاهد بأن في عبور الصراط يعبر أهل الإيمان على حسب درجاتهم، فلما يُدفَعون عن الحوض فقالوا إذًا مناسبة ذلك أن يكون قبل الصراط وليس بعد الصراط، لأنهم سيُدفعون ويؤخذ بهم إلى النار، وهذا يكون قبل الصراط، كما جاء في الحديث: [ربِّ أُصَيْحابي أُصَيْحابي]، وانتبهوا.. قال [أُصَيْحابي] بالتصغير، وقال: [أصحابي أصحابي] وفي رواية قال: [أُمتي]، فقال له: [إنَّك لا تدري ما أحدَثوا بَعدَك].

والبعض قال المناسبة أيضًا بأن الناس قاموا من نفخة القيام، ووقفوا في العرصات، ودنت الشمس، وجاء العرق فالمناسبة أنهم يحتاجون إلى شربة ماء حتى يستطيعوا أن يكملوا بعد ذلك في الصراط وإلى غير ذلك من الأمور، فمناسبة الموقف أن يكون الحوض قبل الصراط.

2. القول الثاني: بعض أهل العلم قالوا أن هناك حوضان؛ حوض قبل الصراط وحوض بعد الصراط، فمن لم يشرب قبل الصراط بأن أُخِذ للعذاب من أمة الإسلام يجيء بعد ذلك ويشرب من حوض آخر بعد الصراط. والحق ما أعلم دليلًا على ذلك على مسألة أنه ما ورد أن هناك حوضان.

ثم الذين قالوا بأن الحوض قبل الصراط أيضًا اختلفوا؛ هل الحوض قبل الميزان أم بعد الميزان؟ على قولين أيضًا لأهل العلم؛ والأكثر أنه قبل الميزان، وأن الحوض في عرصات يوم القيامة، وهو قبل أن يأتي الله عز وجل لفصل القضاء، وقبل أن تتطاير الصحف، وأن يأخذ كل واحد صحفه بيمينه أو بشماله – نسأل الله عز وجل جميعًا أن نكون من أهل اليمين – فقالوا طول هذا اليوم الذي يقفون فيه في العرصات يكرم الله عز وجل نبيه بالحوض، فيشرب منه المؤمنون فلا يظمئون ولا يقلقون بعد ذلك. فالصواب قالوا بأن الحوض يكون قبل الصراط وقبل الميزان، وكما قال القرطبي في بعض الكلام كما قلت بأن مناسبة الحوض أن تكون قبل الميزان وقبل الصراط لأنهم يحتاجون مع طول الموقف إلى أن يذهب ظمئهم وصدورهم، وهذا يكون اكرامًا من الله عز وجل للنبي ﷺ.

أنواع الذين يذادون عن الحوض:

قول النبي ﷺ في أكثر من رواية [ربِّ أُصَيْحابي أُصَيْحابي]، وفي رواية:[أصحابي] وفي رواية: [أُمتي]، فدل ذلك على أن هناك أناس ستُرد عن الحوض كما قال النبي ﷺ يأتيه قوم فيعرفهم فيذادون عن الحوض؛ أي يُدفعون عن الحوض، لكن **الذين يذادون عن الحوض أهل العلم قالوا أنهم نوعان؛ نوع عام ونوع خاص:**

- **نوع عام:** أن النبي ﷺ قبل أن يأتيه حتى من يريد أن يشرب من أمته يذود عن حوضه من ليس من أمته، لأنه قال في روايات أخرى – قرأناها الآن – بأن النبي ﷺ يدفع أناسًا يأتون للحوض ليكون الحوض خالصًا لأمته، فذود النبي ﷺ غير أمته أن يستقوا من الحوض فيدفعهم أو يمنعهم، وهذا لأن لكل نبي قلنا له حوض، فسنقول طيب ما السبب أن النبي يدفع

غير الأمة؟ قال يوجههم، على أن الله عز وجل قد اختص كل نبي بحوض، كل نبي خاص بأمته، فقالوا ذود النبي ﷺ من الذين من غير أمته عن الحوض كأنه من الرأفة والرحمة بالنبي ﷺ للمؤمنين عامة وهو يريد أن يكون لكل نبي يأتيه من يتبعون النبي، فيُسَر كل نبي بما يراه من أمته يأتون إلى حوضه – من إخوانه الأنبياء والمرسلين – فيكون أبلغ في ظهور رسالة هذا النبي؛ أن يأتيهم من أمته من يشربون من حوضه، فهو كأنه يوجههم من حوضه إلى حوض نبيهم إكرامًا وحبًا لإخوانه من الأنبياء والمرسلين أن يظهر لهم من أمتهم من يشربون من حوضه. وهذا توجيه وجهه الحافظ بن حجر وبعض أهل العلم في هذا الذود للنبي ﷺ لمن هم من غير أمته.

وقالوا توجيه آخر – وهذا طبعًا حقيقة فيه دقة نظر – وهو من باب حب النبي ﷺ لكل إخوانه من الأنبياء والمرسلين وكل المؤمنين يحب لهم الخير.

وقالوا فائدة أخرى بأن النبي ﷺ يذود هذا الذود العام لأنه من رأفته ورحمته بالمؤمنين من أمته فيريد أن يخصهم بحوضهم إكرامًا لهم ومزيد لهم في العلو والعناية.

فهذه الفائدة الأولى والثانية عند أهل العلم في ذود النبي ﷺ من غير أمته عن الحوض، وهذا قلت الذود العام، وهو كل من لم يكن من أمة النبي ﷺ يذود عن الحوض.

- **وهناك ذود خاص**؛ وهو المعنِي بهذه الروايات، الطائفة القليلة، وأنا قلت أنه قال: [أُصَيْحابي أُصَيْحابي] تصغيرًا من "أصحابي" وتصغيرًا من "أمتي"، لماذا؟ لأنه فيه إشارة للرد على الرافضة في هذه المسألة الذين قالوا طبعًا بأن الصحابة ارتدوا، وجعلوا كل الصحابة يرتدون – عليهم من الله ما يستحقون – فجعلوا الصحابة يرتدون إلا بعض يسير عندهم ويستدلون بهذا، والنبي قال: [أُصَيْحابي أُصَيْحابي]، إذًا طائفة قليلة الذين سيُردون عن الحوض بالنسبة لمن يأتي، لأنه قال أناس يعرفهم ويعرفونه ثم يُذاون عن الحوض؛ يُدفعون بشدة، فيقول: [يارب قومي قومي]، وفي رواية:[أصحابي أصحابي]، وفي رواية لأنس في الصحيح [أُصَيْحابي أُصَيْحابي]، فينادي المنادي: [إنَّك لا تَدري ما أحدَثوا بَعدَك]، وفي رواية – وهذه هي الشاهد عندهم – [إنهم لم يزالوا مرتدّين على أدبارهم منذ تركتهم]. وهذا طبعًا يقوي جدًا أن الحوض قبل الصراط، إذا كانوا من المرتدين فلابد أن يكونوا من الكفار فلن يعبروا، فهذا دفع بشدة عن الحوض لطائفة من المرتدين.

من هم الذين يُدفعون عن الحوض؟

هناك خلاف – على اختلاف الروايات – الذين يُدفعون عن الحوض من هم؟ وفيها عدة أقوال:

1- القول الأول: قالوا الذين يذادون عن الحوض هم الذين ارتدوا من الصحابة بعد النبي ﷺ، كالذين اتبعوا مسيلمة الكذاب، أو سجاح، أو كفروا وارتدوا بعد ذلك، قالوا وهم قليل، ويدل على قلته قول النبي ﷺ: **[يذاد قوم]**، أو كما قال: **[فيأتيني قوم فيُذادون عن الحوض]**، و"القوم" هنا بتأتي فيها معنى القلة مع **[ربِّ أُصَيْحابي أُصَيْحابي]**، فدلت على قلة العدد لا على الكثرة. وهذا يناسب ما حدث؛ لأن عدد الذين ارتدوا بعد موت النبي ﷺ ممن صحبوه أو كانوا حتى معه في حجة الوداع قليل جدًا من الأعراب، قليل أي ليسوا بكثير من الذين صحبوا النبي، لا اتكلم عن الذين ارتدوا من العرب بعد موت النبي ﷺ، بل نتكلم عن الذين ارتدوا من أصحاب النبي ﷺ **انتبهوا** مِن مَن صحبوه أو حجوا معه مثلًا، قالوا شرذمة قليلة من الأعراب، فهؤلاء الذين يذادون عن الحوض.

2- القول الثاني: أن الذين يذادون عن الحوض هم المنافقون، وقالوا النبي ﷺ لم يعرف المنافقين جميعًا، قال الله عز وجل:{ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ} [محمد: 30] ، فيأتون يوم القيامة وعليهم سمت أهل الإيمان، أو أنهم مع المؤمنين، ولو تذكروا أننا تكلمنا في مسألة عبور الصراط، أو الحديث الذي: (هل بينكم وبين ربكم علامة؟) كان فيهم المؤمنين والمنافقين، فلما كشف الله عن ساقيه سبحانه وتعالى، فسجد أهل الإيمان، أما المنافقون انقلبوا على ظهورهم. فقالوا إذًا أن القول هذا بأن الذين يذادون عن الحوض هم المنافقون؛ هم لهم سمت أهل الإيمان وهم مع المؤمنين فيظنهم النبي ﷺ من المؤمنين ظاهرًا وباطنًا، ثم يذادون فيُدفعون عن الحوض بشدة ويساقون إلى النار بعد ذلك، فيقول: **[أُصَيْحابي أُصَيْحابي]**، باعتبار ما كان عليهم من ظاهر أمرهم، ثم يقول له المنادي: **[إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك]**، أو في الرواية الثانية: **[إنهم لم يزالوا مرتدين على أدبارهم منذ تركتهم]**، أي ظهر نفاقهم واستبان بعد وفاة النبي ﷺ.

3- القول الثالث: أن الذين يذادون هم كل من أحدث بعد النبي ﷺ حدثًا؛ إما رِدة فغيَّر في دينه، أو دون الردة من المحدثات كالبدع المفسقة باختلاف كل الطوائف هذه؛ الرافضة،

الخوارج، المعتزلة، الناصبة، وإلى غير ذلك من الذين أحدثوا، لأن هناك وصف قيل:[**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**]، وهذه (عموم)؛ كل من أحدث بعد النبي ﷺ.

فأصبح عندنا ثلاث أقوال؛ تلخيصًا القول الأول أنه خاص بالصحابة الذين ارتدوا بعد النبي ﷺ وهم قليل جدًا، والقول الثاني الذين يذادون هم المنافقين الذين لم يعرفهم النبي ﷺ لكن ظهر نفاقهم بعد موته، والقول الثالث وهو الأرجح – والله أعلم لأنه لا يمنع القول الأول والثاني فالقول الثالث أشمل – الذين سواء ارتدوا أو أحدثوا من البدع ما أحدثوا. لذلك **القول الثالث هو اشمل وأرجح وأوفق في ذلك**.

فيُذاد عنه كل من ارتد من الصحابة بعد موت النبي ﷺ، ويذاد عنه المنافقون، ويذاد كل أصحاب الفرق الضالة المبتدعة بكل أنواعها ممن ابتدعوا في دين الله عز وجل. بل يدخل فيه أيضًا – كما قال بعض أهل العلم – كل من كذَّب أو افترى على دين الله عز وجل، أو أحدث بدعة في دين الله عز وجل، أي أن المسألة ليست خاصة بالطوائف المبتدعة، بل من كذَب في أمر الدين، أو ابتدع، أو حاد عن الطريق، كما قال النبي ﷺ في حديث مسلم وعند الإمام أحمد: [**سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ، ولن يَرِدَ عليَّ الحوضَ**] ، نعوذ بالله من ذلك نسأل الله السلامة، قال: [**فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ**] طيب أين كذبهم؟ في الدين، **انتبهوا**.. لأن المسألة ليست كما البعض بيسرح بخياله؛ أنه في كل شيء؛ فالمقصود هنا الكذب في الدين وليس عموم الكذب، كذبوا على الدين، وصدقهم على كذبهم في الدين، ويعينهم على الكذب في الدين، قال: [**وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ**]، أيضًا يعينهم على الظلم، هذا أمر آخر؛ فغير الكذب في الدين الإعانة على الظلم، فهذا محدث، لذلك قال النبي ﷺ: [**فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ، ولن يَرِدَ عليَّ الحوضَ**]، نعوذ بالله أن نكون من هؤلاء. إذًا هؤلاء دخلوا في من مُنعوا من الحوض.

من الذي خالف في مسألة الحوض؟

قلنا خالف المعتزلة والخوارج والرافضة على اختلاف؛

المعتزلة: أنكروا الحوض؛ قالوا أن صفة الحوض هذه لا تُعقَل، فردُّوا أحاديث متواترة متطابقة، وردُّوها بالعقل، قالوا أن هذا الحوض حسيًا، لا يُعقَل، لكن له معنى يؤول؛ أي هو معنى فقط، معنى بأن الناس يرتفع عنها الظمأ وكأنها شربت وغير ذلك. قالوا لأننا تدبرنا الآن كل هذه

الأحاديث وهذه الأمور قالوا كيف يكون حوض قبل صراط؟ وأصلًا كيف يكون هناك صراط؟ وتقولون الصراط على جهنم وبين الجنة وجهنم مسافات كبيرة جدًا؟ وكيف الحوض الذي هو قبل الصراط يُغذَّى من الجنة بنهر والصراط أصلًا على جهنم والحوض بتقولوا أنه يغذى من الجنة ثم بعد الحوض الصراط وتحت الصراط جهنم؟ عرضوا المسائل كلها على ترتيب عقلي، كأنهم بيرتبوا أمور الدنيا عندنا في الأماكن الحسية، فردوا هذه الأمور الحسية لأنهم تخيلوها بالعقول، فوجدوا أن العقول لا تناسب هذا الوصف.

وهذا طبعًا إشكال في الإيمان بالغيب؛ هي المسألة عندهم ليست أسماء وصفات، لكن المسألة أصل، لتعلم أنهم لما ضلوا ضلوا في كل ما كان غيبًا؛ أي ليس في الأسماء والصفات فقط ضلوا، لأنهم طبعًا عرضوه على العقول وقالوا بالتشبيه، فعطَّلوا، لا بل حتى في غير أسماء الله وصفاته الآن عرضوا هذه الأمور أيضًا على عقولهم، فلم تقبلها العقول، فجعلوها ليست حسية ولكنها معنوية! وطبعًا هذا يبين لك بأن الفساد في الأصل.

أما أهل السنة والجماعة فما دامت السنة قد ثبتت عندهم آحاد أو تواتر، سواء لفظي أو معنوي، فما دام ثبتت وكان الأمر غيبي فلا يُعرَض على العقل كما بيّنا. لذلك عكس القاعدة عندنا؛ المعتزلة القاعدة عندهم تأويل الغيبيات، ونحن عندنا القاعدة الإيمان بالغيبيات على ظاهرها، هم قاعدتهم يؤولون الغيبيات؛ كل ما كان غيب؛ أنكروا الصراط، وجعلوا الميزان ليس بحسي بل ميزان معنوي يوزن به، وأوَّلوا الصحف وتطاير الصحف، والحوض أيضًا، كل هذا عندهم أوَّلوه، مع أن بعض أهل العلم قالوا: (من أنكر الحوض فقد كفر) على أنه قد ثبت بالتواتر، لكن طبعًا المسألة أن التواتر فيه لفظي وفيه معنوي، فبعض أهل العلم لم يقولوا بالتكفير وجعلوا بأن هناك فرق بين التواتر اللفظي والمعنوي وهو يميل للمعنوي أكثر، لذلك لم يكفرونهم بذلك.

أما الخوارج والرافضة؛ على أصولهم الفاسدة أيضًا جاؤوا في أحاديث الحوض لم يخالفوا في اثبات الحوض، بل قالوا أن الحوض موجود لكن لم يجعلوا الأحاديث على ما هي عليه، طبعًا لغلهم وحقدهم على الصحابة رضوان الله عليهم، خاصة الرافضة.

فقال الخوارج والرافضة أن الذين ارتدوا فلن يردوا على الحوض هم الصحابة، وقالوا جمع كبير من الصحابة، ولم ينج من الصحابة إلا القليل، لذلك الرافضة عندهم ثلاثة أو أربع صحابة، كم صحابي هم الذين يرونهم من خاصتهم، والباقي عندهم أن الصحابة ارتدوا، ولا يخفى عليكم قولهم في كبار الصحابة. فهم آمنوا أن هناك حوض، والخوارج كذلك، لكن قالوا أن الذين رُدوا

عن الحوض هم الصحابة، ويحتجون بأحاديث الحوض على تكفير الصحابة – نعوذ بالله من ذلك – لما قالوا: [إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك]، و[إنهم لم يزالوا مرتدين على أدبارهم منذ تركتهم] ، فحملوا الأحاديث هذه على تكفير الصحابة، وجعلوها من أحاديث تكفير للصحابة. فالرافضة يقولون هؤلاء هم أصحاب النبي ﷺ الذين قيل فيهم أنهم يُردون عن الحوض ولم يسلم منهم ولم يبقى على الإيمان بعد النبي ﷺ إلا النذر اليسير القليل.

والرد عليهم يسير؛ لأن الالفاظ التي جاءت تدل على التقليل، وقلة من سيُرَد لأنه يقال: [يذاد قوم عن حوضي] ، و [أناس عن حوضي] ، وقال: [يارب أصحابي] ، و[يارب أصيحابي]، فهذا دل على أن العدد قليل. و (القوم) عندما يُذكر في اللغة فيقصد به القلة، يقال مثلًا: (أتاني بنو تميم إلا قوم منهم لم يأتوا) "قوم منهم" أي عدد قليل لم يأتوا، فإذا جاءت الجملة فيها الكثرة ثم استُثني بـ "قوم" فدل ذلك على القلة. لذلك جاء الحديث قال: [أُصَيْحابي أُصَيْحابي]، فنحمل هنا "أصيحابي أصيحابي" على تقليل ما جاء بأصحابي أصحابي.

والأشكل والرد عليهم وهو منهم؛ أي رد عليهم يلزمهم، أنتم تقولون بأن أحاديث الحوض تدل على تكفير الصحابة، صحيح؟ هم يقولون ذلك، وتستدلون بأحاديث الحوض على تكفيرهم، طيب من الذين نقلوا لكم أحاديث الحوض عن النبي ﷺ؟ هم الصحابة الذين زعم الرافضة أنهم كفار، خمسين صحابي نقلوا أحاديث الحوض عن النبي ﷺ، فهل ينقل الكفار أحاديث على كفرهم؟! هل سينقلون للناس أحاديث تدل على كفرهم؟! وأنتم أخذتم بأحاديث من تقول بأنهم كفار واستعملتوها عليهم في الكفر! فكيف تقبلون أحاديث من كفر عندكم؟! وكيف ينقل هؤلاء الصحابة – بكثرتهم الخمسين إلى ثمانين صحابي – أحاديث فيها تكفيرهم؟! هذا النقل لأنه متواتر– فهل هم ينقلون للأمة أحاديث تُكفِّرهم؟ وكيف أنتم تقبلون أحاديث من كفرتموهم؟! بل التابعين نقلوا عن الصحابة الأحاديث هذه، وترضوا عن الصحابة وهم ينقلون عنهم.

أصلًا الحكم على الرافضة على خلاف بين أهل العلم، اتفاق على العلماء، وخلاف بين العامة؛ اتفاق بين أهل السنة والجماعة على تكفير علمائهم لأنهم يعرفون الحق كبني إسرائيل، كاليهود، والخلاف بعضهم على مسألة تكفير العوام، لكن طبعًا من صرَّح منهم بسب أبو بكر وعمر وعائشة وغير ذلك فهؤلاء لهم حكم.

فالصحيح الراجح لهذه المسألة أن الذين ارتدوا من أصحاب النبي ﷺ بعد موت النبي ﷺ نفر قليل، منهم من اتبعوا مسيلمة الكذاب، ومنهم من اتبع سجاح، ومنهم من الأعراب من

كانوا كما قال الله عز وجل عنهم:{ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ} [المائدة: 64]، وهؤلاء قلة كما جاء.

ومن أراد أن يستزيد يرجع لكلام الرافضة في هذه المسألة واستدلالهم. لكن نحن بينا في مسألة الحوض.

تبقى معنى – والله أعلم – وهذا هو الأهم حقيقة – أقول هذا هو الأهم – بعد أن بينا معنى الحوض، وصفته، وكيفيته، والأقوال في ثبوته إلى غير ذلك، لكن الأهم من ذلك كله هو أننا نبين:

كيف يشرب المرء من الحوض؟ وما هي الأسباب التي يأخذها المرء ويتعاطاها في الدنيا ليكرمه الله عز وجل بالشرب من حوض النبي ﷺ؟

هذا هو الأهم؛ فإن كنا ندرس المسألة من الناحية العقائدية، ومن ناحية الإيمان بها؛ ولا شك أن الإيمان بالغيب يقوي القلوب ويرفع الإيمان بالقلب، لكن الأهم كله أنك كيف تأخذ من الأسباب الدنيا ما ينبغي لك أن تأخذها حتى يكرمك الله عز وجل به

1- أول شيء أن يكون المرء على التوحيد؛ ويحيا على التوحيد ويموت على التوحيد، هذا أصل الأصول كما جاءت الأحاديث في ذلك تبين على أن من مات على لا إله إلا الله كان له كل الخير؛ في دخول الجنة، طبعًا من مات على لا إله إلا الله خالصًا من قلبه غير مرتاب، غير شاك، مصدقًا، مستيقنًا، متبعًا،.. كل هذه الشروط التي تأتي في شروط "لا إله إلا الله"، لكن الأصل كل الأصول أن يموت المرء على التوحيد، التوحيد هو المنجاة في ذلك.

2- الأمر الثاني أيضًا أن يكون المرء غير مُحدِث في الدين حدثًا؛ أي لابد أن يراعي الاتباع قدر ما استطاع وأن يبتعد كل البعد عن الإحداث في الدين وعن الابتداع في دين الله عز وجل، وهو أن يكون على هدي النبي ﷺ؛ فما كان في زمن النبي ﷺ هو ما كان بعده، وما لم يكن في عهد النبي ﷺ لا يكن في عهد بعده أيضًا؛ سواء في الاعتقاد، أو في العلم، أو غير ذلك، فالعقيدة والدين الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في عهده هو الذي لابد أن يسير عليه المرء إلى أن يموت، وكل من أحدث في هذه العقيدة شيئًا أو أتى بشيء جديد فهو داخل في قول من قال للنبي ﷺ: [إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك]، فكل من اعتقد سواء بدعة الإرجاء، بدعة الخوارج، المعتزلة، الكلابية، الأشاعرة، الرافضة، السبئية، سواء كانوا غلاة الطوائف أو المتوسطين أو غير ذلك، فلا شك أن هذه كلها بدع يُخشَى على المرء أن يُرَد

بذلك عن الحوض. ومن تلبس بشيء فيعود ويستغفر ويتوب لأن المرء حتى يكرمه الله عز وجل بهذا الحوض لابد أن يكون خالصًا في توحيده غير متلبسًا ببدعة.

قال: **[إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك]**، لأن هذه النعمة التي في هذا الوقت ليست بالهينة، أنت لما تتدبر هول الموقف؛ ولن تستطيع أن تتدبره حتى لو تصورته لأنه غيبي، لكنه أن يقول لك النبي ﷺ: **[من شَرِبَ منه شَربَةً لم يَظْمَأْ بعدها أبدًا]**، إذًا هذه قرينة عظيمة جدًا على أن من منَّ الله عز وجل عليه وشرب من هذا الحوض قد سَلِم مما يكون بعد ذلك، لأنه قال: **[لم يَظْمَأْ بعدها أبدًا]**، إذًا سيأمن في يوم الفزع، وسيأمن في يوم الحَزَن، قال الله عز وجل:{ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ } [الأنبياء: 103] ، سيأمن قبل تطاير الصحف، لماذا؟ لأنه شرب من حوض النبي ﷺ، فله الأمن والأمان، لكنه لن يناله – كما قلت – في الدنيا إلا بالتوحيد واتباع هدي النبي ﷺ، كما قال أنس ما فرح الصحابة بقول للنبي ﷺ أكثر من فرحهم بقول النبي ﷺ: **[المرءُ مع من أحبَّ]**، لما جاء رجل للنبي ﷺ يقول له يا نبي الله ﷺ أنا أحب الله وأحبك يا رسول الله ﷺ قال أنت مع من أحببت، فقال أنس وأنا أحب أبو بكر وأحب عمر وقبلها قال أحب النبي ﷺ، فالمرء مع من أحب، فإن أحببت النبي حقًا {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ} [آل عمران: 31] ، فلابد لك من الاتباع.

3- لابد أن تبتعد عن الافتراء في الدين، وتبتعد عن الإحداث أو تقترب من البدع، وكم يتلبس البعض – طبعًا أقول – أحيانًا بعلم أو بغير علم، وأحيانًا بخطأ في الاجتهاد، فيتلبس ويُلبِّس الناس أحيانًا بالبدع، فالمرء عليه أن يعود وأن يتقي الله في ذلك إن وجد الأمر فيه ما فيه من الإحتمالية فينأى بنفسه عن ذلك، ويقف، يسعه ما وسع من قبله، ولا يتعدى في ذلك، حتى الأمور التي قد يكون فيها نوع من الاشتباه التي ممكن قد يكون فيها منع أو ليس فيها منع، كما في مسألة النصف من شعبان – ستأتي معنا – والبعض يقول بتخصيص الليلة بقيام ليل أو غير ذلك، ومع أن هذا لم يَرِد عن النبي ﷺ ولا الصحابة رضوان الله عليهم، وفِعل بعض السلف ليس بحجة؛ إن ثبت. فالمرء ينأى أيضًا بذلك، فـ (كم من مريد للخير لم يبلغه) أصالة، وأنك لا تقترب من فعل الشيء الذي فيه الشبهة أو فيه البدعة أولى لك بأنك تقوم به؛ أنت إن لم تفعله لم تقصد شيء، تجنبته، وعندك السنن الحمد لله كثيرة، لكنك إن وقعت فيها وكان ما فيها من البدع فأنت قد خُدشت فيها، خاصة لمن كان يتتبعك في ذلك.

إذًا لابد للمرء أن يعتقد الاعتقاد الصحيح، وأن يعلم السنة الصحيحة، وأن يعلم الشريعة حق العلم كما جاءت عن النبي ﷺ وجاءت عن الصحابة، وأنه لا يصدق أحد في كذبه في

الدين، وأنه لا يعين أحد على ظلمه كما قال النبي ﷺ في أمراء السوء، وإلا يُحرم أيضًا من الحوض.

فهذه أسباب يتعهدها المرء حتى لا يُحرم من الشرب من الحوض؛ كما بينا التوحيد، واتباع السنة، وعدم الاقتراب من البدعة، وعدم متابعة من يكذب في الدين أو يعين على الظلم.

والأكثر من ذلك أيضًا **اللسان**؛ فاللسان هذا يورد المهالك، أكثر ما يورد الناس في النار هو اللسان، فينتبه المر أن يتكلم في الدين فيكذب على النبي ﷺ، أو يتكلم بغير علم فيقع في ذلك، لأنك أن تقول في دين الله عز وجل ما لا تعلمه فهذا افتراء عن الدين.

إذًا يذاد عن الحوض من يفتري أيضًا على النبي ﷺ ومن يكذب على الله عز وجل، قال سبحانه وتعالى:{ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: 33] ، انتبه.. الله عز وجل قرن بين الشرك وبين القول على الله بغير علم، قال: {وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا} ثم قال: {وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} ، قرن بين الشرك وبين القول على الله بغير علم.

وما أكثر ما نحن فيه الآن من حرص الناس على الكلام في الدين والشرع والتصدي لكن يفتقر إلى الاتقان ويفتقر لبعض مسائل العلم وينسحب لشهرة ولمعرفة، فيُسئل وقد تكون مسائل من الأهمية بمكان أنه يتوقف فيها ويسأل.

كنا قريبًا – وهذه المسألة لابد أن أشير إليها أعجبتني كثيرًا جدًا في كلمة لفضيلة الشيخ أبو بكر الحنبلي حفظه الله تعالى – كنا في مناسبة خير وألقى كلمة؛ حقيقة كان يوصي، كان يوجد دعاة وطلبة علم فكان يوصيهم كثيرًا بالتواصل مع العلماء ومع الشيوخ الكبار والسؤال عنهم؛ سواء في مصر أو خارج مصر، والتحري جدًا في مسألة الفتوى، وذكر مسألة أنه كان في بعض الأزمنة كان في الإفتاء في المنطقة الشرقية في الإمارات، من قديم الزمان، فقال جاءته مسألة سألت عنها الطالبات في الجامعة هناك عن مسألة في القصر– مغتربات –، فهو قال أنا وقفت حقيقة فيها فقلت لهم انتظروا سأجيبكم، فانصرفت الطالبات عنه وأنه سيأتيهم الإجابة، هو يقول الذين معي في الغرفة؛ المفتين، قالوا يا أبا بكر المسألة يسيرة؛ في القصر، فقال لهم قد تكون يسيرة عندكم لكن هي عندي ليست بيسيرة، وهذه الفتوى لو أخرجتها الآن خلف هؤلاء الطالبات مئتي طالبة سيعملون بها، قال فما كان مني إلا أن أرسلت رسالة إلى الشيخ ابن باز – رحمة الله عليه – وكان طبعًا المفتي العام للمملكة السعودية – يسأله عنها، فقال فكتبت له الرسالة أسأله، فجاءني الرد، فلما جاءني الرد وزعته على السائلات الطالبات،

ووُزِّع على المغتربات. الشاهد أنه يقول بأن المسألة ليست بالهينة، وأن الأمر يحتاج من المرء أن يرجع لكبرائهم ولعلمائهم ولمن فوقهم يستشيروه، حتى لو كان يرى غيرك أن المسألة يسيرة لكن أنت تراها ليست بيسيرة، فممكن تكون الفتوى لها مردود عظيم فتريد أن تتثبت، وتريد أن تستيقن، وتريد أن توثقها بمن هو أعلم منك، حتى إذا سُئلت فتقول والله أنا وافقت قول الشيخ، أو الشيخ المفتي يقول بذلك وأنا أقول أيضًا، ففيه توثيق.

وهذه حقيقة أنا سُرِرت بها كثيرًا بهذه الكلمة، وذكَّرنا بأمور لابد أن نتذكرها طلاب العلم، جزاه الله خيرًا، وبيَّن هذه المسألة، وهذه قد تكون مسألة يسيرة لكن المرء لابد أن يحتاط كثيرًا ولا يسارع.

والآن بعض العوام لا يفهمون ذلك؛ يرسلوا الأسئلة ويظنوا بأن الإجابة موجودة في الكتاب يفتح ويقول له مباشرة، أو في الصدر، فلما تتأخر عليه أو تريد أن تتأكد من شيء أو أنك تراجع مسألة أو تراجع شيخ لك أعلم منك وتسأله وتتيقن في ذلك، فهم يظنون أن هذه مسألة ما تحتاج، وهذا دين المرء سيُسئل عنه، الأولى له كما قال الصحابة كانوا يحيلون على بعضهم بعضًا ولا يتكلمون، ويقول أن غيره سيكفيه، وهذا الأهم، أما نحن الآن فنريد أن نسارع في الرد وفي الإجابة. وحقًا هو ابتلاء، والله هذا ابتلاء يصاب به المرء أن يتصدر في هذه المسألة بأنه سيُسئل عن كل ما يتكلم به خاصة أنه لابد أن يضبط نفسه ضبطًا صحيحًا حتى لا يسارع في الإجابة وحتى لا يتجرأ، ولو كان لا يعلم فيقول: "لا أعلم"، كما اشتُهر عن الإمام مالك في كم مسألة، لكن الآن من يقول "لا أعلم"؟! هو كل واحد يقول أنا لها أنا لها، والله المستعان.

فلابد للمرء- وأنا أذكر نفسي وأذكر إخواني وأخواتي جميعًا بأن المرء لابد له يحتاط كثيرًا قبل الكلام في الدين، وقبل أن يتفوه بكلمة، قد يكون عند البعض هو له قدر من طلاب العلم وطالبات العلم، فلما العوام يسألونه ويجيب يظن أن اجابته هكذا تمر! لا، فإجابته ممكن تنقل في زماننا الآن إلى مئات وألوف، انظر.. الشيخ أبو بكر يقول الفتوى ستنقل لمئتي طالبة، فوقف حتى تأتيه الإجابة من الشيخ ابن باز مع أنه قد يكون ممكن يعلم الإجابة، لكن مئتي طالبة عنده! انظر أنت الآن بتقول الكلمة ممكن ألفين واحد يسمعها في لحظة واحدة! فالمرء عليه أن يحتاط كثيرًا في هذه الأمور، وأنه إن أراد حقًا أن يَرِد على حوض النبي ﷺ أن يتثبت، وأنه يأخذ بالوسائل والأسباب في الدنيا التي تمكن له ذلك.

4-أيضًا بعضهم قال عدم ملازمة الكبائر؛ نتكلم عن عموم الناس لابد أن نرغب لهم في الحوض، فلابد أن يعلم عموم المسلمين أنه قد يُحرم من الحوض أهل الكبائر الذين يلازمون

الكبائر قد لا يردون الحوض، لماذا؟ لأن المنادي قال للنبي ﷺ: **[إنَّك لا تَدري ما أحدَثوا بَعدَك]**. ولم نسمع حقيقة أن هناك من كان يداوم على الكبيرة في زمن النبي ﷺ، حتى من نُقِل عنه في شرب الخمر قد تاب، وقد أثبت له النبي ﷺ أصلًا حب الله وحب رسوله عمومًا، لكنه قالوا قد تاب أيضًا بعد ذلك. لكن المداومة وملازمة الكبائر قد تحرم المرء من الشرب من الحوض، لقولهم **[إنَّك لا تَدري ما أحدَثوا بَعدَك]**.

لذلك حتى من فعل فيحرص على الاستغفار والتوبة ولا يكرر حتى لا يُحرم من ذلك، فلابد أن يأتي بالسبب الذي يُغفَر له به؛ من كثرة الحسنات، من إقلاع عن السيئات حتى يكرمه الله عز وجل ويمن عليه، وأيضًا فعل الطاعات، الحج والعمرة إلى غير ذلك، فيكرمه بحوض النبي ﷺ، ومن ابتلي بشيء فيتب ويستغفر ويتبع السيئة الحسنة.

أسأل الله عز وجل سبحانه وتعالى الكريم المنان الجبار اللطيف الرحيم أن يجعلني وإياكم ممن أُكرِم بالورود على حوض النبي ﷺ، وأن نشرب منه شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدًا.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة السابعة والستون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري، وما زلنا في مباحث الغيبيات، والإيمان باليوم الآخر، وقد ذكر المؤلف أبواب الشفاعة والحوض، واليوم يتكلم عن أول منازل الآخرة – كما يصح القول – وهو **بَابُ التَّصْدِيقِ وَالْإِيمَانِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ**، وهذا باب عظيم ومن مسائل مباحث الإيمان باليوم الآخر، والتصديق بأن هناك سؤال في القبر، وهناك نعيم أو عذاب للقبر، وهناك فتنة للقبر، كل هذه مباحث لهذا الباب، وأيضًا الكلام على أن النعيم في القبر والعذاب في القبر يكون على الروح أو الروح والجسد، وأن هل النعيم والعذاب مستمر ودائم أم متقطع؟ كل هذه المسائل تعرض إليها العلماء في نقاش هذا المبحث، وأيضًا ما هي أسباب عذاب القبر؟ والأسباب المنجية من عذاب القبر، إلى غير ذلك من الأمور التي قد نتعرض إليها إن شاء الله في هذا الباب؛ هذا المبحث.

والإيمان والتصديق بأن للقبر عذاب ونعيم، وقبل ذلك نقول مسألة سؤال القبر، وأن المرء لابد أن يعمل لهذا السؤال وهو سؤال المرء في قبره، وكل الصحابة رضوان الله عليهم والأنبياء وكل من خلقهم الله عز وجل يعملون لهذا الأمر، ويوم يأتي الأجل ويصير المرء إلى القبور فيأتيه يسأله الملكان- كما سيأتي – وأن يسأل المرء ربه أن ينجيه من فتنة القبور، وما أعظمها فتنة، النبي ﷺ – كما سيأتي معنا – لما جاءت اليهودية إلى عائشة ودخلت اليهودية إلى عائشة رضي الله عنها وأرضاها فقالت: [أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ]، ولم تكن تعلم عائشة بأن هناك عذاب القبر، قالت: أله في القبور عذاب؟ قالت نعم، قالت انتظرت النبي ﷺ فسألته عن ذلك، ففي روايات قال النبي ﷺ: "نعم"، وفي روايات قال فيها: "إنما ذلك في يهود"، لأن يهود الذين أنزل فيهم الفتنة والعذاب في القبور. ثم لبث فترة أُوحي إليه بأن أيضًا هذه الأمة تُسئل في قبرها، وتُفتن في قبرها، فقال: [إِنَّه أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكم تُفتَنونَ في قُبورِكُم]. فكأن النبي ﷺ أولًا كان يعلم بأن فتنة القبر كانت في اليهود فقط لما جاوب على عائشة، ثم قال [إِنَّه أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكم تُفتَنونَ في قُبورِكُم]. فقالت عائشة رضي الله عنها وأرضاها كنت لا أراه يترك الاستعاذة من أربع آخر الصلاة، ومنها الاستعاذة من فتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال وفتنة القبر.

فكان النبي ﷺ يداوم على الاستعاذة من هذه الأربع، وكان أيضًا الصحابة الكرام يعملون لهذا الوقت ولهذا الزمان الذي يأتي للمرء خشية من عذاب القبر ومن فتنة القبور، لذلك كانوا يعملون ما يعملون من أعمال صالحة، ويحرصون على الإيمان الكامل في أركانه التي جاءت في الشرع حتى ينجيهم الله عز وجل من عذاب القبر ومن فتنة القبر، ففتنة القبر فتنة شديدة، وفيها المرء يبتلى ابتلاء عظيم جدًا، لذلك جعل الله عز وجل وسائل بأن المرء ينجيه الله عز وجل من فتنة القبور، كما قلنا من قبل في مسألة الشفاعة والشهداء، وقلنا أيضًا بأن الشهداء من مناقبهم الستة أنهم لا يفتنون في قبورهم، ولا يُسئلون؛ كما قال النبي ﷺ: [كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً].

ففتنة القبور فتنة عظيمة جدًا، حرص الصحابة رضوان الله عليهم على أن ينجيهم الله من ذلك، لذلك هناك وسائل تنجي المرء من فتنة القبور ومن عذاب القبر، لكن الكل سيُسئل، الكل لابد أن يُسئل هذا السؤال، وحتى قال النبي ﷺ: [لو نجا منها أحدٌ لنجا منها سعدُ بنُ معاذٍ]؛ في ضمه القبر، والذي اهتز لموته عرش الرحمن، فدل ذلك على أن كل منا سيُفتَن في هذا، لكن التثبيت سيكون من الله عز وجل، {يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ} [إبراهيم: 27] ، فهذا التثبيت الذي يأتيك في هذا الموقف لابد له من إيمان حقيقي، هذا التثبيت الذي هو يثبتك الله عز وجل في هذا الموقف ليس بالأمر الهين، بل يحتاج إلى إيمان حقيقي، إيمان صادق من المرء مع ربه، وإلا فهذه فتنة شديدة جدًا، قال تعالى:{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ} [إبراهيم: 27] ، طبعًا الحياة الدنيا التثبيت أثناء حياة المرء في دنياه هذا يكون بشدة الإيمان فيثبته الله من الوقوع في الفتن والزلل والمعاصي، لكنه أيضًا في الآخرة كما قال علماؤنا في التفسير نزلت في عذاب القبر، من حديث البراء بن عازب في قول الله عز وجل: {يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ} [إبراهيم: 27] قالوا نزلت في عذاب القبر.

فالكل كان يخشى من هذا الموقف؛ أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه، وعمر، وعثمان، وعلي، الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يخافون من هول هذا الموقف، وحريّ بمن جاء بعدهم الذين هم دونهم في المرتبة وفي الكرامة عند ربهم أن يخشون من عذاب القبر ومن فتنة القبور، كما قال النبي ﷺ: [إِنِّي أُرِيتُكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ]، وكان يستعيذ النبي ﷺ قال:[اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ , وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ].

وجاءت الأحاديث – التي ستأتي معنا في قراءتها اليوم – تبين لنا عذاب القبر ونعيم القبر وغير ذلك من المسائل التي قد عنونا لها في أول المحاضرة أن نتكلم عنها؛ وهي إن شاء الله نتكلم عن مشروعية أيضًا الدفن والقبور، وسنتكلم عن فتنة القبر، والنعيم والعذاب، وديمومة النعيم وديمومة العذاب، والأسباب التي تؤدي إلى فتنة القبور، والأسباب المنجية من عذاب القبر أيضًا، وبعض المسائل ممكن نتكلم عنها مثل مسألة هل الاطفال يُفتنون في القبور أم لا؟ فقد جاءت رواية في هذا الباب عن ذلك أيضًا، وهل العذاب أو النعيم يكون على الروح فقط أم الروح والجسد؟ إلى غير ذلك من المسائل.

إن شاء الله نبدأ أولًا قراءة الباب، ثم ندخل في شرحه تفصيلًا بإذن الله تعالى.

70- بَابُ التَّصْدِيقِ وَالْإِيمَانِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ

839 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: أَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ , عَنْ سُفْيَانَ يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ الثَّوْرِيَّ عَنْ أَبِيهِ , عَنْ خَيْثَمَةَ , عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧] قَالَ: «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ»

840 - حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى الْمِصْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَنْبَأَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ, أَنَّ أَبَا السَّمْحِ دَرَّاجًا حَدَّثَهُ, عَنِ ابْنِ حُجَيْرَةَ, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ, عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَتَدْرُونَ فِيمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} [طه: ١٢٤] ؟ أَتَدْرُونَ مَا الضَّنْكُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «عَذَابُ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ, وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُسَلَّطُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّينًا, أَتَدْرُونَ مَا التِّنِّينُ؟ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ حَيَّةً, لِكُلِّ حَيَّةٍ سَبْعَةُ أَرْؤُسٍ, يَنْفُخُونَ جِسْمَهُ, وَيَلْسَعُونَهُ, وَيَخْدِشُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

841 - وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ, وَعُثْمَانُ ابْنَا أَبِي شَيْبَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِئُ, عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: سَمِعْتُ دَرَّاجًا أَبَا السَّمْحِ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الْهَيْثَمِ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُسَلَّطُ عَلَى الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّينًا تَنْهَشُهُ وَتَلْدَغُهُ, حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ, وَلَوْ أَنَّ تِنِّينًا مِنْهَا يَنْفُخُ فِي الْأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ خَضْرَاءَ»

842 - وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ, عَنْ أَشْعَثَ بْنِ أَبِي الشَّعْثَاءِ, عَنْ مَسْرُوقٍ, عَنْ عَائِشَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى قَالَتْ: دَخَلَتْ يَهُودِيَّةٌ عَلَيَّ فَقَالَتْ: سَمِعْتِيهِ يَذْكُرُ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ شَيْئًا؟ فَقَالَتْ لَهَا: وَمَا عَذَابُ الْقَبْرِ؟ قَالَتْ: فَسَلِيهِ, فَلَمَّا أَتَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَتْهُ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ؟ فَقَالَ: «عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ» قَالَتْ: فَمَا صَلَّى صَلَاةً بِلَيْلٍ إِلَّا سَمِعْتُهُ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ "

843 - حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ, عَنْ مَنْصُورٍ, عَنْ أَبِي وَائِلٍ, عَنْ مَسْرُوقٍ, عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزٌ, أَوْ عَجُوزَانِ مِنْ عَجَائِزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ, فَقَالَتَا: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ, قَالَتْ: فَكَذَّبْتُهُمَا فَخَرَجَتَا, وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ مِنْ عَجَائِزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ دَخَلَتَا عَلَيَّ, فَزَعَمَتَا أَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ فَقَالَ: «صَدَقَتَا, إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا» قَالَتْ: فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ ذَلِكَ فِي صَلَاةٍ إِلَّا يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ

844 - حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ حِسَابٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ , عَنْ عُرْوَةَ , عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا , فَأَمَرَتْ لَهَا بِشَيْءٍ , فَقَالَتْ: أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ , أَوْ أَعَاذَكُمُ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَذَكَرَتْ حَدِيثَ الْكُسُوفِ وَقَالَتْ فِي آخِرِهِ: فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أُرِيتُكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ»

قَالَتْ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ , وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ»

845 - وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ , عَنْ حُمَيْدِ بْنِ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ قَالَ قُتَيْبَةُ: وَهُوَ حُمَيْدُ بْنُ طَرْخَانَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ بَنِي النَّجَّارِ فَسَمِعَ صَوْتًا مِنْ قَبْرٍ فَقَالَ: «مَتَى دُفِنَ صَاحِبُ هَذَا الْقَبْرِ؟» فَقَالُوا: فِي الْجَاهِلِيَّةِ , فَسُرَّ بِذَلِكَ فَقَالَ: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ الْقَبْرِ»

846 - وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ قَالَ: أَنْبَأَنَا الْمُؤَمَّلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ , عَنْ ثَابِتٍ , عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ , وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ , فَسَمِعَ أَصْوَاتَ أَقْوَامٍ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ , فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَسَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ الْقَبْرِ»

847 -حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ , عَنْ شُعْبَةَ , عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ , عَنْ أَبِيهِ , عَنِ الْبَرَاءِ , عَنْ أَبِي أَيُّوبَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ أَصْوَاتًا حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ: «هَذِهِ أَصْوَاتُ الْيَهُودِ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهِمْ»

848 - وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ , عَنْ مَنْصُورٍ , عَنْ مُجَاهِدٍ , عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ مَكَّةَ أَوِ الْمَدِينَةِ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا , فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَنْزِهُ مِنْ بَوْلِهِ , وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ , فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ , وَوَضَعَ عَلَى قَبْرِ كُلِّ مِنْهُمَا كِسْرَةً , فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ , لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا , أَوْ إِلَى أَنْ يَيْبَسَا»

849 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ الطُّوسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْبَكَّائِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ , وَالْأَعْمَشُ , عَنْ مُجَاهِدٍ , عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ , فَإِذَا هُوَ بِقَبْرَيْنِ فِيهِمَا رَجُلَانِ يُعَذَّبَانِ , فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُعَذَّبَانِ فِي غَيْرِ كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى , إِنَّ أَحَدَهُمَا كَانَ لَا يَسْتَنْزِهُ مِنْ بَوْلِهِ , وَكَانَ الْآخَرُ يُمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» ثُمَّ قَالَ: «أَرُونِي عَسِيبًا» فَفَتَّهُ بِاثْنَيْنِ , فَجَعَلَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدًا , فَقَالَ النَّاسُ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ مِنْ عَذَابِهِمَا مَا دَامَا هَكَذَا أَوْ مَا لَمْ يَيْبَسَا»

850 - حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ: سَمِعْتُ مُجَاهِدًا , يُحَدِّثُ عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ , أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ , وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَنْزِهُ مِنْ بَوْلِهِ» ثُمَّ دَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

851-وَحَدَّثَنَا ابْنُ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ , وَيَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ , وَزِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ , قَالُوا: أَنْبَأَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ ابْنُ صَاعِدٍ: وَحَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ , وَأَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ , وَاللَّفْظُ لِوَكِيعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ: سَمِعْتُ مُجَاهِدًا , يُحَدِّثُ عَنْ طَاوُسٍ , عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ , وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ

852- وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ , عَنِ الْأَعْمَشِ , عَنْ أَبِي صَالِحٍ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي الْبَوْلِ»

853- وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ , وَعُثْمَانُ , ابْنَا أَبِي شَيْبَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ , عَنِ الْأَعْمَشِ , عَنْ أَبِي صَالِحٍ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي الْبَوْلِ»

854 - حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ ذَرِيحٍ الْعُكْبَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا شَرِيكٌ , عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ , عَنِ الْبَرَاءِ أَوْ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ

مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} [السجدة: ٢١] قَالَ: «عَذَابُ الْقَبْرِ»

855 - وَحَدَّثَنَا ابْنُ ذَرِيحٍ أَيْضًا قَالَ: حَدَّثَنَا هَنَّادٌ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ , عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ , عَنْ أَبِي كَرِيمَةَ , عَنْ زَاذَانَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ} [الطور: ٤٧] قَالَ: «عَذَابُ الْقَبْرِ»

856 - أَنْبَأَنَا ابْنُ ذَرِيحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ , عَنِ الْأَعْمَشِ , عَنْ أَبِي سُفْيَانَ , عَنْ جَابِرٍ , عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَأَنَا فِي حَائِطٍ مِنْ حَوَائِطِ بَنِي النَّجَّارِ , فِيهِ قُبُورٌ مِنْهُمْ قَدْ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ: قَالَتْ: فَخَرَجَ , وَهُوَ يَقُولُ: «اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّهُمْ لَيُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ قَالَ: «نَعَمْ , عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ»

857 - حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا خُلَيْدُ بْنُ دَعْلَجٍ , عَنْ قَتَادَةَ , عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَخْلًا لِبَنِي النَّجَّارِ , فَخَرَجَ مَذْعُورًا فَقَالَ: «لِمَنْ هَذِهِ الْقُبُورُ؟» فَقَالُوا: لِقَوْمٍ مُشْرِكِينَ , فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " سَلُوا رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُجِيرَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ , فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا أَنِّي أَتَخَوَّفُ أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَسَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ الْقَبْرِ , وَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا دَخَلَ حُفْرَتَهُ , وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ , دَخَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ شَدِيدُ الِانْتِهَارِ , فَيُجْلِسُهُ فِي قَبْرِهِ , وَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ , فَيَقُولُ: مَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ؟ فَيَقُولُ: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ , فَمَا يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهِمَا , فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى مَقْعَدِهِ مِنَ النَّارِ , فَيَقُولُ: هَذَا كَانَ لَكَ , فَأَطَعْتَ رَبَّكَ وَعَصَيْتَ عَدُوَّكَ , ثُمَّ يَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ , فَيَقُولُ: دَعُونِي أُبَشِّرُ أَهْلِي , وَيُوَسَّعُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا , وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مَلَكٌ شَدِيدُ الِانْتِهَارِ , فَيُجْلِسُهُ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَنْ كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي , فَيَقُولُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ , فَيَقُولُ لَهُ: فَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ , فَيُضْرَبُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ , فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُ صَوْتَهُ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ , ثُمَّ يَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ مِنَ الْجَنَّةِ , فَيُقَالُ لَهُ: كَانَ هَذَا مَنْزِلُكَ , فَعَصَيْتَ رَبَّكَ , وَأَطَعْتَ عَدُوَّكَ , فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً , وَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ مِنَ النَّارِ , فَيَرَاهُمَا كِلَاهُمَا فَيَضِيقُ عَلَيْهِ

قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ مِنْ وَرَاءِ صُلْبِهِ "

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا أَسْوَأَ حَالِ مَنْ كَذَّبَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ , لَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا , وَخَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا

71- بَابُ ذِكْرِ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِمَسْأَلَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ

858 - حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ , عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَوِ الْإِنْسَانُ , أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ , وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَهُوَ قَائِلٌ مَا كَانَ يَقُولُ , فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ , أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ , وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَيَقُولَانِ: إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ , ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ذِرَاعًا , وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ , ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ , فَيَقُولُ: دَعُونِي أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرَهُمْ , فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ , حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ , وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: لَا أَدْرِي , كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا , وَكُنْتُ أَقُولُهُ , فَيَقُولَانِ: إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ , ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ , حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهَا أَضْلَاعُهُ , فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ "

859- حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ النَّرْسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ يَعْنِي ابْنَ أَبِي عَرُوبَةَ , عَنْ قَتَادَةَ , عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ , وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ , إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ , أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ , فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَرَاهُمَا كِلَاهُمَا " أَوْ قَالَ: جَمِيعًا قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا , وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: وَأَمَّا الْكَافِرُ , أَوِ الْمُنَافِقُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي , كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ , فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ , ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ , فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مِنْ يَلِيهِ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ "

860- وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَنْبَأَنَا مُسْتَلِمُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: أَنْبَأَنَا يَعْلَى بْنُ عَطَاءٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ مُعَلِّمٌ , وَإِنَّكَ عَلَى جَنَاحِ فِرَاقِ الدُّنْيَا , فَعَلِّمْنِي خَيْرًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ , فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: " إِمَّا لَا , فَاعْقِلْ , كَيْفَ أَنْتَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا مَوْضِعَ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ فِي ذِرَاعَيْنِ جَاءَ بِكَ أَهْلُكَ الَّذِينَ كَانُوا يَكْرَهُونَ فِرَاقَكَ , وَإِخْوَانُكَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَحَزَّبُونَ بِأَمْرِكَ فَتَلُّوكَ فِي ذَلِكَ الْمَتَلِّ , ثُمَّ سَدُّوا عَلَيْكَ مِنَ اللَّبِنِ , وَأَكْثَرُوا عَلَيْكَ مِنَ التُّرَابِ , وَخَلَّوْا بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَتَلِّكَ ذَلِكَ , فَجَاءَكَ مَلَكَانِ أَزْرَقَانِ جَعْدَانِ , يُقَالُ لَهُمَا: مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ فَقَالَا: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَإِنْ قُلْتَ: رَبِّيَ اللَّهُ , وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ , وَنَبِيِّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ وَاللَّهِ هُدِيتَ وَنَجَوْتَ , وَإِنْ قُلْتَ: لَا أَدْرِي فَقَدْ وَاللَّهِ هَوَيْتَ وَرُدِيتَ "

861- وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ , عَنْ أَبِيهِ , عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " يَا عُمَرُ كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أُعِدَّ لَكَ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَةُ أَذْرُعٍ وَشِبْرٌ فِي عَرْضِ ذِرَاعٍ وَشِبْرٍ؟ ثُمَّ قَامَ إِلَيْكَ أَهْلُكَ , فَغَسَّلُوكَ وَكَفَّنُوكَ وَحَنَّطُوكَ ثُمَّ حَمَلُوكَ حَتَّى يُغَيِّبُوكَ فِيهِ , ثُمَّ يُهِيلُوا عَلَيْكَ التُّرَابَ , ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْكَ , وَأَتَاكَ مُسَائِلُ الْقَبْرِ: مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ , أَصْوَاتُهُمَا مِثْلُ الرَّعْدِ الْقَاصِفِ , وَأَبْصَارُهُمَا مِثْلُ الْبَرْقِ الْخَاطِفِ , قَدْ سَدَلَا شُعُورَهُمَا , فَتَلْتَلَاكَ وَتَهَوَّلَاكَ وَقَالَا: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ " قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَيَكُونُ مَعِي قَلْبِي الَّذِي هُوَ مَعِي الْيَوْمَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: إِذَنْ أَكْفِيكَهُمَا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ "

862- حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى الْمِصْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي حُيَيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعَافِرِيُّ , أَنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيَّ , حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ , : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ذَكَرَ فَتَّانَيِ الْقَبْرِ , فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَوَ تُرَدُّ عَلَيْنَا عُقُولُنَا؟» قَالَ: «نَعَمْ كَهَيْئَتِكُمُ الْيَوْمَ» قَالَ عُمَرُ: «فِي فِيهِ الْحَجَرُ»

863- حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَاصِمٌ , عَنْ زِرٍّ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: " إِذَا تُوُفِّيَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ مَلَائِكَةً فَيَقْبِضُونَ رُوحَهُ فِي أَكْفَانِهِ , فَإِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ يَنْتَهِرَانِهِ , فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ قَالَ: رَبِّيَ اللَّهُ , قَالَا: مَا دِينُكَ؟ قَالَ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ , قَالَا: مَنْ نَبِيُّكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قَالَا: صَدَقْتَ , كَذَلِكَ كُنْتَ , أَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ , وَأَلْبِسُوهُ مِنْهَا , وَأَرُوهُ مَقْعَدَهُ مِنْهَا , وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُضْرَبُ ضَرْبَةً يَلْتَهِبُ قَبْرُهُ نَارًا مِنْهَا , وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ , أَوْ تَمَاسَّ , وَيُبْعَثُ عَلَيْهِ حَيَّاتٌ مِنْ حَيَّاتِ الْقَبْرِ كَأَعْنَاقِ الْإِبِلِ , فَإِذَا خَرَجَ قُمِعَ بِمِقْمَعٍ مِنْ نَارٍ أَوْ حَدِيدٍ "

864 - حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ , عَنِ الْأَعْمَشِ , عَنِ الْمِنْهَالِ يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو عَنْ زَاذَانَ , عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ , فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ , كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ , وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ , فَرَفَعَ رَأْسَهُ , فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا , وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ , نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ , كَأَنَّمَا وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ , حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ , مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ , ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ , فَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ , فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنَ السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا , فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعْهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا , فَيَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْأَكْفَانِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ , فَيَخْرُجُ مِنْهُ كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ , فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا , حَتَّى يَصْعَدُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا , فَيُسْتَفْتَحُ , فَيُفْتَحُ لَهُ , فَيُسْتَقْبِلُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا , حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ , فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ , فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ , وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ , فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ , وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ , وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ , وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ , فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ , فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ , فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ , فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا

عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ , وَآمَنْتُ بِهِ , وَصَدَّقْتُ بِهِ , فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: صَدَقَ عَبْدِي , فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ , وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ , وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ , فَيَأْتِيهِ مِنْ طِيبِهَا وَرَوْحِهَا , وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ , يَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ , هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ , فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ , فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ , فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ , حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي , وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ , يَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ , اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ , فَتُفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ قَالَ: فَيُخْرِجُهَا تَتَقَطَّعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ , كَمَا يُنْزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ , فَيَخْرُجُ مِنْهُ رِيحٌ كَأَنْتَنِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ , فَيَصْعَدُونَ بِهَا , فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا , فَيَسْتَفْتِحُونَ , فَلَا يُفْتَحُ لَهُمْ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ , وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} [الأعراف: ٤٠] قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى , وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ , فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ , وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ , وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ: فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ , فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ , أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: ٣١] , فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ , وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ , فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ , لَا أَدْرِي , وَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ , لَا أَدْرِي , فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ , وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ , وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ , فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا قَالَ: وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ , وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ , قَبِيحُ الثِّيَابِ , مُنْتِنُ الرِّيحِ , فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ , هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ , فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ , فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ , رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ

865 - أَنْبَأَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ ذَرِيحٍ الْعُكْبَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ, عَنِ الْأَعْمَشِ, عَنِ الْمِنْهَالِ, عَنْ زَاذَانَ, عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ.

866 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرُ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ, عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو, عَنْ زَاذَانَ, عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ

867 -حَدَّثَنَا ابْنُ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ, عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ, عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧] قَالَ: " التَّثْبِيتُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: إِذَا جَاءَهُ مَلَكَانِ فِي الْقَبْرِ فَقَالَا لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ, قَالَا لَهُ: فَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ, قَالَا لَهُ: فَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَبِيِّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَذَا التَّثْبِيتُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، يقول تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ} [آل عمران: 185] ، فالباب الذي معنا باب عظيم جدًا لابد للمرء فيه أن يتذكر بأنه لابد سيأتيه الأجل حتمًا، وسيصير إلى التراب الذي قد خُلِق منه، وسيُدفن في هذا القبر الذي فيه التراب ويُهال عليه، وأنه حتمًا لابد سيُسئل كما بيَّن النبي ﷺ أن ما من أحد يموت ويقبر حتى لابد أن يُسئل، وإن كان استُثني البعض في السؤال كما أتى من قبل وبينا. لكن هذا الأمر عظيم جدًا، ليس بالأمر الهين، ولابد للمرء فيه أن يعمل في حياته على أنه عندما يصل إلى هذا الموقف أن يكون من أهل التثبيت، أن يكون من الذين قال فيهم الله عز وجل: {يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ} [إبراهيم: 27] ، وذكر الله عز وجل أن يثبت من؟ الذين آمنوا. إذًا الأمر لابد فيه من الإيمان.

مشروعية الدفن:

تكلم أولًا على مشروعية الدفن، لأن مسألة الدفن واقبار الميت أو دفنه هي مسألة من الشرع أصالة؛ هي جاء بها الشرع، لأن البعض يظن بأنه يُرجَع فيها إلى العرف، لكنه قبل العرف فقد جاء الشرع بدفن الميت، وأن المرء إذا مات لابد له أن يرجع مرة أخرى إلى الأرض الذي قد أُخرج منها، وإلى التراب الذي قد أُخرج منه، قال تعالى:{ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} [الأعراف: 25] ، وقال سبحانه وتعالى:{ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ} [طه: 55] . إذًا الدفن هذا أمر شرعي، لابد لكل من مات أن يُدفن، قال سبحانه وتعالى:{ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا} [المرسلات: 25-26] ، وقال سبحانه وتعالى: {ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ} [عبس: 21] . ولا يخفى عليكم قصة ابني آدم لما قتل أحدهما الآخر، قال تعالى:{ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ} [المائدة: 31] . فاقبار ودفن الميت في الأرض هذا أمر شرعي في الأمم جميعًا، قد بيَّنه الله عز وجل في كتابه.

وأيضًا قد بيَّنه النبي ﷺ في الأحاديث التي قُرئت؛ في حديث حائط بني النجار، وحديث (إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ). أول حديث هذا لما سأل قبور من؟ قالوا قبور المشركين، فكان حتى قبل بعثة ﷺ كان الميت يُدفَن ولهم قبور؛ المشركين. حديث زيد بن ثابت: [بينما النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في حائِطٍ لبَني النَّجَّارِ على بَغلةٍ له ونَحنُ معهُ، إذ حادَت به فكادَت تُلقيه]، حادث به البغلة وسنبين لماذا حادت؟ لأنها سمعت عذاب من في القبور فكادت تلقي النبي ﷺ، فالنبي ﷺ قال: [مَن يَعرِفُ أصحابَ هذِه الأقْبُرِ؟ فقالَ رَجُلٌ: أنَا، قالَ: فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟ قالَ: مَاتُوا في الإشْرَاكِ، فَقالَ: إنَّ هذِه الأُمَّةَ تُبْتَلَى في قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أنْ لا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أنْ يُسْمِعَكُمْ مِن عَذَابِ القَبْرِ الَّذي أسْمَعُ منه]. وهنا: [لَوْلَا أَنْ لا تَدَافَنُوا] العلماء تكلموا فيها؛ بعضهم قال لولا أني دعوت الله أن يسمعكم عذاب من في القبور لتمنيتم ألا تُدفنوا فتركتم الدفن، فهذا تفسير لأحد المعاني لولا أن تدافنوا أي لولا أن تتركوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبور أي لو أنكم سمعتم وعرفتم ما يصير ستتركوا الدفن ولا تدفنوا أنفسكم، وهذا تفسير للبعض. والبعض قال [لَوْلَا أَنْ لا تَدَافَنُوا] مقصود بها "لولا أن تموتوا"؛ أي لو دعوت الله لكم لتسمعوا عذاب القبور لمتم من الفزع ومن الصعق مما تسمعون. فكان [لَوْلَا أَنْ لا تَدَافَنُوا] جاءت من الدفن؛ أي من القبر، من الموت، فجاءت معنى [لَوْلَا أَنْ لا تَدَافَنُوا] لولا أن تموتوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر.

لذلك قال النبي ﷺ في الحديث الآخر الذي يضرب بالمطرقة قال:(**يَسْمَعُ صَوْتَهُ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ**)؛ الإنس والجن لا يسمعوا، والبهائم تسمع لذلك دابة النبي ﷺ لما اقتربت سمعت فكادت تلقيه من هول ما سمعت.

فالشاهد بأن الدفن أمر شرعي، وقد جاءت السنة تبين بأن الدفن عند أهل الإسلام كان النبي ﷺ يُدفن لحدًا، وهناك الدفن شقًا أيضًا يكون بشق الأرض، واللحد هو الأقرب، والإثنين يجوزوا في الشرع، على حسب التربة لأن طبعًا تختلف باختلاف التربة، لكن النبي ﷺ كان يُلحِد. **واللحد** الذي يكون فيه جيب ويوضع فيه الميت ثم يُغطى بعد ذلك التراب؛ ليس على الميت، لكن يوجد جيب والميت تحته فلا يصل له التراب. **والشق** الذي يكون في المنتصف؛ يوضع في المنتصف، ليس بالميل. والإثنان في باطن الأرض. ودفن الميت إكرامًا له، حتى يُحمى الجسد من السباع والهوام وحتى أيضًا لا يسارع في التحلل والتعفن، وحتى لا يتأذى الناس من الرائحة بعد موته، فكانت هناك أماكن للقبور يُدفَن فيها الأموات.

فتنة القبر:

ثم بعد الدفن يأتي الأمر العظيم وهو فتنة القبر؛ الذي معنا في هذا الباب، بعد أن يُدفَن الميت في قبره يأتيه الملكان فيسألانه عن ربه، ودينه، وعن نبيه، وتختلف الإجابة إن كان من أهل الإيمان أو كان من أهل الكفر والنفاق – والعياذ بالله – فلو كان من أهل الإيمان يثبته الله عز وجل كما قال:{يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ} [إبراهيم:27] ، فلما يُسئل كما جاء في حديث البراء بن عازب: [**إذا أُقعِدَ المُؤمِنُ في قَبرِهِ أُتِيَ**] ثم الملكان يأتياه يسألانه فسألوه عن ربه فقال من ربك؟ قال الله، قال ما دينك؟ قال الإسلام، قال من النبي الذي بُعث فيك؟ يقول محمد ﷺ. وروايات كثيرة في ذلك حديث أيضًا أبو سعيد الخدري عند الإمام أحمد، وكما قرأنا هنا الروايات بأنه يأتيانه فيسألانه؛ المؤمن يقول: [**أَشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، فيقولُ: صدَقتَ، ثُم يُفتَحُ له بابٌ إلى النَّارِ، فيقولُ: هذا كان منزِلَكَ لو كفَرتَ بربِّكَ، فأمَّا إذ آمَنتَ، فهذا منزِلُكَ، فيُفتَحُ له بابٌ إلى الجَنَّةِ، فيُرِيدُ أنْ يَنهَضَ إليه**]، يسارع إلى النعم، فيقول له اسكن ونم نومة العروس [**ويُفسَحُ له في قَبرِه**]، [**وإنْ كان كافِرًا أو مُنافِقًا**] – والعياذ بالله –[**يقولُ له: ما تقولُ في هذا الرجُلِ؟ فيقولُ: لا أدْري، سمِعتُ النَّاسَ يقولونَ شيئًا**] ، أو يقول: [**هاه،هاه**] على الروايات،[**ثُم يُفتَحُ له بابٌ إلى الجَنَّةِ، فيقول: هذا منزِلُكَ**

لو آمَنتَ بربِّكَ، فأمَّا إذ كفَرتَ به؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أبدَلكَ به هذا، ويُفتَحُ له بابٌ إلى النَّارِ، ثُم يَقمَعُه قَمْعةً بالمِطراقِ يَسمَعُها خَلقُ اللهِ كلُّهم غيرَ الثَّقَلَيْنِ]. ثم تلى النبي ﷺ: {يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ} [إبراهيم: 27].

إذًا السؤال ثابت، وبينت الأحاديث الأولى التي جاءت في اليهودية أو اليهوديتان أو الأكثر جاءت لعائشة تسألانها قالت سمعتيه عن النبي ﷺ يتكلم في عذاب القبر؟ ولم تكن عائشة تعلم، فقالوا سليه، فلما جاء النبي ﷺ سألته عائشة عنه، وقلت أن هناك روايات قال "نعم"، وفي رواية قال إنهم يهود يفتنون، ثم قال: [إنَّه أُوحِيَ إليَّ أنَّكم تُفتَنونَ في قُبورِكُم]، فأثبت الفتنة في القبور لأمة النبي ﷺ كما بباقي الأمم، ثم أخذ يتعوذ كما قلنا من الأربع كان يتعوذهما بعد التشهد في آخر الصلاة؛ ومنها التعوذ من عذاب القبر، حتى قالت: (فَمَا صَلَّى صَلَاةً بِلَيْلٍ إِلَّا سَمِعْتُهُ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)، وفي الرواية الأخرى قال:(صَدَقَتَا , إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا)، وقلنا بأن النبي ﷺ بيَّن بأن: [لَوْلَا أَنْ لا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ].

- **الحكمة من عدم سماع عذاب من في القبور:**

مكرُمة من الله عز وجل أننا لا نسمع عذاب القبر؛

أولًا: من شدة الهول؛ وهذه هي الحكمة في هذه المسألة؛ أولًا من الفزع الذي يكون فيها، ومن الهول، ما نستطيع أن نتحمل ذلك، كما قال النبي ﷺ: [لَوْلَا أَنْ لا تَدَافَنُوا] أي ممكن تموتوا من سماع هذا العذاب أصالة، هذا أولًا؛

ثانيًا: أن الله عز وجل حجب عننا أن نسمع لأن هذا فيه اخفاء وسِتر للميت، أنا أقول نعم ستر للميت فليس بالضرورة أن يكون الميت هذا كافرًا يُعذَّب، فممكن أن يكون مسلم ويُعذَّب بمعاصيه. إذًا من حكمة الله عز وجل في إخفاء ذلك عنا أن هذا سترا للميت؛

ثالثًا: أيضًا من الحكم عدم إزعاج أهله؛ تصور أنت لو عندك قريب من أقربائك تحبه في الدنيا وحزنت على فراقه؛ ومن منا من لم يعصي الله عز وجل ولكن شاء الله أن يعذبه – كما سيأتي معنا بأن النعيم والعذاب يكون أوقات وأوقات لو كان من أهل الإسلام، وأما إن كان من أهل الكفر فهو في عذاب دائم – فلاشك بأن اخفاء ذلك فيه عدم الإزعاج لأهله، لأن لو سمع الأهل وعلموا بأن هذا من قومه ويُعذَّب فلا يستقر لهم قرارًا، لا يستطيعون أن يحيوا ويعيشون وهم يعلمون أن ميتهم يُعذَّب في القبر؛

رابعًا: ألا يُخجَّل أهل الميت؛ لأن أيضًا لما يُعلَم بأن هذا من أهله ويُعذَّب فيه تخجيل لهم، لا شك بأنهم يحزنون ويخجلون من ذلك لما يقول له هذا أبوك، هذا أخوك، هذه أمك، هذا ابنك، هذا قريبك ويُعذَّب فلاشك بأن فيه نوع من التخجيل في ذلك؛

خامسًا: الأهم من ذلك لو سمعنا عذاب القبر لأنتقل الإيمان بعذاب القبر من الإيمان بالغيب إلى الإيمان بالشهادة؛ فالإيمان بعذاب القبر هذا من الغيبيات؛ أنت تؤمن ولا ترى، لذلك أصحاب العقول الخربة والذين يقولون أحضرنا الأجهزة والآلات والمعدات وضعناها في القبور فلم نسمع شيئًا – وسنجيب على هذه المسألة أيضًا – لأنهم لم يؤمنوا بالغيب، وقالوا وضعنا كل شيء ولم نسمع الذين يُعذَّبون؛ لا الكفار سمعناهم ولا حتى من يتنعم سمعناه! فهم قاسوا الحياة الدنيا على حياة البرزخ. فالإيمان بعذاب القبر من الإيمان بالغيب، فلو أظهر الله عز وجل هذا لنا لكان من الإيمان بالشهادة فتكون قد فاتت مسألة الامتحان والابتلاء، لأن الله عز وجل أثني على الذين يؤمنون بالغيب{الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ} [البقرة: 1-3] ، والإيمان بالغيب من أركان الإيمان الستة، لذلك كان هذا من باب الابتلاء والامتحان ليمتحن الله عز وجل الناس هل يؤمنون به أم لا يؤمنون.

إذًا فعذاب القبر ونعيمه حق ثبت ذلك بالكتاب وبالسنة؛

كما جاءت معنا الأحاديث التي أثبتت – والتي قرأناها الآن– أن الناس تعذب، حتى ما نعيد الروايات، حديث عائشة حديث اليهودية، وحديث حائط بني النجار، وحديث النبي ﷺ لما سأل على القبرين فقال: (إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ)، كل هذه الأدلة من السنة على اثبات عذاب القبر، وحديث أيضًا البراء بن عازب الذي كان معنا: [إذا أُقعِدَ المُؤمِنُ في قَبرِهِ أُتِيَ ثُمَّ شَهِدَ] إلى آخر ما قلنا.

ومن الكتاب أيضًا جاءت آيات تبين ذلك؛ بعض أهل العلم قالوا عن آل فرعون:{ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ * ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ} [غافر: 45-46] ، ف {ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ} و {وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ} والعطف يقتضي المغايرة، إذًا العرض غدوًا وعشيًا هذا سيكون متى؟ في قبورهم، {وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ} هذا عذاب آخر وهو في قيام ساعة. إذًا هذا في القبور يعرضون على النار غدوًا وعشيًا.

وأيضًا البعض استدل بقوله تعالى:{ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ} [المائدة: 64] ، قالوا هذه الآيات تدل على أن الكفار يُعذَّبون في حال الاحتضار، الملائكة تعذبه في حال الاحتضار.

فهذه آيات وأحاديث تثبت عذاب القبر، يُضَم عليها الأحاديث التي قلناها هنا الذي ذكرتها حتى لا أعيدها مرة أخرى. فأصبح تواتر في الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه، وأيضًا الأحاديث التي جاءت في سؤال الملكين؛ منكر ونكير، تدل أيضًا على عذاب القبر.

هل العذاب أو النعيم يكون على الروح فقط أم الروح والجسد؟

كيفية العذاب لا نعلمها لأنه أمر غيبي؛ أي أنت ليس لك عقلًا أن تقف على كيفية العذاب، لأنه لم يُعهد في دار الحياة ولا دار البرزخ، لكن هل الروح ستعود إلى الجسد؟ ستعود إلى الجسد – كما سيأتي معنا – وأن العذاب والنعيم يكون على الروح منفردة أحيانًا، ويكون على الروح مع الجسد.

النعيم؛ كما جاءت السنة تبين أن أرواح الشهداء في حواصل طير تحوم حول العرش، هذه نسمة الروح تنعم حول العرش، الروح فقط.

فأهل السنة والجماعة يرون بأن عذاب القبر ونعيمه تارة يكون على الروح انفرادًا وتارة يكون على الروح والجسد؛ أي أن النفس تُنعم أو تعذب منفردة عن البدن وأحيانًا تكون متصلة بها. والسؤال أيضًا في القبر سيكون علي الروح والجسد معًا؛ لأنه سيُقعَد المؤمن في قبره ثم يُسئل، وهذه دلالة على الروح والجسد؛ لأنه إما سيُنعم – كما سيأتي في الحديث – أو يُضرب بالمطرقة على الجسد، أولًا سيُسئل ويجيب فهذا دلالة على إعادة الروح إلى الجسد لأنه سيُقعَد ويُسئل وتختلف أضلاعه، حتى قال: [لو نجا منها أحدٌ لنجا منها سعدُ بنُ معاذٍ]؛ في ضمه القبر، وهذا دلالة على أن هنا في هذا الموقف اجتماع بين الروح والبدن.

وأحيانًا تُنعم الروح فقط أو تعذب الروح فقط، وأحيانًا الإثنين معًا؛ والنووي له الكلام جميل يرد به على الذين تكلموا في هذه المسألة ولم يؤمنوا بعذاب القبر وهم الذين قالوا ذهبنا إلى القبور فلم نر لا نعيم ولم نر عذاب ولم نسمع شيئًا، فالنووي في شرح مسلم يقول: (فَإِنْ قِيلَ فَنَحْنُ

نُشَاهِدُ الْمَيِّتَ عَلَى حَالِهِ فِي قَبْرِهِ ، فَكَيْفَ يُسْأَلُ وَيُقْعَدُ وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ، وَلَا يَظْهَرُ لَهُ أَثَرٌ؟) فهم يقولوا نحن لا نرى شئ فهناك ناس فتحوا القبور ووجدوهم كما هم، فأين الذي تقولونه هذا؟ فرد الإمام النووي قال: (أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ ، بَلْ لَهُ نَظِيرٌ فِي الْعَادَةِ وَهُوَ النَّائِمُ ، فَإِنَّهُ يَجِدُ لَذَّةً وَآلَامًا لَا نُحِسُّ نَحْنُ شَيْئًا مِنْهَا)، فأنت الآن نائم وبجانبك واحد آخر نائم، فواحد منهم نائم ويرى رؤى والروح تطلع ويرى أشياء جميلة ويتنعم، أو يأتيه ما يأتيه من الكوابيس أو يأتيه من الآلام وهو في نومه عنده لذة أو عنده آلام وأنت لا تشعر به، وأنت بجانبه ما شعرت بشيء، وهو لما يستيقظ يقول لك أنا كنت في حلم جميل جدًا ومستمتع وعملت كذا وكذا وكذا، أو كان هناك أمور وخفت وجري ورائي كذا وكذا وكذا في رعب وخوف.

بل أن اليقظان نفسه كما قال الإمام النووي: (وَكَذَا يَجِدُ الْيَقْظَانُ لَذَّةً وَأَلَمًا لِمَا يَسْمَعُهُ أَوْ يُفَكِّرُ فِيهِ وَلَا يُشَاهِدُ ذَلِكَ جَالِسُوهُ مِنْهُ) ممكن أنت تجلس وبجانبك أحد وأنت يقظان لكن تفكر في شيء ومستمتع بالتفكير والمشاهدة هذه التي في رأسك وكذا وكذا، والذي جانبك لا يشعر بشيء وأنت تشعر بذلك. بل نقول كما قال – ما زلت في كلام الإمام النووي لكن بتصرف – يبين مثال النائم ومثال اليقظان، بل قال: (وَكَذَا كَانَ جِبْرَائِيلُ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ فَيُخْبِرُهُ بِالْوَحْيِ الْكَرِيمِ وَلَا يُدْرِكُهُ الْحَاضِرُونَ، وَكُلُّ هَذَا ظَاهِرٌ جَلِيٌّ) بأنه ينزل عليه أحيانًا فيتصبب النبي عرقًا أو أحيانًا من كان بجانبه لا يشعر وأحيانًا يشعر. وهذا كلام الإمام النووي في الرد في شرحه لمسلم على من يتكلمون في مسألة عدم رؤيتهم آثار لعذاب القبر أو نعيم القبر.

ونفس الكلام قريب منه قاله شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا، فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية بالإضافة إلى كلام النووي، قال: (وَالنَّائِمُ يَحْصُلُ لَهُ فِي مَنَامِهِ لَذَّةٌ وَأَلَمٌ وَذَلِكَ يَحْصُلُ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ حَتَّى إنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ فِي مَنَامِهِ مَنْ يَضْرِبُهُ ; فَيُصْبِحُ وَالْوَجَعُ فِي بَدَنِهِ)، أي ممكن فعلًا يأتيه من يأتيه في المنام يضرب – وأنا أقول لكم نعم – وممكن يستيقظ يجد آثار على البدن، أو يشعر حتى لو لم يوجد آثار لكن يشعر بأنه كان قام من علقة – كما يقال – وقام من ضرب. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وَيَرَى فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ أُطْعِمَ شَيْئًا طَيِّبًا فَيُصْبِحُ وَطَعْمُهُ فِي فَمِهِ) وهذا نعم، بعض الناس يرون رؤى يقول شربت لبنًا، عسلًا، تمرًا، حتى أني شعرت بلذة الشيء في الفم، وكل هذا يحصل لمن كان نائمًا – بنعيم أو عذاب – والذي بجانبه ينام معه على السرير أو يجلس بجانبه لا يشعر بشيء. وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قَدْ يَصِيحُ النَّائِمُ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ ; أَوْ الْفَزَعِ الَّذِي يَحْصُلُ لَهُ وَيَسْمَعُ الْيَقْظَانُ صِيَاحَهُ وَقَدْ يَتَكَلَّمُ إمَّا بِقُرْآنِ وَإِمَّا بِذِكْرِ وَإِمَّا بِجَوَابِ) ويرد على ما يأتيه في المنام ويُخرج هذا الكلام ويسمعه اليقظان بجانبه، أي أن كل هذا ممكن أن يحدث، وهذا في الدنيا موجود، (فَكَيْفَ يُنْكَرُ حَالُ الْمَقْبُورِ

الَّذِي أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّهُ يَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ؟) وهذه حالة طبعًا في مسألة أخرى ليست مجالها قال أنه يسمع قرع نعالهم، إذًا هو بيسمع، النبي ﷺ قال يسمع قرع النعال عند الإنصراف. والحالة الخاصة التي حدثت في غزوة بدر لما النبي ﷺ جاء لقتلى بدر من المشركين وتكلم معهم فقالوا يا رسول الله ﷺ أتكلم من مات؟ قال: [مَا أَنْتُمْ أَسْمَعُ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ] وأشار إلى القليب، أي هم يسمعون في هذا الوقت.

والدلالة أيضًا على أنهم يتأذون ويعذبون؛ أن النبي ﷺ في غزوة الأحزاب لما ما استطاع أن يصلي الأربع صلوات من الظهر إلى العشاء، ماذا قال؟ قال: [مَلَأَ اللَّهُ أَجْوَافَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا]، ودل ذلك لما دعا النبي ﷺ بذلك على إمكانية أن يحدث ذلك أم لا؟ أي لما تُملىء القبور والأجواف نار إذًا ستُملىء نار، لكن نحن لن نرى ذلك لكن سيحدث لهم ذلك، وهذا دعاء من النبي ﷺ ولابد أن يكون حقًا. وأن معنى الذي نقوله الآن هو للتمثيل فقط بين النائم وبين الميت، لكن هناك فارق بين النعيم الذي يراه الميت وبين العذاب أيضًا الذي يشعر به الميت، فهو نعيم حقيقي وعذاب حقيقي، لكن نحن نقرب المثال على أنه قد يحدث هذا للنائم ولا يراه من بجانبه، أو اليقظان لا يشعر به، لكن هناك فارق بين ما يراه النائم من حيث الحقيقة ومن حيث ما يشعر به الميت من حيث النعيم أو العذاب، حقيقة؟ نعيم وعذاب حقيقي.

ونعيم القبر قد بشَّر الله عز وجل به أهل الإيمان، قال سبحانه وتعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ* نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ} [فصلت: 30-31] ، هذه كانت بشارة من الله عز وجل بشر بها المؤمنين، وإن كان العلماء اختلفوا في وقت هذه البشارة، أي هذا التنزيل؛ هذه البشارة، البعض قالوا بأن هذه عند الاحتضار، قالوا: {أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ} هذه البشارة – ونسأل الله عز وجل أن نكون منهم – البعض قالوا أنها عند الاحتضار؛ أي أن الملائكة بتنزل عند الاحتضار كما أتى في الحديث تقول لروح المؤمن:[اخرُجي أيَّتُها النَّفسُ المطمئنَّةُ] ، ولو كانت في الجسد الطيب بتخرج، [وأبشري برَوْحٍ وريحانٍ] ، إلى آخر ما جاء. والبعض قال بأن هذه البشرى تكون يوم خروج الناس من قبورهم؛ فتأتي الملائكة تبشر من كانوا من أهل الجنة لهول هذا الموقف عند الخروج من القبور، وهذه بعض المفسرين قالوا بها؛ قالوا أن {إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ} قالوا أن هذه عند الخروج من القبور تأتيهم الملائكة تبشرهم {أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ}، أي يؤمنونهم من

خوف الموقف. والبعض قال أن هذه البشارة تكون في القبر نفسه عند بداية النعيم. وهناك قول أجمع لهذه الثلاثة معًا وهو قول لزيد بن أسلم قال الثلاثة؛ يبشر عند الموت، ويبشر في قبره بداية النعيم، ويبشر عند القيام، ولا يمنع ذلك، قال ابن كثير في التفسير: "وهذا القول يجمع الأقوال كلها". وهذا خلاف تنوع لا إشكال فيه.

ظهر لنا الآن أن عندنا الثلاثة دور؛ دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل الله عز وجل لكل دار أحكام؛ فالدنيا لها أحكام، والبرزخ – كما قلنا الذي في القبر – له أحكامه، فأحكام الدنيا على الأبدان وعلى الأرواح، لكن البدن الأصل والروح تبعه؛ فالدنيا تجد الأحكام على البدن والروح تبع للبدن، وتجد العكس في البرزخ أن الحكم على الأرواح في الأصل والبدن تابع للروح، ثم يأتي يوم الحشر – نسأل الله أن يسلمنا في هذا اليوم – وقيام الناس صار الحكم على الأرواح والأجساد جميعًا.

الدار الأولى هي دار الدنيا التي نحن فيها دار ابتلاء ودار امتحان، أرسل الله عز وجل فيها الرسل وأنزل الرسالات، وأنزل الكتب لتكون حجة على الناس، وأنزل شرع وأعطى لهم مدة في الزمان يعيشون في الأرض ثم حتمًا سيموتون كما قال تعالى:{ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ } [الملك: 2] ، فهو خلق الموت وخلق الحياة {لِيَبْلُوَكُمْ} كأن العلة هنا إيماءًا {أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ }، خلقنا لنعمل في هذه الدنيا ويكون كما قال الفضيل بن عياض: {أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ } أي أخلصه وأصوبه. ولذلك قال الله عز وجل: {وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ } [الأنعام: 32] ، أي كل ما يكون في الدنيا هذا لا يساوي شيئًا مما سيكون بعد ذلك في الآخرة {يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا } [غافر: 39] ، أنت ستعيش وقت محدد قدَّره الله عز وجل لك وهي متاع في الآخر، عندما يأتي الأجل انتهى الأمر، انتهى الاختبار، انتهى الامتحان، انتهت الفرصة التي أُعطيت لك في الدنيا، ثم تنتقل بعد ذلك إلى دار أخرى ليس لك فيها شيء تفعله، **[إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ : صدقةٍ جاريةٍ ، وعلمٍ ينتفعُ به ، وولدٍ صالحٍ يدعو له]**؛

ويأتيك بعد ذلك البرزخ؛ إما العذاب وإما النعيم؛ إن كنت من أهل الإسلام ومنَّ الله عز وجل عليك بمغفرة فكان نعيمًا مقيمًا، وإن كان الله من عدله أن يحاسبك على بعض الذنوب والمعاصي فترى عذابًا وترى نعيمًا. وأما إن كان الكافر والمنافق – والعياذ بالله – فهو في عذاب دائم كما قال الله عز وجل عن آل فرعون: {ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ

ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ} [غافر:46] ، فهم في عذاب دائم في برزخ في عذاب غدوًا وعشيًا، وبعد ذلك خلود في العذاب أيضًا في جهنم – والعياذ بالله –. والمؤمن ولله الحمد على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، ولله الحمد على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، فهؤلاء أهل الإسلام مآلهم إلى الجنة، لكننا نطمع في كرم من الله وفضله أن يدخلنا الجنة بغير سابقة عذاب ولا عقاب، وأن يجازينا الله عز وجل بما هو له أهل ولا يجازينا بما نحن له أهل.

والدار الآخرة هي دار القرار؛ دار الاستقرار، هي الحياة الحقيقية، {يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ} [غافر: 39] ، هي النهاية التي يُجازَى فيها الناس على ما عملوا {فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ} [الشورى: 7] ، فأنت لا تخرج عن الانتقال بين دار الدنيا إلى دار البرزخ إلى دار القرار، لكن الحق أن دار البرزخ هي أول منازل الآخرة كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال من نجا في القبر فقد نجا، لأن الموت يأتيك فينقطع الأمر، ليس لك شيء تفعله بعد ذلك.

الفوائد المستنبطة:

قبل أن ندخل في منكر ونكير هناك فوائد مستنبطة حتى لا تذهب منا الأحاديث فيما قرأناه نحتاج أن نمر عليها؛

1- هناك أحاديث فيها ضعف؛ الحديث الثاني حديث: {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} هذا الحديث فيه ضعف، فيه نكارة في هذا الحديث الثاني وهو حديث (التِّنِّينُ)، هذا الذي فيه رواية عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، وإن كان ورد أن الشيخ الألباني حسَّنه وشعيب الأرناؤوط أيضًا، لكن ابن كثير ضعَّف الحديث بل قال منكر جدًا، والحق أن التعويل يكون على المتقدمين حقيقة، لكن ممكن بعد زيادة بحث يتبين.

2- والحديث الثالث أيضًا هذا ضعيف؛ حديث أبي سعيد الخدري: (يُسَلَّطُ عَلَى الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّينًا)، هذا أيضًا الحق أنه ضعيف، وقالوا "درَّاج" هذا ضعيف، (سَمِعْتُ دَرَّاجًا أَبَا السَّمْحِ) هذا ضعيف، فضُعِّف السند به.

3- وحديث مسروق عن عائشة قال: (دَخَلَتْ يَهُودِيَّةٌ) ممكن من الفوائد المستنبطة بأنه لا بأس من زيارة غير المسلم للمسلم، لأن اليهودية جاءت تزور عائشة رضي الله عنها وأرضاها،

وكانت تستقبلها، بل أعطتها شيئًا فدعت لها أن يعيذها الله من عذاب القبر، دخلت عليها العجوز فأعطتها فدعت لها، فيها جواز زيارة غير المسلم للمسلم، ويقبل زيارته ويسمح له بالدخول، بل قد يعطيه أيضًا هدية كما فعلت عائشة، أو تعطيها صدقة، حتى الصدقة تجوز أيضًا عليهما، وهذه دلالة على أنه لم ينكر النبي ﷺ على عائشة لما قالت له زارتها اليهودية (دَخَلَتْ عَلَيْهَا, فَأَمَرَتْ لَهَا بِشَيْءٍ , فَقَالَتْ: أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) دعت لها حتى، فنقول فيها جواز الزيارة – كما قلت ذلك – ولا مانع من الاستقبال، وهذا ليس في الود أو المحبة التي يُنهى عنها، لكنه من باب القسط معهم وقبول زيارتهم إذا زاروا، وممكن اعطاءهم كما قلت.

4- خصوصية النبي ﷺ في أنه سمع العذاب؛ في الحديث الذي بعد ذلك (حَوَائِطِ بَنِي النَّجَّارِ)، وأنه سمع العذاب وهذا لا يسمعه أحد، فهذه كانت معجزة للنبي ﷺ أو وحي أوحي إليه لأن دابته طبعًا سمعت وكانت ستحيد به وتلقيه، لذلك قال: [لَوْلَا أَنْ لا تَدَافَنُوا ، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِن عَذَابِ القَبْرِ الَّذي أَسْمَعُ منه] ، ففيه معجزة للنبي أن الله أسمعه عذاب بعض الأقوام، مع أن الأصل بأن الإنس لا يسمع ذلك.

5- (هَذِهِ أَصْوَاتُ الْيَهُودِ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهِمْ) دلالة على تعذيب الكفار في قبورهم لما خالفوا فيه الشريعة، أو لأنهم كفروا حتى بما جاء على لسان موسى بعد ذلك، أو كفروا بأنهم لم يؤمنوا بالنبي ﷺ بعد ذلك.

6- فيه اثبات العذاب حتى لأهل الإسلام (إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ)، وفي رواية: بل كان كبيرًا، أو إنهما لكبير (أَحَدُهُمَا كَانَ لَا يَسْتَنْزِهُ مِنْ بَوْلِهِ , وَكَانَ الْآخَرُ يُمْشِي بِالنَّمِيمَةِ) وهذه دلالة على أن المرء يُعذَّب بهذه الأمور، وأن عدم الاستنزاه من البول وعدم الاستتار من البول أن هذه معصية من المعاصي يُعذَّب عليها المرء في قبره، إلا أن يشاء الله أن يغفر له، لكن النبي قد أثبت ذلك، ومنها النميمة أيضًا يبين عِظَم هذه وهذه من الكبائر التي يُعذَّب عليها المرء في قبره، على قول بأن هؤلاء لم يكونوا من أهل الكفر بل من أهل الإسلام، لكن يعذبون في قبورهم.

7- هنا توجد مسألة لابد أن أبينها تذكرتها الآن ونحن نتكلم في مسألة أن النبي ﷺ وضع الجريدة؛ (دَعَا بِجَرِيدَةٍ , فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ , وَوَضَعَ عَلَى قَبْرِ كُلِّ مِنْهُمَا كِسْرَةً , فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ , لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا , أَوْ إِلَى أَنْ يَيْبَسَا») وروايات بينت

أكثر من ذلك. قال: (لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا , أَوْ إِلَى أَنْ يَيْبَسَا)، أولًا لابد أن نُكيِّف هذه المسألة: ماذا يُعَد فعل النبي ﷺ هنا في هذا الحديث ؟ الصحيح نقول أن ما فعله النبي ﷺ هو أولًا دعاؤه لهما بالتخفيف، دعاء النبي ﷺ كأنها شفاعة للنبي ﷺ لهما بالتخفيف، وكما قال الخطابي في "معالم السنن": أنه من التبرك بأثر النبي ﷺ. إذًا لابد نضع المسألة أولًا؛ ما فعله النبي ﷺ بأنه دعاء لهما بالتخفيف، أو شفاعة لهما، وتبرك بأثر النبي ﷺ بأنه أخذ جريدة وشقها ثم وضعها، وسُئل عنها قال (مَا لَمْ يَيْبَسَا) كأنه جعل أن الإذن له بالشفاعة أو الدعاء لهما بالتخفيف له مدة، وهذه المدة هي مدة يُبس الجريد. إذًا الدعاء لهما والشفاعة مؤقت بوقت معين، أو تخفيف العذاب لهما مؤقت.

هل كون الجريدة رطب مؤثر أم غير مؤثر؟ هنا النظر لأن هذا هو الذي أدى إلى من وقع في المسألة وعمل بها بعد ذلك، لما سُئل لماذا أنت فعلت ذلك يا رسول الله ﷺ؟ قال لعله يخفف عنهما العذاب، ما هو الذي يخفف عنهما العذاب؟ هل هو الجريد الرطب أم دعاء النبي ﷺ لهما؟ الصحيح أنك تقول بأن دعاء النبي ﷺ هو الذي سيخفف عنهم، لكن مدته أن ييبس هذا الجريد، لكن ليس لرطوبة الجريد أو يُبس الجريد علة في المسألة؛ أي أنه ليس جريد الرطب هو السبب في ذلك لأن كثير من الناس الآن ماذا بيفعلوا؟ يضعون الزرع وطبعًا فيه تشبه أصلًا بالنصارى، وهذا كثير جدًا موجود عندنا، حتى الشيخ أحمد شاكر رحمة الله عليه مفخرة المصريين ومحدث الأمة في زمانه لما كان يعلق على الترمذي صدَّق على كلام الخطابي الذي قلته على أن المسألة ترجع أولًا إلى تخفيف العذاب عنه فهو شفاعة للنبي ﷺ، ودعاء لهما وأُقِّت كأن الوقت فيه بيُبس الجريد الرطب، لكن ليس في الجريد الرطب حكمة في المسألة، ثم قال الشيخ احمد شاكر؛ ويتكلم عن أهل مصر وقتها، أنهم أصبحوا يقلدون النصارى في وضع الزهور على القبور ويتهادون، وهذا طبعًا أصلًا فِعل النصارى في الخارج وفي أي مكان يضعون الزهور على قبورهم وقبور أقاربهم، بل أنت رأيت الآن أن انتقل هذا عند المسلمين، وأنكر الشيخ أحمد شاكر في زمانه قال حتى رأيت أن بعض الناس الذين يأتون إلى زيارة بلاد المسلمين يذهبون ويضعون أكاليل من الزهور على بعض القبور، وذكر حتى في كتابه في تعليقه على سنن الترمذي ما يسمونه الجندي المجهول والأشياء هذه سواء كانت الزهور طبيعية أو زهور صناعية، لكن أصبح تقليدًا أنهم يضعون ذلك، وهذا تشبه بالنصارى. ثم بيَّن كما بيَّن علماؤنا بأن التخفيف لم يكن من أجل نداوة ورطوبة الجريد، طيب قالوا لماذا؟ قالوا لأن المسألة ليست لها علاقة بالرطوبة لسبب؛ هو حديث جابر عند مسلم لما قال:[إِنِّي مرَرْتُ بقَبرينِ يُعذَّبانِ فأحبَبْتُ بشَفاعتي] انتبهوا لهذه الرواية عند مسلم.. [إِنِّي مرَرْتُ

بقبرين يُعذَّبانِ فأحببْتُ بشَفاعتي أنْ يرد عنهما ما دام الغُصنانِ رَطْبَيْنِ]، أظن هذا واضح في التصريح بأن المسألة كانت شفاعة من النبي ﷺ [فأحببْتُ بشَفاعتي أنْ يرد عنهما] العذاب، لكنه مؤقت لأنه لم تكن الشفاعة لهما مستمرة، الله عز وجل قَبِل شفاعة النبي ﷺ لأن الشفاعة لها شروط كما بينا، وجعلها مؤقتة، هم يستحقون العذاب لكن النبي شفع لهم، قال: [ما دام الغُصنانِ رَطْبَيْنِ]، إذًا رفع العذاب كان بسبب الشفاعة وسبب دعاء النبي ﷺ، وليس بسبب النداوة. أنا أقول لكم لماذا أنا بركز على هذه لأننا سنذهب إلى ما قاله السيوطي بعد ذلك وكان فيه مخالفة للصواب التي لابد ألا نقره عليها.

إذًا هنا رفع العذاب كان بالشفاعة والدعاء لا للنداوة، قالوا لماذا؟ قالوا لو كانت أصلًا للنداوة ما احتاج النبي ﷺ أن يشق أصلًا الجريد، قالوا لماذا؟ لأن شق الجريد نصفين سيجعل الجريد ييبس أسرع من لو أراد الرطوبة لأبقى على الجريد من الأول كاملًا ووضع جريدًا ثانيًا كاملًا فيزداد في الرطوبة، فلو كان البحث عن الرطوبة قالوا أن شق الجريد نصفين سيخرج المادة التي فيه فييبس أسرع، فلو كان يريده بمسألة النداوة لوضع إثنين كاملين بدون شق. وللأسف أن البعض يزرع النبات الآن ويضعه حول القبور ظنًا منهم بذلك، والبعض يظن خطأ بأن النداوة تؤثر في التخفيف لأنها تسبح الله عز وجل؛ أي جعلوا النداوة كأنه شيء حي فيسبح فما دام هو حي؛ أي رطب، فيسبح، فالتسبيح هذا يخفف، فإذا ذهبت النداوة وييبس انقطع التسبيح! وهذا يخالف عموم قول الله عز وجل: {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [الإسراء: 44] ، فالتسبيح ليس له علاقة بالنداوة أو اليبوسية، فتخفيف العذاب ليس له علاقة بأن هو رطب أم يابس، وقلت لو كان ذلك ما شقه النبي ﷺ.

ولو كانت النداوة هذه مقصودة لفهم السلف ذلك من فعل النبي ﷺ، ولفهم الصحابة ذلك فكان عليهم حينئذ أن يضعوا الجريد على القبور عند الزيارة لتخفف عن أهلها! ولكن لم يفعل ذلك الصحابة، والمقتضي موجود والمانع منتف، بل فعله النبي ﷺ ولم يفعله الصحابة من بعده، فدل ذلك على أن هذا الفعل كان خاصًا بالنبي لأن الله أطلعه على عذاب هؤلاء فشفع لهم بالدعاء، ووضع ذلك كمدة أُذِن له فيها بالشفاعة؛ لو قلنا ذلك.

وانظروا لماذا نقول هذا الكلام؟ لأن الذين قالوا بالتسبيح ادعوا بأن الجريدة تسبح وأن العذاب يخفَّف بسبب تسبيح الجريدة، والذي قال هذا الكلام منهم السيوطي، فلما قال بهذا الكلام في كتاب له في (شرح الصدور) قاس عليه قياسًا ما يُقبَل، ماذا قال؟ قال: (فإذا خفف عنهما بتسبيح الجريدة فكيف بقراءة المؤمن القرآن؟) وقال أن: (هذا الحديث أصل في غرس الأشجار

عند القبور)، ثم بعد ذلك بعد ما جعله أصل قاس عليه بعلة ما أدري من أين أتى بها وليست لها أي دليل على أن الجريد يسبح والتسبيح يخفف! فقال إذا كان الجريد سيسبح فما بالكم بمن سيقرأ القرآن بجانبه! سيخفف من عليه تمامًا! فقاس ذلك على ذلك. نقول له: "وهل يستقيم الظل والعود أعوج؟" القياس أصلًا باطل، مردود، لو كان قياسك صحيحًا لكان السلف أحرص على ذلك منا، فقد مات أناس كُثُر في عهد النبي ﷺ وبعده وما فعل الصحابة ذلك، لكنه غيب أعلمه الله عز وجل للنبي ﷺ، وهو الذي قال:{ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا* إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ} [الجن: 26-27] ، فالله عز وجل أظهر للنبي ﷺ أن هؤلاء يُعذَّبان، وقَبِل شفاعته لهما ودعائه لهما لفترة وضع الجريد.

فلتعلموا أصل المسألة عند بعض من يرى بجواز القراءة ويأتيها قياسًا على هذا الأمر الذي هو غير مشروع في الوضع أصالة، غير أنه أصبح أيضًا بعد ذلك نُقِل عن النصارى في مسألة الزهور وغير الزهور إلى غيره.

طيب هذه كانت مسألة كان لابد أن نبينها في مسألة الجريد.

ثم قال: (أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي الْبَوْلِ) – نعوذ بالله من ذلك – .

8- أيضًا النبي ﷺ قال: (اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)، هذا الحديث فيه دلالة على أن المرء لابد أن يُكثِر من الاستعاذة من عذاب القبر، وهي سُنة كان النبي ﷺ يفعلها في كل صلاة، حتى ليس في صلاة الفرائض فقط، بل أيضًا في صلاة النوافل والليل كان يحرص على ذلك. وبينا بأن العذاب يسمعه البهائم إلا الإنس والجن.

ندخل في (الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِمَسْأَلَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ)، طبعًا فيه عدة أحاديث التي جاءت أو حديث عمر رضي الله عنه وأرضاه تحديدًا، لكن هو الباب هنا في سؤال منكر ونكير بأنهم الملكان – كما جاءت السنة تبين ذلك – يأتون بعد دفن الميت يأتونه فيسألانه. مسألة أصل منكر ونكير، وهو سؤال الملكين، تكلم فيه أهل العلم هل هو خاص بأمة النبي ﷺ أم عام؟ وما الذي يجعلهم يتكلمون في الخلاف؟ **هل سؤال الملكين خاص بأمة النبي ﷺ أم هو عام للأمم؟ ما وجه الخلاف أصالة، ما الذي جعل أن يكون هناك خلاف؟** أسأل هل ممكن يتدبر أحد؟ ما الذي جعلهم يقولوا أنه خاص بالأمة؟ والبعض يقول أنه عام للأمم جميعًا؟ خاص

بالأمة هنا انتبهوا أقصد الأمة ليست أمة الإجابة، سنقول أمة الدعوة، لكن فيما قبل أمة النبي ﷺ يسألان أم لا يسألان؟

أنا سأقول لكم الآن لماذا اختلفوا في المسألة، لأن الأمم السابقة لما كانت الرسل تأتيهم فلما كانوا يمتنعوا عن الإيمان كان الله عز وجل ينزل عليهم العذاب بعدم إيمانهم بالرسل؛ أي أنه يأتي الرسول فيدعوهم فلا يؤمنوا فيعتزلهم الرسول أو يخرجه الله عز وجل من المكان ثم ينزل العذاب، فهم عُذِّبوا بإنكارهم، فلا يحتاجوا للسؤال لأنهم قد عُذِّبوا بالفعل، فالمسألة ليست العذاب فهم سيعذبوا لكن لن يُسئلوا، لأن بعضهم قال أنهم بالفعل قد أرسل الله عليهم العذاب لأنهم لم يجيبوا سؤال الرسول، ولم يجيبوا الرسالة التي أنزلها الله عز وجل على الرسول التي جائتهم. فقالوا السؤال ليس له فائدة لأنهم بالفعل قد عُذِّبوا أو قد أُخِذوا بعدم سؤالهم، فالسؤال اجابته معلومة – كما يقال –. ولذلك قالوا هذا في الرسل السابقة.

ولما جاء النبي ﷺ جاء للأمة جميعًا، قال سبحانه وتعالى:{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ} [الأنبياء: 107] ، ففيهم المؤمن والمنافق، والله عز وجل أمسك عن عذابهم وقد قُبِض النبي ﷺ وبقي الناس إلى أن يأتيهم يوم القيامة، فأُمسِك عن العذاب الظاهر، أي لن تبتلى الأمة بالعذاب الظاهر، فجاء السؤال بعد الموت لذلك ليميز بين المؤمن وبين المنافق والكافر، فكان السؤال لمن جاء بعد بعثة النبي ﷺ أي هي أمة الدعوة ككل. هؤلاء الذين قالوا بأن السؤال لمنكر ونكير يكون في هذه الأمة خاصة.

والبعض قال وهو الراجح في هذه المسألة والله أعلم بأن السؤال عام للأمة ولغيرها والله أعلم بأن السؤال عام لكل الأمم وليس هناك تخصيص بذلك.

لكن نأتي لمسألة أخرى؛؛ **هل السؤال في القبر للكل؟** سواء للأمة أو الأمم السابقة **أي هل للمؤمن والمنافق والكافر؟ أم السؤال خاص بالمؤمنين والمنافقين، يدخل الكفار أم لا يدخل الكفار؟** أيضًا خلاف؛ بعض أهل العلم قالوا السؤال للمؤمنين والمنافقين فقط، والكافر لا حاجة لسؤاله لأنه كافر فعن ماذا سيُسئل؟ لكن المؤمن والمنافق هو الذي سيُسئل ليظهر المؤمن من المنافق.

لكن القول الثاني وهو الراجح – والله أعلم – في عموم سؤال؛ لأن الله عز وجل قال: {يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ} [إبراهيم: 27] ، فقالوا {ٱلظَّٰلِمِينَۚ} عموم دخل فيه الظلم الأكبر الكفر، ودخل فيه

الفسق، ودخل فيه النفاق وغير ذلك، فقالوا إذًا الكافر يدخل. وعموم آيات سورة الأعراف قال سبحانه وتعالى:{ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ} [الأعراف: 6] ، فقالوا إذا كانوا سيُسئلوا يوم القيامة إذًا يُسئلوا في القبور أيضًا. عموم السؤال في: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } [الحجر: 92-93] .

وفي السنة؛ عن أنس بن مالك حديث النبي ﷺ: [إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ , وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ , إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ , أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ , فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟] إلى آخر الحديث عند البخاري، وفي رواية أخرى: [أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ , وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟] كما جاء في الحديث.

فيها وصف للملكين أسودان أزرقان، وفي الأسماء لهما، وثابت هذا بسؤالهم للعبد يسألوه [مَنْ رَبُّكَ؟] وطبعًا [مَنْ رَبُّكَ؟] هنا معنى الرب يأتي بمعنى الإله لأن المقصود هنا ما الإله الذي عبدته؟ وليس الرب المقصود به بالربوبية فقط الرزق والخلق والإماتة إلى غير ذلك. [وَمَا دِينُكَ؟] يقول: [دِينِيَ الْإِسْلَامُ]، [مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟] يقول محمد ﷺ، قال: [مَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ , وَآمَنْتُ بِهِ , وَصَدَّقْتُ بِهِ]، ثم يأتي الكافر؛ قال وأما العبد الكافر أو الفاجر ويأتيه ملكان فيجلسانه، إلى آخر الحديث.

هنا الرواية التي جاءت عن عمر بن الخطاب حقيقة عظيمة جدًا، لما قال النبي ﷺ: (يَا عُمَرُ كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أُعِدَّ لَكَ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَةُ أَذْرُعٍ) إلى غير ذلك، هو الحديث مرسل حقيقة لكن سنعمل بالرواية الأولى التي هي فيها إرسال. الشاهد أن النبي ﷺ بيَّن له (كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أُعِدَّ لَكَ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَةُ أَذْرُعٍ وَشِبْرٌ فِي عَرْضِ ذِرَاعٍ وَشِبْرٍ؟) إلى أن ذكر له الحديث (وَأَتَاكَ مُسَائِلُ الْقَبْرِ: مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ , أَصْوَاتُهُمَا مِثْلُ الرَّعْدِ الْقَاصِفِ , وَأَبْصَارُهُمَا مِثْلُ الْبَرْقِ الْخَاطِفِ , قَدْ سَدَلَا شُعُورَهُمَا) إلى أن قال: (يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَيَكُونُ مَعِي عقلي الَّذِي هُوَ مَعِي الْيَوْمَ؟) - الله أكبر- (وَيَكُونُ مَعِي عقلي الَّذِي هُوَ مَعِي الْيَوْمَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: إِذَنْ أَكْفِيكَهُمَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى).

سأل أولًا عمر أمعي قلبي الذي هو معي اليوم؟ بعض الناس ونحن صغار كنا لما نسمع هذا الحديث مسألة أنه سيسئل في القبر أنا أذكر كان طول اليوم كأن الإشكال عندنا أننا سننسى الثلاثة؛ الشهادة، وما دينك؟ الإسلام،.. نريد أن نحفظهم لنتذكرهم، كنا صغار، كان الهم كله أننا ممكن أن ننسى لما نُسئل، كأنها مسألة حفظ، فكان المرء يظل يردد حتى عندما يأتيه يكون حافظ، كأن هذا هو الإشكال! لكن عمر رضي الله عنه وأرضاه لما أراد أن يسئل (مَعِي

عقلي؟) إذًا المسألة بتقول أن.. **انتبهوا**.. إيمانك في الدنيا هو الذي سينجيك في القبر، لذلك هو سأله: أمعي عقلي الذي هو معي اليوم؟ فقال نعم، قال: إذن أكفيكهما بإذن الله.

والرواية الثانية قال: **(فِي فِيهِ الْحَجَرُ)** أي كأنه سيلقمه **(فِي فِيهِ الْحَجَرُ)** كما جاءت في أحاديث أخرى، معنى **(فِي فِيهِ الْحَجَرُ)** كأنك ألقمته فأسكته، كناية على أنه لا يستطيع أن يفعل معك شيء. لكن ما قاله عمر رضي الله عنه: **(وَيَكُونُ مَعِي قَلْبِي الَّذِي هُوَ مَعِي الْيَوْمَ؟)** وهذه من يقين عمر رضي الله عنه وأرضاه، بل في رواية أخرى لكن ما ذكرها الشيخ وتحتاج لمراجعة قال: (بل إني سائلهما) – الله أكبر – وتُراجَع أنا ما أذكر لها سندًا الآن، قال (بل إني سائلهما) أي أن عمر هو الذي سيسأله، ونعم حُق لعمر أن يقول ذلك، وهذا لا يمنع أن عمر كان يخشى على نفسه، فلما طُعن عمر قال لابنه ضع خدي على التراب فإني لست بأمير للمؤمنين اليوم يا ليت أم عمر لم تلد عمر، هذا عمر الذي قال للنبي ﷺ: **(إِذَنْ أَكْفِيكَهُمَا بِإِذْنِ اللَّهِ)**، وفي رواية: **(فِي فِيهِ الْحَجَرُ)**، ومع ذلك لما يأتي الموت فالأمر ليس بالهين.

وأنا قلت أن الحديث فيه إرسال؛ أنه مرسل، ومعنى أن نقول مرسل فالارسال ضعف، أنا قلت هو مرسل لكن سنقول به مع أن الحافظ قال أن رجاله ثقات، مع الارسال لكن رجاله ثقات، فأنا بينت أنه مرسل حتى لا تقولوا أنه ضعيف بعد ذلك، فمعنى مرسل أن الارسال ضعف. والحديث الثاني الحديث الذي قال فيه عمر **(فِي فِيهِ الْحَجَرُ)** الشيخ أحمد شاكر في المسند صححه، وشعيب الأرناؤوط، قال أنه حسن لغيره، والشيخ الألباني حسنه، ومع ذلك البعض قال أن فيه ضعف في اسناده أيضًا. فالشاهد من ذلك بأن عمر رضي الله عنه وأرضاه الأهم أنك تكون في الدنيا على هذا الإيمان الراسخ.

هناك مسائل معنا نكمل بها المبحث، ولعل الفوائد التي في الأحاديث تقريبًا أغلبها بيناها وكانت فائدة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه بأن المرء يحرص ما يحرص على أن يكون التثبيت له أو الإيمان له في الدنيا هو الذي سينفعه في القبر، وهذا الذي يستصحبه معه، فالمرء إن أراد أن ينجي نفسه فعليه أن ينجي نفسه في الدنيا أولًا بأنه يكون من أهل الإيمان الثابت، وأنه يفعل ما يفعله من الطاعات، ويفعل ما يفعله بأن يرسخ الاعتقاد، فيثبته الله عز وجل كما جاء في الآية: {يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ} [إبراهيم: 27] ، فمدار الأمر على الدنيا؛ بأن المرء إذا أثبت إيمانه في الدنيا وكان عنده الصدق بالله عز وجل وبأركان الإيمان يثبته الله عز وجل.

وطبعًا الحديث فيه بيان ما يراه من نعيم في القبر وهو من نعيم الجنة، والعياذ بالله ما يكون من عذاب في القبر وهو من عذاب النار أيضًا كما جاءت الروايات تبين ذلك حتى ما نعيد قراءتها مره أخرى.

وفيها مسألة نحتاج أن نتكلم عنها بما أننا نتكلم عن القبر نتمم المباحث بمسألة أن كل الأجساد تُبلى في القبور إلا أجساد الأنبياء؛ والدلالة على ذلك حديث أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: [إنَّ من أفضلِ أيَّامِكُم يومَ الجمعةِ فيهِ خُلِقَ آدمُ وفيهِ قُبِضَ وفيهِ النَّفخةُ وفيهِ الصَّعقةُ فأكثِروا عليَّ منَ الصَّلاةِ فيهِ فإنَّ صلاتَكُم معروضةٌ عليَّ قالَ قالوا يا رسولَ اللَّهِ وَكَيفَ تُعرَضُ صلاتُنا عليكَ وقد أرِمتَ يقولونَ بليتَ فقالَ إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ حرَّمَ علَى الأرضِ أجسادَ الأنبياءِ] ، فنقول أجساد الأنبياء حُرِّمَت، فهل هناك قياس على الأنبياء؟ الدليل جاء في أجساد الأنبياء، والشهداء بعضهم قال بذلك، هو الشهيد يُبلَى لكن قد يتأخر؛ يُبلَى لكن مع طول المدة كما قال جابر في أبيه عبد الله بن حرام لما أراد أن ينقله. وقلنا ليس وجود بعض الكرامات في تأخير بقاء الجسد أنه لا يُبلَى، نحن نتكلم على نص صريح كما قال النبي ﷺ بأن أجساد الأنبياء لا تُبلى، وعندنا نص آخر أن كل شيء يُبلى، قال النبي ﷺ عند البخاري ومسلم: [يَبلى كُلُّ شيءٍ مِنَ الإنسانِ إلَّا عَجْبَ ذَنَبِه، فيه يُرَكَّبُ الخَلقُ]، هذا عموم أم لا؟ من أراد أن يخصص فليخصص بدليل لأن التخصيص جاء في الأنبياء في حديث النبي ﷺ، والعموم [يَبلى كُلُّ شيءٍ مِنَ الإنسانِ إلَّا عَجْبَ ذَنَبِه، فيه يُرَكَّبُ الخَلقُ]، ظاهر ذلك أن جميع بني آدم تأكلهم الأرض، وكل ما يؤكل إلا عجب الذنب، عموم وخُصِّص بالأنبياء، وقلت بعض أهل العلم قالوا بالشهداء أن لا تأكلهم الأرض، وقال ابن عبد البر ذلك في "التمهيد". والبعض استدل بذلك على ما حدث في شهداء أحد، ومنهم قول جابر طبعًا عن عبد الله بن حرام لما أرادوا أن ينقلوه والسيل جاء، فبعضهم قالوا أنهم وجدوا ذلك. لذلك قالوا إذا كان النبي قال أن الأرض لا تأكل عجب الذنب فجاز ألا تأكل الشهداء. لكن لا يوجد دليل حقيقة صريح على أن الشهيد لا تأكله الأرض، ومن باب أولي طبعًا الولي والكرامات والصالحين والصديقين كما تقولون ما أعلم دليلًا ولا يوجد دليل صريح، لكن ممكن تحدث كرامات؟ ممكن، يتأخر أن يبلى الجسد أو أن الأرض تأكل الجسد، نعم، وهناك وقائع حدثت، هناك وقائع موجودة كما قلنا حديث جابر في والده وغير ذلك، لكن نتكلم عن مسألة أنها جاءت صريحًا أن كل شيء يبلى إلا أجساد الأنبياء، فالمسألة في الجزم لا يكون؛ أي لا يمكن أن نجزم بها، أما أن يحدث استثناءات فقد يكون موجود، وقد تكون كرامة لهم في تأخير ذلك أو بقائها لفترة فهذه ممكنة.

هل الأطفال يُمتحنون في قبورهم؟

هل الكل يُمتحن في القبر؟ الكبير والصغير؟ هل الأطفال يمتحنون في قبورهم؟ هذه على خلاف بين أهل العلم؛

هناك من قال بأن الاطفال يُسئلون في القبور كغيرهم من الكبار، وقالوا لأن الطفل كان يؤمر بالصلاة ومميز، وجاءت نصوص أن النبي ﷺ في حديث أنس لما صلى النبي ﷺ على صبي قال:[لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي]، طبعًا يوجد خلاف في السند لكن البعض صححه. وفي حديث أبي أيوب الأنصاري قال:[لو أُفْلَتَ أحدٌ من ضَمَّةِ القبرِ، لأُفْلَتَ هذا الصبيُّ] وصححه أيضًا أهل العلم. وفي رواية أخرى النبي ﷺ أيضًا دعا لصبي قال: [اللَّهمَّ أَعِذْهُ مِن عذابِ القبرِ]، فالبعض قال بأن هذا دعاء من النبي ﷺ وبين بأنهم سيُسئلون لكن هم لن يحاسبوا، وقالوا ستُكمل لهم عقولهم ليعرفوا منزلتهم ويلهموا الجواب؛ أي كأنهم سيُسئلون لكن يلهموا الجواب، لأنه قالوا أن الصغار في الآخرة سيمتحنون، فكذلك لا يمنع في القبر أنهم يُمتحنوا إذا كانوا سيُمتحنوا في الآخرة.

والبعض قال السؤال ليس للصغار، لكن السؤال للكبار فقط الذين بلغوا التكليف وطولبوا بالرسالة وفهموا، والذين سيسئلون عن طاعة النبي ﷺ، والإيمان بالله والدين إلى غير ذلك، لأن الصغار لا معنى لسؤالهم لأنهم لم يطالَبوا ولم يُكلفوا، فلا فائدة من السؤال. وتوجيه أن النبي دعا: [اللَّهمَّ أَعِذْهُ مِن عذابِ القبرِ] قالوا توجيه ذلك مع الحديث الأول الضم بأن النبي ﷺ دعا على أنه لا يتألم من ضمة القبر وإلا الكل سيُضم، لكن كأن النبي ﷺ يدعو له بألا يتألم من ذلك أو يتوجع، وليست عقوبة، لأن ضمة القبر كما قال النبي ﷺ: [لو نجا منها أحدٌ لنجا منها سعدُ بنُ معاذٍ]، فكأن الدعاء حتى لا يتألم ولا يتوجع ولا يقصد به العقوبة. لذلك لك أن تدعو للطفل وأن تقول له أن يقيه الله عذاب القبر، أو ينجيه، أو يسعده، إلى غير ذلك.

الأسباب المؤدية لعذاب القبر:

نختم بمسألة الأسباب التي تنجي الإنسان من عذاب القبر، والأسباب التي- والعياذ بالله- تجعل المرء يُعذَّب في قبره؛ ولاشك بأن الذي يُعذَّب في قبره العذاب الدائم سيكون بسبب الكفر، وأما العذاب المتقطع الذي هو يكون من أهل الإسلام فتكون بسبب المعاصي الذي فعلها في الدنيا والتي ذُكِر بعضها بأحاديث خاصة؛

1- حديث النبي ﷺ [إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ] فكان بسبب النميمة وعدم الاستطهار من البول.

2- وأيضًا كما جاءت السنة في الرجل الذي غل من الغنائم الشملة ثم لما مات فقالوا مات شهيدًا، فقال النبي ﷺ: [والذي نَفسي بيَدِه، إنَّ الشَّملةَ التي أصابَها يومَ خَيبَرَ مِنَ المَغانِمِ لَم تُصِبْها المَقاسِمُ لَتَشتَعِلُ عليه نارًا، فجاءَ رَجُلٌ حينَ سَمِعَ ذلك مِنَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بشِراكٍ أو بشِراكَينِ فقال: هذا شَيءٌ كُنتُ أصَبتُه، فقال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: شِراكٌ أو شِراكانِ مِن نارٍ]، فهذا بيسمى الغلول؛ الغلول أن يأخذ شيء ليس من حقه كما فعل هذا الرجل يأخذ من الغنائم التي لابد أن تكون للمسلمين، فالنبي قال: [لَتَشتَعِلُ عليه نارًا]. فكان الغلول من أسباب عذاب القبر – والعياذ بالله –.

3- وأيضًا كما في حديث سمرة بن جندب عند البخاري أن النبي ﷺ رأى رؤيا، فصلى ثم قال: [هل رَأى أحَدٌ منكم رُؤيا؟] فقالوا لا، قال: [لَكِنِّي رَأيتُ اللَّيلةَ رَجُلَينِ أتَيانِي فأخَذا بيَدي، فأخرَجاني إلى الأرضِ المُقدَّسةِ، فإذا رَجُلٌ جالِسٌ، ورَجُلٌ قائِمٌ، بيَدِه كَلُّوبٌ مِن حَديدٍ] الحديث هذا أنه رأى صنفان من الناس أحدهما [رَجُلٌ قائِمٌ على رَأسِه بفِهرٍ أو صَخرةٍ فيَشدَخُ به رَأسَه] ، والثاني أيضًا كلما اقترب يلقمه الحجر، ثم لما سأل عن ذلك قالوا عن من كان في النهر كان أول لما يخرج يُلقم حجرا فينزل النهر كان هذا آكل الربا، والصنف الثاني كانوا الزناة – والعياذ بالله – وهؤلاء يُعذَّبون في قبورهم قبل أن يُعذَّبون في النار. فهذا أيضًا من الأسباب المعذبة.

4- رابعًا؛ ولا أقول عذابًا لكنه حبس للمدين في قبره، فالبعض يقول أنه يُعذَّب، ما نقول عذابًا لكنه حبس للمدين، طيب ما الفرق؟ حبس ممكن يكون حبس عن النعيم؛ أي يُحبَس في قبره بسبب الدَين، حتى الشهيد مع ما فيه من مناقب لكن الدَين يحبسه، فحبس المدين في قبره يكون بدينه، وقلت الضرر أنه يُمنع عن النعيم فيُحبس بسبب ذلك.

5- ثم أيضًا قالوا عذاب الميت ببكاء أهله؛ وهذه طبعًا فيها خلاف بين العلماء –لن نتطرق فيه للوقت – عذاب الميت ببكاء أهله عليه إن كان لم ينهاهم عن ذلك في الدنيا أو أمرهم بذلك قبل موته، وإلا الأصل أنه ليس المسؤول عن بكاء أهله عليه إن كان حذرهم من ذلك وقد أعلمهم أن هذا لا يجوز، قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا} [التحريم:6] ، طيب لماذا؟ لأنه لو كان من سنته النياحة وكان يقول بذلك ولا ينهى عنه مع أن الأصل {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ } [الأنعام: 164] نعم لكن نقول لأنه لم ينهاهم عن ذلك، ولم يُعلمهم بذلك، أو كان يقر بذلك في الدنيا، فبكائهم ونياحتهم عليه يتأثر بذلك.

الأسباب المنجية من عذاب القبر:

هذه الأصل فيها الأول الإيمان؛ أن المرء يكون مؤمنًا إيمانًا حقًا، هذا المجمل؛ أن يكون من أهل الإيمان، وأما التفصيل فقد جاءت سنن بينها النبي ﷺ تنجي المرء من عذاب القبر؛ منها:

1- قراءة سورة تبارك ثلاثين آية في كل ليلة، إذا مات من ليلته يؤمَّن من فتنة القبر.

2- أعظمها الشهيد؛ نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الشهادة في سبيله، فالشهيد له ست خصال ومنها أن يجار من عذاب القبر، وقد قال النبي ﷺ: [كفى ببارقةِ السُّيوفِ على رأسِه فتنةً]، غير الست خصال الأخرى التي بيناها من قبل.

3- الرباط في سبيل الله؛ من يرابط يومًا على حدود المسلمين بين المسلمين والكفار، قال النبي ﷺ: [رباطُ يومٍ وليلَةٌ خيرٌ مِن صيامِ شهرٍ وقيامِهِ ، وإنْ ماتَ مُرابِطًا جَرَى علَيْهِ عمَلُه الذي كان يعملُهُ ، وأُجْرِيَ عليه رِزْقُهُ ، وأَمِنَ مِنَ الفتَّانِ] الذي هو فتنة القبر، والرباط يكون على حدود المسلمين مع الكفار، فيقف ليلة يرابط يحمي ثغور المسلمين فهذه أيضًا من الأعمال التي تنجي المرء من عذاب القبر.

هذه أغلب المسائل التي كنا نحتاج إليها في هذا المبحث، لعلنا قد أتينا بما نستطيع فيه، ونقف عند (كِتَابُ التَّصْدِيقِ بِالدَّجَّالِ, وَأَنَّهُ خَارِجٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ) و(اسْتِعَاذَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ)، وبعد ذلك عندنا أيضًا (بَابُ الْإِيمَانِ بِنُزُولِ عِيسَى) إلى غير ذلك من الأبواب إن شاء الله تكملة لمسألة الغيبيات والإيمان باليوم الآخر.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الثامنة والستون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – هذا الكتاب المبارك نسأل الله عز وجل أن ييسر لنا اتمامه وأن ينفعنا بما نتعلمه من هذا الكتاب وبما نتدارسه، وهو من أجَلّ وأعظم الكتب في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، وأيضًا في وضع طالب العلم على الأصول والضوابط التي خالف فيها المبتدعة أهل السنة والجماعة، فما ترك شيئًا؛ فغالب المسائل العقائدية التي ضل فيها من ضل من المبتدعة وخالفوا أهل السنة والجماعة إلا وقد بينها وتعرض لها وبيَّن الخلاف فيها. وميزة هذا الكتاب – كما قلنا – بأنه قائم أصالة على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والآثار، فكان هذا كتاب عظيم النفع جدًا ينبغي لكل طالب علم أنه يدرسه ويتدارسه ويعيده أكثر من مرة ويتقن مسائله.

وقفنا عند بعض الأبواب التي ذكرها المؤلف من أشراط الساعة، فسيبدأ في الكلام عن المسيح الدجال، وعن نزول المسيح عليه السلام؛ مسيح الحق، وبعد ذلك أيضًا بعض المسائل الخاصة

كالميزان، والجنة والنار مخلوقتان، وهل تفنى أم لا تنفنى؟ إلى غير ذلك من المسائل المتعلقة إما بأشراط الساعة أو إما بما يكون في اليوم الآخر؛ يوم القيامة، هذه بعض الأبواب التي سنتطرق إليها الآن.

سنبدأ إن شاء الله بـ (كِتَابُ التَّصْدِيقِ بِالدَّجَّالِ, وَأَنَّهُ خَارِجٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ)، و(بَابُ اسْتِعَاذَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَتَعْلِيمِهِ لِأُمَّتِهِ أَنْ يَسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ)، ويريد أن يشير لك أن هناك بعض الطوائف كما سيأتي مع الجهمية والمعتزلة وغير ذلك بأن أنكروا وجود المسيح الدجال أنه سيأتي حقيقة ويكون موجودًا وجعلوه من باب الخيالات والأوهام، بخلاف أهل السنة والجماعة الذين أثبتوا ذلك لما جاء فيه من الكتاب إشارة، ومن السنة تصريحًا، ولذلك الشيخ بيذكر هذه الأبواب لأن أيضًا فيها مخالفة سيبين كما قلت لكم لأن هناك فرق خالفت أهل السنة والجماعة في ذلك، فأراد أن يثبِّت العقيدة عند طلاب أهل السنة والجماعة ليعلموا أن هذه المسائل مستقرة عند أهل السنة والجماعة، ومن خالف فيها فهو من الطوائف التي ابتدعت.

فنبدأ بالقراءة؛؛

72- كِتَابُ التَّصْدِيقِ بِالدَّجَّالِ, وَأَنَّهُ خَارِجٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ

73- بَابُ اسْتِعَاذَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَتَعْلِيمِهِ لِأُمَّتِهِ أَنْ يَسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ

868 - أَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ أَبُو بَكْرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ حِسَابٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ, عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ, عَنْ أَبِيهِ, عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ, وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ, وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ, وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ, وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى, وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ, وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»

869 - أَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ, عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ, عَنْ أَبِيهِ, عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ, وَعَذَابِ النَّارِ, أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ, وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ

فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ , وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ , وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»

870 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ قَالَ: أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ , عَنْ هِشَامٍ , عَنْ أَبِيهِ , عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ , ذَكَرَ فِيهِنَّ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ , وَلَهُ طُرُقٌ جَمَاعَةٌ

871- وَأَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا: إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ , عَنْ بُدَيْلِ بْنِ مَيْسَرَةَ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ , وَعَذَابِ الْقَبْرِ , وَالْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»

872 - وَأَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي , عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ , وَشَرِّ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ , وَشَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»

873 - حَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنٍ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الرَّقِّيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى يَعْنِي ابْنَ يُونُسَ , عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ , عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ , عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَائِشَةَ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ , فَلْيَتَعَوَّذْ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ , وَعَذَابِ الْقَبْرِ , وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ , وَفِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ"

874 - أَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْهِقْلُ بْنُ زِيَادٍ , عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ , عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ , عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَائِشَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ , يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ , فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ , وَعَذَابِ جَهَنَّمَ , وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ , وَشَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ , ثُمَّ لِيَدْعُ لِنَفْسِهِ بَعْدُ بِمَا شَاءَ" وَلِهَذَا الْحَدِيثِ طُرُقٌ جَمَاعَةٌ

875 - وَأَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ , عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ , عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ , عَنْ طَاوُسٍ , عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ , كَمَا

يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ وَيَقُولُ: «قُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ , وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ , وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ , وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»

876 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ مِثْلَهُ.

877- وَأَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: أَنْبَأَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى , عَنْ شَيْبَانَ , عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي سَلَمَةَ , عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ , وَعَذَابِ الْقَبْرِ , وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ , وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَقَدِ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الدَّجَّالِ , وَعَلَّمَ أُمَّتَهُ أَنْ يَسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مِنْهُ وَقَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ الدَّجَّالَ , وَوَصَفَهُ لَهُمْ , فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَحْذَرُوهُ وَيَسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ زَمَانٍ يَخْرُجُ فِيهِ الدَّجَّالُ , فَإِنَّهُ زَمَانٌ صَعْبٌ , أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهُ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ قَدْ خُلِقَ , وَهُوَ فِي الدُّنْيَا مُوثَقٌ بِالْحَدِيدِ إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي يَأْذَنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِخُرُوجِهِ

878 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى الْهَرَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ , عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ , عَنِ الْحَسَنِ , عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ , وَمَشَى فِي الْأَسْوَاقِ» يَعْنِي الدَّجَّالَ

879 - وَحَدَّثَنَا أَيْضًا مُوسَى بْنُ هَارُونَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ , عَنِ ابْنِ جُدْعَانَ , عَنِ الْحَسَنِ , عَنْ أَبِي مَعْقِلٍ , : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ , وَمَشَى فِي الْأَسْوَاقِ» يَعْنِي الدَّجَّالَ

880 - وَحَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَنْبَأَنَا حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ , عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ , عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ , مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ»

881 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ , وَكَثِيرُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَا: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ , عَنْ بَحِيرٍ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ عَنْ خَالِدٍ يَعْنِي ابْنَ مَعْدَانَ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْأَسْوَدِ , عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ , عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا , إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ أَفْحَجُ دَعْجٌ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ , لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ وَلَا جَحْرَاءَ فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ , وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى تَمُوتُوا»

882 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عُثْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ يَعْنِي ابْنَ رَبِيعَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا السَّيْبَانِيُّ يَعْنِي أَبَا عَمْرٍو عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيِّ , عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , فَكَانَ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ مَا يُحَدِّثُنَا عَنِ الدَّجَّالِ , وَيُحَذِّرُنَاهُ, وَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ, إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَعْظَمُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ, وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَهُ أُمَّتَهُ , وَأَنَا آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ , وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لَا مَحَالَةَ , فَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ , فَأَنَا حَجِيجُ كُلِّ مُسْلِمٍ , وَإِنْ يَخْرُجْ مِنْ بَعْدِي فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ , وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»

883 - وَحَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ لُوَيْنٌ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ , عَنْ أَيُّوبَ , عَنْ نَافِعٍ , عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَكَرَ الدَّجَّالَ يَوْمًا , فَقَالَ: «إِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى , كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»

884 - أَنْبَأَنَا أَبُو مُسْلِمٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَشِّيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدِينِيُّ قَالَ: أَنْبَأَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ جَابِرٍ الطَّائِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ , عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ الْحَضْرَمِيِّ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ , فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ , حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ , فَمَا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا , فَسَأَلْنَا فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ , ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ الْغَدَاةَ , فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ , حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ , فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ , فَإِنْ يَخْرُجْ , وَأَنَا فِيكُمْ , فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ , وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ , فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ , وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

885 - وَحَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ هِشَامٍ الْبَزَّارُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو شِهَابٍ الْحَنَّاطُ , عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ , عَنْ مُجَالِدٍ , عَنِ الشَّعْبِيِّ , عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ قَالَتْ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرَ وَكَانَ لَا يَصْعَدُ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ إِلَّا يَوْمَ جُمُعَةٍ , أَوْ كَمَا قَالَتْ , فَاسْتَنْكَرَ النَّاسُ ذَلِكَ , فَبَيْنَ قَائِمٍ وَجَالِسٍ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ: "أَنِ اجْلِسُوا , فَإِنِّي لَمْ أَقُمْ مَقَامِي هَذَا لِأَمْرٍ يُنَغِّصُكُمْ لِرَهْبَةٍ وَلَا لِرَغْبَةٍ , وَلَكِنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ أَتَانِي , فَأَخْبَرَنِي خَبَرًا مَنَعَنِي الْقَيْلُولَةَ مِنَ الْفَرَحِ وَقُرَّةِ الْعَيْنِ , أَلَا إِنَّ بَنِي عَمٍّ لِتَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَكِبُوا فِي الْبَحْرِ , أَخَذَتْهُمْ عَاصِفٌ فِي الْبَحْرِ , فَأَلْجَأَتْهُمْ إِلَى جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ لَا يَعْرِفُونَهَا , فَقَعَدُوا , وَقَالَ خَلَفٌ مَرَّةً أُخْرَى: فَرَكِبُوا فِي قَوَارِبِ السَّفِينَةِ , ثُمَّ خَرَجُوا فَصَعِدُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ , فَإِذَا هُمْ بِشَيْءٍ أَسْوَدَ أَهْدَبَ , كَثِيرِ الشَّعْرِ , فَقَالُوا لَهَا: مَا أَنْتِ؟ قَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ , فَقَالُوا لَهَا: أَخْبِرِينَا عَنِ النَّاسِ , فَقَالَتْ: مَا أَنَا بِمُخْبِرَتِكُمْ شَيْئًا , وَلَا سَائِلَتِكُمْ عَنْهُ , وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الدَّيْرِ فَأْتُوهُ , فَإِنَّ فِيهِ رَجُلًا بِالْأَشْوَاقِ إِلَى أَنْ يُخَابِرَكُمْ وَتُخَابِرُوهُ , فَأَتَوْهُ فَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ , فَدَخَلُوا , فَإِذَا هُمْ بِشَيْخٍ مُوثَّقٍ شَدِيدِ الْوَثَاقِ , شَدِيدِ التَّشَكِّي , مُظْهِرٍ لِلْحُزْنِ , فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ نَبَأْتُمْ؟ فَقَالُوا: مِنَ الشَّامِ قَالَ: فَمَا فَعَلَتِ الْعَرَبُ؟ قَالُوا: نَحْنُ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ عَمَّ تَسْأَلُ؟ قَالَ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي خَرَجَ؟ فَقَالُوا: خَيْرًا نَاوَأَهُ قَوْمُهُ , فَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ , فَأَمْرُهُمْ جَمِيعٌ , وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ , وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ , وَإِلَهُهُمْ وَاحِدٌ قَالَ: ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ , فَقَالَ: مَا فَعَلَتْ عَيْنُ زُغَرَ؟ فَقَالُوا: يَشْرَبُونَ مِنْهَا لِشَفَتِهِمْ , وَيَسْقُونَ مِنْهَا زُرُوعَهُمْ قَالَ: مَا فَعَلَ نَخْلُ مَا بَيْنَ عُمَانَ وَبَيْسَانَ؟ فَقَالُوا: يُطْعِمُ جَنَاهُ كُلَّ حِينٍ قَالَ: مَا فَعَلَتْ بُحَيْرَةُ الطَّبَرِيَّةِ؟ فَقَالُوا: يَدْفُقُ جَانِبَاهَا مِنْ كَثْرَةِ الْمَاءِ قَالَ: فَزَفَرَ عِنْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَ زَفَرَاتٍ , ثُمَّ قَالَ: إِنِ انْفَلَتُّ مِنْ وَثَاقِي هَذَا: لَمْ أَدَعْ أَرْضًا إِلَّا وَطِئْتُهَا بِرِجْلَيَّ هَاتَيْنِ , إِلَّا طَيْبَةَ لَيْسَ لِي عَلَيْهَا سُلْطَانٌ " فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِلَى هَذَا انْتَهَى فَرَحِي , هَذِهِ طَيْبَةُ يَعْنِي: الْمَدِينَةَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا فِيهَا طَرِيقٌ وَاحِدٌ , ضَيِّقٌ وَلَا وَاسِعٌ , سَهْلٌ وَلَا جَبَلٌ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ شَاهِرٌ سَيْفَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"

886- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ الْفَلَّاسُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ , عَنْ مُجَالِدٍ , عَنْ عَامِرٍ قَالَ: حَدَّثَتْنِي فَاطِمَةُ بِنْتُ قَيْسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الظُّهْرَ , ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ , وَكَانَ لَا يَصْعَدُ

عَلَيْهِ إِلَّا يَوْمَ جُمُعَةٍ قَبْلَ ذَاكَ الْيَوْمِ , فَاسْتَنْكَرَ النَّاسُ ذَلِكَ , فَمِنْ بَيْنَ قَائِمٍ وَجَالِسٍ , فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ: أَنِ اجْلِسُوا فَقَالَ: "إِنِّي وَاللَّهِ مَا قُمْتُ مَقَامِي هَذَا بِأَمْرٍ يَنْهَمُكُمْ رَغْبَةً وَرَهْبَةً , وَلَكِنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي خَبَرًا مَنَعَ مِنِّي الْقَيْلُولَةَ مِنَ الْفَرَحِ , فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَنْشُرَ عَلَيْكُمْ فَرَحَ نَبِيِّكُمْ , إِنَّ بَنِي عَمٍّ لِتَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَخَذَتْهُمْ عَاصِفَةٌ فِي الْبَحْرِ , فَأَلْجَأَتْهُمُ الرِّيحُ إِلَى جَزِيرَةٍ لَا يَعْرِفُونَهَا فَقَعَدُوا عَلَى قَوَارِبِ السَّفِينَةِ , فَصَعِدُوا إِلَيْهَا فَإِذَا هُمْ بِشَيْءٍ أَهْدَبَ أَسْوَدَ , كَثِيرِ الشَّعْرِ فَقَالُوا: مَا أَنْتَ؟ قَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ , فَقَالُوا: أَخْبِرِينَا , قَالَتْ: مَا أَنَا بِمُخْبِرَتِكُمْ وَلَا سَائِلَتِكُمْ , وَلَكِنْ هَذَا الدَّيْرُ قَدْ رَهِقْتُمُوهُ , وَفِيهِ رَجُلٌ هُوَ بِالْأَشْوَاقِ إِلَى أَنْ تُخْبِرُوهُ وَيُخْبِرَكُمْ , فَعَمَدُوا حَتَّى أَتَوْهُ , فَاسْتَأْذَنُوا , فَإِذَا هُمْ بِشَيْخٍ مُوثَقٍ , شَدِيدِ الْوَثَاقِ , مُظْهِرِ الْحُزْنِ , شَدِيدِ التَّشَكِّي , فَقَالَ لَهُمْ: مِنْ أَيْنَ نَشَأْتُمْ؟ قَالُوا مِنَ الشَّامِ قَالَ: مَا فَعَلَتِ الْعَرَبُ؟ قَالُوا: نَحْنُ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ , عَمَّ تَسْأَلُ؟ قَالَ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي خَرَجَ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا , نَاوَأَهُ قَوْمٌ , وَصَدَّقَهُ قَوْمٌ , فَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ قَالَ: فَدِينُهُمْ وَاحِدٌ وَإِلَهُهُمْ وَاحِدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ قَالَ: مَا فَعَلَتْ عَيْنُ زُغَرَ؟ قَالُوا: خَيْرًا , يَشْرَبُونَ , وَيَسْقُونَ مِنْهَا زُرُوعَهُمْ قَالَ: فَمَا فَعَلَ نَخْلُ بَيْنَ عُمَانَ وَبَيْسَانَ؟ قَالُوا: يُطْعِمُ جَنَاهُ كُلَّ عَامٍ قَالَ: مَا فَعَلَتْ بُحَيْرَةُ الطَّبَرِيَّةِ؟ فَقَالُوا: يَدْفُقُ جَنْبَاهَا , كَثِيرَةُ الْمَاءِ قَالَ: فَزَفَرَ عِنْدَ ذَلِكَ , ثُمَّ زَفَرَ , ثُمَّ زَفَرَ , ثُمَّ قَالَ: لَوْ قَدِ انْفَلَتُّ مِنْ وَثَاقِي هَذَا لَمْ أَتْرُكْ أَرْضًا إِلَّا وَطِئْتُهَا بِرِجْلَيَّ هَاتَيْنِ , إِلَّا أَنْ تَكُونَ طَيْبَةَ فَلَيْسَ لِي عَلَيْهَا سُلْطَانٌ , فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا فِيهَا طَرِيقٌ ضَيِّقٌ وَلَا وَاسِعٌ , وَلَا سَهْلٌ وَلَا جَبَلٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ شَاهِرٌ بِالسَّيْفِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلِهَذَا الْحَدِيثِ طُرُقٌ جَمَاعَةٌ , حَدَّثَنَاهُ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ , فِي كِتَابِ «الْمَصَابِيحِ»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، هنا بدأ المصنف في التكلم كما قلنا عن ذكر هذه الأبواب وهي من أشراط الساعة، فهذه بعض من أشراط الساعة. وأشراط الساعة كما هو معلوم هي علامات قبل قيام يوم القيامة؛ قبل قيام الساعة، والأشراط هي العلامات، وأشراط الساعة أي علامات الساعة التي تدل على قرب قيام الساعة.

وقد ثبت أن للساعة أشراط من الكتاب ومن السنة، كقوله تعالى:{ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ} [محمد: 18] ، فهنا أشراط

الساعة هذه أمارات وعلامات بينها الله عز وجل في الكتاب أو في السنة تمهيدًا لقرب قيام الساعة.

والساعة أولًا تعريفها جزء من أجزاء الليل أو النهار، وجمعها ساعات. والساعة هي الوقت، والمقصود به بالساعة أي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وقيل سميت ساعة لسرعة الحساب، الوقت قليل لكنها لسرعة الحساب، ولأنها تفاجئ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة، ثم يبعثهم الله عز وجل ويقوم الحساب، قال سبحانه وتعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ} [الروم: 55] ، فالمقصود هنا أي الوقت الذي تقوم فيه القيامة.

أشراط الساعة:

أشراط الساعة كما هو معلوم لكم ذُكِرت بعضها في الكتاب، وبعضها جاءت في السنة؛

- **الأدلة من الكتاب:**

سئل عنها النبي ﷺ كما جاء في الكتاب قال:{ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ} [الأعراف: 187] ، وأيضًا من قوله تعالى:{ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ } [محمد: 18] ، وقال تعالى:{ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ} [القمر: 1] ، وأيضًا: {ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ} [الأنبياء: 1] . كل هذه أدلة على قرب الساعة. وقد جاءت بعض علامات الساعة في القرآن؛ كخروج يأجوج ومأجوج، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام أيضًا، وسيأتي الكلام عن عيسى عليه السلام في الباب القادم.

- **الأدلة من السنة:**

وجاءت السنة باثبات أشراط الساعة؛ كما في حديث جبريل المشهور لما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، ثم سأله عن الساعة، فقال: [ما المسئولُ عنها بأعلمَ من السَّائلِ قالَ :فما أمارتُها قالَ أن تلدَ الأمةُ ربَّتَها وأن ترى الحفاةَ العراةَ العالةَ رعاءَ الشَّاءِ يتطاولونَ في البنيانِ] إلى آخر ما قال.

وجاءت السنة بأحاديث أخرى؛ كحديث عوف بن مالك لما رجع النبي ﷺ من غزوة تبوك وقال: [اعدُدْ ستًّا بينَ يَدَيِ السَّاعةِ: موتي، ثُمَّ فتحُ بيتِ المَقدِسِ، ثُمَّ موتانٌ يأخُذُ فيكُم كَقُعاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ استِفاضةُ المالِ حتَّى يُعطى الرَّجُلُ مِئةَ دينارٍ فيَظَلُّ ساخِطًا، ثُمَّ فِتنةٌ لا يَبقى بَيتٌ مِنَ العَرَبِ

إِلَّا دَخَلَتْه، ثُمَّ هُدنةٌ تَكونُ بينَكُم وبينَ بَني الأصفَرِ، فيَغدِرونَ فيَأْتونَكُم تَحتَ ثَمانينَ غايةً، تَحتَ كُلِّ غايةٍ اثنا عَشَرَ أَلفًا].

وأيضًا من السنة قول النبي ﷺ: [لا تَقومُ السَّاعةُ حتَّى تَقتَتِلَ فِئَتانِ عَظيمَتانِ، يَكونُ بينَهما مَقتَلةٌ عَظيمةٌ، دَعوتُهما واحِدةٌ، وحتَّى يُبعَثَ دَجَّالونَ كَذَّابونَ، قَريبٌ مِن ثَلاثينَ، كُلُّهم يَزعُمُ أنَّه رَسولُ اللهِ، وحتَّى يُقبَضَ العِلمُ، وتَكثُرَ الزَّلازِلُ، ويَتقارَبَ الزَّمانُ، وتَظهَرَ الفِتَنُ، ويَكثُرَ الهَرْجُ، وهو القَتلُ، وحتَّى يَكثُرَ فيكُمُ المالُ فيَفيضَ، حتَّى يُهمَّ رَبُّ المالِ مَن يَقبَلُ صَدَقَتَه] أن يُهم من الذي سيأخذ الصدقة منه؟ [وحتَّى يَعرِضَه عليه، فيَقولَ الذي يَعرِضُه عليه: لا أَرَبَ لي به] أي لا أحد يريد أن يأخذ الصدقات [وحتَّى يَتَطاوَلَ النَّاسُ في البُنيانِ، وحتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بقَبرِ الرَّجُلِ فيَقولُ: يا لَيتَني مَكانَه! وحتَّى تَطلُعَ الشَّمسُ مِن مَغرِبِها، فإذا طَلَعَت ورَآها النَّاسُ يَعني آمَنوا أجمَعونَ، فذلك حينَ لا يَنفَعُ نَفسًا إيمانُها لم تَكُنْ آمَنَت مِن قَبلُ، أو كَسَبَت في إيمانِها خَيرًا].

وأيضًا حديث حذيفة قال:[اطَّلَعَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم علينا ونحن نتَذاكَرُ فقال ما تَذكُرونَ قالوا نَذكُرُ الساعةَ قال إنها لن تَقومَ حتى ترَوا قبلَها عشرَ آياتٍ فذَكَرَ الدُّخانَ والدجَّالَ والدابَّةَ وطُلوعَ الشمسِ من مَغرِبِها ونُزولَ عيسى ابنِ مريمَ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم ويَأجوجَ ومَأجوجَ وثلاثَ خُسوفٍ خَسفٌ بالمَشرِقِ وخَسفٌ بالمَغرِبِ وخَسفٌ بجزيرةِ العربِ، وآخِرُ ذلك نارٌ تَخرُجُ من اليمَنِ تَطرُدُ الناسَ إلى مَحشَرِهم]. الحديث عند مسلم.

هذه كلها أدلة أثبتت أن هناك علامات للساعة.

أقسام أشراط الساعة:

العلماء تكلموا في هذا المبحث وألفوا كثيرًا وقسَّموا، والبعض نحا إلى التقسيم بأن يقسم قسم أشراط الساعة الصغرى وأشراط الساعة الكبرى، والبعض قسَّم قِسم ثلاثي آخر؛ قسم أشراط انقضت وظهرت، وأشراط ظهرت ولا تزال تتتابع الاستمرار، وعلامات أشراط عظيمة جدًا تكون قرب الساعة.

- **التقسيم الثلاثي:**

القسم الأول: أشراط ظهرت وانقضت:

وهي بعثة النبي ﷺ، وموته، وفتح بيت المقدس، وظهور نار الحجاز؛ قالوا هذه وقعت؛

القسم الثاني: أشراط ما زالت تظهر:

ككثرة الزلازل، وتضييع الأمانة، توسيد الأمر لغير أهله، اتخاذ المساجد طرقًا، رفع العلم وكثرة الجهل، وهذه ما زالت تحدث؛

القسم الثالث: أشراط عظيمة جدًا أو شديدة ستحدث قبل النهاية:

طلوع الشمس من المغرب، وخروج يأجوج ومأجوج، والدجال، ونزول عيسى، وخروج الدابة، ثم خروج الشمس من مغربها، وآخرها النار التي تخرج من قعر عدن في اليمن.

هذا تقسيم ثلاثي على حسب ما وقع، وما بيقع، وما سيقع.

- **التقسيم الثنائي:**

وقلنا البعض قسَّم بأشراط صغرى وأشراط كبرى؛

الأشراط الصغرى:

التي هي غالبها قد حدث إلى الآن؛ وهي التي تتقدم قيام الساعة بزمن طويل؛

الأشراط الكبرى:

وهي التي تقترب؛ كما قلنا خروج الدجال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج،.. وهي العلامات الكبرى.

- **والبعض قسم أشراط أرضية وأشراط سماوية:**

أشراط سماوية:

كانشقاق القمر؛ انتفاخ الأهلة أي أن الهلال يُرى كأنه ابن ليلتين، أو طلوع الشمس من مغربها.

أشراط أرضية:

خروج المسيح الدجال، ويأجوج ومأجوج، وخروج النار، والريح التي تقبض أرواح المؤمنين.

وهذا التقسيم الأرضي والسماوي أشار إليه ابن كثير في تفسيره في النهاية.

ونحن طبعًا لن ندخل في تفاصيل أشراط الساعة لكن هي بيان فقط لما ذكره المؤلف وذكر منها المسيح الدجال وهذا ما يعنينا في هذا الباب؛ المسيح الدجال، ثم المسيح الحق عيسى عليه السلام ونزوله بعد ذلك.

المسيح الدجال:

لكن نحن سنتكلم عن المسيح الدجال، وهو الذي ذكره هنا الإمام، وذكر لنا الأحاديث التي حذر فيها النبي ﷺ من المسيح الدجال، والحق أن ما من نبي جاء إلا قد حذر أمته من المسيح الدجال؛ أي أن كل نبي كان يحذر أمته من فتنة المسيح الدجال. وفتنة المسيح الدجال فتنة عظيمة جدًا، كما جاءت الأحاديث أن النبي ﷺ كان يداوم على الاستعاذة من أربعة منها فتنة المسيح الدجال.

ويسمى دجال أو الدجل عمومًا.

والدجل عند أهل اللغة هو الذي يغطي الحق بباطله، فالدجال هو الذي يغطي الحق بالباطل، وهو سُمي المسيح الدجال لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه عليه.

والدجاجلة كثير، فالنبي ﷺ بيَّن أن هناك دجالون كُثُر؛ كما قال ثلاثون يدعون النبوة. لكن الدجال الأكبر وهو المسيح الدجال هذا الذي يخرج قبل قيام الساعة، ويخرج في زمن المهدي وقبل نزول عيسى، لأن عيسى عليه السلام سينزل ويقتله بعد ذلك في باب لُدّ في الشام كما سيأتي معنا في الشرح إن شاء الله. فهنا المقصود أن المسيح الدجال هو الدجال الأكبر وإلا فهناك دجالون على مر التاريخ كما ذكر النبي ﷺ.

والمسيح الدجال قالوا سُمي المسيح لأن بعضهم قال أن إحدى عينيه ممسوحة، وبعضهم قال لأنه يمسح الأرض في أربعين يوم لأنه ما من مكان الا سيمر عليه إلا مكة والمدينة لا يستطيع أن يدخلها، فقالوا أن هذا سيكون في أربعين يوم كما ذكر النبي ﷺ.

ويُطلق المسيح طبعًا على عيسى عليه السلام، وتطلق على المسيح الدجال هذا الأعور الكذاب الدجال، وهنا الذي نقصده مسيح الضلالة الذي معنا غير مسيح الحق. ومسيح الضلالة هذا الله عز وجل سيجري عليه بعض الآيات فتنة للناس، لذلك النبي ﷺ قال أن وجود المسيح الدجال فتنة لأن الذين سيكونون معه سيُفتنون بما يفعل، فالله عز وجل سيجري

عليه بعض الآيات؛ من إنزال المطر، إحياء الأرض، ستظهر على يديه خوارق للعادات وعجائب.

والأدلة تواترت في السنة في خروج المسيح الدجال، ونستطيع أن نقول إشارة في الكتاب، لأن هذا البعض لمز به من المعتزلة وغيرهم من الذين أنكروا حقيقة وجود المسيح الدجال؛ قالوا القرآن ما صرح به، وكيف مثل هذا ولا يصرح به القرآن! وأن ما عندكم كله فهو من السنة. وحتى ما جاء به الإمام الآجري في الباب الذي قرأناه لو لاحظتم أنه ذكر كلها أحاديث من سنة النبي ﷺ على إخبار النبي ﷺ بوجود المسيح الدجال، أو تحذير النبي ﷺ للأمة، حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: [إِنِّي أُنذِرُكُمُوه، وما مِن نبيٍّ إلَّا وقد أنذرَ بهِ قومَه] قلت لكم أن كل نبي أنذر قومه من المسيح الدجال [ولكن سأقولُ لكُم فيهِ قولًا لَم يَقُلْه نَبيٌّ لِقَومِه: تعلَمون أنَّهُ أعوَرُ، وإنَّ اللهَ ليسَ بأعوَرَ]، وهذا الحديث في البخاري ومسلم. ورواية مسلم قال: [إنَّه أعورُ، وإنَّه يَجيءُ معهُ مِثلُ الجَنَّةِ والنَّارِ، فالَّتي يقولُ إنَّها الجَنَّةُ هي النَّارُ، وإنِّي أنذَرتُكُم به كما أنذَرَ به نوحٌ قَومَه] هذه رواية مسلم. وأيضًا الرواية الأخرى التي جاءت معنا عن ابن عمر عند مسلم قال: [ذَكَرَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَومًا بينَ ظَهرانَيِ النَّاسِ المَسيحَ الدَّجَّالَ، فقال: إنَّ اللهَ تَبارَك وتَعالى ليس بأعورَ، ألا إنَّ المَسيحَ الدَّجَّالَ أعورُ العَينِ اليُمنى، كأنَّ عَينَه عِنَبةٌ طافيةٌ].

وحتى بعض أهل العلم اختلفوا في العنبة الطافية أن هل العور المقصود به أنه عنده عين سليمة وعين كأنها عنبة طافية؟ أم العور يقصد به النقص في العين لأنه جاءت رواية أنه عين ممسوحة وعين كأنها العنبة الطافية ويقصد بها لأنها بشعة المنظر تخرج العين من مقلة العين كأنها حتى قال نخامة ملزوقة أو نخامة على جدار، فكأنه يقال بأن المقصود بالعور ليس المعنى الأول بأن عين سليمة وعين هي التي فيها العور، لا، المقصود بالعور النقص لأن عين ممسوحة وعين أخرى كأنها العنبة الطافية التي خرج منها المقلة إلى خارج العين، حتى أن المنظر يكون شديدا جدًا لمن يراه، على خلاف بين أهل العلم في ذلك لأن هناك بعض الروايات في ذلك.

المهم أن النبي ﷺ في كل هذه الروايات حذر من المسيح الدجال، وبيَّن بأن فتنته فتنة شديدة، والنبي في بادئ الأمر لم يكن يعلم من هو المسيح الدجال؛ أقصد كان يشك في زمانه في عبد الله بن صياد، أو ابن صائد، وهو كان في الأصل قالوا أنه يهودي وهو من الأنصار من المدينة، فكان النبي ﷺ يشك أنه هو الدجال، كان يشك لأنه كان فيه عور أيضًا، وكان النبي ﷺ يشك أن هو المسيح الدجال، لذلك كان يختبئ له لينظر حاله، حتى أنه في إحدى

المرات رآه عند النخلة وكان نائمًا؛ كأن هناك حبل بين نخلتين وكان نائم، فاختبأ له النبي ﷺ ليراقبه لأنه كان يشك فيه أنه قد يكون الدجال هو ابن صائد، ويقال ابن صياد، ويقال صاف، وقيل اسمه عبد الله كما قلت، ووُلد أعور ومختونًا، وهو طبعًا مختون لأنه من اليهود وكانت تختتن، وهو أسلم بعد ذلك لكن أسلم بعد موت النبي، لذلك هو تابعي له رؤية. وله ولد يسمى عمارة بن عبد الله بن صياد، وعمارة هذا كان من خير أصحاب سعيد بن مالك وكان فيه خير كثير. المهم أن النبي ﷺ كان يختبئ له، فلما رأت أم صياد النبي نادت عليه يا صائد هذا محمد يختبئ لك، فثار من مكانه ونزل، فحتى النبي ﷺ قال لولا سكتت فسيبين لنا؛ لو سكتت لقد بيَّن لنا. فقلت أن هذا كان شك من النبي ﷺ في ابن صياد أن يكون هو الدجال.

وعمر رضي الله عنه وأرضاه كان مع النبي ﷺ أيضًا يسير ووجد ابن صياد، وكان مازال صغيرًا يلعب مع الصبيان قد قارب الحلم، وعمر كان مع النبي ﷺ فضرب النبي ﷺ على ظهره ثم قال النبي ﷺ لابن صياد: [تَشهَدُ أنِّي رَسولُ اللهِ؟ فنَظَرَ إليه ابنُ صَيَّادٍ، فقال: أشهَدُ أنَّكَ رَسولُ الأُمِّيِّينَ، فقال ابنُ صَيَّادٍ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أتَشهَدُ أنِّي رَسولُ اللهِ؟ فرَفَضَه وقال: آمَنتُ باللهِ وبِرُسُلِه فقال له: ماذا تَرى؟ قال ابنُ صَيَّادٍ: يَأْتيني صادِقٌ وكاذِبٌ، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: خُلِّطَ عليك الأمرُ، ثُمَّ قال له النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: إنِّي قد خَبَأْتُ لكَ خَبيئًا، فقال ابنُ صَيَّادٍ: هو الدُّخُّ، فقال: اخسَأْ، فلَن تَعدوَ قَدرَكَ] الدُخ كانت سورة الدخان تنزل على النبي ﷺ وهذا يدل على أنه كاهن ودجال، لكنه لم يكن المسيح الدجال لكنه كان من الدجاجلة لأنه كان يقرقر له بالجن، فجاءه دخ وما استطاع أن تُقبَل له الكلمة لما كان الشهاب ينزل، فقتل من كان يأتيه بالكلمات من الجن، فقال الدخ فقط، وكانت سورة الدخان نزلت على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: [اخسَأْ، فلَن تَعدوَ قَدرَكَ].

فالنبي تأكد أنه من الكهان، لكنه بعد ذلك علم، وهذا كله قبل حديث تميم الداري الذي فصل في المسألة، والذي ذكره المؤلف في آخر الباب، وأنا حتى عجبت أنه ذكرها متأخرًا ونوَّه في القراءة قال: وروي عن النبي ﷺ أنه قد خُلِق أو موجود، وكأن الشيخ الإمام الآجري يميل على عدم تقوية ذلك، مع أن هذا القول هو الصحيح الراجح أن المسيح الدجال موجود وخُلِق؛ في حديث الجساسة. وبعض الفضلاء من أهل العلم قالوا ذلك؛ النبلاء والفضلاء من علمائنا المعاصرين – رحمة الله عليهم . فهو أقر بوجود المسيح الدجال لكنه ضعف رواية مسلم في مسألة أنه موجود وخُلِق الآن. وفِعل الإمام الآجري هنا يميل على أنه – والله أعلم مع أن ما

علمت أحد من المتقدمين قال بذلك في حدود علمي – لكن ترتيبه في سرد الأحاديث والإشارة إليه مع أنه ذكره بعد ذلك– وهو رواية مسلم – لكنه لم يعول عليه تعويلًا شديدًا في وجوده، لأن طبعًا سنبين بأن المسيح الدجال على أقوال؛ قول أثبته وهو أهل السنة والجماعة، وقول رد وجوده حقيقة وهم المعتزلة وغير ذلك، والقول الذي قال بنزوله أو بحدوثه، أي حقيقة سيكون موجود، لكن لم يقل برواية تميم الداري في مسلم على أنه يخالف ما عنده من روايات أخرى يرى ذلك، فلم يثبته.

فالنبي ﷺ كان يشك في ابن صياد – كما قلت – على أنه المسيح الدجال، وإن كان تبين أنه دجال، لذلك عمر رضي الله عنه وأرضاه لما كان مع النبي ﷺ في ذلك قال ذرني يا رسول الله ﷺ أن أضرب عنقه، فقال له الرسول ﷺ: **[إن يَكُنْ هو لا تُسَلَّطُ عليه، وإن لَم يَكُنْ هو فلا خَيرَ لكَ في قَتلِه]** – والرواية عند مسلم – أي لو كان هو المسيح الدجال فلن تستطيع أن تقتله لأن الله عز وجل قد كتب أنه سيظل موجود إلى أن يخرج في الوقت الذي أذن الله عز وجل له، فقال: **[إن يَكُنْ هو لا تُسَلَّطُ عليه]**، **[وإن لَم يَكُنْ هو فلا خَيرَ لكَ في قَتلِه]** إذًا لا حاجة في قتله. وقلت كما حاول النبي ﷺ بعد ذلك أن يراقبه حتى رآه **[مضطجعٌ على فراشه في قطيفةٍ له فيها زَمزَمَةٌ فرأت أمُّ ابنِ صيَّادٍ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو يتقي بجذوعِ النَّخلِ فقالت لابنِ صيَّادٍ أي صافِ، وهو اسمُه، هذا محمدٌ]** فثار، فقال: **[لو تركَتْه لَبَيَّنَ]** لو تركته لبين لنا حاله. وفي رواية أخرى لأبي سعيد الخدري أن: **[لَقيَه رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأبو بَكرٍ وعُمَرُ في بَعضِ طُرُقِ المَدينةِ، فقال له رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أتَشهَدُ أنِّي رَسولُ اللهِ؟ فقال هو: أتَشهَدُ أنِّي رَسولُ اللهِ؟ فقال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: آمَنتُ باللهِ ومَلائِكَتِه وكُتُبِه، ما تَرى؟ قال: أرى عَرشًا على الماءِ، فقال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: تَرى عَرشَ إبليسَ على البَحرِ، وما تَرى؟ قال: أرى صادِقَينِ وكاذِبًا، أو كاذِبَينِ وصادِقًا، فقال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: لُبِسَ عليه، دَعوه]**، رواية مسلم. إذًا تأكد بأنه ليس هو المسيح الدجال.

ثم طبعًا تأكد بعد ذلك في رواية تميم الداري الذي جاءت في آخر الحديث وهي تبين بأنه ليس هو، وحتى هو نفسه؛ صاف، دفع عن نفسه بعد ذلك أن يكون هو المسيح الدجال لأنه كان يعلم بأن النبي يشك فيه، أو يُقال عنه ذلك، فهو عاش بعد موت النبي ﷺ قلنا أنه أسلم بعد ذلك أيضًا. فأبي سعيد الخدري يروي رواية كان معه فيها قال: **[خَرَجنا حُجَّاجًا أو عُمَّارًا ومعنا ابنُ صائِدٍ، قال: فنَزَلنا مَنزِلًا، فتَفَرَّقَ النَّاسُ، وبَقيتُ أنا وهو، فاستَوحَشتُ منه وحشةً شَديدةً ممَّا يُقالُ عليه، قال: وجاءَ بمَتاعِه فوضَعَه مع مَتاعي، فقُلتُ: إنَّ الحَرَّ شَديدٌ، فلو وضَعتَه تَحتَ تلك**

الشَّجَرةِ] أبو سعيد الخدري رضي الله عنه متوجس منه [قال: ففعَلَ، قال: فرُفِعَت لَنا غَنَمٌ، فانطَلَقَ فجاءَ بعُسٍّ، فقال: اشرَبْ أبا سَعيدٍ، فقُلتُ: إنَّ الحَرَّ شَديدٌ، واللَّبَنُ حارٌّ، ما بي إلَّا أنِّي أكرَهُ أن أشرَبَ عن يَدِه أو قال: آخُذَ عن يَدِه فقال: أبا سَعيدٍ، لقد هَمَمتُ أن آخُذَ حَبلًا فأُعَلِّقَه بشَجَرةٍ، ثُمَّ أختَنِقَ ممَّا يقولُ لي النَّاسُ يا أبا سَعيدٍ] هو اختنق من كثرة ما يقول الناس عنه، قال: [مَن خَفِيَ عليه حَديثُ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ما خَفِيَ علَيكُم مَعشَرَ الأنصارِ، ألَستَ مِن أعلَمِ النَّاسِ بحَديثِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؟ أليسَ قد قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: هو عَقيمٌ لا يولَدُ له؟] يتكلم عن المسيح الدجال [وقد تَرَكتُ ولَدي بالمَدينةِ، أوليسَ قد قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: لا يَدخُلُ المَدينةَ ولا مَكَّةَ؟ وقد أقبَلتُ مِنَ المَدينةِ وأنا أُريدُ مَكَّةَ، قال أبو سَعيدٍ الخُدريُّ: حتَّى كِدتُ أن أعذِرَه، ثُمَّ قال: أما واللهِ إنِّي لَأعرِفُه وأعرِفُ مَولِدَه، وأينَ هو الآنَ. قال: قُلتُ له: تَبًّا لَكَ سائِرَ اليَومِ] .

لذلك هو كل هذا كان يدفع عن نفسه أن يكون هو المسيح الدجال. وطبعًا البعض يرد على هذا الكلام يقول أن هذا حاله في وقتها، ومنهم بعض الأئمة؛ النووي، والخطابي- فيما أذكر، كما سيأتي – الذين يقولون بأن مسألة وجوده في هذا الوقت ليست محكمة على أنه ما نبأ به النبي ﷺ سيكون في وقت خروجه ليس في وقت وجوده؛ أنه يكون عقيم وأنه يكون كذا وكذا، ولن يدخل مكة والمدينة، وقت ما يقدر الله عز وجل له أن يفعل.

لكن الحق نقول أنه ليس ابن صياد، هو دجال نعم قد يكون من الدجاجلة لأن كأن يأتيه الجن وغير ذلك، لكن الثاني هو الذي جاء في حديث الجساسة – حديث تميم الداري – هو المسيح الدجال لأنه كيف يكون هو في المدينة ومع النبي ﷺ ويجتمع به ثم يكون بعد ذلك شيخًا كبيرًا مسجونًا في جزيرة من جزائر البحر؛ أي أنه كان في زمن النبي قد ناهز الاحتلام، فكيف يكون هو مع النبي في المدينة محتلمًا؛ ناهز الاحتلام، ويكون في حديث تميم الداري شيخًا كبيرًا مسجونًا في جزيرة موثقًا بالحديد! حتى النووي يحكي في (المنهاج) عن المسيح قال: (قِصَّتُهُ مُشْكِلَةٌ، وَأَمْرُهُ مُشْتَبِهٌ فِي أَنَّهُ هَلْ هُوَ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ أَمْ غَيْرُهُ؟ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ دَجَّالٌ مِنَ الدَّجَاجِلَةِ).

والحق نقول بأنه ليس هو، حديث تميم الداري يبين في حديث الجساسة بأن المسيح الدجال قد خُلِق، وهو موجود، وهو مسلسل مسجون في هذه الجزيرة التي روى فيها تميم الداري ما رآه أقربائه ومن كان معه، وأنه موجود وخلقه الله عز وجل، ويوم يريد الله عز وجل أن يخرجه سيخرجه. وطبعًا هذا الحديث الذي فيه تميم الداري فيه منقبة لتميم الداري؛ أن كل الناس

تُحدِّث عن النبي ﷺ، والنبي ﷺ هو الوحيد الذي حدث عن تميم الدائري؛ قال: (حدثني تميم الداري)، منقبة لتميم الداري، وهي نكتة حديثية؛ أن الكل يروي عن النبي ﷺ والذي روى النبي ﷺ عنه صحابي واحد وهو تميم الداري، فكانت هذه لفتة.

وفيها دلالة على أن المسيح الدجال أولًا ثابت، وأنه قد خُلق، وأنه موجود والله عز وجل يخرجه وقت ما يريد أن يخرجه.

فهذه كانت بعض المباحث، لكن أيضًا النبي ﷺ في هذه الأحاديث بيَّن لنا **صفة المسيح الدجال**، فقال: [إنَّه أعورُ، وإنَّه يَجيءُ معهُ مِثلُ الجَنَّةِ والنَّارِ، فالَّتي يقولُ إنَّها الجَنَّةُ هي النَّارُ]، وأيضًا بأن إحدى عينيه عنبة طافية، وأيضًا بيَّن لنا النبي ﷺ بأن مكتوب بين عينيه هذا(ك ف ر)، طبعًا البعض يكتبونها "كافر" لكن الحق أنها (ك ف ر) لأنه كان النبي ﷺ أميًا، فكانت هي مكتوبة بهذه الحروف (ك ف ر) يراها كل أحد، وهي مكتوبة حقيقيًا، وسيراها كل واحد حقيقي. وأن المسيح الدجال سيُمنع؛ مُحرَّم عليه أن يدخل المدينة ومكة، وأنه عندما يخرج سيحاول أن يدخل المدينة فينتهي بـ [بَعضَ السِّباخِ التي بالمَدينةِ] فتمنعه الملائكة من دخولها [فيَخرُجُ إليه يَومَئذٍ رَجُلٌ هو خَيرُ النَّاسِ أو مِن خَيرِ النَّاسِ فيَقولُ: أشهَدُ أنَّكَ الدَّجَّالُ الذي حَدَّثَنا عَنكَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حَديثَه، فيَقولُ الدَّجَّالُ: أرَأيتَ إن قَتَلتُ هذا ثُمَّ أحيَيتُه، هل تَشُكُّونَ في الأمرِ؟ فيَقولونَ: لا، فيَقتُلُه ثُمَّ يُحييه، فيَقولُ حينَ يُحييه: واللهِ ما كُنتُ قَطُّ أشَدَّ بَصيرةً مِنِّي اليَومَ، فيَقولُ الدَّجَّالُ: أقتُلُه، فلا أُسَلَّطُ عليه] حديث عند البخاري ومسلم.

وقال عنه النبي ﷺ أيضًا: [ما مِن نَبيٍّ إلَّا وقد أنذَرَ أُمَّتَه الأعورَ الكَذَّابَ]، وهنا الحديث هذا مهم، لماذا؟ قال: [ما مِن نَبيٍّ إلَّا وقد أنذَرَ أُمَّتَه الأعورَ الكَذَّابَ، ألا إنَّه أعورُ، وإنَّ رَبَّكُم ليس بأعورَ، ومَكتوبٌ بينَ عَينَيه ك ف ر]، والرواية الأخرى التي أريدها قال النبي ﷺ: [لن تَرَوْا ربَّكم حتى تموتوا] **انتبهوا** [لن تَرَوْا ربَّكم حتى تموتوا ،وإنه أعورُ وإنَّ ربَّكم ليس بِأَعْوَرَ]، وهذه تصريحًا على المفارقة بين [لن تَرَوْا ربَّكم حتى تموتوا] إذًا لا يمكن أن يكون هذا هو الرب، لأنه بيدعي الألوهية، [لن تَرَوْا ربَّكم حتى تموتوا] إذًا لابد من الموت حتى ترى الله يوم القيامة، ثم العلامة الثانية أنه لا يمكن أن يكون إلهًا وربًا لأنه سيدلس على الناس أنه هو الرب يميت ويحيي وينزل من السماء ماء فيحيي الأرض إلى غير ذلك، على أنه الإله! والنبي ﷺ يبين [لن تَرَوْا ربَّكم حتى تموتوا] ، إذًا لا يمكن أن ترى ربك في الحياة، إذًا لا يمكن أن يكون هو رب. ثانيًا قال: [وإنَّ ربَّكم ليس بِأَعْوَرَ] وهي الصفة الثانية التي تبين أولًا منقصته وكذبه وأنه لا يمكن أن يكون ربًا لأنه أعور وأن الله عز وجل ليس بأعور. وزاد في الرواية: [ومَكتوبٌ بينَ عَينَيه

ك ف ر]. فجعلت أن هذه علامات تبين حقيقة المسيح الدجال لمن سيقابله، وأيضًا تبين كفره، وهذه العلامة ستظهر لكل مسلم يقرأ ولا يقرأ، كاتب وغير كاتب، كل مسلم ستظهر له هذه العلامة، لكن الله عز وجل سيخفيها عن من أراد له الشقاوة وأراد له الفتنة، ولكن يظهرها فقط لمن أراد الله عز وجل له التوفيق والسداد والهداية.

والنبي ﷺ بيَّن أن فتنة المسيح الدجال عظيمة، لذلك كان يستعيذ وأراد من أمته أن كل منهم يستعيذ أن يدركه هذا الزمان لأنه ليس بالفتنة الهينة، فيها ما فيها من ارتجاف القلوب ورؤية أمور سواء من رؤية المسيح الدجال نفسه في بشاعة منظرة، أو فيما يفتن به الناس، لكن النبي ﷺ كما جاء في الحديث الذي معنا؛ حديث ما شأنكم؟ (فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ, ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ الْغَدَاةَ , فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ , حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ , فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ , فَإِنْ يَخْرُجْ , وَأَنَا فِيكُمْ , فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ , وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ , فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ , وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ) وكأن النبي كان سيكفيهم لو خرج وهو فيهم، لكن بعد ذلك فكل إمرئ عليه أن يحتاط لنفسه ويتعوذ من المسيح الدجال.

وكما سنبين أن هناك بعض بعض الأمور التي ذكرها النبي ﷺ التي قد تنجي المرء بإذن الله إن وُجد في هذا الزمن. لذلك قال النبي ﷺ: [إِنَّه شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ ... فمَن أَدْرَكَهُ مِنكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عليه فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ]، ففواتح سورة الكهف تمنع المرء من فتنة المسيح الدجال، وقال: [إِنَّه خَارِجٌ خَلَّةً بيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ] سيخرج من هذا الموطن [فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا] فسألوا النبي ﷺ: [يا رَسُولَ اللهِ، وَما لَبْثُهُ في الأَرْضِ؟ قالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؛ يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ]، هذا الحديث فيه فائدة فقهية، فقالوا: [يا رَسُولَ اللهِ، فَذلكَ اليَوْمُ الذي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فيه صَلَاةُ يَومٍ؟ قالَ: لَا، اقْدُرُوا له قَدْرَهُ]، إذًا اليوم الذي كأنه سنة سنصلي خمس صلوات؟ قال [اقْدُرُوا] أي ما بين الفجر والظهر مثلًا سبع ساعات، فنقدر سبع ساعات ثم نصلي الظهر، وساعتين ونصلي العصر، وساعتين ونصلي المغرب، ساعة وربع أو ساعة ونصف ونصلي العشاء، ثم نقدر أيضًا من بعد العشاء إلى الفجر مثلًا تسع أو عشر ساعات، فنعيد ونصلي، وهذه استنبط منها العلماء بأن البلاد التي تكون يومها واحد إما ليل كله أو نهار لأن ليس هناك تعاقب نهار مع ليل، غروب وشروق الشمس والقمر، فقالوا هنا يقدرون الصلوات، ففي بعض البلاد الآن تجد ستة أشهر نهار وست أشهر ليل، أو ثلاثة وثلاث على حسب، هذه الذي يقدروا فيها الصلوات، وهذا استنباطًا من هذا الحديث. كذلك في الصوم؛ إن كان يجلس في بلد ولا تغيب الشمس بالشهور فكيف

سيصوم؟ يقدر وقت الصيام إلى أقرب بلد منه فيها غروب وشروق ويقدر الصوم بذلك ويفطر، وأصلها هذا الحديث الذي معنا لما قالوا:[أَتَكْفِينَا فيه صَلَاةُ يَومٍ؟] ، لكن هذه متى تكون؟ لأن البعض أخذ هذا الحديث وللأسف يفتون لبعض الدول التي عندهم النهار طويل في أوروبا ممكن يكون خمس عشرة، سبع عشرة، وثماني عشرة، وتسع عشرة ساعة ويقول لهم افطروا على حسب مكة! وهذا خطأ، لأن الآية واضحة: {وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ} [البقرة: 187] ، الآية واضحة، ما دام هناك نهار وليل فلابد أن تتقيد بالليل والنهار. متى تقول [اقْدُرُوا] وارجع لأقرب مكان؟ لما يكون عندك كله ليل أو كله نهار، وهذه فيها خطأ في الفتوى أصالة.

فنقول أن هذا الحديث قال فيه النبي ﷺ: [اقْدُرُوا له قَدْرَهُ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، وَما إِسْرَاعُهُ في الأَرْضِ؟ قالَ: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي على القَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ ، فيُؤْمِنُونَ به وَيَسْتَجِيبُونَ له] انظر الفتنة! [فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عليهم سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ ما كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي القَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ]، طبعًا مبالغة في الإنبات وفي النبات، وفي خروج الزرع، [فَيَرُدُّونَ عليه قَوْلَهُ] هنا.. القوم الذين أجابوه، انظر كيف سيفتنهم؛ ينزل عليهم من السماء مطر، والأرض تنبت،[ثُمَّ يَأْتِي القَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عليه قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عنْهُمْ، فيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ ليسَ بأَيْدِيهِمْ شَيءٌ مِن أَمْوَالِهِمْ]، أي كأنه ينزع من عندهم أي شيء [وَيَمُرُّ بالخَرِبَةِ، فيَقولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ] يمشي على الأرض الخربة يقول لها أخرجي كنوزك، تخرج، [ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ. فَبيْنَما هو كَذلكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ علَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ] أي كأنها تقطر ماء [وإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ منه جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ منه، فَيَمْسَحُ عن وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بدَرَجَاتِهِمْ في الجَنَّةِ. فَبيْنَما هو كَذلكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إلى عِيسَى: إنِّي قدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لا يَدَانِ لأَحَدٍ بقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إلى الطُّورِ]. حديث طويل سنحتاج إليه لاحقًا سنقف عند هذا القدر فيه لأن فيه بعد ذلك يأجوج ومأجوج إلى غير ذلك، لكن أنا قصدت الجزء الخاص بالمسيح الدجال، وماذا سيفعل فيه المسيح. وهذا الحديث عند مسلم.

ولكن الذي سيصاب بهذه الفتنة من قدَّر الله عز وجل عليه ذلك، لكن من قدَّر الله عز وجل عليه أهل التوفيق والسداد فلا يغترون ولا ينخدعون بما مع المسيح الدجال من ذلك. وجاءت الأحاديث كما قلنا أن للدجال سطوة على كل البلاد إلا مكة والمدينة، لذلك هو لما سيذهب إلى المدينة ليدخل سيُدفع، فيذهب إلى الشام فيكون بعد ذلك نزول عيسى عليه السلام عند باب لُدّ فيقتله بعد ذلك، وسنبينها في باب عيسى عليه السلام، لكنه ليس له سطوة على مكة والمدينة، لذلك هذه منقبة لمكة والمدينة كما قال النبي ﷺ؛ حتى قال: [ليس مِن بَلَدٍ إلَّا سيَطَؤُه الدَّجَّالُ، إلَّا مَكَّةَ والمَدينةَ؛ ليس له مِن نِقابِها نَقبٌ إلَّا عليه المَلائِكةُ صافِّينَ يَحرُسونَها، ثُمَّ تَرجُفُ المَدينةُ بأهلِها ثَلاثَ رَجَفاتٍ، فيُخرِجُ اللهُ كُلَّ كافِرٍ ومُنافِقٍ] .

فالفتنة شديدة لذلك النبي ﷺ – كما في حديث ابن عباس عند مسلم – كان يتعوذ: [اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ من عذابِ جَهنَّمَ، وأعوذُ بِك من عذابِ القَبرِ. وأعوذُ بِكَ من فتنةِ المسيحِ الدَّجَّالِ، وأعوذُ بِك من فتنةِ المَحيا والمماتِ]. وقال النبي ﷺ في أكثر من رواية تعوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال. وقال أن: [مَن حَفِظَ عَشرَ آياتٍ مِن أوَّلِ سُورَةِ الكَهفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ] إن وقع فيها؛ إن كان خرج وهو موجود. لذلك قلنا لو قرأ المرء عليه أول عشر آيات من سورة الكهف فكانت حفظًا له منه.

تبقت المسألة الذي يلمح إليها بعض المعتزلة الذين هم الطوائف المبتدعة في عدم اثبات حقيقة المسيح الدجال؛ يقولوا هي خيالات، هي أوهام، هي أمور، لكن حقيقة لن يخرج وغير موجود! ومن شبههم أن القرآن لم يذكر المسيح الدجال، وهذا خطأ! فنقول نعم هو ممكن لم يذكر تصريحًا لكنه ذُكِر إشارة في أكثر من موطن. والعلماء تكلموا في هذه المسألة؛ الحافظ ابن حجر أيضًا تكلم في مسألة عدم ذكر الدجال في القرآن صراحة، وطبعًا يرد على الذين أرادوا أن ينفوا حقيقة المسيح الدجال، فقالوا كيف مثل هذا الأمر مع أهميته بمكان ومع ذلك لا تجده مذكور في القرآن! فقالوا قول الله عز وجل: { يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا } [الأنعام: 158] ، قالوا رواية الترمذي في حديث أبي هريرة وصح مرفوعًا قال: [ثلاثٌ إذا خَرَجنَ لَمْ يَنفَعْ نَفْسًا إيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، الآيةُ؛ الدَّجَّالُ، والدَّابَّةُ، وطلوعُ الشَّمسِ من مغربها]، والحديث صحيح الشيخ الألباني صححه أيضًا في صحيح الترمذي، فقالوا تفسير الآية: {يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا} [الأنعام: 158] ، فقالوا هنا إشارة على أن الدجال دخل فيها.

والبعض قال أيضًا من قوله تعالى:{ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ } [النساء: 159] ، وهو المسيح عليه السلام، وقوله: {وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ } [الزخرف: 61] ، وهنا **انتبهوا**.. المسيح الحق سيقتل المسيح الدجال، فهنا قال: {وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ } [الزخرف:61]، قالوا فكأن الله عز وجل اكتفى بذكر أحد الضدين إشارة للآخر، فالمسيح الدجال سيُقتَل مِن المسيح الحق؛ مسيح الضلالة سيُقتَل من المسيح الحق؛ المسيح ابن مريم، فقال هنا ذكر أحد الضدين عن الآخر، فدل ذلك على أنه إشارة له.

والحافظ أيضًا ذكر من ضمن الأدلة بأن تَرْك ذكر الدجال تصريحًا احتقارًا له، وبعضهم قالوا مع أنه ذُكِر يأجوج ومأجوج لأن فتنة يأجوج ومأجوج ستكون بعد فتنة الدجال، والبعض قال من أهل التفسير أن هذا انتقاص منه بعدم ذكره تصريحًا. والبغوي له في تفسيره أيضًا في تفسير قوله تعالى:{ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غافر: 57] ، قال (الناس) في الثانية مقصود بها الدجال، قال أطلق الكل وأراد البعض، وهذه من تفسير البغوي في هذه الآية على أنه أيضًا إشارة على خروج الدجال.

أنا أقول هذا في القرآن، لأن البعض تكلموا عن القرآن، فنقول أنه في القرآن جاء إشارة على الأقل في الآيات التي قلناها، وجاء تصريحًا في السنة في اثبات ذلك. والجهمية وبعض المعتزلة والخوارج أنكروا خروج الدجال بالكلية؛ كل الخروج أنكروه، وقالوا أن هذا كله ليس حقيقة بل هي أوهام وتخيلات يشعرها الناس، لكن حقيقة ليس هناك خروج! والحق أن هذا رد للأحاديث الصحيحة، وأن هذه من الامتحانات والابتلاءات التي يبتلي بها الله عز وجل العباد في حياتهم. والأصل عند أهل السنة والجماعة ما دام قد ثبت ذلك وجاءت الأحاديث وصحت، فنحن نؤمن بذلك ونثبته؛ تواترت كانت أو آحاد، فهذا عندنا واحد في مسألة الإيمان به ما دام قد ثبت ذلك.

والحق يبدو أن الظاهر بأن فتنة المسيح الدجال هو امتحان من الله لعباده؛ هي امتحان في هذا الوقت لعباده نعوذ بالله أن ندرك هذا الوقت وأن نتعرض لهذه الفتن، لكن هو امتحان من الله عز وجل لعباده لأنه يُخرِج عليهم من هو معه من الخوارق والأشياء المشاهدَة لأنه سيأمر السماء أن تمطر وتنزل، والأرض تنبت زرعًا وتأكل منها الأنعام، بل سيُبدل القحط والسنة والجدب وغير ذلك إلى ثمار وغنى وزيادة في الأموال، وكنوز الأرض تخرج له – كما قلنا – فهي فيها فتنة ما بعدها فتنة حقيقة.

هذا الكلام كان عن المسيح الدجال، نختم بمسألة المسيح عيسى بن مريم.

74- بَابُ الْإِيمَانِ بِنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام حَكَمًا عَدْلًا فَيُقِيمُ الْحَقَّ وَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ

887 - حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ , عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ , عَنْ عَطَاءِ بْنِ مِينَاءَ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا , فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ , وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ , وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ , وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا , وَلَيَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ , وَلَيُدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ»

888 - وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ أَخُو كَرْخَوَيْهِ قَالَ: أَنْبَأَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ , عَنْ قَتَادَةَ , عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ آدَمَ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى , وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ , وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ , لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ , وَإِنَّهُ نَازِلٌ , فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ , فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ , كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ , وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ , وَإِنَّهُ يَدُقُّ الصَّلِيبَ , وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ , وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَيُفِيضُ الْمَالَ , وَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ , حَتَّى يُهْلِكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِمَارَتِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا غَيْرَ الْإِسْلَامِ , وَحَتَّى يُهْلِكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِمَارَتِهِ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ , وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ فِي الْأَرْضِ , حَتَّى يَرْعَى الْأَسَدُ مَعَ الْإِبِلِ , وَالنَّمِرُ مَعَ الْبَقَرِ , وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ , وَتَلْعَبُ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ لَا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا , يَلْبَثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً , ثُمَّ يُتَوَفَّى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»

889 - حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ يُوسُفُ بْنُ هَارُونَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ زِيَادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ , عَنِ الزُّهْرِيِّ , عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُوشِكُ أَنْ يَنْزِلَ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا , وَإِمَامًا مُقْسِطًا , يَكْسِرُ الصَّلِيبَ , وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ , وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ , وَيُفِيضُ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ».

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالَّذِينَ يُقَاتِلُونَ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وَالَّذِينَ يُقَاتِلُونَ عِيسَى: الْيَهُودُ مَعَ الدَّجَّالِ, فَيُقْتَلُ عِيسَى الدَّجَّالَ, وَيَقْتُلُ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ, ثُمَّ يَمُوتُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ, وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيُدْفَنُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

890 - حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ الْعَبْدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ, عَنْ نَافِعٍ, عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَتُقَاتِلُنَّ الْيَهُودَ وَلَتَقْتُلُنَّهُمْ حَتَّى إِنَّ الْحَجَرَ لَيَقُولُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ, فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ"

891 - وَحَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّقْرِ السُّكَّرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ الصَّائِغُ, عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ عُثْمَانَ, عَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَّامٍ, عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "الْأَقْبُرُ الثَّلَاثَةُ: قَبْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وَقَبْرُ أَبِي بَكْرٍ, وَقَبْرُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا, وَقَبْرٌ رَابِعٌ يُدْفَنُ فِيهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ"

892- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ الطُّوسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ قَالَ: أَنْبَأَنَا حُصَيْنٌ, عَنْ أَبِي مَالِكٍ, فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} [النساء: ١٥٩] قَالَ: «ذَلِكَ عِنْدَ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ, لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا آمَنَ بِهِ»

893 - حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي, عَنْ أَبِيهِ, عَنْ جَدِّهِ, عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} [النساء: ١٥٩] يَعْنِي «أَنَّهُ سَيُدْرِكُ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ حِينَ يُبْعَثُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا»

هذا الباب الثاني في مسألة نزول عيسى عليه السلام تتمة للباب الأول في مسألة المسيح الدجال، فذكر المؤلف نزول عيسى عليه السلام؛ المسيح الحق، بعد انقضاء مدة المسيح الدجال ونزوله كما بينا في الحديث، أن من أمارات الساعة الكبرى، ومن الأشراط الكبرى، أنه سينزل عيسى عليه السلام آخر الزمان، وقد جاءت النصوص في ذلك في الكتاب وفي السنة؛

أنه ينزل قبل قيام الساعة فيقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويرفع الجزية، ويحكم بالقسط وبشريعة النبي ﷺ، ويمكث ما شاء الله أن يمكث – كما سيأتي معنا – لأنه جاءت روايات أنه سيمكث سبع سنين، وزادت رواية أنه يمكث أربعين سنة، ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفن بعد ذلك.

والأدلة على نزول عيسى عليه السلام وردت في أكثر من آية في القرآن؛ قال:{ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ} [الزخرف: 61] ، أي نزول عيسى دلالة على قيام الساعة؛ على قربها، وقال أيضًا سبحانه وتعالى: {وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا} [النساء: 159] ، يؤمنن بعيسى، وقول المفسرين على أن الضمير {بِهِۦ} و {مَوۡتِهِۦۖ} يرجع على عيسى بن مريم، فهذا عند نزول عيسى، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمن به.

وطبعًا هنا دلالة في الحكمة في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ببطلان ما قاله اليهود ومن تبعهم من الضلال من النصارى في قتلهم لعيسى وصلبه، وهذا كله لينزل ليبين كذبهم وضلالهم وافترائهم بذلك، وأنه قد شُبِّه لهم كما جاءت الآيات تبين ذلك، وأن الله عز وجل قد رفعه إليه وهو حي ثم سينزل، وأنه لابد من مخلوق أن يموت، فينزل ليموت في الأرض كما كان خُلِق من الأرض. وهو سيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية. والبعض قالوا كيف يضع الجزية وفيها العزة للمسلمين، وغير ذلك؟ قالوا أن الحُكم كان لعلة وارتفعت العلة بنزول عيسى عليه السلام، وأن ما يحتاج الآن لوجود الجزية أو غير ذلك آخر الزمان، وهو سينزل ليبين للناس أنه نزل بشريعة النبي ﷺ فما احتاج الآن إلى قبول الجزية أو إلى غير ذلك، لأنه لن يُقبَل إلا الإسلام أو السيف بعد ذلك.

والأدلة قد جاءت في السنة عن ذلك؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال عن النبي ﷺ:[والذي نَفسي بيَدِه، لَيوشِكَنَّ أن يَنزِلَ فيكُمُ ابنُ مَريَمَ حَكَمًا عَدلًا، فيَكسِرَ الصَّليبَ، ويَقتُلَ الخِنزيرَ، ويَضَعَ الجِزيةَ] لا يقبلها من كافر [ويَفيضَ المالُ حتَّى لا يَقبَلَه أحَدٌ، حتَّى تَكونَ السَّجدةُ الواحِدةُ خَيرًا مِنَ الدُّنيا وما فيها. ثُمَّ يقولُ أبو هُرَيرةَ: واقرَؤوا إن شِئتُم: {وإن مِن أهلِ الكِتابِ إلَّا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبلَ مَوتِه ويَومَ القيامةِ يَكونُ عليهم شَهيدًا} [النساء: 159]]. فلما ينزل عيسى بن مريم سينزل في المنارة الشرقية في جامع دمشق، وينزل وقد أقيمت الصلاة – ويقال أن الذي كان سيصلي كان المهدي– فينزل على جناحي المَلَك، ووصف النبي ﷺ بأن رأسه كأنه تقطر من الماء وهي ليست تقطر، فينزل فيريدوا أن يقدموه للصلاة، فقالوا "أقيمت الصلاة لك"،

أو قال في رواية "أميركم منكم"، في رواية قالوا الأمير، وفي رواية ذكر بأن المهدي يقول: [صَلِّ لَنا، فيَقولُ: لا، إنَّ بَعضَكُم على بَعضٍ أُمَراءُ؛ تَكرِمةَ اللهِ هذه الأُمَّةَ]، حديث عند مسلم.

ويصف النبي ﷺ أيضًا طريقة النزول في حديث أبي هريرة، قال النبي ﷺ: [الأنبياءُ إخوةٌ لعَلَّاتٍ؛ أمَّهاتُهُم شتَّى ودينُهُم واحدٌ، وإنِّي أولى النَّاسِ بعيسى ابنِ مريمَ؛ لأنَّهُ لم يَكُن بيني وبينَهُ نبيٌّ، وإنَّهُ نازلٌ، فإذا رأيتُموهُ فاعرِفوهُ: رجلٌ مَربوعٌ] أي لا بطويل ولا بقصير [إلى الحمرةِ والبياضِ] وفي رواية: [عريض الصدر]، [عليهِ ثوبانِ مُمصَّران، كأنَّ رأسَهُ يقطرُ وإن لم يُصبهُ بلَلٌ، فيدقُّ الصَّليبَ] أي يكسره [ويقتُلُ الخنزيرَ، ويضعُ الجزيةَ، ويدعو النَّاسَ إلى الإسلامِ، ويُهلِكُ اللَّهُ في زمانِهِ المِللَ كلَّها إلَّا الإسلامَ، ويُهلِكُ اللَّهُ في زمانِهِ المسيحَ الدَّجَّالَ، ثمَّ تقعُ الأمَنةُ على الأرضِ] أمان عظيم جدًا [حتَّى ترتَعَ الأسودُ معَ الإبلِ، والنِّمارُ] أي جمع النمر [معَ البقرِ]، [والذِّئابُ معَ الغنمِ] سبحان الله [ويَلعبَ الصِّبيانُ بالحيَّاتِ لا تضرُّهم، فيمكثُ أربعينَ سنةً، ثمَّ يُتوفَّى ويصلِّي عليهِ المسلِمونَ]، الحديث عند أحمد وأبو داوود. وقد روى الحافظ ابن كثير أحاديث متواترة في تفسيره على نزول عيسى، كثير من الصحابة رووا ذلك.

وسينزل – كما قلنا – في جامع دمشق في المنارة الشرقية عند الإقامة لصلاة الصبح. ونزول عيسى إجماع؛ الأمة أجمعت على نزول عيسى عليه السلام، ولا يوجد خلاف إلا خلاف شاذ في هذه المسألة لا يعتد به، كما نقل علماؤنا أن أجمعت الأمة على نزوله. وطبعًا الذين أنكروا هم الفلاسفة والملاحدة ولا يعد بخلافهم أصالة، لكن أهل السنة والعلماء المسلمين أجمعوا على نزول عيسى وأجمعوا على أنه سينزل بشريعة النبي ﷺ.

ومن صفات عيسى كما قال النبي ﷺ أنه أحمر، جعد، عريض الصدر، وكان أشبه الناس بعيسى – كما قال النبي ﷺ – عروة بن مسعود رضي الله عنه. ولما سينزل سينزل على أجنحة ملكين وعليه مهرودتان كما قال، فلما ينزل ويصلي بهم المهدي ويأبى أن يتقدم هو، فبعد أن ينزل ويصلون سيعلم بوجود المسيح الدجال، فيهرب بنزوله؛ يهرب إلى باب لُدّ، فيذهب خلفه عيسى عليه السلام فيقتله ويكون معه سبعين ألف من يهود أصبهان مع هذا الدجال، ومع ذلك يدركه؛ أول لما يرى عيسى يذوب كالملح أولًا ويذهب إلى باب لُدّ فيسير خلفه عيسى عليه السلام فيدركه فيقتله، حتى قالوا ثم يظل السبعين ألف من اليهود حيارى – كما يقال – أو ليس أحد يحميهم إلا شجر الغرقد الذي هو منهم، فيقول الشجر والحجر يا مسلم هذا يهودي خلفي فاقتله؛ الذين كانوا معه. ثم يرجع عيسى عليه السلام فيأتي قوم قد عصمهم الله من المسيح الدجال، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، هؤلاء

الذين كانوا وقفوا في الفتنة. طبعًا بعد ذلك سيُعلَم بموضوع يأجوج ومأجوج، وهذه لها أشراط أخرى ونحن لن نتوسع في الأشراط لكن نتكلم عن مناسبة ذكر الباب في نزول عيسى عليه السلام لقتله للمسيح الدجال.

ثم يمكث في الأرض أربعين عامًا، على رواية أربعين، وفي رواية سبع سنين، وهذه اختلف فيها العلماء؛ بعضهم وجَّه السبع مع الأربعين على أنه لما رُفِع عيسى عليه السلام كان عمره ثلاث وثلاثين سنة، فقالوا السبع الذي سيجلسها – في رواية السبع – مع الثلاث وثلاثين تكون هي الأربعين الذي جلس فيها في الأرض، والذي هي معنى رواية يمكث أربعين عامًا. فهذا أراد أن يجمع بن رواية سبع سنين وأربعين عامًا، والبعض قال هو أربعين عامًا يجلسهم في الأرض لأن الرواية الأخرى عن حديث عبد الله بن عمرو قال: [فيَبعَثُ اللهُ عيسى ابنَ مَريَمَ.... ثُمَّ يَمكُثُ النَّاسُ سَبعَ سِنينَ، ليس بينَ اثنَينِ عَداوةٌ، ثُمَّ يُرسِلُ اللهُ ريحًا بارِدةً مِن قِبَلِ الشَّأمِ، فلا يَبقى على وجهِ الأرضِ أحَدٌ في قَلبِه مِثقالُ ذَرَّةٍ مِن خَيرٍ أو إيمانٍ إلَّا قَبَضَتْه]. وحديث أبي هريرة قال:[فيَمكُثُ في الأرْضِ أرْبَعينَ سَنةً، ثُمَّ يُتَوفَّى فيُصَلِّي عليه المُسلِمونَ]. قلت البعض جمع السبع على الثلاث وثلاثين وأراد الأربعين بتمام عمره في الأرض، والبعض قال لا، هو يمكث أربعين وأن هذه زيادة ثقة؛ أي زيادة في العدد تقبل في الرواية التي فيها الأربعين، وأن بعضهم قالوا أن الأربعين تمر كأنها سبع سنين لأن هذه من أمور الساعة، وكأنه جمع بين الروايتين في ذلك.

المهم أن عيسى عليه السلام سينزل، ونزوله ثابت بالكتاب – كما قلنا – ويجب التصديق والإيمان بذلك، ومن الإيمان باليوم الآخر وعلامات الساعة التصديق بنزول عيسى عليه السلام، وأنه رُفِع ولم يمت، هذه من أصول عقيدتنا، والذي نخالف به عقيدة النصارى واليهود الذين ادعوا صلبه وموته. وسواء الأحاديث التي جاءت متواترة أو آحاد قلنا بأن أهل السنة والجماعة يثبتون ويؤمنون بالأحاديث؛ كل الأحاديث؛ سواء جاءت متواترة أو جاءت آحاد مادام قد صحت عن النبي ﷺ، بخلاف أهل البدع والضلالة.

الحكمة في نزول عيسى عليه السلام؛ لها أكثر من حكمة؛

- الحكمة الأولى: لو قلنا الرد على وتكذيب واظهار بطلان قول اليهود والنصارى الذين ادعوا بقتل عيسى عليه السلام؛
- والأمر الثاني قال علماؤنا أيضًا بأن عيسى عليه السلام وجد في الإنجيل فضل النبي ﷺ وفضل أمة محمد ﷺ كما قال تعالى عنهم: {وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ

فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ} [الفتح: 29] ، فالمسيح دعا الله عز وجل أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه فجعله من أمة النبي ﷺ في آخر الزمان، حين يندثر الإسلام فيأتي فيجدد ويدعو للإسلام ثم يُقبَض على ذلك.

- أيضًا قالوا لأن ما من مخلوق خلق من الأرض إلا سيُدفَن في الأرض ويعود إليها، وعيسى مخلوق، فأنزله الله عز وجل يُدفَن في الأرض كباقي المخلوقات؛

أهم الأعمال التي سينزل بها عيسى؛

- قتله للمسيح الدجال، وقلنا لأنه سينزل فيهرب الدجال بعلمه بنزول عيسى، فيلحقه إلى بيت المقدس فيدركه عند باب لُدّ، فيأمر بفتح الباب فيجد عصابة من المسلمين هناك حوصروا، فيأمر بفتح الباب فيفعلون ذلك، فيكون من ورائهم الدجال فينطلق هاربًا فيلحقه عيسى عليه السلام عند باب لُدّ الشرقي فيقضي عليه مع من معه من اليهود؛ سيقتل اليهود الذين معه، وهذه جاءت في الحديث الصحيح عن أبي أمامة- حتى ما أعيد أنا لخصت لكم الحديث؛ لما تقيم الصلاة قال: [فيصلّي بهم إمامُهم فإذا انصرف قال عيسى عليه السلامُ افتَحوا البابَ فيفتح ووراءَه الدَّجَّالُ معه سبعون ألفَ يهوديٍّ كلُّهم ذو سيفٍ مَحْلِيٍّ وساجٍ فإذا نظر إليه الدَّجَّالُ ذاب كما يذوبُ الملحُ في الماءِ وينطلق هاربًا] فينطلق عيسى خلفه [ويقول عيسى إنَّ لي فيك ضربةً لن تستبقيَ بها فيدركُه عند بابِ لُدٍّ الشرقيِّ فيقتلُه ويهزم اللهُ اليهودَ فلا يبقى شيءٌ مما خلق اللهُ تعالى يتوارى له اليهوديُّ إلا أنطق اللهُ ذلك الشيءَ لا حجَرٌ ولا شجرٌ ولا حائطٌ ولا دابةٌ إلا الغرقدةُ فإنها من شجرِهم لا تنطقُ إلا قال يا عبدَ اللهِ المسلمَ هذا يهوديٌّ فتعالَ اقتُلْه].

- من أعمال عيسى عليه السلام أيضًا هلاك يأجوج ومأجوج؛ لأنهم سيهلكون بعد أن يقضي عيسى عليه السلام على الدجال، هؤلاء يأجوج ومأجوج سيفسدون الأرض؛ سيفسدون فسادًا كبيرًا، فتنة عظيمة جدًا، فيتضرع عيسى عليه السلام إلى الله عز وجل هو وأصحابه أن يُهلِك هؤلاء، فيهلكهم الله ويصبحون موتى ولا يبقى منهم أحد؛ كما سيأتي لو جاء الكلام عنهم لكن حتى لا نستفيض.

- القضاء على كل الشرائع وإبقاء شريعة الإسلام فقط، لذلك سيقتل الخنزير، ويدق الصليب، ويرفع الجزية، فيكون تابعًا لشريعة النبي ﷺ، وكل النبيين أخذ الله عز وجل منهم الميثاق، قال سبحانه وتعالى: {وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ

أَقْرَرْنَآ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ} [آل عمران: 81] ، فقد أخذ الله الميثاق من النبيين أن الكل سيكون خلف النبي ﷺ وشهدوا بذلك، فينزل عيسى بذلك.

- من نعائم نزول عيسى على الناس؛ كما جاء في الحديث، ارتفاع الشحناء والبغضاء ونزول الأمن والبركة في كل شيء، والرخاء الموجود، قلنا الأولاد تلعب بالحيات والعقارب، والذئب مع الغنم، والنمور مع البقر، والأسود مع النوق، وليس هناك قتال، والله عز وجل يرسل مطرًا يدخل في كل بيت ولا يترك بيت، فيغسل الأرض وتنبت بركات وثمر، حتى قالوا الرمانة الواحدة يأكل منها عصابة من الناس، و **[اللِّقحةَ منَ الإبلِ تَكْفي الفِئامَ منَ النَّاسِ، واللِّقحةَ منَ البقرِ تَكْفي القبيلةَ]**، وهذا رخاء ونِعَم من الله عز وجل تكون بنزول عيسى عليه السلام.

ثم بعد ذلك يأتي موت عيسى عليه السلام؛ ويُدفَن، والحق أن الرواية التي ذكرها الإمام لم تثبت – والله أعلم – في مسألة بأن عيسى سيُدفَن جانب النبي ﷺ وأبو بكر وعمر، لم يأت بذلك نص صحيح في هذه المسألة في مكان موت عيسى أو دفنه، لكن بعضهم قال سيموت في المدينة، والبعض – كما قال هنا الإمام الآجري– سيدفن مع الرسول ﷺ وصاحبيه، والبعض قال سيدفن في الأرض المقدسة؛ أي البيت المقدس، وما فيها نص، لكنه سيموت ويُصلي عليه المسلمين بعد أن يمكث الأربعين سنة ويدفن حيث سيدفن، وتكون قد انتهت هذه العلامة وهذه المسألة، وتتتابع بعد ذلك علامات الساعة أو أشراط الساعة.

هذا كان آخر الكلام في هذا الباب، نقف عند كِتَابُ الْإِيمَانِ بِالْمِيزَانِ، وكان هذا المقام أن الشيخ يذكر ذلك ليرد على الذين أنكروا وجود المسيح الدجال، وادعوا بأنه ليس على الحقيقة ولكنه أوهام أو تخيلات أو شعور يشعر به الناس، وهذا كله باطل. نقف عند كِتَابُ الْإِيمَانِ بِالْمِيزَانِ أَنَّهُ حَقٌّ.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة التاسعة والستون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – هذا الكتاب المبارك الذي يعتبر أصل من أصول أهل السنة والجماعة، كتاب من الأهمية بمكان، ودائمًا نقول بأنه لاغنى لطالب العلم عن هذا الكتاب، وعن دراسته، واتقانه والإلمام بمسائله، وقد أورد الإمام الآجري في هذا الكتاب عقيدة أهل السنة والجماعة في أبواب شتى، وتعرض للمخالفين والمبتدعة من الطوائف الأخرى، وردَّ عليهم بما يليق أن يرد عليهم من الكتاب والسنة ومن آثار الصحابة. ولذلك دراسة هذا الكتاب من الكتب المهمة جدًا في اثبات وفي تحقيق عقيدة أهل السنة والجماعة، وفيه حقيقة تصنيف وتقسيم واستدلال بديع جدًا من الإمام– رحمه الله تعالى – وجزاه الله خيرًا عنا وعن المسلمين.

مازلنا في آخر هذا الجزء الرابع في بعض الطبعات من الكتاب، وتعرض فيها الإمام الآجري لبعض مسائل الإيمان باليوم الآخر وما يكون في قيام الساعة، وأخذ بعض المباحث التي

أنكرها المعتزلة من الطوائف المبتدعة، وكانت هذه مناسبة أن يأتي بهذه الأبواب ليبين فيها عقيدة أهل السنة والجماعة، ويبين فيها أيضًا المخالفين.

فذكرنا سابقًا نزول عيسى عليه السلام، وظهور المهدي والمسيح الدجال، وغير ذلك من الأمور، واليوم تبقى في هذا الجزء الكلام عن الإيمان بالميزان، والكلام عن أن الجنة والنار مخلوقتان، إلى غير ذلك مما يتعلق به من مسائل يختم بها المصنف هذا الجزء الرابع قبل أن يدخل بعد ذلك في الجزء الخامس إلى فضائل النبي ﷺ.

وقفنا عند كِتَابُ الْإِيمَانِ بِالْمِيزَانِ: أَنَّهُ حَقٌّ تُوزَنُ بِهِ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ، وهو يقصد هنا بأن الميزان الذي قد بينه الله عز وجل لنا في الكتاب وفي السنة أنه عند أهل السنة والجماعة ميزان حقيقي؛ ميزان حسي، وله كفتان ولسان، وأنه يوزَن به، كما سنبين. فهذا هو الميزان.

الميزان في اللغة: يقولون الوزن هو ثقل الشيء بشيء مثله، هذا معنى أن الواحد يقيس شيء بشيء مثله.

والميزان عندنا هنا في الشريعة أو في باب الإيمان باليوم الآخر وبوسائله هو ميزان عظيم ينصب في ختام يوم الحساب لوزن أعمال العباد، فالوزن للجزاء. أولًا المحاسبة، والمحاسبة لتقدير الأعمال كما جاء في السنة؛ بأن الله عز وجل يختلي بالعبد فيقرره على كل عمل؛ أنك عملت كذا يوم كذا، وكذا يوم كذا، وكذا يوم كذا، هذه هي المحاسبة، وإن شاء الله عز وجل قال سترتها عليك في الدنيا وسأسترها عليك في الآخرة – نسأل الله عز وجل أن يستر علينا جميعًا. فهذه هي المحاسبة أولًا؛ تقدير الأعمال التي قد قمت بها، ثم بعد المحاسبة يأتي الوزن بعد أن تُقدَّر الأعمال يأتي وزن هذه الأعمال لإظهار المقدار، ليكون الجزاء بحسبها بعد ذلك.

فالميزان هو ميزان حقيقي عند أهل السنة الجماعة، حسي؛ أي شيء مادي، ليس كما قالت المعتزلة أنه لا يوجد شيء اسمه ميزان يوم القيامة وأن الميزان يقصد به العدل، لكن لا يوجد ميزان حسي مادي!

وهذا الميزان دقيق جدًا لا يزيد ولا ينقص، قال تعالى:{ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ} [الأنبياء: 47] ، وقال تعالى: {وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ * وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ} [الأعراف: 8-9] ، وقال

سبحانه وتعالى: {فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ} [القارعة: 6-9] ، أسأل الله عز وجل أن تثقل موازيننا جميعًا.

فالميزان هذا تعريفه عند أهل السنة والجماعة، ويؤمنون بأن هناك ميزان يوم القيامة يوزن به – كما سيأتي – الأعمال، والعباد، وتوزن به أيضًا الصحائف والسجلات. ولكن اختلف أهل العلم هل هو ميزان واحد لكل الناس؟ أم كل أمة لها ميزان؟ أم هو ميزان لكل شخص؟ أم كل عمل له ميزان؟ البعض قال ميزان واحد لكل أمة، والبعض قال ميزان واحد للكل، والبعض قال أن هو ميزان واحد لكل شخص، وقيل أن لكل عمل ميزان أصالة.

وكما قلنا بأن الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان وله أدلة على ذلك هذا الوصف؛ حديث البطاقة – الذي سيأتي معنا – بأن الله عز وجل لما أتى بالسجلات وضعها في كفة، ثم أتى ببطاقة لا إله إلا الله وضعها في كفة أخرى، فطاشت السجلات وثقلت وربحت كفة البطاقة، فدخل الجنة. فدل ذلك على أن الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان، وأن هذا الميزان ميزان حقيقي وأنه يوزَن به الأعمال، ويوزن به العباد، ويوزن به السجلات.

خالفت في ذلك المعتزلة؛ قالوا الميزان هو العدل، وأن ما في شيء اسمه ميزان حسي يوزن به؛ كم ميزان؟ وكيف يكون الميزان؟ وكم نحتاج إلى موازين؟ فأدخلوا العقل فيها وقالوا الميزان يقصد به العدل، وأن الله عز وجل لما قال (الموازين) يقصد به العدل يوم القيامة، خلافًا لأهل السنة الذين يقولون ميزان حقيقي وتوزن به الأعمال. والميزان غير العدل لأن الله عز وجل قال: {فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ} و {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ} [الأعراف: 8-9] ، وهو الذي قال سبحانه وتعالى:{وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ} [الأنبياء: 47] ، وهنا طبعًا استدل بعض من قال بأن الموازين أكثر من ميزان، وليس ميزان واحد، وهذا هو الراجح، وإن اختلفوا هل ميزان لكل أمة أم ميزان لكل واحد فقط.

والله عز وجل ذكر الميزان، والميزان معلوم في لغة العرب، بل جاءت الأدلة تبين بأن الميزان له كفتان، وبيَّن النبي ﷺ في الحديث الصحيح:[كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ على اللِّسانِ، ثَقِيلَتَانِ في الميزانِ، حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحمَنِ: سُبحانَ اللهِ العَظِيمِ، سُبحانَ اللهِ وبحَمدِهِ] ، وحديث البطاقة كما عند الترمذي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص؛ حديث السجلات التي طاشت كما بينا، كل هذه تبين أن الميزان يوزن به؛ سواء من الكتاب أو السنة، توزن به الأعمال وترجح الحسنات على السيئات والعكس. وهذا يخالف العدل، أما العدل فهو أن يكون الوزن بالعدل، المقصود بالعدل أي أن الميزان فيه عدلًا، ميزان دقيق، لا يبخس أحد ولا يظلم أحد، هذا هو المعنى،

كما أنك في الدنيا عندما توزن للناس يراد قدر معين فتوزن بالعدل، لا تعطيه أقل أو أكثر، وهكذا ميزان الله عز وجل، وهو العدل سبحانه وتعالى، أنه عند الميزان يوزن بالعدل، لكن هناك ميزان؟ نعم ميزان حسي.

نقرأ ما ورد من آثار، ثم نكمل باقي المسائل وما الذي يوزن في الميزان، هذه نتعرض إليها إن شاء الله.

75- كِتَابُ الْإِيمَانِ بِالْمِيزَانِ: أَنَّهُ حَقٌّ تُوزَنُ بِهِ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ

894 - أَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ, عَنْ ثَابِتٍ, عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ, عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: "يُوضَعُ الصِّرَاطُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ حَدٌّ كَحَدِّ الْمُوسَى قَالَ: وَيُوضَعُ الْمِيزَانُ, وَلَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّتِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِنَّ لَوَسِعَتْهُمْ, فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا لِمَنْ تَزِنُ بِهَذَا؟ فَيَقُولُ: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي, فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ"

895 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَنْبَأَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ, عَنْ ثَابِتٍ, عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ, عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: "يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ, فَلَوْ أَنَّ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوُسِعَتْ, فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ, لِمَنْ تَزِنُ بِهَذَا؟ فَيَقُولُ لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي, فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَكَ, مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ"

896- حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ قَالَ: أَنْبَأَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ, عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَزَّةَ, قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: عَطَاءٌ يُحَدِّثُ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ, عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْخُلُقِ الْحَسَنِ»

897 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا بُنْدَارٌ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ يَعْنِي غُنْدَرًا قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ أَبِي بَزَّةَ يُحَدِّثُ عَنْ عَطَاءٍ الْكَيْخَارَانِيِّ, عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ, عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»

898 - وَحَدَّثَنَا ابْنُ صَاعِدٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: أَخْبَرَنِي الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي بَزَّةَ , عَنْ عَطَاءٍ الْكَيْخَارَانِيِّ , عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ , عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»

899 - حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ هَارُونُ بْنُ يُوسُفَ التَّاجِرُ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ يَعْنِي مُحَمَّدًا الْعَدَنِيَّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ , عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ , عَنْ يَعْلَى بْنِ مَمْلَكٍ , عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ , عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَفْضَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ»

900 - وَحَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ لُوَيْنٌ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ , عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ , عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ , عَنْ يَعْلَى بْنِ مَمْلَكٍ , عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ , عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَثْقَلُ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ: الْخُلُقُ الْحَسَنُ "

901 - وَحَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ ذَرِيحٍ الْعُكْبَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ زُرَارَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا شَرِيكٌ , عَنْ خَلَفِ بْنِ حَوْشَبٍ , عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: قُلْتُ لِأُمِّ الدَّرْدَاءِ: هَلْ سَمِعْتِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا؟ قَالَتْ: نَعَمْ , سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يَدْخُلُ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ»

902 - حَدَّثَنِي أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ الْحِمْصِيُّ , عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ الْإِفْرِيقِيِّ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِرَجُلٍ إِلَى الْمِيزَانِ , وَيُؤْتَى بِتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا , كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدُّ الْبَصَرِ , فِيهَا خَطَايَاهُ وَذُنُوبُهُ , فَتُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ , ثُمَّ يُخْرَجُ بِطَاقَةٌ بِقَدْرِ أُنْمُلَةٍ فِيهَا: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ , وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ , فَتُوضَعُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى , فَتَرْجَحُ بِخَطَايَاهُ وَذُنُوبِهِ "

903 - أَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ , عَنْ عَمْرٍو هُوَ ابْنُ دِينَارٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: "يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الطَّوِيلِ الْعَظِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ , فَيُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ , فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَقَرَأَ {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف:١٠٥]

904 - أَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ قَالَ: أَنْبَأَنَا لَيْثٌ , عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ , عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ , فِي «الْعُتُلِّ» قَالَ: «هُوَ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ الْأَكُولُ الشَّرُوبُ , يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ , فَلَا يَزِنُ شَعِيرَةً , يَدْفَعُ الْمَلَكُ مِنْ أُولَئِكَ سَبْعِينَ أَلْفًا دَفْعَةً وَاحِدَةً فِي النَّارِ»

هذا وصف للرجل الطويل العظيم يوم القيامة، و"العتول" في بعض الرويات.

905 - وَأَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ السَّيْلَحِينِيُّ قَالَ: أَنْبَأَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ , عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ , عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ , عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ , هَلْ يَذْكُرُ الْحَبِيبُ حَبِيبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: "أَمَّا عِنْدَ ثَلَاثٍ فَلَا , أَمَّا عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَمِيلَ أَوْ يَخِفَّ فَلَا , وَأَمَّا عِنْدَ الْكُتُبِ حَتَّى يُعْطَى الْكِتَابَ بِيَمِينِهِ أَوْ بِشِمَالِهِ فَلَا , وَأَمَّا حِينَ يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ , فَيَقُولُ ذَلِكَ الْعُنُقُ: وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ , وُكِّلْتُ بِالَّذِي ادَّعَى مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ , وَوُكِّلْتُ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ , وَبِكُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ"

906 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ عَيَّاشٍ الرَّمْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُبَارَكٌ , عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَتْ: عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ فِي حِجْرِي , فَذَكَرْتُ قُرْبَهُ مِنِّي فِي الدُّنْيَا , وَتَبَاعُدَ النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ فِي الْآخِرَةِ , فَبَكَيْتُ , فَقَالَ لِي: «مَا يُبْكِيكِ يَا عَائِشَةُ؟» فَقُلْتُ: ذَكَرْتُ قُرْبَكَ مِنِّي فِي الدُّنْيَا , وَتَبَاعُدَ النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ فِي الْآخِرَةِ , هَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ , إِذَا تَطَايَرَتِ الصُّحُفُ , وَقِيلَ {هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ} لَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ أَحَدًا حَتَّى يَعْلَمَ: أَبِيَمِينِهِ يُعْطَى أَمْ بِشِمَالِهِ؟ وَإِذَا وُضِعَتِ الْأَعْمَالُ فِي الْمِيزَانِ لَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ أَحَدًا , حَتَّى يَعْلَمَ: أَيَثْقُلُ مِيزَانُهُ أَمْ يَخِفُّ؟ وَإِذَا حُمِلَ النَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ لَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ أَحَدًا , حَتَّى يَعْلَمَ: يَنْجُو أَمْ لَا؟"

907 - وَأَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاتِكَةِ , عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ , عَنِ الْقَاسِمِ , عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] الْآيَةَ، جَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي هَاشِمٍ ,

فَأَجْلَسَهُمْ عَلَى الْبَابِ , وَجَمَعَ نِسَاءَهُ وَأَهْلَهُ , فَأَجْلَسَهُمْ فِي الْبَيْتِ , ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا بَنِي هَاشِمٍ , اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , لَا يَغُرَّنَّكُمْ قَرَابَتُكُمْ مِنِّي , فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا , ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ , وَيَا حَفْصَةُ بِنْتَ عُمَرَ , وَيَا أُمَّ سَلَمَةَ , وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ , يَا أُمَّ الزُّبَيْرِ يَا عَمَّةَ النَّبِيِّ: اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , وَاسْعَوْا فِي فِكَاكِ رِقَابِكُمْ , فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا , فَبَكَتْ عَائِشَةُ , ثُمَّ قَالَتْ: أَيْ حِبِّي , وَهَلْ يَكُونُ ذَلِكَ يَوْمَ لَا تُغْنِي عَنِّي شَيْئًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ , فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [الأنبياء: ٤٧] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ , وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} [المؤمنون: ١٠٣] فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا , وَعِنْدَ النُّورِ: مَنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَتَمَّ نُورَهُ , وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ فِي الظُّلْمَةِ يَعْمَهُ فِيهَا , فَلَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا , وَعِنْدَ الصِّرَاطِ , مَنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَلَّمَهُ وَأَنْجَاهُ , وَمَنْ شَاءَ كَبْكَبَهُ فِي النَّارِ " قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَيْ حِبِّي , قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الْمَوَازِينَ هِيَ الْكِفَّتَانِ يُوضَعُ فِي هَذَا الشَّيْءَ , وَفِي هَذَا الشَّيْءَ فَتَرْجَحُ إِحْدَاهُمَا , وَتَخِفُّ إِحْدَاهُمَا , وَقَدْ عَلِمْنَا النُّورَ وَالظُّلْمَةَ , فَمَا الصِّرَاطُ؟ قَالَ: " طَرِيقٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ , يُجَازُ النَّاسُ عَلَيْهَا , وَهِيَ مِثْلُ حَدِّ الْمُوسَى , وَالْمَلَائِكَةُ صَافُّونَ يَمِينًا وَشِمَالًا يَتَخَطَّفُونَهُمْ بِالْكَلَالِيبِ , مِثْلَ شَوْكِ السَّعْدَانِ , وَهُمْ يَقُولُونَ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ , وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ , فَمَنْ شَاءَ اللَّهُ سَلَّمَهُ , وَمَنْ شَاءَ كَبْكَبَهُ فِيهَا "

الحديث فيه ضعف لكن المعنى هذا ورد في أحاديث أخرى، وأجزاء منه صحت، لكن الحديث هذا فيه ضعف وفيه عدة علل، فيه راوي يسمى: (علي بن يزيد الألهاني) وهو متروك.

908 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْبَاغَنْدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ يَحْيَى الْأَطْرَابُلُسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ الزُّبَيْدِيُّ , عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ , عَنْ سَبْرَةَ بْنِ فَاتِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمِيزَانُ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَرْفَعُ قَوْمًا وَيَضَعُ قَوْمًا» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

909 - حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُؤَمَّلُ بْنُ الْفَضْلِ , وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَصْبَهَانِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ:

سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ يَقُولُ: حَدَّثَنِي بُسْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيُّ, أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى, يَرْفَعُ أَقْوَامًا, وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ, فَأُوتِيتُ بِكِفَّةِ مِيزَانٍ, فَوُضِعْتُ فِيهَا, وَجِيءَ بِأُمَّتِي, فَوُضِعَتْ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى, فَرَجَحْتُ بِأُمَّتِي» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِالْمِيزَانِ

الحديث الأخير هذا أيضًا وإن كان خرجه الإمام أحمد في المسند، رواية أبي أمامة، لكنه لم يثبت، فهذا الحديث ضعيف.

طيب؛؛ هذه كلها كانت الروايات التي جاء بها المصنف في مبحث الميزان، قد عرَّفنا الميزان، واثبات الميزان الحسي عند أهل السنة والجماعة، خلافًا للمعتزلة الذين قالوا بأن الميزان هو العدل ولا يوجد ميزان حسي.

ما الذي يوزن في الميزان؟

وهذه محل خلاف بين أهل العلم، قلنا أثبتنا الميزان، وأنه حسي، وله كفتان، لكن ما الذي يوزن في الميزان؟ اختلفوا أهل العلم في ذلك على أقوال؛

توزن الأعمال؛ وأكثر ما يوزن يكون أعمالًا، فتوضع الأعمال كأنها تُجسَّم؛ توضع في الميزان، وقد جاءت نصوص كثيرة على أن الأعمال توزن؛ بينها منها حديث النبي ﷺ: [كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ على اللِّسانِ، ثَقِيلَتَانِ في الميزانِ، حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحمَنِ: سُبحانَ اللهِ العَظِيمِ، سُبحانَ اللهِ وبحَمدِه]، وأيضًا قول النبي ﷺ حديث أبو مالك الأشعري:[الطُّهورُ شَطرُ الإيمانِ، والحَمدُ للَّهِ تَملأُ الميزانَ، وسُبحانَ اللهِ والحَمدُ للَّهِ تَملَآنِ أو تَملأُ ما بينَ السَّمواتِ والأرضِ، والصَّلاةُ نورٌ، والصَّدَقةُ بُرهانٌ، والصَّبرُ ضياءٌ، والقُرآنُ حُجَّةٌ لَك أو عليك، كُلُّ النَّاسِ يَغدو فبايعٌ نَفسَه فمُعتِقُها أو موبِقُها].
وهذا الغالب أن الأعمال توزن؛ هي التي توزن، كما قال في أول الروايات في الباب، لأنه في الباب ذكر أحاديث للأعمال، وذكر أحاديث يوزن بها العامل، وذكر الصحائف اعتقد.

وقال أيضًا: [ما شيءٌ أثقلُ في ميزانِ المؤمنِ يومَ القيامةِ مِن خُلُقٍ حسَنٍ، فإنَّ اللَّهَ تعالى ليُبغِضُ الفاحشَ البَذيءَ]، وهذه دلالة على أن العمل يوزن أيضًا، وأكثر ما يكون في الميزان هو الأعمال، وقد جاءت أدلة كثيرة في ذلك؛ كما في القرآن البقرة وآل عمران، كما جاء في حديث

أبو أمامة الباهلي قال النبي ﷺ: [اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتِي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْراوَيْنِ البَقَرَةَ، وسُورَةَ آلِ عِمْرانَ، فإنَّهُما تَأْتِيانِ يَومَ القِيامَةِ كَأنَّهُما غَمامَتانِ، أوْ كَأنَّهُما غَيايَتانِ، أوْ كَأنَّهُما فِرْقانِ مِن طَيْرٍ صَوافَّ، تُحاجَّانِ عن أصْحابِهِما، اقْرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ، فإنَّ أخْذَها بَرَكَةٌ، وتَرْكَها حَسْرَةٌ، ولا تَسْتَطِيعُها البَطَلَةُ]، وطبعًا هذا كلام الله؛ **ما الذي يأتي كغمامتان وغيايتان؟** العمل؛ لأن القرآن لا يأتي، القرآن كلام الله، لكن الذي سيأتي هو العمل، هو القراءة نفسها.

وأيضًا حديث ابن بريدة عن أبيه بريدة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: [يَجِيءُ القُرْآنُ يومَ القيامةِ كالرَّجُلِ الشَّاحبِ، فيقولُ: أنا الَّذي أسهَرْتُ ليلَكَ وأظمَأْتُ نهارَكَ]، وإن كان الحديث فيه ضعف لكنه يُستأنس به، وهو يأتيه أيضًا في قبره من عمل صالح – قصة البراء في سؤال القبر – أن المؤمن يمثل له عمله في صورة [رَجُلٌ حَسَنُ الوَجهِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فيَقولُ له: أبْشِرْ بالذي يَسُرُّكَ، فهذا يَومُكَ الذي كُنتَ تُوعَدُ. فيَقولُ: مَن أنتَ فوَجهُكَ الوَجهُ الذي يأْتي بالخَيرِ؟ فيَقولُ: أنا عَمَلُكَ الصَّالِحُ. فيَقولُ: رَبِّ أقِمِ السَّاعةَ، رَبِّ أقِمِ السَّاعةَ؛ حتى أرجِعَ إلى أهلي ومالي]، وأما على الطرف الثاني – نعوذ بالله من ذلك – وهو الكافر يمثل له عمله في صورة [رَجُلٌ قَبيحُ الوَجهِ مُنتِنُ الرِّيحِ، فيَقولُ: أبْشِرْ بالذي يَسوؤُكَ، هذا يَومُكَ الذي كُنتَ تُوعَدُ. قال: فيَقولُ: مَن أنتَ فوَجهُكَ الوَجهُ الذي يَجِيءُ بالشَّرِّ؟ فيَقولُ: أنا عَمَلُكَ الخَبيثُ. فيَقولُ: رَبِّ لا تُقِمِ السَّاعةَ، رَبِّ لا تُقِمِ السَّاعةَ].

فكل هذه أحاديث تبين أن العمل يوزَن يوم القيامة.

- أما ما جاء في العامل؛ فكما جاء من المؤلف قال هنا الرجل (الْعُتُلِّ)، وفي رواية قال: (يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الطَّوِيلِ الْعَظِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ , فَيُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ , فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ)، وقرأ قوله تعالى: {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا}، هذا الذي يوضع؛ الرجل نفسه؛ لا يقام له يوم القيامة وزنا، فهذا في الرجل السمين الذي لا يزن عند الله عز وجل جناح بعوضة.

وعلى النقيض، قد يأتي بالرجل النحيف ويكون أثقل من الجبال كما هو عن ابن مسعود رضي الله عنه [أنَّه كان يَجتَني سِواكًا مِن الأراكِ] أي صعد سورًا ليأتي بسواك من الأراك، [وكان دَقيقَ السَّاقَينِ، فجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكفَؤُه] أي كأنها ستلقي به [فضَحِكَ القَومُ منه، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: مِمَّ تَضحَكون؟! قالوا: يا نبيَّ اللهِ، مِن دِقَّةِ ساقَيهِ] لما جاءت الريح وكشفت عن الساقين وكادت أن توقعه من شدتها [فقال: والذي نفْسي بيَدِه، لَهُمَا أثقَلُ في الميزانِ مِن أُحُدٍ]، وهذه دلالة صريحة على أنه قد يوزَن المرء نفسه في الميزان.

- والثالث هو صحائف الأعمال؛ وصحائف الأعمال يُستدل لها من حديث البطاقة الذي قد تقدم؛ الرجل الذي أتي بتسعة وتسعين من السجلات؛ سجلات عديدة جدًا، وُضِعَت في كفة كلها فيها خطاياه، ثم جيء بالبطاقة وضعت في كفة، فطاشت السجلات وثقلت كفة البطاقة.

إذًا أثبت وزن الأعمال، وزن العامل، وزن صحائف الأعمال، وهذا الحق بأن نقول أن الكل يُوزَن، لكن ذكر النبي ﷺ – كما نقل الإمام الآجري – أن **من أثقل الأعمال في الميزان حُسن الخلق**، وكأنه أراد أن يختصها، وإن كانت الروايات بعضها فيها ضعف ولكن هي حقيقة تشد بعضها بعضًا وفيها بعضها صحح؛ أن من أثقل ما يكون في الميزان حُسن الخلق. وحسن الخلق هذا من أعظم الأعمال التي يُتقرب بها لله عز وجل، بل هي في بعض الأحيان تكون هي الفاصلة بين الناس بعضهم وبعض؛ وهو حسن الخلق، كما جاء في الحديث – وإن كان الحديث فيه كلام في الثبوت أيضًا – قال: [إذا أتاكُم من ترضونَ خُلقهُ ودينهُ فزوّجوهُ].

فحسن الخلق من أثقل ما يوضع في ميزان العبد المسلم يوم القيامة، كما جاء في حديث أبي الدرداء وأم الدرداء رضي الله عنهما. ولما جاء الرجل يسأل عائشة رضي الله عنها وأرضاها عن خلق النبي، قالت: [كان خُلُقُه القُرآنَ]، أجملت له بأعظم إجمال، حقيقة من أعظم الإجابات التي تجدها عند البشر في سؤال هذا السؤال، أنا حقيقة لما أتدبره أجد توفيق لعائشة رضي الله عنها وأرضاها في الإجابة ما بعدها توفيق؛ لما يأتي الرجل يسأل عائشة عن النبي ﷺ ماذا خلقه؟ قالت: [كان خُلُقُه القُرآنَ] ليس هناك إجابة أعظم من هذه الإجابة اعتقد، وليس اعتقادًا بل يقينًا وجزمًا، أجملت كلام بديع، كل ما كان في القرآن من أخلاق – وكل القرآن حسن – لكن ما ذُكِر فيه من الممدوح كان النبي ﷺ يفعله، أحالته بإجابة بديعة، فأنت كل ما تفعله من خلق حسن فيه تأسي بالنبي ﷺ.

وكما جاءت في الأحاديث الأخرى: [إنَّ أحبَّكُمْ إليَّ وأقربَكُمْ مِنِّي يومَ القيامةِ أحاسِنُكُمْ أخلاقًا] في السنن، فقربك من النبي ﷺ يكون بحسن الخلق، انظر.. ما قال بأمر آخر، لكن هنا انتقى؛ أقربكم مجلسًا من النبي ﷺ أحاسنكم أخلاقًا. ونحن نفتقد كثيرًا لهذا الأمر في زماننا، البعض يظن بأن مجرد الالتزام الديني هذا هو المقصود! لا فحسن الخلق في كل شيء؛ في معاملاتك مع الناس في الخارج، معاملاتك المالية والمادية، حسن الخلق مع أهلك في بيتك، حسن الخلق مع أولادك، مع إخوانك وأخواتك، مع أقاربك، حسن الخلق مع الوالدين، قال النبي ﷺ: [خيرُكُم خَيرُكُم لأَهْلِهِ وأَنا خيرُكُم لأَهْلي]، يبين بأن الخيرية لابد تظهر لك، بعض

الناس خارجًا هو رجل ممتاز لكن اسأل عليه في بيته تجده أمرًا آخر، هذا تكلف في حسن الخلق، هذا ليس سجية له.

بعض الأعمال الأخرى التي تثقل الميزان:

هناك أعمال كثيرة بينها النبي ﷺ في تثقيل الموازين؛

- سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، كلمتان خفيفتان، والأدلة في ذلك كثيرة لو استفضنا فيها؛
- والحمد لله أيضًا تملأ السماوات والأرض؛
- ومن أعظم الأعمال الوقف في سبيل الله عز وجل؛ الصدقة الجارية التي تثقل ميزان العبد حتى بعد موته، وفيما أذكر أنه لم يرد أحد من الصحابة لم يوقف شيئًا لله عز وجل، إلا ما وصل إلينا، لكن غالب الصحابة كانوا يحرصون على الوقف لله؛ حديث أبو هريرة عن النبي ﷺ: [مَنِ احتَبَسَ فرَسًا في سَبيلِ اللهِ إيمانًا باللهِ وتَصديقًا بوعدِه] انظروا.. [احتَبَسَ فرَسًا في سَبيلِ اللهِ] جعله وقف لله؛ يقاتل عليه ويجاهد به وغير ذلك، [إيمانًا باللهِ وتَصديقًا بوعدِه، فإنَّ شِبَعَه ورِيَّه ورَوْثَه وبَوْلَه في ميزانِه يَومَ القيامةِ]، حسنات كلها تجر عليه؛
- وأعظم ما يكون طبعًا في ذلك العلم الشرعي؛ انظروا إلى ما نحن ندرسه الآن كتاب الشريعة عن الإمام الآجري المتوفى في أول الربعمائة؛ القرن الرابع، ونحن في الألف وأربعمائة، ألف عام مضت على وفاة هذا الرجل تقريبًا، هذا الإمام العَلَم، ونحن نقرأ كتابه ونتدارس ما فيه من آثار، أي أجور عظيمة جدًا تكون لهذا الإمام – رحمة الله عليه – بأن يُقرأ كلامه الذي أُلِّف من ألف عام ويُدرَّس وما زال يُقرأ وسيقرأ لأن الله كتب ذلك، هذه ليست لنا ولا له، كتب الله عز وجل القبول لأناس فجعل يُمضي عليهم حسناتهم ولو بعد ألف عام. وقبله الإمام الشافعي، والإمام أحمد، والإمام مالك، أئمة أهل السنة والجماعة الذي يُقرأ كلامهم ويُعمل به، وكتبهم وتصانيفهم إلى يومنا هذا.

كل هذه أعمال يحرص المرء عليها أن يثقل بها موازينه يوم القيامة، فالأعمار قليلة، قال النبي ﷺ: [أعمارُ أمَّتي ما بينَ السِّتِّينَ إلى السَّبْعين]ولمن عاش للتسعين وللمئة قليل، لكن المسألة ليست بالأعمار، هؤلاء علموا بأن أعمارهم قليلة في الدنيا، النووي – رحمه الله تعالى ورضي الله عنه – مات في الأربعين، وانظر إلى كتب النووي الآن وشروحاته وأعماله، هل بيت في مصر يخلو من رياض الصالحين أو من الأربعين النووية؟! لا تجد مسجد من المساجد إلا

وفيه هذا الكتاب، بل لا تجد بيت إلا فيه هذا الكتاب، لا يُذكَر النووي إلا برياض الصالحين، سُنة، أو بالأربعين النووية، مع أنه إمام من أئمة الفقه أيضًا والحديث، لكن أقول على المرء أن يسعى دائمًا أن تكون له خبيئة بينه وبين ربه من الأعمال تجر عليه بعد موته، ف [إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، وعلمٍ ينتفعُ به، وولدٍ صالحٍ يدعو له].

فمن حباه الله وكان له طريق العلم فليسارع في ذلك وألا يضيع وقته إلا في التلقي والتدريس والتعلم، فكل ما يخرج منه ويُعلِّم به أحد أو يتعلمه هو فيه صدقة جارية له إلى قيام الساعة، ومن لم يعطه الله عز وجل العلم وأعطاه المال أو أعطاه أمور فليتصدق وليجعله صدقة جارية، وحتى من لم يعطه الله عز وجل علمًا كثيرًا أو مالًا كثيرًا فممكن بأعمال يسيرة كأن يُعلِّم أحد الفاتحة، يُعلِّم أحد الوضوء والصلاة، يدعو إلى دين الله عز وجل ما استطاع، يسعى في أشياء يكون سبيلًا، فالدال على الخير كفاعله، فالنبي ﷺ بيَّن في الأربع حالات؛ الرجل الذي أعطاه الله عز وجل علمًا ومالًا، والرجل الذي أعطاه الله عز وجل مالًا ينفقه بحكمة في سبيل الله عز وجل، والذي لم يعطه الله عز وجل وتمنى مثل ما كان عند هذا كان له في الأجر سواء، الشاهد بأن المرء لابد له من نظر كيف يُثقِّل موازينه يوم القيامة، فليكن كل منا حريص على ذلك؛ على تثقيل الموازين يوم أن يلقى الله عز وجل.

تبقى الأحاديث التي ذُكرت عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها في مسألة تباعد الناس يوم القيامة، فلما سألت النبي ﷺ وبكت وذكرت قرابته منها في الدنيا، وحبهما لبعضهما، وأنه كيف كان قريبًا منها، فسألته عن ذلك يوم القيامة؛ هل يذكر أحد أحد؟ فبيَّن لها النبي ﷺ في مواطن ثلاثة؛ منها عند الميزان، وعند الصراط، وعند تطاير الصحف، فلا يذكر أحد أحدًا حتى يعلم ينجو أم لا. وهذه طبعًا تتمة لأحاديث أخرى ذكرناها من قبل عندما قال النبي ﷺ لعائشة: [يُحشَرُ النَّاسُ يَومَ القيامةِ حُفاةً عُراةً غُرلًا، قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، النِّساءُ والرِّجالُ جَميعًا يَنظُرُ بَعضُهم إلى بَعضٍ! قال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: يا عائِشةُ، الأمرُ أشَدُّ مِن أن يَنظُرَ بَعضُهم إلى بَعضٍ]، فبيَّن بأن هناك مواطن ثلاث لا يستطيع المرء فيه أن يكون مع أحد من أحبائه ولا أهله، هو منشغل بحاله أولًا لينجو، ثم بعد ذلك إن منَّ الله عز وجل عليه ذلك فله أن ينظر إلى أحبائه ويشفع لهم، {وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ} [الطور: 21] إلى آخر الآيات، فالمرء يشفع لأخيه المؤمن، والأخت تشفع لأختها

المؤمنة، والأخ يشفع لغيره أيضًا، وهذا من كرم ومنة الله عز وجل على عباده المؤمنين أن يسمح لهم بالشفاعة، فتُرفَع الدرجات ويتقرب الناس.

والحمد لله أن كل من يدخل الجنة لا يجد في صدره شيء؛ لا غل، ولا حسد، ولا حقد، ولا تمني أن يكون في درجة غير الدرجة، الكل في رضا؛ من كان في أعلى الجنة ومن كان في أسفل الجنة الكل راضي بما هو فيه، ولا ينظر لغيره، ولا ينظر لمن هو أعلى منه، نُزِع من القلوب كل شيء غير الاستمتاع بالجنة ونعيم الجنة. نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أهل الجنة، وأن يدخلنا مع النبي ﷺ في الفردوس الأعلى، نكون معه ومع الصحابة الكرام والأنبياء صلوات الله عز وجل عليهم.

76- كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ وَأَنَّ نَعِيمَ الْجَنَّةِ لَا يَنْقَطِعُ عَنْ أَهْلِهَا أَبَدًا وَأَنَّ عَذَابَ النَّارِ لَا يَنْقَطِعُ عَنْ أَهْلِهَا أَبَدًا

هنا يتكلم عن مسألة أخرى، وهذه كلها مسائل خالفت فيها المعتزلة، وهو يتكلم هنا على أن الجنة والنار مخلوقتان، وهما موجودتان الآن؛ هذه المسألة الأولى. والمسألة الثانية بأن نعيم الجنة لا ينقطع أبدًا، وأن عذاب النار لا ينقطع أبدًا، وهي مسألة هل تفنى الجنة والنار أم لا تفنى؟ إذًا أولًا معنا الإيمان والتصديق بأن الجنة والنار مخلوقتان؛ أي موجودتان الآن، ثم الكلام عن نعيم الجنة وعذاب النار يفنى أو لا يفنى؟

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ شَاهِدٌ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ , وَخَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا , وَلِلنَّارِ أَهْلًا , قَبْلَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا , لَا يَخْتَلِفُ فِي هَذَا مَنْ شَمِلَهُ الْإِسْلَامُ , وَذَاقَ حَلَاوَةَ طَعْمِ الْإِيمَانِ , دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ , فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا , فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: بَيِّنْ لَنَا ذَلِكَ , قِيلَ لَهُ: أَلَيْسَ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ , وَأَسْكَنَهُمَا الْجَنَّةَ؟ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا , وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ , فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ٣٥] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ , يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا} الْآيَةَ , وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ طه {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى

فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَنْ لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ ص لِإِبْلِيسَ {قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ} [ص: ٧٧] الْآيَةَ فَأَخْرَجَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ مِنَ الْجَنَّةِ , ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمَا , وَوَعَدَهُمَا أَنْ يَرُدَّهُمَا إِلَى الْجَنَّةِ , وَلَعَنَ إِبْلِيسَ وَأَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ , وَأَيِسَهُ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى الْجَنَّةِ

910 - حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَطَشِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّرْقُفِيُّ, قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قَيْسٌ , عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى , عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو , عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ , عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} [البقرة: ٣٧] قَالَ: أَيْ رَبِّ أَلَمْ تَخْلُقْنِي بِيَدِكَ؟ قَالَ بَلَى قَالَ: أَيْ رَبِّ: أَلَمْ تَنْفُخْ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: أَيْ رَبِّ أَلَمْ تَسْبِقْ رَحْمَتُكَ إِلَيَّ قَبْلَ غَضَبِكَ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: أَيْ رَبِّ أَلَمْ تُسْكِنِّي جَنَّتَكَ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: أَيْ رَبِّ أَرَأَيْتَ إِنْ تُبْتُ وَأَصْلَحْتُ أَرَاجِعِي أَنْتَ إِلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ "

911 - أَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: أَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ, عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ: «بَكَى آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْجَنَّةِ سِتِّينَ عَامًا , وَعَلَى ابْنِهِ حِينَ قُتِلَ أَرْبَعِينَ عَامًا»

الحديث الثاني فيه ضعف طبعًا؛ بكاء آدم، لم يثبت.

912 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الْعَسْكَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجُنَيْدِ الْخُتَّلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَارَةُ بْنُ زَاذَانَ الصَّيْدَلَانِيُّ, عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ قَالَ: "لَمَّا طَالَ بُكَاءُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْجَنَّةِ , قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ, فَقَالَ: أَبْكِي عَلَى جِوَارِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي دَارٍ تُرْبَتُهَا طَيِّبَةٌ , أَسْمَعُ فِيهَا أَصْوَاتَ الْمَلَائِكَةِ

وأيضًا الحديث هذا فيه ضعف.

طبعًا كل ما سبق سنبين أنه يثبت وجود الجنة والنار؛ أنهما مخلوقتان، وأنه من الأدلة السابقة - كما سيأتي معنا - بأن آدم عليه السلام كان في الجنة، وإبليس كان في الجنة وخرج منها، إذًا هما مخلوقتان وموجودتان.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَسَنَذْكُرُ مِنَ السُّنَنِ الثَّابِتَةِ فِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ , وَأَعَدَّ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ لِأَهْلِهَا مَا شَاءَ , مِمَّا لَا يَدْفَعُهَا الْعُلَمَاءُ , وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ

913 - أَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ وَقَالَ: أَخْبَرَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ , أَرْسَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا , وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا , فَنَظَرَ إِلَيْهَا , فَرَجَعَ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ , فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا , فَأَمَرَ بِهَا فَحُجِبَتْ بِالْمَكَارِهِ , فَقَالَ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا , فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُجِبَتْ بِالْمَكَارِهِ , فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ , لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ , ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَى النَّارِ وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا , فَنَظَرَ إِلَيْهَا , فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا , فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ , فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ , لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا "

914- وَأَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ قَالَ: أَنْبَأَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيُّ , عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو , عَنْ أَبِي سَلَمَةَ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ. . . . . فَذَكَرَ مِثْلَهُ

915- حَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ , عَنْ ثَابِتٍ , عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ , وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»

916 - وَحَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ التَّمَّارُ , وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَيْشِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ , عَنْ ثَابِتٍ , عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ , وَحُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»

917 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ , وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ , وَأَحْمَدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ أَبَانَ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ , عَنْ أَبِي الزِّنَادِ , عَنِ الْأَعْرَجِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ , وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»

918 - حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ قَالَ: أَخْبَرَنِي صَخْرُ بْنُ جُوَيْرِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا رَجَاءٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ, وَإِلَى النَّارِ أَوْ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءُ»

919 - وَأَنْبَأَنَا أَبُو عُبَيْدٍ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَرْبٍ الْقَاضِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَشْعَثِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ , عَنْ أَبِي رَجَاءٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي النَّارِ , فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ , وَاطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ, فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءُ»

920 - أَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شُعْبَةَ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ بُدَيْلٍ الْيَامِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ , عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ , فَقَالَتِ النَّارُ: مَالِي يَدْخُلُنِي الْمُتَكَبِّرُونَ وَأَصْحَابُ الْأَمْوَالِ؟ وَقَالَتِ: الْجَنَّةُ: مَالِي لَا يَدْخُلُونِي إِلَّا الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ؟ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْجَنَّةِ: أَنْتَ رَحْمَتِي , أُدْخِلُكِ مَنْ شِئْتُ , وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتَ عَذَابِي, أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ شِئْتُ , كِلَا كُمَا سَأَمْلَأُ"

921 - وَحَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ هَارُونُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ يَعْنِي مُحَمَّدًا الْعَدَنِيَّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ , عَنْ أَبِي الزِّنَادِ , عَنِ الْأَعْرَجِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ , فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ , وَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ , فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ: أَنْتَ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَرُبَّمَا قَالَ: أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتَ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ , وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنِّي مِنْهُمَا مِلْؤُهَا"

922 - حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ , عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ , عَنْ نَافِعٍ , عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَى مَقْعَدِهِ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ , إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ , وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ , يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"

923- وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ , عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ , عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ , فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ , كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ , اخْرُجِي حَمِيدَةً , وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ , وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ قَالَ: فَيَقُولُونَ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ قَالَ: فَيَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ ثُمَّ يُقَالُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: فِي الْإِسْلَامِ قَالَ: فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , فَآمَنَّا وَصَدَّقْنَا , فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةً مِنْ قِبَلِ النَّارِ , فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا , فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةً إِلَى الْجَنَّةِ , فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا , فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ" وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

924 - وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ , عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ , عَنِ ابْنِ شِهَابٍ , عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ , أَنَّ أَبَاهُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِنَّمَا نَسَمُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ , حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»

925 - وَأَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ , عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ , عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ , عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ , عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ , عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ , تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ , وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا , وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ , فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ , قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا: أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ , لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ , وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ؟ قَالَ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا , بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [آل عمران: ١٧٠] الْآيَةَ

926 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ اللَّيْثِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ لُوَيْنٌ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ , عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ , عَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ , عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ, قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ, وَمَنِ اسْتَجَارَ اللَّهَ تَعَالَى مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ, قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ"

اللهم إنا نسألك الجنة، اللهم إنا نسألك الجنة، اللهم إنا نسألك الجنة، اللهم أجرنا من النار، اللهم أجرنا من النار، اللهم أجرنا من النار.

928 - وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ عَبَّادٍ الْمُهَلَّبِيُّ, عَنْ هِشَامِ بْنِ زِيَادٍ, عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ, عَنْ عَطَاءٍ, عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْجَنَّةَ بَيْضَاءَ, وَإِنَّ أَحَبَّ الزِّيِّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْبَيَاضُ, فَلْيَلْبَسْهُ أَحْيَاؤُكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهِ مَوْتَاكُمْ»

929 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّا الْمُطَرِّزُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ, عَنِ الْأَعْمَشِ, عَنْ أَبِي صَالِحٍ, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ, وَمَرَدَةُ الْجِنِّ, وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ, فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ, وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجِنَانِ, فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ, وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ, وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ وَلِلَّهِ تَعَالَى عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ"

930 - أَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَرَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ خَلِيفَةَ, عَنْ يَزِيدَ بْنِ كَيْسَانَ, عَنْ أَبِي حَازِمٍ, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ يَوْمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ سَمِعْنَا وَجْبَةً فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: هَذَا حَجَرٌ أُرْسِلَ فِي جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا الْآنَ حِينَ انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا"

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَكَذَا أَصَبْتُهُ فِي الْأَصْلِ قَالَ الشَّيْخُ: هَكَذَا أَصَبْتُهُ فِي الْأَصْلِ عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ فَلَا أَدْرِي سَقَطَ عَلَى, أَمْ هُوَ مُرْسَلٌ وَأَكْثَرُ الْأَحَادِيثِ: أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ, عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ السُّنَنُ وَغَيْرُهَا مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهَا تَدُلُّ الْعُقَلَاءَ, وَغَيْرَهُمْ مِمَّنْ لَمْ يَكْتُبِ الْعِلْمَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ» فِي غَيْرِ حَدِيثٍ, سَنَذْكُرُ مِنْهَا مَا يَنْبَغِي ذِكْرُهُ,

كُلُّ ذَلِكَ لِيَعْرِفَ النَّاسُ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ

932 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ زَنْجُوَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ , عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ: أَنَّهُ سَمِعَ حُمَيْدَ بْنَ عُبَيْدٍ مَوْلَى بَنِي الْمُعَلَّى يَقُولُ: سَمِعْتُ ثَابِتًا الْبُنَانِيَّ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَالِي لَمْ أَرَ مِيكَائِيلَ ضَاحِكًا قَطُّ؟» فَقَالَ: «مَا ضَحِكَ مِيكَائِيلُ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ»

933 - وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَوْفٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ أَنْبَأَنَا شُعَيْبٌ , عَنْ أَبِي الزِّنَادِ , عَنِ الْأَعْرَجِ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تُوقِدُ بَنُو آدَمَ جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» فَقِيلَ: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا , كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»

وَلِهَذَا الْحَدِيثُ طُرُقٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

كل ما قرأناه طبعًا يخص مسألة أن النار والجنة مخلوقتان، وقلنا أن فيها مسألتان؛ المسألة الأولى أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن، وقد خلقهم الله عز وجل، واستدل الإمام الآجري بهذه الأحاديث والآيات التي نقلناها، والتي تبين **أن الجنة والنار مخلوقتان، وهذا اتفاق عند أهل السنة والجماعة؛ خلافًا للمعتزلة الذين لم يقولوا بأن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وهذا قول المعتزلة**؛ قالوا بأنه لا داعي للجنة والنار أن تكون موجودة الآن والحساب لم يأت، ولماذا تُخلق الآن؟ وهي ستُخلق عندما يريد الله عز وجل ذلك، ونفوا أن تكون الجنة والنار مخلوقتان.

وأهل السنة والجماعة استدلوا بأدلة كثيرة من الكتاب ومن السنة كما ذكر الإمام في هذا الباب، منها قول الله عز وجل إضافة:{ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 133] ، عن الجنة، وقال: {أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ} [الحديد: 21] ، وقال عن النار:{ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ} [آل عمران:131] . و {أُعِدَّتْ} فيها الإعداد والتهيئة.

كما ذكر البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، قال: (بَاب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ)، وأيضًا ابن حجر في شرحه لهذا قال: (بَاب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ أي

موجودة الآن). كل هذا طبعًا كان يردون فيه على المعتزلة الذين قالوا أن الجنة والنار لن توجد إلا يوم القيامة.

ودل على ذلك أيضًا حديث جبريل أن النبي ﷺ قال:[لما خلق اللهُ الجنةَ قال لجبريلَ: اذهب فانظرْ إليها ، فذهب فنظر إليها، ثمَّ جاء فقال: أيْ رَبِّ وعِزَّتِك لا يسمَعُ بها أحدٌ إلا دخلها...] إلى آخر ما ذكرناه في هذا الحديث، فهذه دلالة صريحة على أن الجنة والنار مخلوقتان. بل إن آدم عليه السلام كان في الجنة؛ وأدخله الله عز وجل الجنة وأخرجه من الجنة، وإبليس كان في الجنة وأخرجه الله عز وجل منها. وأيضًا من الأحاديث الصريحة في ذلك حديث صلاة الخسوف؛ لما خسفت الشمس، حديث عبد الله بن عباس قال:[خُسِفَتِ الشمسُ فصلَّى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والناسُ معه فقام قيامًا طويلًا]، ثم في الحديث تقدم النبي ﷺ فكأنه أخذ شيئًا ثم تقهقر أو رجع، فقالوا بعد أن انتهى: [رأيناك تناولتَ شيئًا في مقامِك هذا ثم رأيناك تكَعْكَعْتَ] أي رجعت، فقال النبي ﷺ: [قال : إني رأيتُ الجنةَ أو أُريتُ الجنةَ ، فتناولتُ منها عُنقودًا ولو أخذتُه لأكلتُم منه ما بَقِيَتِ الدنيا]، الله.. يارب أطعمنا من طعام الجنة عندما ندخلها وأرزقنا إياها، [ورأيتُ النارَ فلمْ أرَ كاليومِ منظرًا أفظعَ ورأيتُ أكثرَ أهلِها النساءَ قالوا : لِمَ يا رسولَ اللهِ قال : بكُفرِهنَّ قال : أيَكْفُرْنَ باللهِ عز وجل قال : لا ولكنْ يَكْفُرْنَ العَشِيرَ ويَكْفُرْنَ الإحسانَ لو أحسنتَ إلى إحداهن الدهرَ كلَّه ثم رأتْ منك شيئًا قالتْ : ما رأيتُ منك خيرًا قطُّ]. الحديث طبعًا دلالة صريحة على أن النبي قد أُري الجنة وكان سيأخذ منها عنقودًا، وأُري النار أيضًا.

وفي رواية لأنس قال: [والذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ لو رَأيتُم ما رَأيتُ لَضَحِكتُم قَليلًا ولَبَكَيتُم كَثيرًا، قالوا: وما رَأيتَ يا رَسولَ اللهِ، قال: رَأيتُ الجَنَّةَ والنَّارَ]، ولا شك بأن المعدوم لا يُرَى، فلو كانت الجنة والنار غير موجودتان لم يكن يراهما النبي ﷺ كما بينت السنة. وأيضًا الأصرح من ذلك حديث الإسراء والمعراج لما قال: [ثم انطلقَ بي حتى انتهى إلى سدرةِ المُنتهى ...فغشيها ألوانٌ لا أدري ما هيَ؟ ثم أدخلتُ الجنةَ فإذا فيها جنابِذُ اللؤلؤِ ، وإذا ترابها المسكُ] الحديث عند البخاري ومسلم.

وقد بيَّن الله عز وجل في كتابه ذلك، قال:{ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ* عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ* عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ} [النجم: 13-15] .

فكل هذه أدلة صريحة جدًا على مسألة وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان.

وحديث ابن عمر عن النبي ﷺ: [إنَّ أحَدَكُم إذا ماتَ عُرِضَ عليه مَقعَدُه بالغَداةِ والعَشيِّ، إن كان مِن أهلِ الجَنَّةِ فمِن أهلِ الجَنَّةِ، وإن كان مِن أهلِ النَّارِ فمِن أهلِ النَّارِ، فيُقالُ: هذا مَقعَدُك حتَّى يَبعَثَك اللهُ يَومَ القيامةِ]. وحديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ: لما يموت الرجل [فينادي منادٍ مِنَ السَّماءِ: أن قد صدقَ عَبدي، فأفرِشوهُ مِنَ الجنَّةِ، وافتَحوا لَهُ بابًا إلى الجنَّةِ، وألبسوهُ مِنَ الجنَّةِ قالَ: فيأتيهِ مِن رَوحِها وطيبِها]؛ أي أنه يتمتع بذلك.

شُبَه الذين قالوا بأن النار والجنة غير مخلوقتان الآن:

الذين قالوا أن النار والجنة غير مخلوقتان، ما شبههم؟ فالأدلة عندهم صريحة من الآيات والأحاديث، فما الشُبَه التي عندهم الذي جعلتهم يقولوا أن الجنة والنار غير مخلوقتان الآن؟

فما الشُبَه التي عند المعتزلة؟

- قالوا أولًا لو قلنا بأن الجنة والنار مخلوقتان لوجب أنها تفنى يوم القيامة لأن الله عز وجل سيُفني كل شيء، قال تعالى:{ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ } [القصص: 88] ، أن الله سيُفني كل المخلوقات قبل يوم القيامة وكل شيء سيموت؛ وقال تعالى:{ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ } [آل عمران:185] . أيضًا استدلوا بحديث آخر قالوا لو كانت موجودة لابد أن تفنى قبل يوم القيامة.

- وأيضًا استدلوا بحديث إبراهيم عليه السلام؛ حديث الإسراء والمعراج، لما قال النبي ﷺ: [لَقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسْرِيَ بي فقالَ : يا محمَّدُ ، أقرئ أمَّتَكَ منِّي السَّلامَ وأخبِرْهُم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عذبةُ الماءِ ، وأنَّها قيعانٌ ، وأنَّ غِراسَها سُبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ولا إلَهَ إلَّا اللَّهُ واللَّهُ أكبرُ]، فما وجه الشاهد والدلالة؟

- أيضًا استدلوا بحديث: [مَن قالَ : سُبحانَ اللَّهِ العظيمِ وبحمدِهِ ، غُرِسَت لَهُ نَخلةٌ في الجنَّةِ]، قالوا لو كانت الجنة مخلوقة ومفروغ من خلقها لم تكن قيعانًا كما قال إبراهيم عليه السلام ولم يكن لهذا الغراس معنى؛

- وكذلك قالت إمراة فرعون في الآيات:{ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ} [التحريم: 11] ، إذًا المسألة ليس مفروغ منها.

فهم استدلوا بالشبهة الأولى:{ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ } [القصص: 88] ، فلابد أن تفنى، وبالأحاديث التي قد بيناها.

الرد على هذه الشُبَه:

- أولًا في مسألة الفناء؛

فنقول إن كان كلامكم أنها معدومة الآن كما أن الناس الذين سيموتون وسيقومون عند النفخ في الصور فهذا لا نقبله أنها غير موجودة بالكلية وستُعَد بعد ذلك، لكن لو أردتم أن تقولوا بأنها موجودة ولكن لم يُكمَل الخلق لها بما أعده الله عز وجل لأهلها بالكلية نعم، وأن الله لا يزال يُحدِث فيها شيئًا بعد شيء نعم نوافق، وأن الله عز وجل إذا دخلها المؤمنون أحدث فيها أيضًا عند الدخول أمور أخرى فنعم هذا حق، وهذا الذي قصده إبراهيم عليه السلام، والآيات والأحاديث التي فيها تدل على غرس المرء في الجنة أنه سيغرس بأعماله أشياء نعم، لكن **أصل الجنة والنار موجودتان، وأنها لم تُعَد بالكلية هذا الحق**، وأن المرء إذا فعل أعمالًا يُغرس له في الجنة بهذه الأعمال. إذًا هذه المسألة الأولى وحديث إبراهيم عليه السلام وغيرها من الأعمال هذه تكملة وزيادة إعداد للمرء من الله عز وجل لأهل الجنة عندما يدخلونها، ولا ينافي وجودها الآن.

- أما الاحتجاج بقوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ} [القصص: 88] ، وأنكم تستدلون أن كل شيء سيهلك إلا الله عز وجل واستدلالكم على عدم وجود الجنة والنار؛

أن الآية هذه معلوم أن { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ} [القصص: 88] المقصود منها كل شيء كتب الله عز وجل عليه الفناء والهلاك هو الذي هالك، فهناك أمور لن تفنى وهي مخلوقة؛ فالعرش لن يفنى وهو مخلوق، والعرش هو سقف الجنة كتب الله عز وجل عليه البقاء، وهناك مخلوقات كتب الله عز وجل عليها الفناء؛ كالإنس، وكالملائكة أيضًا، لأنه لما قال الله عز وجل:{ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن: 26] فقالت الملائكة: (هَلَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ، وَطَمِعُوا فِي الْبَقَاءِ)، فأخبر الله تعالى عن أهل السماء أنهم سيموتون، فقال: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ} [القصص: 88] ، فأيقنت الملائكة بعد ذلك أنها ستموت. إذًا هذا ليس فيه دلالة أصالة على لزوم فناء النار أو عدم وجودها قبل يوم القيامة. وهذا كلام يدل على بطلان استدلال المعتزلة بمسألة عدم وجود الجنة والنار.

أما قولهم بأنه ليس لها فائدة؛ نقول نعم لها فائدة، كيف ليس لها فائدة وأن من مات الآن ويتنعم كما قال النبي ﷺ أن أرواح الشهداء في حواصل طير تحوم حول العرش فتتمتع في الجنة قبل الاستقرار فيها نعم، فهناك تمتع، هناك استمتاع، والنبي ﷺ قد رأى أناس في

الجنة يتمتعون وقد أدخلهم الله عز وجل قبل الدخول النهائي يوم القيامة لكنهم في قبورهم يتمتعون بما في الجنة، والعكس أيضًا كما أهل العذاب يعذبون من عذاب النار أيضًا حتى يوم القيامة، فهي من الفائدة فلها فائدة أو لها انتفاع، وقد قدَّر الله عز وجل وقد كتب ذلك.

مكان الجنة والنار:

أين الجنة وأين النار؟

- تحديدًا مكان الجنة فوق السماء السابعة وتحت عرش الرحمن؛

كيف استدللنا بذلك؟

أولًا فوق السماء السابعة من قوله تعالى: {عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ} [النجم: 14-15] ، أين سدرة المنتهى؟ فوق السماء السابعة، كيف علمنا؟ من حديث الإسراء: [ثم عُرِج بنا إلى السماءِ السابعةِ ، فاستفتح جبريلُ ، فقيل : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ ، قيل : ومن معك ، قال : محمدٌ ، قيل : وقد بُعِثَ إليه ؟ قال : قد بُعِث إليه ، ففُتِح لنا ، فإذا أنا بإبراهيمَ مُسنِدًا ظهرَه إلى البيتِ المعمورِ ، وإذا هو يدخلُه كلَّ يومٍ سبعون ألفَ ملَكٍ ، لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدرةِ المنتهى ، وإذا ورَقُها كآذانِ الفِيَلَةِ ، وإذا ثمرُها كالقِلالِ] إلى آخر الحديث. إذًا سدرة المنتهى بعد السماء السابعة، وبعدها الجنة. إذًا الجنة فوق السماء السابعة. هذا أولًا.

طيب كون الجنة تحت عرش الرحمن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه الذي فيه: [مَن آمَنَ باللهِ وبرَسولِه، وأقامَ الصَّلاةَ، وصامَ رَمَضانَ؛ كان حَقًّا على اللهِ أن يُدخِلَه الجَنَّةَ، جاهَدَ في سَبيلِ اللهِ، أو جَلَسَ في أرضِه التي وُلِدَ فيها، فقالوا: يا رَسولَ اللهِ، أفَلا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قال: إنَّ في الجَنَّةِ مِئةَ دَرَجةٍ، أعَدَّها اللهُ للمُجاهِدينَ في سَبيلِ اللهِ، ما بينَ الدَّرَجَتَينِ كما بينَ السَّماءِ والأرضِ، فإذا سَأَلْتُمُ اللهَ فاسألوه الفِردَوسَ؛ فإنَّه أوسَطُ الجَنَّةِ وأعلى الجَنَّةِ أُراه فوقَه عَرشُ الرَّحمَنِ، ومِنه تَفَجَّرُ أنهارُ الجَنَّةِ] هذا الحديث عند البخاري، أعلى الدرجات الفردوس- نسأل الله أن يدخلنا جميعًا الفردوس الأعلى مع النبي ﷺ. فماذا قال؟ [فوقَه عَرشُ الرَّحمَنِ].

إذًا علمنا بأن أعلى الجنة دون عرش الرحمن، وأول الجنة فوق السماوات السبع، وأعلى درجات الجنة الفردوس فوقها عرش الرحمن، إذًا الجنة تحت عرشه سبحانه وتعالى وفوق السماوات السبع. انتهينا من ذلك، نعم، فهذا مكان الجنة.

♦ مكان النار:

قال تعالى:{ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ* وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ* كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ} [المطففين: 7-9] . وحديث البراء رضي الله عنه: [فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ اكتبوا كتابَه في سِجِّين في الأرضِ السُّفلَى] وهذا تفسير النبي ﷺ؛ أن سجين الأرض السفلى، قال بعضهم صخرة تحت الأرض السابعة، وبعضهم فسر أن "سجين" كتاب؛ لأنه قال تعالى:{ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ* كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ} [المطففين: 8-9] ، لكن ابن كثير في التفسير قال أن الكتاب المرقوم ليس تفسير لـ {وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ} ، لكن هو يقصد أنه تفسير لما كُتِب له من المصير إلى سجين، فيكون {كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ} تفسيرًا لقوله تعالى:{ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ} أي أن {كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ} تفسير لكتاب الفجار؛ أن كتاب الفجار كتاب مرقوم، و {وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ} جملة معترضة بين المفسر والمفسر.

والبعض قال أن هي في باطن البحار. لذلك الآية محتملة في باطن الأرض، وبعضهم قال أنه في باطن البحار؛ في قاع جهنم في باطن البحار، وكان كلام ابن عمر في ذلك، حتى بعضهم كانوا ينهون عن التوضأ بماء البحار لذلك.

وفي الحديث:[اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى , وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ] فمبدئيًا علمنا بأن السجين في الأرض.

ومع ذلك استشكل أصحاب العقول الضعيفة في حادثة الإسراء بأن النبي ﷺ قد رأى ليلة ما عُرِج به أناس في جهنم، قال وكيف يراها النبي ﷺ وهو عُرِج به إلى السماوات السبع ومع ذلك رأى ناس في جهنم وهم في الأراضين السبع؟! المسألة لا احتياج إلى إشكال بها؛ حتى في زمننا هذا الآن أصبح الأمر هين ليس عندنا فيه إشكال؛ وكأنه كيف النبي ﷺ عُرِج به إلى السماوات السبع ورأى ما رأى من الناس في جهنم في الأراضين، فأنت تركب الطائرة الآن، كم ألف كيلو متر فوق الأرض وممكن لو نظرت ترى أشياء على الأرض، وهذا بالقياس البشري نقول، فأين الإشكال أن النبي ﷺ يرى النار وهو في السماء؟ فإذا كان أصلًا عُرِج به إلى السماء وهو بشر، فهذه معجزات. وحتى الآن في زماننا ممكن نقرب قلنا بالطائرة بنرى أشياء هي بعد آلاف المسافات.

إذًا بينا الآن اثبات أن الجنة والنار مخلوقتان، وأين مكان الجنة ومكان النار.

بعض الأصناف التي رآها النبي ﷺ:

في الحديث ذكر النبي بعض الأشياء ﷺ لابد أن نمر عليها أيضًا؛ ما نتركها بدون بيان. لأن كل الأحاديث التي قرأناها بينت وجود الجنة والنار طبعًا حتى لا نعيد مرة أخرى، لكن ذكر النبي ﷺ بعض الأصناف في الجنة رآها، لما قال:(اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ , وَإِلَى النَّارِ أَوْ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءُ). وهناك رواية أخرى أريدها لابد أن نضمها لأننا سنتكلم عن المسألة الآن، النبي ﷺ بيَّن بأن أكثر ما رأى في الجنة الفقراء والمساكين، تفسر لأن هناك نزاع بين العلماء؛ **هل الغني الشاكر أفضل أم الفقير الصابر؟** فالرواية الثانية التي معنا لما (اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ: مَالِي يَدْخُلُنِي الْمُتَكَبِّرُونَ وَأَصْحَابُ الْأَمْوَالِ؟ وَقَالَتِ: الْجَنَّةُ: مَالِي لَا يَدْخُلُونِي إِلَّا الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ؟)، انتبهوا قالت المتكبرون وأصحاب الأموال، والجنة قالت الضعفاء والمساكين. وأيضًا: (احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ) فقالت النار:(يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ) وقالت الجنة:(يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ)، مقابل الجبارون المتكبرون؛ الضعفاء والمساكين.

أنا أقرب فقط لكم في الروايات قبل أن أدخل في المسألة لأن ممكن يُحمَل هذا الكلام على أن التقسيم في أن من دخل النار كان متكبرًا جباراً، ومن دخل الجنة كان ضعيفًا مسكينًا ذليلًا إلى الله عز وجل متعبدًا، لكن ما زال الإشكال موجود عند علمائنا في مسألة **الغني الشاكر يدخل أفضل أم الفقير الصابر؟** وهذه على ثلاثة أقوال عند علمائنا:

القول الأول: قالوا **الفقير الصابر** أفضل، وهذا يميل اليه كثير من الصوفية وأهل المعرفة – كما يقال – قالوا الفقير الصابر أفضل؛

والقول الثاني: أن **الغني الشاكر** أفضل؛

وهناك قول ثالث وسط سأذكره ختامًا.

لكن إجمالًا لأن المسألة هذه بُحثت وحتى تكلم فيها شيخ الإسلام ابن تيمية تفصيلًا في "مجموع الفتاوى" لمن أراد أن يستزيد منها.

- **لكن من استدل من الأحاديث التي معنا على أن أكثر أهل الجنة من الفقراء والمساكين** أن النبي ﷺ قال:[اللَّهمَّ أَحْيِنِي مِسكينًا، وأَمِتْنِي مِسكينًا]، واستدلوا أيضًا بحديث: [يَدخُلُ الفُقراءُ الجنَّةَ قَبلَ الأغنياءِ بنِصفِ يَومٍ، وهو خَمسُ مِئةِ عامٍ]. وأيضًا أن الله عز وجل قد أثنى

على الفقراء لما طلب بعض الأغنياء من النبي ﷺ إبعاد الفقراء عن المجلس، فقال الله عز وجل:{ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ } [الأنعام:52] ، وقوله تعالى:{ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ} [الكهف:28]، فكانت هذه تزكية من الله عز وجل للفقراء. وكان النبي ﷺ يقعد مع أهل الصُفَّة، ويجلس معهم، ويقدمهم، إلى غير ذلك.

وطبعًا هؤلاء قالوا في الفقير الصابر الذي قد ابتُلِي بالفقر وصبر على ذلك، واحتسب، فهو أفضل عند الله عز وجل، وكما جاءت في الروايات التي معنا أنهم أكثر أهل الجنة.

- **واستدل من قال بأن الغني الشاكر أفضل** بعدة أحاديث، منها حديث الفقراء الذين جاوا يشتكون للنبي ﷺ بأن الأغنياء يتصدقون ويتعبدون كما يتعبد الفقراء لكنهم يزيدون عليهم بالصدقة، فقال هل أعلمكم بشيء؟ فعلمهم التسبيح ثلاث وثلاثين والتحميد والتكبير والتهليل، فجاؤوا يشتكون بعد ذلك بأنه قد علم الأغنياء بها وقالوها، فقال: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)، ثم قال: (هل أعلمكم شيئًا إذا فعلتموه أدركتم به ما سبقكم ولم يلحق من بعدكم إلا من عمل مثله؟) فهذا كان تفضيل الأغنياء على الفقراء بالعبادات التي فعلوها؛ بدنية وقلبية.

وحديث الأربعة نفر لما قال النبي ﷺ من أتاه الله مالًا وحكمة وهو يستعمل المال في مرضاة الله عز وجل، فجاء الفقير تمنى مثل ما يكون للغني، فقال لو اني أُعطيت مثل فلان، فقال: (هم في الأجر سواء). فدل على أن التابع أراد من المتبوع، فالمتبوع أفضل وهو الغني؛ التابع الفقير أراد أجر المتبوع، فالله أعطاه الأجر. فدل على أن المتبوع هو أفضل من التابع وهو الغني الشاكر الذي ينفق أمواله في سبيل الله عز وجل.

هناك عدة أدلة أيضًا كل واحد يستدل بها على أن الغِنَى فيه انفاق وفيه صدقات تزيد عن الفقير، فكان له من الأجور أفضل، فكان له من الأجر أعلى عند الله عز وجل.

والحق نقول بأن مسألة الغِنَى والفقر هي حالان يعرضان للعبد؛ أحيانًا باختياره وأحيانًا بغير اختياره.

والصحيح أنك لا تستطيع أن تقول باطلاق أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر، بل قد يكون الغني الشاكر في حال هو أفضل، والفقير الصابر في حال هو أفضل. يستدل على ذلك قول النبي ﷺ في الحديث عن أنس رضي الله عنه: **[إن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإنَّ من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإنَّ من**

عبادي من لا يصلحه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإنَّ من عبادي من لا يصلحه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك، إنِّي أدبر عبادي إني بهم خبير بصير]، حديث عند البغوي في شرح السنة عن أنس رضي الله عنه وأرضاه مرفوع للنبي ﷺ. دل ذلك على أن الفقر والغنى ليس باطلاقه؛ أن الغنى ليس باطلاقه محمودًا، ولا الفقر باطلاقه محمودًا. النبي ﷺ قال مثلًا: **[نِعمَ المالُ الصَّالحُ للرَّجلِ الصَّالحِ]**.

حتى في حال الأنبياء والصحابة الله عز وجل جعل بعض الأنبياء في غنى واسع، وبعض الأنبياء في فقر، وبعض الأنبياء والرسل بين بين؛ أحوالهم بين الغنى والفقر، وكذلك بين الصحابة رضوان الله عليهم.

طبعًا مما يستدلون به الفقراء لما خير جبريل النبي ﷺ **[يا محمدُ أرسَلَني إليك ربُّك أفملكًا نبيًّا أجعلَك أو عبدًا رسولًا؟ قال جبريلُ تواضعْ لربِّك يا محمدُ، قال بل عبدًا رسولًا]** ، فقالوا إشارة للنبي أنه ما أراد الغنى، فهذا يستدل بمن يرى الفقر.

لكن الصحيح بأن الله عز وجل قد صنف حتى الأنبياء؛ منهم من كان من الأنبياء في غنى كإبراهيم الخليل، وأيوب، وداوود، وسليمان، كانوا في غنى؛ هؤلاء من الأنبياء، ومن الصحابة عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وأسعد بن زرارة، وأبي أيوب الأنصاري، وعبادة بن الصامت، هؤلاء كانوا من أغنياء الصحابة.

ومن الأنبياء من كان من الفقراء كالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ويحيى بن زكريا، ومن الصحابة علي بن أبي طالب، وأبي ذر، ومصعب، وسلمان، وأيضًا كثير من الصحابة كانوا في فقر.

وممن جعله الله عز وجل وسطًا؛ اجتمع الأمران عنده؛ الغنى والفقر؛ النبي ﷺ وبعض الصحابة، فالنبي ﷺ جمع بين الغنى والفقر، كانت له أحوال في غنى وأحوال في فقر، بدأ فكان فيه فقر، ثم أغناه الله عز وجل بعد ذلك وقد مات وعنده كان يوزع من الغنائم كثيرًا من الأموال. ومثله أيضًا من التوسط أبو بكر وعمر فكان لهم أموال وأحيانًا كان عليهم دين.

ومما يستدل به أيضًا أصحاب الغني قالوا أن النبي ﷺ استعاذ من الفقر، فقالوا إذًا الغني الشاكر أفضل لأن النبي استعاذ من الفقر، والحق أن هذه الاستعاذة ليست من الفقر، لكنه من ابتلاء الفقر، لأن فيه ابتلاء لاشك والحاجة إلى غير ذلك.

إذًا التوسط كان موجودًا، فالحق **القول الثالث هو القول الوسط الذي قال به بعض العلماء**؛ وهو أن المسألة ليست أن الغني الشاكر أفضل على الاطلاق، ولا الفقير الصابر هو الأفضل على اطلاقه، بل إن القول الصواب أن نقول أن **أفضلهما أتقاهما**، لا هناك أفضل مطلقًا للغني الشاكر ولا هناك أفضلية مطلقة للفقير الصابر، بل أفضلهما أتقاهما، لأن الله عز وجل قد بيَّن ذلك:{ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ} [الحجرات: 13] . وقال عمر بن الخطاب ليبين ذلك: (الفقر والغنى مطيتان ما أبالي أيتهما ركبت). وقال تعالى:{ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا} [النساء: 135] .

إذًا المسألة قائمة على التقوى، إن كان غنيًا وبغناه وشكره وصل بهذا الغنى إلى التقوى فلا شك بأنه وصل لمراد الله، لأن { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ} ليس أغناكم بشكر ولا أفقركم بصبر. بل الغِنَى ابتلاء؛ فالفقير الذي يصبر لم يتعرض لفتنة المال الذي عند الغني، فهو لما ابتلاه الله عز وجل بالمال – وهذا ابتلاء – فكان شاكرًا ووصل بالمال إلى التقوى، فكانت التقوى هي التفضيل، وليس شكر الغنى. وكذلك لما حُجِب عن الفقير المال وصبر واحتسب ثم رضي بعد ذلك بما هو عليه من ابتلاء فارتفع في الدرجة فوصل إلى التقوى، فكان { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ} .

إذًا المسألة ليست مطلقة لا هنا ولا هنا في الأفضلية، لكن القول الفصل هو القول الثالث لأن المسألة تعود إلى التقوى، من وصل بحاله إلى التقوى فهو وصل إلى الأفضلية، لأن الله عز وجل قد بيَّن ذلك { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ} . وهذا يبين لك أن أفضل حال هو حال النبي ﷺ ومن كان معه من الصحابة في هذه المسألة؛ أنه لما كان في وقت الغنى فكان في شكر، ولما كان في فقر فكان في صبر واحتساب ورضا، فوصل إلى التقوى في الحالتين، فذلك هو الأفضل وهذا القول هو الراجح ومال إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في ترجيحه وكثير من أهل العلم على أن المسألة ترجع إلى التقوى، وهذا هو أعدل الأقوال، لأن طبعًا الأدلة من هنا ومن هنا تتأرجح لكل طرف له ما له من الأدلة أصالة، لكن نقول قد يصل الفقير بالصبر والاحتساب للتقوى ولا يصل إليها صاحب الغِنى.

ثم المسألة أيضًا التقييد الآخر لما قال النبي ﷺ: (وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ , فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءُ)، وهذه قد بيَّن العلة فيها؛ لأنهن يكفرن العشير، فقالوا: [أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ عز وجل قال : لا ولكنْ يَكْفُرْنَ العَشِيرَ] يدل على أنهم يُحسِن إليهم الدهر ثم يأتي بشيء فينسون ما أُحسِن به

إليهن فيكفرن العشير لذلك. والحق أن هذه المسألة جبلة في المرأة – إلا من رحم ربي – جبلة، بأنه ممكن أن يحسن إليها دهر كثيرًا ثم إن حدث منه شيء أو فعل شيئًا تنسى كل ذلك وتقول: [ما رأيتُ منك خيرًا قطُّ]. لذلك رآهم النبي ﷺ أكثر أهل النار.

والحق أن هذه إشكالية عند النساء في هذه المسألة، أسأل الله عز وجل أن يرشدهم إلى الصواب دائمًا.

والمسألة ليست في الحكم فالحكم ثابت، لكن هو الكلام على أنه قد بيَّن النبي ﷺ مسألة كثرة كفران العشير أنه سبب، فكفران العشير سبب؛ دخل به الرجال ودخل به النساء لكن النبي ﷺ قد بيَّن ذلك وقال أنه يقع من النساء أكثر، وهذا واقع مشاهد حقيقة؛ للأسف كثير من النساء أفسدن بيوتهن بذلك.

تقول له: [ما رأيتُ منك خيرًا قطُّ] فهو الآن ينفق عليها، ويحسن إليها، ثم في مرة امتنع مثلًا أنه يشتري شيئًا أو أن يفعل شيء أو لم يُلَبِ لها طلبًا، فقالت ما رأينا منك شيء؛ أنت دائمًا تجوعنا، ولا تعطينا، ولا تصرف علينا، ولا كذا ولا كذا ولا كذا. أو يُحسن إليها لكن فعل الجريمة الكبرى في زماننا الآن أنه تزوج عليها مثلًا فانقلبت الثلاثين سنة أو العشرين سنة والعشر سنوات جحيم كلها، وكأنها لم تر منه خيرًا قط، وأفسدت البيت وكل شيء مع أنه لم يفعل منكرًا.

والأدلة كثيرة على ذلك لن استفيض لكن معلوم أن النبي ﷺ لما قال يكفرن، قالوا: [أَيَكْفُرْنَ باللهِ عز وجل قال: لا ولكنْ يَكْفُرْنَ العَشِيرَ] ينكرن الإحسان الذي كان لهن من قبل، وما فُعِل لهن فينكرن ذلك ولا يثنين على الزوج في خير فعله من قبل، وهذه جبلة عمومًا عاطفة عند المرأة؛ أن العاطفة تحركها، فهي مسألة عاطفة لكنها للأسف بهذا قد تكون سببًا في دخول النار.

لكن يُشكِل حديث في السنن، قال النبي ﷺ: [أكثر أهل الجنة النساء] ما رأيكم؟ طبعًا هذه جميلة جدًا للنساء الآن، [أكثر أهل الجنة النساء] ونعم الحقيقة حديث موجود في السنن، وأنا متأكد أن غالب النساء الموجودة الآن لا تعلم به، قال: [أكثر أهل الجنة النساء].

فالنبي ﷺ لما قال: [أُرِيتُ النَّارَ فإذا أكثرُ أهلِها النِّساءُ] ثم قال: [يَكفُرنَ العَشيرَ] هو كان يتكلم عن نساء الدنيا الذين في النار، ولما قال: [أكثر أهل الجنة النساء] هنا عمَّم، فجُمِع حور العين مع الحور الطين. و"الحور الطين" هذه منقبة وليست مذمة، فالحور الطين الذين

هم من الطين، هي الإنسية، غير الحور العين. فالذين منَّ الله عز وجل عليهم، وأنا أقول أن نساء أهل الدنيا إذا دخلن الجنة فيكونوا هم أفضل من الحور العين، لأنهم قد ابتلين في الدنيا واختُبِرن فمنَّ الله عز وجل عليهم بالنجاح في الاختبار، فجازاهم الله عز وجل، وكان دخولهم الجنة، فهم عند دخولهم الجنة أفضل من الحور العين. لكن قول النبي ﷺ توجيهه لـ [أكثر أهل الجنة النساء] حملها العلماء على الحور العين مع حور الطين، لأن المرء الواحد لو منَّ الله عز وجل عليه جعل له كم؟ سبعين أو ما أدري كم- لغير الشهداء – من الحور العين له، فلذلك كان الأكثر النساء. نسأل الله عز وجل لنا جميعًا أن نكون من أهل الجنان. ولكن طبعًا هذا تحذير من النبي ﷺ للنساء بأن يتقين الله عز وجل في ذلك.

وأنا قصدت – قبل أن أنسى – لما قلت الروايات التي فيها الجبارون والمتكبرون والضعفاء بعضهم حمل بأن الروايات التي جاءت في الفقراء على أن الذي مُنِع من دخول الجنة الجبار والمتكبر، وأما الفقير فيُقصد به فقير العبادة إلى الله عز وجل، وأنه يريد أن يكون عبدًا لله عز وجل حقًا، فلذلك كان من أهل الجنة. والمقابل المتكبر والجبار. هذا عند القول بالقول الوسط.

تبقى على الجزء هذا بَابُ دُخُولِ النَّبِيِّ ﷺ الْجَنَّةَ، هذه نقف عندها، وتبقى مسألة دخول النبي ﷺ الجنة، وتبقى مسألة هل النار تفنى والجنة لا تفنى، وهذه فيها خلاف. نقف عند هذا القدر، وسنأخذها مع مسألة دخول النبي ﷺ الجنة، ثم نتكلم إن شاء الله في مسألة فناء النار والجنة، وخلود الناس في الجنة والنار، نؤجلها للأسبوع القادم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة السبعون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – واليوم إن شاء الله نختم الجزء الخاص بالجنة والنار، ثم ندخل إلى جزء جديد أفرده المؤلف قد يكون هذا الجزء إلى آخر الكتاب، أولًا بدأ فيه الكلام عن النبي ﷺ وفضائل النبي ﷺ وشمائله، ثم يتكلم بعد ذلك عن الصحابة؛ سيبدأ بالخلفاء الراشدين الأربعة، ثم يتكلم عن الصحابة، ويتكلم عن أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ، فكل هؤلاء سيتكلم عنهم عن الفضائل والأمور التي جاءت فيهم في السنة إلى غير ذلك، إلى ما تبقى من الكتاب، وهذا الجزء الذي بينته غالبًا سيكون إلى نهاية الكتاب.

تبقى معنا **بَابُ دُخُولِ النَّبِيِّ ﷺ الْجَنَّةَ** ، ومسألة من المسائل التي أيضًا قد بيناها الأسبوع الماضي وغيرها في مسائل التي خالف فيها أهل السنة والجماعة المعتزلة؛ الذين أنكروا وجود الجنة والنار أنها مخلوقتان موجودتان، وقد بينا ذلك الأسبوع الماضي.

تبقى مسألة أخرى في هذا الباب وهي مسألة فناء الجنة والنار؛ هل تفنيان أم لا؟ وهذا الباب الذي وقفنا عنده.

77- بَابُ دُخُولِ النَّبِيِّ ﷺ الْجَنَّةَ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا فِي الْبَابِ الَّذِي مَضَى مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ, فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءُ, وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ, فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءُ» وَسَنَذْكُرُ فِي هَذَا الْبَابِ مَا لَا يَجْهَلُهُ الْعُلَمَاءُ بِالْحَدِيثِ أَنَّهُ الْحَقُّ

هذه المسألة بيناها الأسبوع الماضي؛ مسألة الفرق بين الغني الشاكر والفقير الصابر، وأيضًا مسألة رأيت أكثر أهل النار من النساء ومسألة كفران العشير إلى غير ذلك هذه قد بيناها الأسبوع الماضي، قد ذكرناها. ثم قال المؤلف – رحمة الله عليه– :

934 – أَنَا أَبُو بَكْرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ النَّرْسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ, عَنْ قَتَادَةَ, أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أَنْبَأَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ عَرَضَ لِي نَهَرٌ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ, فَقَالَ الْمَلَكُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ, وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى أَرْضِهِ فَأَخْرَجَ مِنْ طِينِهِ الْمِسْكَ "

وأيضًا نفس حديث عن أنس بنفس المعنى (رواية 935)، و(رواية 936)

937- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّا الْمُطَرِّزُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ, عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ, فَرُفِعَ لِي فِيهَا قَصْرٌ, فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَظَنَنْتُ أَنِّي أَنَا هُوَ, فَقُلْتُ: مَنْ هُوَ؟ فَقَالُوا: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ" وَذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ.

938 – وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رِزْقِ اللَّهِ الْكَلْوَذَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: "إِنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ الْبَارِحَةَ, فَرَأَيْتُ فِيهَا قَصْرًا مُرَبَّعًا مِنْ ذَهَبٍ, فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقِيلَ:

لِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ , فَقُلْتُ: فَأَنَا مِنَ الْعَرَبِ , فَلِمَنْ هُوَ؟ فَقِيلَ: لِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ , وَمَنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: فَأَنَا مُحَمَّدٌ , فَلِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقِيلَ: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ , فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَلَوْلَا غَيْرَتُكَ يَا عُمَرُ لَدَخَلْتُ الْقَصْرَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ , مَا كُنْتُ لِأَغَارَ عَلَيْكَ"

939-حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: حَدَّثَنَا كَامِلُ بْنُ طَلْحَةَ الْجَحْدَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ , عَنْ عَقِيلِ بْنِ خَالِدٍ , عَنِ ابْنِ شِهَابٍ , عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ , : أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , فَقَالَ: "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ , فَإِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ شَوْهَاءَ يَعْنِي: حَسْنَاءَ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ , فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ , فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ , فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى عُمَرُ فَقَالَ: «بِأَبِي وَأُمِّي , أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟»

940 - حَدَّثَنَا ابْنُ صَاعِدٍ أَبُو مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا بَحْرُ بْنُ نَصْرٍ الْخَوْلَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي زَمْعَةُ بْنُ صَالِحٍ , عَنْ عِيسَى بْنِ عَاصِمٍ , عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ , عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ , فَبَيْنَا هُوَ فِي الصَّلَاةِ مَدَّ يَدَهُ ثُمَّ أَخَّرَهَا , فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ , صَنَعْتَ فِي صَلَاتِكَ هَذِهِ , مَا لَمْ تَصْنَعْهُ فِي صَلَاةٍ قَبْلَهَا؟ قَالَ: "إِنِّي أُرِيتُ الْجَنَّةَ عُرِضَتْ عَلَيَّ وَرَأَيْتُ فِيهَا دَالِيَةً قُطُوفُهَا دَانِيَةً , حَبُّهَا كَالدُّبَّاءِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْهَا , فَأُوحِيَ إِلَيَّ: أَنِ اسْتَأْخِرْ , فَاسْتَأْخَرْتُ , ثُمَّ عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ , حَتَّى رَأَيْتُ ظِلِّي وَظِلَّكُمْ , فَأَوْمَأْتُ إِلَيْكُمْ أَنِ اسْتَأْخِرُوا" وَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

طبعًا هذه الروايات التي قرأناها أولًا فيها المسألة الأولى وهو أن في زمن النبي ﷺ تثبت وجود الجنة والنار، لأن النبي ﷺ دخل الجنة فرأى قصرًا لعمر، ورأى المرأة الحسناء، وأيضًا بأنه كان يصلي فرأى الجنة أراد أن يتناول عنقودًا في رواية أخرى قال: **[قال: إني رأيتُ الجنةَ أو أُريتُ الجنةَ، فتناولتُ منها عُنقودًا ولو أخذتُه لأكلتُم منه ما بَقِيَتِ الدنيا]**، ثم استأخر لما رأى النار. فهذه كلها أولًا يُستدل منها على وجود الجنة والنار، أنهما مخلوقتان موجودتان، كان هذا في زمان النبي ﷺ وإلى يومنا هذا.

وهذا فيه رد طبعًا على المعتزلة - كما بينا الأسبوع الماضي - الذين قالوا بأن الجنة والنار غير موجودتان أو لم تخلقان، وستُخلَق بعد ذلك. أولًا قالوا {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ

رَبِّكَ} [الرحمن: 26-27] لو قلنا أنها موجودة الآن فستفنى – هم قالوا ذلك – قالوا هما مخلوقتان؛ أي شيء هو محدث وكل هذا سيفنى مع قيام يوم القيامة، فلو قلنا أنها موجودة إذًا ستفنى. وأيضًا قالوا بأن وجودها الآن لا يفيد لأن الحساب يوم القيامة، فلماذا هي موجودة الآن؟ وإن كان الأول هذا أخذوها من باب أن هي من باب الحدوث؛ الشيء المحدث، وأنه لابد سيفنى مع كل شيء.

وطبعًا هنا توجد فوائد؛

- إثبات المسألة الرئيسة في مسألة وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان وموجودتان؛
- مناقب عمر رضي الله عنه وأرضاه؛ بأن النبي ﷺ لما دخل وجد قصرًا لعمر وهو في الحديث وجد إمرأة، وهذا الذي جعل النبي ﷺ لا يدخل القصر لما رأى المرأة وعلم أنها لعمر والقصر لعمر، وهذا من حُسن خلق النبي ﷺ، تبين لك حتى في هذه الأمور مع أنه نبي ﷺ لكنه ما أراد أن يدخل لأنه يعلم أن هذا خاص بعمر رضي الله عنه وأرضاه، فتذكَّر غيرة عمر، فما دخل لذلك. وطبعًا عمر رضي الله عنه وأرضاه ما احتمل ذلك فبكى، وقال: **(مَا كُنْتُ لِأَغَارَ عَلَيْكَ)**، فكيف المرء يغار من النبي ﷺ! بل هو نفديه بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا جميعًا ﷺ؛
- وفيها طبعًا منقبة عظيمة لعمر رضي الله عنه وأرضاه بأنه يُبشَّر وهو على الأرض بأن له قصرًا في الجنة، ومع ذلك لم يقف عمر بعد هذه البشرى، بل كان يسير خلف حذيفة بن اليمان حتى أوقفه قال: **[أَنْشُدُكَ اللَّهَ هَلْ سَمَّانِي لَكَ رَسُولُ اللَّهِ؟]**، لأن النبي ﷺ قد سمَّى أسماء المنافقين لحذيفة وائتمنه على ذلك، لذلك كان عمر بن الخطاب ينظر إذا مات الرجل فلو صلى حذيفة يصلي، ولو رأى حذيفة لا يصلي وانصرف فعلم أنه من المنافقين فما صلى عمر، ومع ذلك ما احتمل عمر – لأنه يعلم أن حذيفة يعلم – إلا أن يسأل حذيفة على أن يتأكد، وهو من؟ أحد العشر المبشرين الذين بُشِّروا أكثر من مرة بالجنة، ويبشَّر بالقصر.

وهذا ليس تنطعًا من عمر، هو ما يعلم الخواتيم، فقد يُبشَّر ويُنتكس، وهو طبعًا لن يكون، لكن هو يظن بأن هذا دين، هذه مسألة إيمان يعلو ويهبط، ويخشى على نفسه، لذلك يسأل حذيفة، يتأكد حقًا أهو من المنافقين أم لا؟

نحن الآن فقط المرء لو عمل عبادة أو طاعة أو فعل شيء ظن أنه دخل الجنة مستقر فيها! فقط لأنه صلى تراويح، أو ختم القرآن، أو بيراجع كل يوم، أو بيعمل عمل، أو بيلقي درس، أو

بيذاكر، فيظن أنه قد أصبح مكانه معروف في الجنة!! وهذا استدراك من الشيطان لك؛ بأنك تركن.

ابن عمر يقول: [لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي سَجْدَةً وَاحِدَةً أَوْ صَدَقَةَ دِرْهَمٍ لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ، تَدْرِي مِمَّنْ يَتَقَبَّلُ اللَّهُ؟ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ]، فعلم بأن الله لو تقبل سجدة فهو من المتقين فيموت الآن لأن الله سيقبله من المتقين. ويدل على أنك ما تركن لشيء تفعله، هؤلاء أماجد الصحابة، أفاضل الصحابة، أفضل الخلق بعد النبي ﷺ وبعد النبيين اصطفاهم الله عز وجل لصحبة النبي، ومع ذلك هل أنت تظن.. لو أنت فقط أتتك تزكية من أحد العلماء والشيوخ بأنه قال لي أنك بتفهم، أو أنك فقيه، أو أنك مجتهد، أو الشيخ أثنى عليك فانت بتطير وتظن أنك قد أخدت الإجازة! فأنت تُبشَّر بقصر في الجنة وإمرأة من الحور لك في الجنة وأنت في الأرض، ومن النبي ﷺ، ليس من أي أحد، فالمسألة حق. ومع ذلك انظر.

لذلك قال عنهم النبي ﷺ لما استأذن أبو بكر فقال أدخله وبشره بالجنة، أبو بكر وعمر، فقال هؤلاء سيدا كهول أهل الجنة لما رآهم يسيران، فكان معه أنس أعتقد أو ما أدري أحد خدامه، فأشار قال هاذان سيدا كهول أهل الجنة، فقال له أفلا أبشرهما يا رسول الله ﷺ؟ قال لا. وهذه قلناها من قبل. فالعلماء هنا نظروا لماذا قال النبي ﷺ لا لأبو بكر وعمر؛ لا يبشرون؟ مع أنه لما دخل من قبل أبو بكر واستاذن في البئر وجلس بجانبه قال أدخله وبشره بالجنة، وقال لعمر، وقال لعثمان، الحديث.. وقال أيضًا في بعض الآخرين أبشره؟ فقال نعم. فهنا العلماء نظروا قالوا خاف النبي ﷺ على أبو بكر وعمر أنهم إذا بُشِّروا بالجنة أن يزدادوا شكرًا وطاعة لله عز وجل، فيشتدوا على أنفسهم أكثر، فخاف عليهما من الاشتداد على أنفسهما لما يعلموا ببشرى الله لهم في الجنة، فقال لا. وفي غيرهم يخاف ألا يتكلوا؛ كما قال عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ (يتكلوا) على "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة"، فقال أفنبشر الناس؟ قال النبي نعم، قال عمر لا يا رسول الله يتكلوا، فقال: إذًا فلا. لماذا؟ لأن هناك ناس ضعفاء إذا بشرته فيركن.

وهؤلاء الأفزاز أصحاب الإيمان العالي إذا بُشِّروا يزدادوا إيمانًا، وكما جاء:[أَنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان يَقومُ مِنَ اللَّيلِ حتَّى تَفطَّرَ قدَماه، فقالت عائِشةُ: أتَصنعُ هَذا وقد غُفِرَ لك ما تَقدَّمَ مِن ذَنبِك وما تَأخَّرَ؟، فقال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أفلا أكونُ عَبدًا شَكورًا؟] ، هذه هي الدرجة العليا؛ هو النبي ﷺ، [أفلا أكونُ عَبدًا شَكورًا؟] غُفر له، ومع ذلك هو يقوم لله عز وجل، يشكر الله عز وجل على هذه النعمة.

فمن كان فقيهًا حقًا وعلا، لذلك تجد من حباه الله عز وجل الطاعة والعلم والإيمان تجده يزيد لأنه دخل في قلبه أن هذا من نعمة الله عليه، فيزداد شكرًا لله، فيزداد عملًا، وهذه لا تجدها إلا في أصحاب الإيمان، لذلك هذا الذي قال فيه النبي ﷺ في أبي بكر وعمر (لا)، خاف عليهما من شده العبادة بعد أن قد بُشِّرا، وهذا الذي قد حدث.

نقول هذه لفتات حقيقة نحن لابد أن نتدبر هذه الأمور حتى نستدركها في حياتنا، ونتقرب إلى الله عز وجل بذلك.

78- بَابُ ذِكْرِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ خَالِدُونَ فِيهَا أَبَدًا وَأَنَّ أَهْلَ النَّارِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ خَالِدُونَ فِيهَا أَبَدًا

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : بَيَانُ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , وَفِي سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ , خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا , لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ , وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا} [النساء: ٥٧] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ , خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا , وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا , وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} [النساء: ١٢٢] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: {هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ , لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [المائدة: ١١٩] الْآيَةَ. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ , أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ , وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [التوبة: ٢٠] إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ {أَجْرٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: ١٧٢] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [التوبة: ١٠٠] الْآيَةَ. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْحِجْرِ: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ , لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ} [الحجر: ٤٨] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا , خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} [الكهف: ١٠٧] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي

سُورَةِ الْوَاقِعَةِ: {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ} [الواقعة: ٢٧] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ , وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ التَّغَابُنِ: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التغابن: ٩] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ لَمْ يَكُنْ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ , جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [البينة: ٧] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلِهَذَا فِي الْقُرْآنِ نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ تُخْبِرُ أَنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ آمِنِينَ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ أَبَدًا , وَلَا يَخْرُجُونَ مِنَ الْجَنَّةِ أَبَدًا , قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ , فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ , يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ} [الدخان: ٥١] إِلَى قَوْلِهِ {وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} [الدخان: ٥٦]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا , يُخَلَّدُونَ فِيهَا أَبَدًا ...

ما معنى (أَهْلَ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا؟) هم الكفار، لأن هناك عصاة المؤمنين.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا , يُخَلَّدُونَ فِيهَا أَبَدًا . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ , وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا , إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [النساء: ١٦٨] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا} [الأحزاب: ٦٤] إِلَى أَخِرِ الْآيَةِ , وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ: إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ} [الزخرف: ٧٧] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ} [فاطر: ٣٦] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْجَاثِيَةِ: {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا: أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ} [الجاثية: ٣١] إِلَى قَوْلِهِ {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} [الجاثية: ٣٤] إِلَى قَوْلِهِ {مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} [الجاثية: ٣٥].

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَالْقُرْآنُ شَاهِدٌ: أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ خَالِدُونَ فِيهَا أَبَدًا فِي جِوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , فِي النَّعِيمِ يَتَقَلَّبُونَ , قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ , لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ,

وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ} [الواقعة: ٣٢] الْآيَةَ. وَأَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ أَبَدًا {لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [الزخرف: ٧٥]

941 - أَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ قَالَ: أَنْبَأَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ , عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ , عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ , عَنْ أَبِي صَالِحٍ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ , كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ أَغْفَرُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ , ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ , فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرُونَ , ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ , فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرُونَ , فَيَرَوْنَ أَنَّ الْفَرَجَ قَدْ جَاءَ , فَيُدْعَى , فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ , خُلُودٌ لَا مَوْتَ فِيهِ , وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ فِيهِ" قَالَ إِسْحَاقُ: قَالَ النَّضْرُ: مَعْنَى أَغْفَرُ: الَّذِي مِنْهُ بَيَاضٌ وَسَوَادٌ

942 - وَأَنْبَأَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ , وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ , قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ مُحَمَّدُ بْنُ خَازِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ , عَنْ أَبِي صَالِحٍ , عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ , كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ , فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ , تَعْرِفُونَ هَذَا: فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ هَذَا الْمَوْتُ , وَيُقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ تَعْرِفُونَ هَذَا: فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ هَذَا الْمَوْتُ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ , ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ , وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ" ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [مريم: ٣٩] وَلِهَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ طُرُقٌ جَمَاعَةٌ

هذا كله أدلة صريحة في مسألة اثبات أن الجنة والنار لا تفنيان أبدًا. طيب الاستدلالات كلها أتت من أين؟ لأن الآيات التي قرأناها كلها في مسألة الخلود؛ تجد في الآيات كلها (خالدين فيها أبدًا) سواء أهل الجنة وأهل النار، كل الآيات التي استشكل فيها أو {لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ} [الحجر: 48] ، فدل ذلك على أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة لا يخرجون. وأيضًا: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا } [الكهف: 107-108] ، كل هذه خلود لأهل الجنة إذا دخلوا الجنة. وخلود لأهل النار الذين هم أهل النار – الذين هم الكفار – الذين كُتب عليهم الخلود في النار.

فكل الآيات التي ذكرها الإمام الآجري – رحمة الله عليه – وأيضًا الأحاديث التي ذكرها في حديث ذبح الموت لأن هذا صريح جدًا بأن يؤتَى الموت (فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ , خُلُودٌ لَا مَوْتَ فِيهِ , وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ فِيهِ)، وهذا من أعظم الأحاديث حقيقة خاصة بعد الرواية التي قرأناها قراءة النبي ﷺ في الآية:{ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [مريم: 39] ، الآية هذه شديدة جدًا، الحديث مع الآية، تدبر هذا الحديث يجعل المرء حقيقة يقشعر، والمرء يخشى على نفسه ويدعو الله ليل نهار أن يميته على حسن خاتمة، الأمر ليس بهين، الموت يأتيك في لحظة فانظر على ماذا تموت؟ الكافر إذا مات الآن ضاعت الدنيا منه والآخرة، أنت لما تنظر للموقف وكأنك تتدبر قول النبي ﷺ بعد أن يدخل أهل الجنة الجنة ويرون النعيم، ويدخل أهل النار الذين هم أهل النار ويرون العذاب، ثم يُذبح الموت ككبش، ويقال لهم: (خُلُودٌ لَا مَوْتَ)و (خُلُودٌ لَا مَوْتَ). أي حسرة ستكون عند هؤلاء– أهل النار– الذين لما نودي عليهم ظنوا بأن الفرج جاءهم ثم يقال لهم العلامة النهائية! حسرة ليست بعدها حسرة، فالمسألة ليست بالهينة، وأنت لا تظن أن هذا فقط في أهل الكفر! نعم، هو هذا الخلود، لكن هل أنت تحتمل غمزة واحدة في النار؟! هؤلاء حسرتهم عظيمة ليست بالهينة. لذلك كل من مات على الكفر أنت لك أنك تتألم على أن هؤلاء ماتوا على هذا الكفر، لأن ما سيراه بعد ذلك ليس بالأمر الهين، هو اختار ذلك، الله عز وجل لم يظلمه.

وقلنا هذه مسألة عين القدر وعين الشرع، لا شك أنك تحب أن الناس جميعًا يدخلون الجنة، وأن الناس يكونوا على الإسلام، وتكره من يخالفون شرع الله عز وجل ويظلون على الكفر، فتنظر بعين الشرع مُنكِرًا عليهم ومشمئزًا مما فعلوه، لكن بعين القدر أنت مشفق على هؤلاء مما سيكون عليهم بعد ذلك.

فحقيقة هذا الحديث مع هذه الآية من أعظم ما يكون صدًا للمرء واسترجاعًا عما هو فيه، وأن يجاهد كل المجاهدة أن يخرج من هذه الدنيا عندما يحين الأجل – الذي حتمًا سيأتي ولكنه لا يعلم متى سيأتي – أنه لا يضيع من وقته شيئًا إلا أن يكون في طاعة أو في معروف أو في شيء، ويبعد كل البعد عن المنكرات والمعاصي وغير ذلك، وأن يجدد إيمانه دائمًا، وأن يحرص على التوحيد، وأعظم ما يكون على المرء أن يموت على التوحيد، أقل شيء، فهو أعظم شيء وأقل شيء لأنك تريد بعد ذلك أعلى، لأنك بعد التوحيد تريد درجات حتى ما تدخل النار أصالة. فالأمر عظيم.

وفيه طبعًا كما قلنا **بيان مسألة الخلود**، وهذه المسألة قد اختلف فيها، أو لا نقول اختلف، حقيقة نقول أن فيها ثلاثة أقوال، حتى فقط نضبط المسألة لأنه ليس خلافًا، سأبين أن المسألة ليس خلافًا يُعتد به، وإن كنا سنبين مسألة ما نُسِب لابن تيمية في هذه المسألة

القول الأول: إجماع أهل السنة والجماعة؛ أن الجنة والنار لا تفنيان أبدًا، وهذا قول جمهور الأئمة من السلف ومن الخلف، بل ممكن تقول فيه الإجماع.

القول الثاني: أن الجنة باقية لا تفنى، وأما النار فتفنى ولو بعد حين، وهذا قول نُسِب لجماعة من السلف، وتجده في بعض كتب التفسير، وهذا الذي نُسِب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قاله، وابن القيم، أنهم قالا بأن النار تفنى بعد ذلك – أقول نُسِب – لأن هناك خلاف أولًا هل هو ابن تيمية قاله لأنه وردت نقولات، وطبعًا هذه سبب المسألة لأن هذه كانت مطية للقدح في ابن تيمية، وهذا الذي ألف فيه السبكي كتابًا أراد أن يرد فيه على من قال بأن الجنة والنار تفنى، وبدَّع ودخل في ابن تيمية طبعًا على أنه اعتبر أن هذا قولًا له، فألَّف الكتاب للرد عليه. فلذلك تجد المبتدعة أو الذين يخالفون أهل السنة والجماعة عندما أرادوا أن ينالوا من ابن تيمية نالوا في هذه المسألة على أنه يُنسَب إليه أنه قال بذلك.

ومسألة نسبة القول لابن تيمية فيها نظر، وقد حقق كثير من علمائنا في هذه المسألة، وفيها نظر أنه له كلام بعضهم قالوا أنه كان يبرد فيه على من قالوا بفنيان الجنة والنار؛ وهو **القول الثالث** والذي قال به جهم، هو الوحيد الذي قال بذلك؛ أن النار والجنة تفنى، وهذا القول الثالث في المسألة على أن النار والجنة تفنيان، قال به جهم بن صفوان، لا أحد قال به غيره، لذلك هو قول منكر، قال الجنة والنار تفنيان، وقال تفنيان لأنهما حادثتان أي مخلوقتان، فهما حادثتان، وهو يقول أن أي شيء حادث لابد أن يفنى، لأن البقاء لا يكون إلا لله، فلو قلت –على قوله – بأن هناك شيء حادث يبقى فقد نازعت أو شابهت مع الله في البقاء، وهو أصله في حلول الحوادث، وأن الحوادث تفنى ولا يمكن أن أي حادث يكون له بقاء، ولو قلت بالبقاء إذًا شاركت مع الله عز وجل في أن الله يبقى سبحانه وتعالى. ولذلك قال بفناء الجنة والنار؛ لابد من فنائها، ولا يمكن أن تبقى.

طبعًا هذا كلام كله يرجع لدليل قلناه من قبل – حتى ما أكرر المسألة ليست هنا – لأن جهم أصالة دليل حدوث الأجسام أو دليل حدوث الأعراض، والذي أراد أن يثبت به وجود الله عز وجل إلى غير ذلك، فجعلوا حدوث العالم وحدوث الأجسام لكل ما خُلِق، ولابد أنها لا تبقى،

لأن البقاء لا يكون إلا لله. وهذا قول مردود عليه، مخالف لجماهير أهل السنة والجماعة والإجماع، وقول باطل منكر.

فالمسألة أصالة – سنلمح لأن المقام ليس مقام هنا أننا نفسر فيها – مسألة **هل ما نُسب لشيخ الإسلام ابن تيمية صحيح أم لا؟** نقول أن كثير من أهل العلم قالوا أن هذا لم يثبت صراحة عن ابن تيمية، وهو له كلام لكنه لم يُفهَم بطريقه منضبطة على أنه يقول بذلك، وإن كان ابن القيم له كلام قريب جدًا أنه قاله؛ أي ابن القيم في نسبة القول له أوضح من ابن تيمية أنه قال بأن النار تفنى.

البعض قال أن هذه النسبة لابن تيمية لم تثبت، والبعض قال إن ثبتت – فبعضهم قالوا بأن ابن تيمية قال هذا القول لأنه له قول ثاني بعدم الفناء أيضًا – لكن لو قال لعله، اعتذارًا له، أنه تأثر بما نُقِل عن بعض السلف أو شيء، أن قد يكون لله عفو عن هؤلاء بعد حين، – أنا أقول هذا تأثر منه – فظن بأنه يمكن أن الله عز وجل يفعل ذلك. هؤلاء الذين قالوا بنسبة القول. والبعض قال حتى لو نُسِب القول فنقول بأنه لو قاله فهو مردود عليه ويُغمَر في بحر حسناته، وأن هذا القول اجتهاد منه ظنًا منه بأن الله عز وجل ممكن أن يفعلها، لما نقل له في بعض مقولات للسلف، وإن قاله فهذه تُرد عليه.

لكن الصحيح الراجح عند أهل السنة والجماعة الذي يعد إجماعًا بأن الجنة والنار لا تفنيان، وأنه ليس لأنهما مخلوقتان فلابد لها من الفناء! لا، تبقى، ومن قدَّر الله عز وجل عليه أن يبقى فسيبقى، وبقاء هذه المخلوقات ليست كبقاء الله عز وجل، لكن الله عز وجل الذي قدَّر بقاء هذه.

هذا مجمل الكلام في مسألة فناء الجنة أو النار، لأنه يدندن عليها كثيرًا خاصة ممن يلمزون على شيخ الإسلام ابن تيمية، ويريدون أن يقدحوا فيه، فيتكلمون عن هذه المسألة.

نهاية تفريغ الجزء الثالث بحول الله وقوته

يبدأ الجزء الرابع والأخير بإذن الله من باب (79)

((فَضَائِل النَّبِيّ ﷺ))